

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٧٢

العدد الثاني

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

مجلة الدراسات الافريقية



١٩٧٣

المجلد الثاني

يصدرها سنويا معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب ٢١٣ سنة ١٩٧٤

رئيس التحرير : د. محمد السيد غلاب
سكرتير التحرير : دكتور محمد عبد الفتى سعودى
المراسلات باسم : دكتور محمد عبد الفتى سعودى
٣٣ شارع المساحة بالدقى - القاهرة

المحتويات

الصفحة

القسم العربى :

- ١ - د . محمد عبد الغنى سعودى
سد الفولتا ١
- ٢ - د . سعد زغلول عبد ربه
الحركات الوطنية و أنجولا ٣١
- ٣ - د . شوق الجمل
قضية روديسيا ٦٩
- ٤ - د . خمير غبور
موارد الأسماك البحرية حول أفريقيا ١٢١
- ٥ - د . حسن عثمان
بعض ملامح أفريقيا فى مطهر داتنى ١٥٧
- ٦ - د . محمد نجيب نصار
الحفاظ على الموارد الوراثية ١٧٩
- ٧ - د . محمد محمد أمين
العبدلاب وسقوط مملكة علوه ١٩١
- ٨ - د . السعيد البدوى
أفريقيا الإستوائية (دراسة فى الجغرافيا الطبيعية) ٢١٩
- ٩ - د . سعاد شعبان
قرية هودين ٢٥٣

القسم الافرنجى :

- ١ - د . محمد جابر بركات ، د . مصطفى امام
نبذة مبدئية عن تواجد كتيان رملية قديمة فى منطقة بحصة فى شمال الدلتا ١

سِدِّ القَوْلَا أَوْ (سِدِّ أوكسومبو)

الدكتور محمد عبد الفنى سعودي

أستاذ الجغرافيا المساعد

معهد البحوث والدراسات الافريقية - جامعة القاهرة

The Volta Dam by : Dr. M. A. Seoudy

Building dams is an economic phenomenon that Africa has seen since the end of the second world war. The Volta dam, is one of three projects that was designed for economic development in Ghana, vis : the dam at Akosombo, the Tema smelter, the resettlement scheme. The dam was officially inaugurated in January 1966 after Nakrumah's overthrown, though he was the creator. It was his major dream to add economic independence to political independence, by diversifying Ghana's economy, through exploiting the country's Bauxite, and converting it into aluminum. Therefore, it was inevitable to have a cheap source of electricity. Though it is said that the Volta dam is a multi purpose project, But in reality, generating hydro-electricity was the main purpose and other targets as developing fishing industries, facilitating transports came as side effects. Though the dam is one of the biggest projects in west Africa, but it has not fulfilled its aim, that is exploiting Ghana's Bauxite and diversifying Ghana's economy. Till now the Tema smelter has depended on imported alumina from overseas and Ghana depends on one major export crop (Cocoa).

ظاهرة بناء السدود في افريقية

تعتبر ظاهرة بناء السدود من علامات ومظاهر التنمية الاقتصادية في افريقية الجديدة فاذا كان العقد السادس هو عقد التحرر السياسى ، فان هذا العقد أيضا يمثل الاتجاه نحو التحرر الاقتصادى ، والعلاقة بينة ومعامل الارتباط واضح بين الحرية السياسية والتحرر الاقتصادى ، ذلك أن تغير الظروف السياسية من التبعية إلى الاستقلال ، كان من شأنه أن يطلق يد الأفارقة في تخطيط اقتصادهم لصالحهم ، الأمر الذى لم يكن ممكنا من قبل . وتعتبر ظاهرة بناء السدود النهرية العملاقة علامة ورمزا للتنمية الاقتصادية في إفريقيا الجديدة ، كما كانت أعلام للتحرير الجديدة رمزا لنموها السياسى .

فكان السد العالى ، وسد الكاريا وسد الفولتا ، وسد كاينجى وغيرها . وتختلف هذه الأنواع عن سدود ما قبل العقد السادس ، فقد كانت سدود ما قبل العقد السادس سنوية التخزين ، على حين أصبحت هذه السدود قرنية التخزين ، أو بعبارة أخرى طويلة الأجل ، أو سدود عوالى ، منها ما تعددت أغراضه ليقدم زراعة وصناعة ، كما هو الحال في افريقية الجحافة وشبه الجحافة وسدنا العالى خير مثال . غير أننا في افريقية المدارية لا نشهد بنا الحاجة إلى رى الأرض إذ تعتمد على الغيث اعتمادا يكون كليا ، من ثم كان توليد الطاقة هو البؤرة وهو الركيزة وإن كانت الإقادات الجانبية متعددة سواء في ميدان الملاحة أو الثروة السمكية أو حتى الرى . وسد الفولتا أو سد أوكسمبو هو مثل للنوع الثانى .

وفي الحق أن مشروعات الطاقة تعتبر رمزا لافريقية الجديدة ، لأنه من بين جميع مجالات النشاط الاقتصادى في افريقية ، أصبح إنتاج الطاقة الكهربائية فى توسع سريع . وهذا النمو لا يقتصر على افريقية فحسب بل هو ظاهرة عالمية . وما زال نصيب افريقية من الإنتاج العالمى ضئيل للغاية وخاصة افريقية المدارية .

فكانت افريقية المدارية قبل الحرب العالمية الثانية تقوم بإنتاج الكهرباء على نطاق ضيق!!، لابل وحتى فى عام ١٩٤٨ كان مجموع الطاقة المولدة يزيد قليلا على ٢٠٠٠ مليون كيلوات ساعة ، ارتفع هذا الرقم عام ١٩٥٦ إلى ٦٠٠٠ مليون ،

وفي عام ١٩٦٧ إلى ١٦,٥٠٠ مليوناً . على أن التطور لم يكن في الكم وحده بل تعداه إلى الكيف وإلى المصدر ففي عام ١٩٤٨ كان معظم الانتاج هو كهرباء حرارية والفحم عمادها . وبينما ازداد انتاج الكهرباء الحرارية بشكل ملحوظ في أقطار عديدة، وخاصة التي تعتمد أساساً على البترول ، فإن الكهرباء المائية أصبحت ذات أهمية خاصة في افريقية وخاصة المدارية حيث شهدت ثلاثة سدود ضخمة أقيمت من أجل توليدها أساساً : حتى انه في عام ١٩٥٦ تعادلت الكهرباء المولدة من المصدرين الحراري والمائي ، ثم قفزت الكهرباء إلى الثلاثة أرباع في يومنا هذا (١) .

ورغم أنه من الناحية الواقعية قد زادت كمية الطاقة الكهربائية الحرارية قليلاً في هذا العقد عن العقد الماضي ، فإنه في بعض السنوات كان هناك نقص نتيجة لتوقف بعض المحطات الحرارية عن العمل وبقائها كاحتياطي . غير أنه يجب أن نلاحظ أن ضعف نصيب افريقية المدارية في الانتاج العالمي للطاقة لا يرجع إلى نقص في مواردها الطبيعية . وإذا كانت هناك بعض أقطار ظهر فيها البترول الذي يمكن على أساسه إقامة محطات توليد الكهرباء فإن التقديرات تعطي افريقية المدارية ما بين ٣٠ ٪ ، ٤٠ ٪ من امكانيات الطاقة الكهربائية الكامنة في العالم . هذه النسبة العالية للامكانيات الكامنة تفسرها ظروف القارة :

كتلة قديمة تعرضت لحركات رفع متعددة أدت إلى ظهور سلاسل من الهضاب والأحواض ذات الانحدار الفجائي فيما بينها فحتى أكبر الأنهار وأطولها لا يتخلو من المندفعات عند انحداره من هذه الهضاب . وهذه هي المناطق المثلى للحصول على الطاقة . ثم كان لطبيعة التكوينات الصخرية أثرها ، وهي أنها في معظمها صخور قديمة مما يعطى أساساً قوياً ليقام السد فوقها ، وإذا استثنينا النيل كانت نسبة الطمي في الماء منخفضة في معظم هذه الأنهار .

على أن العقبة الكبرى والرئيسية لتوليد الطاقة والتي تمثلها البيئة الطبيعية هي الاختلاف الموسمي في التصريف المائي . وكان هذا هو السبب الأساسي في كثير

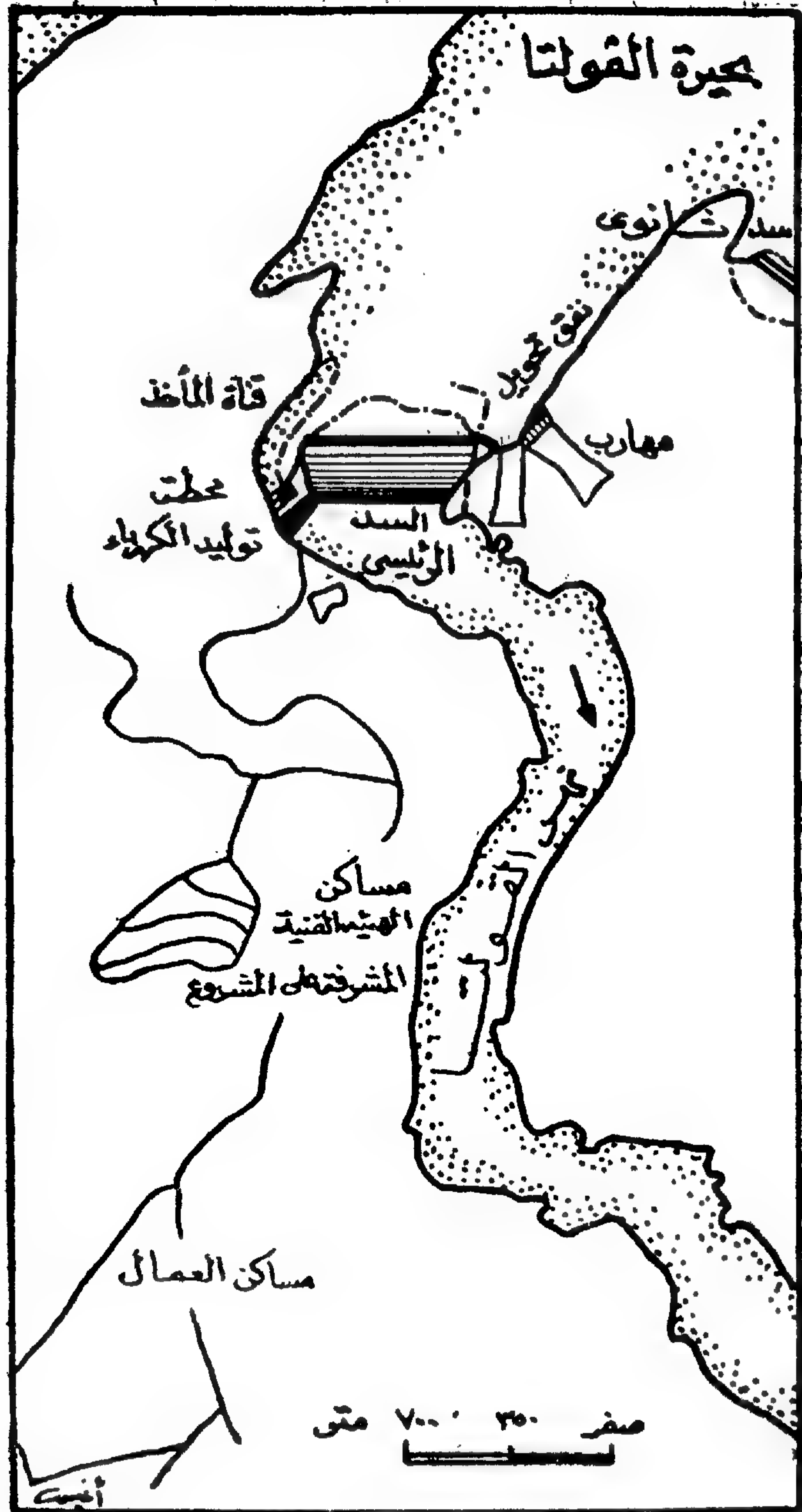
UN., Situation, Trends and Prospects of Electric Power Supply in Africa, (١)
E/CN. 14/EP. 3/Rev. I, pp 28-51.

من الأحيان في بناء سدود ضخمة خلقت أمامها بحيرات ضخمة صناعية تحجز كميات كبيرة من المياه ، ومع ذلك فإن العوامل التي تؤدي إلى انخفاض انتاج الكهرمائية في افريقية المدارية هي العوامل الاقتصادية أكثر من الظروف الطبيعية . ومن أهمها نقص رأس المال اللازم ، وقلة الطلب على الكهرباء في معظم الأحوال . وكان الحصول على رأس المال من الخارج رغم الفائدة المرتفعة هو الذي جعل في الامكان تنفيذ هذه المشروعات .

وكانت قلة الطلب راجعة أساسا إلى أن المناطق التي تزيد فيها امكانيات الكهرمائية بعيدة غالبا عن مناطق التصنيع والازدحام السكاني ، إذ أن هذه الامكانيات تزيد في افريقية المدارية ، بينما مناطق الاستهلاك والازدحام النسبي في أطراف القارة . ولكن رغبة هذه الأقطار في التصنيع وتنويع الانتاج للخروج من أزماتها الاقتصادية أدى إلى اتساع السوق أمام هذا المورد من موارد الطاقة .

الكافو والألومنيوم

ويعتبر مشروع الفولتا من أكثر مشروعات توليد الطاقة الكهرمائية في غرب افريقية وضمن أكبر هذه المشروعات في افريقية المدارية ، كما أن تنفيذه يعد أكبر خطوه خطتها غانا في ميدان التنمية الاقتصادية بعامه ، وفي ميدان التنمية الاقتصادية الصناعية بخاصة . وذلك في محاولة لانخراج غانا من مشكلة الإعتماد على غله واحده وهي الكافو ، تتحكم في إقتصادها وتعرضه لمخاطر السوق الأجنبي وتقلباته . وأهمية الكافو في الإقتصاد الغاني تتمثل في كونه مسئولاً عن أكثر من ٦٠ ٪ من قيمة الصادرات . ويعطى مثلاً حياً على أخطار الأوبئة والأمراض وتدهور التربة وتعريتها ، فضلاً عن تحكم السوق الخارجي في أسعاره فعلى سبيل المثال مرض Swollen Shoot الذي أدى بحكومة غانا إلى قطع نحو ٤,٥ مليون شجرة مصابة في الفترة بين ١٩٥٧ ، ١٩٦١ ومرض Capsid bug الذي كان مسئولاً عن فقدان ربع محصول غانا في بعض السنوات . أما عن تحكم السوق الخارجي فتتمثل في ذبذبات الأسعار العالمية التي شهدتها الكافو في العقد الماضي



شكل رقم (١)
سد أوكسمبو على نهر الفولتا

والتي تراوحت بين ٥٦٢ جنيها للطن عام ١٩٥٤ ، ١٥٣٢ جنيها عام ١٩٦١ أى
بذئذبة تزيد على ٢٧٠ ٪ ويقابل هذا عدم مرونة موارد الكاكاو لأن النباتات الجديدة
لا يمكن أن تؤثر في سعر السوق إلا بعد فترة تراوح بين أربع وسبع سنوات .
ويقابل هذا مرونة في الطلب على هذه السلعة فأسعاره العالمية تجعل صانعو الحلوى
يتجهون نحو بدائل أخرى مما يقلل من استهلاكه ، على حين أن الأسعار المنخفضة
تعتبر ضربة قاصمة لمنتجي الكاكاو زراعا وحكومات .

إذن بتنفيذ المشروع يعتمد الاقتصاد الغاني على أكثر من ركيزة واحدة ،
يعتمد على زراعة وصناعة . ويرفع من مستوى الدخل . وقد يجعل هذا المشروع
غانا أكثر أجزاء غرب إفريقيا تنميا ، ذلك أن مشروع سد الفولتا يهدف
أساساً إلى توليد الطاقة الكهربائية الرخيصة وهذه الطاقة لازمة وضرورية للحصول
على الألومنيوم من خاماته وهي البوكسيت . ولولا الطاقة الرخيصة لما أمكن بحال
الاستفادة من البوكسيت في الحصول على الألومنيوم فرغم أن البوكسيت من
أكثر المعادن وفرة في قشرة الأرض ، فانه من أحدثها استغلالاً ، فنجد مايزيد قليلاً
على القرن ، كان يعتبر من المعادن النفيسة . ويكفي أن مكانه كان في معرض باريس
الدولي عام ١٨٥٥ بعد مجوهرات التاج مباشرة . بينما انخفضت قيمته بعد ذلك بقرن
بنحو ألف مرة لتجعله واحداً من أكثر المعادن الاقتصادية^(١) . ولم يكن هذا ممكناً
ولا ميسوراً إلا بفضل مورد من الطاقة رخيص ، إذ يستخرج الألومنيوم من
البوكسيت في ثلاثة عمليات منفصلة ، ويتم استخراج البوكسيت وتفصل منه
الشوائب كالطين ، ثم يحول إلى أوكسيد الألومنيوم عن طريق تعريضه للضغط الشديد
والحرارة المرتفعة مع اضافة الصودا الكاوية إليه . ويعرف أكسيد الألومنيوم الناتج
باسم الألومينا ، ويعرف المصنع الذي تتم فيه هذه العملية باسم مصنع الألومينا ،
وبعد ذلك يختزل الألومينا إلى معدن الألومنيوم في مصاهر تستهلك كميات كبيرة
من الطاقة الكهربائية حتى أطلق على معدن الألومنيوم Packged Power^(٢)
ويعرف المصنع الذي تتم فيه العملية باسم مصهر الألومنيوم .

R. J. , Maxon, «Volta : Man's Greatest lake, Deutsch, London, 1969, P. 211 (١)

Hance, W., « African Economic Development» New York, 1958, P. 54 (٢)

وهكذا تقوم صناعة الألومنيوم على عنصرين رئيسين الطاقة والألومينا .
ولاستخراج طن واحد من الألومينا يستهلك ما بين أربعة إلى خمسة أطنان من
البوكسيت ، بينما يستخرج طن من الألومنيوم من نحو طنين من الألومينا وتوضح
الأرقام تكاليف الحصول على طن من الألومنيوم .

جنيه إسترليني

٢١

٢٠,٠٠٠ كيلوات ساعة من الكهرباء

٥٠

٢ طن من الألومينا سعر ٢٥ جنيه للطن

١٣

١٤ هندردويت من الفحم سعر ١٨ جنيه للطن

شلن

بنس

١١

٧ للساعة

٣٠ ساعة عمل سعر ٢

٧

تشغيل وصيانة معدات

٩

أخرى

١١١ (١)

المجموع

دكذا نجد أن تكاليف الألومنيوم يحددها تكاليف الألومينا والطاقة ، وبالتالي
هما اللذان يحددان مدى أربحية المشروع . ويتحكم في سعر الألومنيوم الموقع
الجغرافي لمصنعها بالنسبة لمناجم البوكسيت نظراً لأن وزن البوكسيت يتراوح بين
ثمانية وعشرة مرات قدر الناتج النهائي من ثم فهناك إقتصاد كبير في التكاليف إذا
ما كان هناك تركيز جغرافي للعمليات الثلاث المنتجة للألومنيوم .

المشروع بين التفكير والتنفيذ

أكتشفت موارد غانا من البوكسيت عام ١٩١٥ ، أكتشفها سيرارثر كيتسون
A, Kitson مدير المساحة الجيولوجية بساحل الذهب حينذاك . وظهرت
فكرة قيام مشروع متكامل عام ١٩٢٤ على أساس توليد الكهرباء المائية وصناعة
الألومنيوم . وكان صاحب المشروع مستر دنكان روز Duncan Rose
مهندس من جنوب افريقية . غير أن هذه الأفكار لم تر النور وبدلاً من هذا المشروع

بدأت شركة الألومنيوم البريطانية تصدر البوكسيت من غانا عام ١٩٤٠ وحتى في هذا المضمار ظل إنتاج غانا من البوكسيت متخلفاً عن الأقطار الأخرى المنتجة له. بقيت وجمهورية الدومينيكان وسورينام والمجر ويوغسلافيا ولا يرجع هذا إلى قلة احتياطيها بقدر ما يرجع إلى بعد مناطق التعدين بما يتراوح بين ٨٠٠ ، ١٠٠ ميل عن البحر ، لينما نجدها في تلك الأقطار قريبة من منافذ التصدير وأقرب إلى الأسواق المستوردة^(١) ومع نهاية الحرب العالمية الثانية، كان هناك إهتمام على المستوى غير الرسمي بامكانيات توليد الكهرباء على الفولتا الأدنى . وبدأت دراسات للمشروع وعلاقته باقتصاد ساحل الذهب عام ١٩٤٩ وتعددت التقارير ومنها تقرير مؤسسة Harclow الذي قدم عام ١٩٥١ وأيد الفكرة وإن أشار إلى عمليات التنمية المرتبطة بالمشروع مثل تشييد ميناء عميق في شرق غانا ، وبناء محطة توليد كهرباء في أجينا Ajena (٣ أميال شمال أو كسمبو) وخط حديدي من تبا إلى المصاهر في كبونج Kepong ولكن ظهر أن هذا يتطلب رأس مال كبير قدر بنحو ٢٢٠ مليوناً من الجنيهات ، مما قد يعد مانعاً من قيام المشروع وصدر بعد ذلك كتاب أبيض عام ١٩٥٢ وتكونت لجنة تحضيرية تحت رئاسة Sir R. Jakson وذهب هذا إلى دراسة مستقبل الطلب على الألومنيوم بل والتكاليف المحتملة للحصول على القوى من الطاقة الذرية . وكان آخر هذه اللجان قبل الاستقلال لجنة Sir A. Lewis ، التي أصدرت تقريرها في ثلاث مجلدات ضخمة عام ١٩٥٦ ومالبثت أن ظهرت دولة غانا المستقلة إلى الوجود بعد صدور هذا التقرير بشهور عام ١٩٥٧ وبدأ المشروع بعد الاستقلال يتعرض لمجموعة من العوامل المتناقضة . منها حماس حكومة غانا المستقلة لتنفيذ المشروع كأكبر مشروع لا في غانا فحسب ، بل في غرب أفريقية ، مشروع صناعي ضخم تتوج به غانا استقلالها، ولعله من الانصاف هنا أن نذكر أنه كان حلم نكروما الرئيسي الذي دلل له جميع العقبات . ولكن كان هناك في نفس الوقت انخفاض في أسعار الألومنيوم وفي الطلب عليه حينذاك ، كما كان هناك شك فيما يختص بامكانيات حكومة الاستقلال من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، مما أدى إلى سفر دكتور نكروما إلى الولايات المتحدة الأمريكية والاتصال بمؤسسة كايزر Kaiser

من كاليفورنيا لاعداد تقرير فني عن المشروع بتكليف من حكومة غانا ، من أجل المحافظة على حيوية المشروع وجذب أنظار العالم إليه ، وللحصول على التمويل الخارجي . وأعاد تقرير مؤسسة كايزر الحياة إلى المشروع ذلك أنها في اعداء تقديرها للموقف قامت بعدة تعديلات بغية اختصار التكاليف فكما عرفنا كانت التقارير السابقة قد أوصت باقامة السد في أجينا والمصاهر في كبونج فضلا عن استغلال بوكسيت غانا نفسه ولكن مشروع كايزر اقترح التعديلات التالية :

نقل مكان السد من أجينا إلى أكسمبو على بعد ثلاثة أميال إلى الجنوب .
اقامة مصاهر الألومنيوم في ميناء تيا بدلا من كبونج وذلك لصرف النظر عن استغلال البوكسيت المحلي والاعتماد على استيراد الألومينا المستوردة .

وبتأجيل عملية استغلال بوكسيت غانا مؤقتا ، وبالتالي تأجيل مد الخطوط الحديدية ومصهر الألومنيوم في كبونج . انخفضت تكاليف المشروع بنسبة ٤٠٪ لأنه لن تكون هناك حاجة إلى بناء مساكن للعاملين في المشروع في مدينة أكسمبو كما لو كان قد حدث إذا ما أقيمت المصاهر في كبونج (١) .

وهكذا أصبحت الصورة النهائية للمشروع كما يلي :

١ - اقامة سد عند أكسمبو لتوليد الكهرباء ، بطاقة قدرها ٥٨٩ ألف كيلوات تولدها أربعة ترينيات طاقة كل منها ١٤٧,٢٠٠ كيلوات . أما طاقته النهائية فتبلغ ٨٣٣ ألف كيلوات بعد تشغيل وحدتين أخريتين (٢) وإلى الأمام من السد تتكون بحيرة طولها ٢٥٠ ميلا وبمساحة قدرها ٣٢٧٥ ميلا مربعا تستغل امكاناتها في الصيد البحري فضلا عن كونها وسيلة للنقل البحري .

٢ - عندما يبدأ جريان النهر في الانتظام من سد أكسمبو يمكن تشغيل محطة توليد الكهرباء في كبونج على بعد ١٢ ميلا إلى الجنوب والتي سوف تضيف نحو ٨٦ ألف كيلوات أخرى . وهناك مشروع بناء سد صغير عند بوي Bui يولد طاقة قدرها ١٩٠ ألف كيلوات .

(١) Hilton, T. E., Akosombo Dam and the Volta River Project, Geography, vol. 51, (١) part 3, 1966, P. 251

(٢) للمقارنة بالسد العالي في مصر نذكر بأن السد العالي يحتوي على ١٢ وحدة توليد مائية طاقة كل منها ١٧٥ ألف كيلوات ، تنتج طاقة كهربائية سنوية تصل إلى ١٠ مليار كيلوات ساعة

٣ - بناء مؤسسة فالكو Valco مصنع لاستخراج الألومنيوم في ميناء تيا بطاقة مبدئية قدرها ٧٨ ألف طن سنويا ترتفع بالتدريج إلى أن تبلغ ١٣٥ ألف طن ، ويعمل على الألومينا المستوردة في المرحلة الأولى وتستهلك نحو ٢٠٠ ألف كيلوات في المرحلة الأولى تزيد إلى ٣٠٠ ألف كيلوات بعد ذلك .

٤ - لتسهيل أوجه الاستهلاك الأخرى للكهرباء سوف تمت خطوط نقل لمسافة ٥٠٠ ميل لتخدم أوجه النشاط المختلفة في أكرا ، وتاكورادى ، وكوماسى ، فضلا عن مناطق التعدين ، أى خدمة النصف الجنوبي من غانا بصفة عامة (١) .

التمويل

وقد أثار هذا المشروع في ظل ظروفه الجديدة ، جميع الأطراف المعنية بصناعة الألومنيوم والمهتمة بغانا سياسيا كأول وحدة تنال استقلالها في غرب افريقية ، وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة ، وبطبيعة الحال البنك الدولي للانشاء والتعمير . وظلت غانا دون الحصول على ضمان لتمويل المشروع حتى ديسمبر ١٩٦١ حينما أعلن الرئيس كنيدي تدعيمه وتأييده للمشروع بقرض بلغ ٦٢ مليون جنيه للصرف منه على مشروع السد ومشروع المصاهر (٢) ، وبذلك يعتبر أكبر استثمار حكومي أمريكي في افريقية هذا بينما ساهمت المملكة المتحدة بخمسة ملايين من الجنيهات وأسهمت حكومة غانا بخمسة وعشرين مليونا لتمويل عمليات البناء الأولية وكذلك كل العمليات الهندسية في الفترة من ١٩٥٨-١٩٦٢ (٣) .

وعندما أعلنت الولايات المتحدة الأمريكية عن قروضها للسد ، كان معروفا أيضا بأن حكومة الولايات المتحدة سوف تقدم قرضا آخر قدره ٣٤,٥ مليون جنيه عن طريق بنك التصدير والاستيراد إلى شركة فالكو ، وسوف تمنح ضمانا لاستثمارات كايزر ورينولدنز قدره ٩,٥ مليون جنيه عن طريق الوكالة الأمريكية

Birmingham, Omabea, op. cit., PP. 393, 394.

(١)

(٢) يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية والرئيس كنيدي بعفة خاصة لم يكن يريد أن يتكرر الخطأ الذي وقعت فيه السياسة الأمريكية في مصر عام ١٩٥٦ حينما عرقلت تمويل مشروع السد العالي وبالتالي اتجهت مصر إلى الاقتراض من الاتحاد السوفيتي .

Hilton, «A Kosombo Dam», P. 251 .

(٣)

للتنمية الدولية U.S. Agency for Int. Develop. فضلا عن ضمان ضد أى نوع من المصادرة أو أى أخطار أخرى ، كما قدمت حكومة غانا تعهدا مكتوبا بعدم مصادرة المصاهر (١) ، بل على العكس سوف تكون حامية لها بصرف النظر عن تغير الحكومات وتقلب الالهواء .

وهكذا تحددت الصورة أمام مشروع ضخم يستند على ثلاث مشروعات أساسية متكاملة هي :

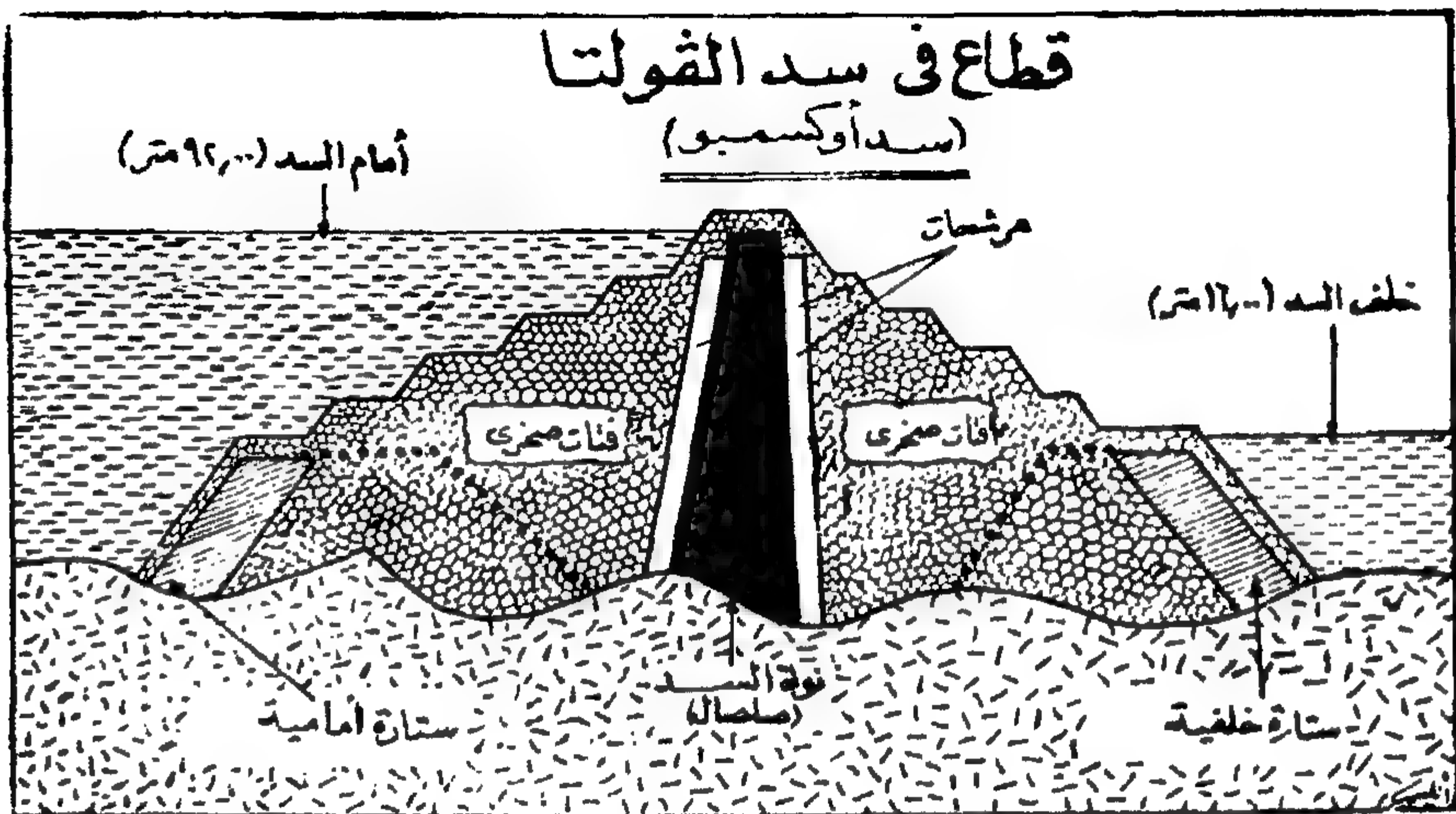
— سد أو كسمبو ومحطة توليد الكهرباء الذى اشتركت فى تمويله حكومة غانا مع الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة والبنك الدولى .

— ميناء تيا الذى كلف حكومة غانا ٣٥ مليون جنيه .

— المصاهر التى أقامتها الشركات الأمريكية بقروضه و ضمان من الحكومة الأمريكية وقدرت تكاليفها بنحو ٦٠ مليون جنيه .

السد وبحيرته

على بعد ٥٠ ميلا من أكرا وثلاثين ميلا من البحر يعبر نهر الفولتا خانقا غائرا بين حافتين من الكوارتزيت والحجر الرملى لتلال أكوايم Akwapim ليتجه إلى



شكل رقم (٢) قطاع من سد الفولتا

سهل القولنا الأدنى . وقد أختير هذا المكان لبناء السد الذى يبلغ طوله ٧٠٠ متر عند القمة ٤٦٠ مترا عند القاعدة ، كما يبلغ ارتفاعه من القاعدة الصخرية إلى القمة ١٢٤ متراً (١) أو ٨١ متر فوق سطح الماء .

وهذا يجعل طوله ٤ مرات قدر ارتفاعه . وقد بنى السد على أساس نواة صلصالية فى الوسط غير منفذه للماء وحولها الفتات أو الركام الصخرى . وهذه الطريقة فى البناء استلزمها ظروف المنطقة من الناحية الجيولوجية ، إذ أن إقليم أو كسمبو من الأقاليم التى تتعرض للهزات الزلزالية بين حين وآخر ، مما لا يسمح ببناء السد على هيئة كتلة صماء تتعرض للتشقق إذا ما أصابتها هزة زلزالية عنيفة ، من ثم فهذه الطريقة صالحة لبناء السدود فى مثل هذه المناطق .

وقد عرض بناء السد فى عطاء دولى ونجحت شركة Impreglio الإيطالية فى الحصول على هذا العطاء وهى شركة مؤلفة من كونسرتيوم شركات إيطالية ، ولها خبرة سابقة فى بناء السدود فى أفريقيا ، فقد نفذت من قبل سد الكاريا على الزمبى ، وسد كاينجى على النيجر ، وسد الروصيرص على النيل الأزرق ، ووقعت حكومة غانا عقداً معها فى مايو ١٩٦١ وبدأ العمل فى السد فى يناير ١٩٦٢ .

ولأكسمبو أن تفخر بأنها مكان لسدين بدلا من سد واحد ، ذلك أنه بعد نصف ميل إلى الشمال من أو كسمبو يوجد وادى متسع كان لابد من سدده حتى لا تتسرب فيه مياه البحيرة المستقبلية ، من ثم أقيم سد ثانوى Saddle Dam على هذا الوادى بطول ٤٠٠ متر وارتفاع ٤٠ متراً . وعلى الضفة الغربية بالقرب من السد الرئيسى شيدت محطة توليد الكهرباء وزودت بمولدات طاقتها ١٤٧ ميجاوات على أن يلحق بها مولدان آخران فيما بعد لتصل بطاقتها إلى ٨٨٣ ميجاوات . وتصل المياه إلى محطة التوليد عن طريق أنابيب من الصلب طولها ١٢٠ متراً وباتساع ٨ أمتار ، وهذه تأتى بالمياه من قناة المأخذ التى حفرت فى الصخر بطول ٩٠ متراً . وعلى الضفة الشرقية وبالقرب من السد أيضاً يوجد مهربان Spillways وعليهما بوابتان من الصلب (مقاس ١٦ × ١٥ متر) لتصريف أى زيادة فى المياه فوق

(١) يبلغ طول السد العالى ٢٦٠٠ متر منها ٥٢٠ مترا بين ضفتى النيل ، كما يبلغ ارتفاعه ١١١ متراً فوق قاع النيل .

طاقة السد ، وقد عمل مصممو السد حسابهم على أساس أن يقوم المهربان بمهمتهما في ظل أسوأ فيضانات قد تشهدها غانا والتي تتوقع لأن تكون ضعف تصديف عام ١٩٦٣ وهو ٥٠٠ ألف قدم مكعب في الثانية . وقد صمم السد على أساس خلق خزان ضخيم لعمل توازن في ذبذبات النهر التي تتراوح بين حد أدنى قدره ١٠٠٠ قدم مكعب في الثانية وحد أعلى قدره ٥٠٠ ألف قدم مكعب في الثانية .

ولم تكن عملية البناء سهلة لينة دون عقبات ومشكلات ومفاجآت . فعلى سبيل المثال كانت التقديرات بأن تتعمق الساتر تحت منسوب الماء بنحو ٧٥ متراً ، ولكن ظهر أنه لابد من التعمق أكثر من هذا .

كذلك كان فيضان عام ١٩٦٣ من أهم عوائق التقدم في العمل ، ذلك أنه كان فيضانا إستثنائيا للغاية ، من الفيضانات الاستثنائية التي تنساب فيها المياه بمعدل ٥٠٠ ألف قدم مكعب في الثانية والتي تتنبأ التقديرات بأنها تحدث مرة واحدة كل قرن من الزمان ، وكان آخرها عام ١٩١٧ ولكن المقياس سجل ٥١٠ ألف قدم مكعب في الثانية يوم ٢٣ سبتمبر من عام ١٩٦٣ ورغم أن التلفيات التي حدثت كانت أقل من نظيرتها التي شهدها سد الكاريا عندما تابع فيضانان عاليان في عامين متتاليين فان عمليات إعادة بناء أجزاء كثيرة كانت ضرورة حتمية .

كهرباء السد

بلغت مساحة البحيرة عند تمام الامتلاء ٣٢٧٥ ميلا مربعا وطول سواحلها نحو ٤٥٠٠ ميلا وتمتد البحيرة إلى الخلف لمسافة ٢٥٠ ميلا أمام السد ، كما يبلغ أقصى عرض لها ٥٠ ميلا ويمتد نصفها الشمالي في اقليم السفانا ، بينما تمتد أطرافها الجنوبية في اقليم الغابات . وبدأت مياه البحيرة تتجمع أمام السد في مايو ١٩٦٤ أي قبل الفيضان حينما أغلقت قناة التحويل وكان عام ١٩٦٨ هو أول عام تصل فيه البحيرة إلى أعلى منسوب لها . وانهى العمل في محطة توليد الكهرباء خلال ١٩٦٥ ، وبدأ سد أوكسمبو يسد حاجة غانا من الكهرباء منذ ذلك التاريخ .

ويعمل الآن في محطة توليد الكهرباء أربع مولدات تعطي ٥٨٨ ميجاوات سنويا وكان من المنتظر أن يتركب مولدان آخران في نهاية ١٩٧٣ وبذلك تبلغ مجموعة

الطاقة المولدة ٨٨٢ ميجاوات سنوية وحتى بالطاقة المبدئية لعام ١٩٦٧ نجد أنها تعادل ٥ مرات الطاقة المولدة عام ١٩٦١ .

وقد بدأ بناء أكبر مشروع صناعي خاص في غرب أفريقية عام ١٩٦٤ وهو مصاهر الألومينا في تيا وبدأ انتاج شركة فالكو Valco (١) في الظهور عام ١٩٦٦ بعد الإطاحة بنكروما . ويذهب البعض إلى أنه من تناقضات حكم نكروما أن تكسب شركتان أمريكيتان ضخمتان تأييده ورعايته لمثل هذا المشروع ، وفي نفس الوقت يهاجم نكروما الاحتكارات الرأسمالية في كتابه «الاستعمار الجديد» عام ١٩٦٥ .

والواقع أن مصاهر تيا لا يمكن دراستها إلا في إطار مشروع الفولتا . فمن البداية كانت مصاهر للألومنيوم نظرا لشراحتها الفريدة للطاقة الكهربائية . وفي وقتنا الحاضر تستهلك المصاهر أكثر من نصف الكهرباء المولدة في أوكسمبو . وصدرت ميناء تيا أول شحنة من الألومنيوم عام ١٩٦٧ وقدرها ٢٥٠ طنا ولكن بتركيب المولدان في نهاية ١٩٧٣ تصبح طاقة المصاهر ١٤٥ ألف طن من الألومنيوم سنويا إذا ما قورنت بطاقتها المبدئية ١٠٣ ألف طن وبالتالي تعتبر أكبر مصاهر للألومنيوم خارج أمريكا الشمالية (٢) .

وقبل أن توافق الولايات المتحدة والبنك الدولي على أقراض ٩٨ مليون دولار لاضافتها إلى مبلغ مماثل تدفعه غانا لمشروع الفولتا ، كان عليهما التأكد من أن فالكوسوف تكون قادرة على دفع تكاليف الطاقة ، من ثم عقدت إتفاقية بين حكومة غانا وبين فالكو تعهدت الأخيرة بمقتضاها (سواء استغلت أم لا) دفع قيمة ٢٠٠ ألف كيلوات سنويا خلال الخمس سنوات الأولى للمشروع ثم قيمة ٣٠٠ ألف كيلوات لمدة الخمس وعشرين عاما التالية . لذلك سوف تدفع فالكو إلى حكومة غانا ٧ مليون دولار سنويا . وخلال الثلاثين عاما سوف تكون بمقتضى هذه الاتفاقية قد دفعت ما يزيد على ٢٠٠ مليون دولار (٣) وهذه المدفوعات جميعها بالعملة الصعبة وهكذا يكون قرض الفولتا مضمونا بواسطة فالكو التي

Volta Aluminum Company.

(١)

West Africa, «Valco in the New Ghana» : 4 27/9/1969, P. 1139

(٢)

Ibid., P. 1139

(٣)

استثمرت وحدها ١٢٠ مليون دولار زادت الآن على ١٤٥ مليون دولار وضمنتها امتيازات جعلت وضعها فريداً بين المشروعات الأجنبية في غانا .

اتفاقية فالكو

تكونت شركة فالكو Valco عام ١٩٥٩ وهي عبارة عن كونسرتيوم من شركتين أمريكيتين تعملان في ميدان صناعة الألومنيوم (وهما شركة كايزر واتحاد الكيماويات ونصيبهما ٩٠٪ من الأسهم ، وشركة رينولدز ونصيبها ١٠٪) وذلك لدراسة إمكانات إنشاء مصاهر للألومنيوم في غانا . وقد تعهدت فالكو بشراء ٣٠٠ ألف كيلوات من طاقة سد الفولتا لمدة ثلاثين عاما (وهو قدر يعادل نصف ما ستولده الأربع ترينيات) وذلك بسعر سنوى قدره ٢,٥ مليون جنيه .

وهذا المبلغ لاشك يغطى تكاليف المشروع المقدرة بنحو ٧٠ مليون جنيه ، وسوف تكرر هناك فترة مبدئية قدرها ست سنوات حتى تصل الشركة إلى مرحلة إستهلاك هذه الكمية . وحدد أبريل ١٩٦٧ لبداية عمل المصاهر بطاقة مبدئية تتراوح بين ١٠٠ ، ٢٠٠ ألف كيلوات وبدأ العمل في المصهر يوم ٥ ديسمبر ١٩٦٤ .

وتم الاتفاق مع الحكومة فيما يختص باستيراد الألومينا للمصهر وتصدير الألومنيوم على أن تقوم كل شركة على أساس نسبة نصيب كل منهما في فالكو بمد المصنع باحتياجاته ، من ثم فعلى شركة كايزر أن تمد المصنع بنحو ٩٠٪ من الألومينا الخام وتصدر ٩٠٪ من الألومنيوم . وعلى مدى ثلاثين عاما سيكون نصيب أرنولد نحو ١/٤ مليون طن من الألومنيوم قيمتها ١٠٠ مليون جنيه بالاسعار الجارية ، بينما يرتفع نصيب كايزر إلى البليون جنيه (١) .

فالمشروع ولو أنه لايسمح في المرحلة الأولى بتصدير الألومنيوم من الخامات المحمية . فانه سمح بتصدير كمية ضخمة من الطاقة لأن كل طن ألومنيوم يستهلك ما قيمته ١٧ جنيه من الطاقة الكهربائية أو بمعنى آخر كأن غانا تصدر ما قيمته ٥٠٠٠ جنيه من الطاقة يوميا للمشروع في مرحلته الأولية وضعف هذا القدر عندما يعمل المصهر بكامل طاقته .

إعداد المصهر للعمل :

أعدت فالكو مخازن للألومنيوم على بعد ميلين من تيا في مساحة قدرها ٤٥٠ فداناً وتم توصيل المخازن بأرصفاتها في المرفأ . وبدأ العمل الرسمي في المصهر يوم ٥ ديسمبر ١٩٦٤ وقد ألقى نكروما كلمته في ذلك اليوم « أن المصهر هو أحد مشروعات ثلثه متكاملة وهي ميناء تيا . والسد ، والمصهر » .

ويوجه نقد كبير إلى شركة فالكو وإلى الاتفاقية المعقودة مع غانا ، على اعتبار أن فالكو قد استغلت ظروف غانا ورغبتها الشديدة في إقامة المشروع من ناحية . ولقوة فالكو الاحتكارية من ناحية أخرى إذ تمتلك شركة كايزر للألومنيوم واتحاد الكيماويات (وهذه الأخيرة بدورها فرع في إتحاد كايزر للصناعات) عدة مصانع في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والهند والسويد وتركيا وألمانيا الغربية فضلا عن جهات أخرى وتعطى مثلاً جيداً على التكامل الرأسى في الصناعة ، ونموذجاً للاحتكارات الأمريكية ، لأنها تضم جميع عمليات إنتاج الألومنيوم من تعدين البوكسيت إلى صناعة الألومنيوم فضلاً عن تسويق المنتجات النهائية وبذلك يصبح مصهر فالكو ما هو إلا جزء من عملية ضخمة على المستوى العالمى . ومن المهم معرفة هذه الحقيقة لتفهم العوامل المتعلقة باستثمارات فالكو في غانا .

ويجب أن نذكر أن شركة كايزر كان موقفها قويا في المفاوضات لعقد الاتفاقية مع الحكومة ، وتعكس شروط هذه الاتفاقية هذا الموقف ، إذ كانت قادرة على الحصول على عدد من الامتيازات الضريبية من الحكومة نذكر منها :

١ - تعفى جميع واردات فالكو اللازمة لبناء المصهر وتشغيله لفترة الثلاثين عاما الأولى (المراتب من ١٥ إلى ٢٠) .

٢ - لا قيود ولا تحكم ولا ضرائب على صادرات الألومنيوم (مادة ١٩) .

٣ - تعفى أرباح شركة فالكو من الضرائب لمدة سنوات على الأقل ، تمتد إلى مدة أقصاها ١٠ سنوات إذا لم تصل الأرباح إلى حد أدنى معين وهو على أساس أرقام ١٩٦٦ يبلغ ٢٠ مليون جنيه .

٤ - تعفى واردات الألومنيوم لفترة الثلاثين عاما الأولى .

٥ - تقدر ضريبة الدخل منذ بدء امتحقاق دافعها حتى ١٩٩٧ على أساس ضرائب الأرباح المطبقة على الشركات في ٢ يناير ١٩٦١ والتي كانت تقدر بأربعين في المائة من الأرباح ، يضاف إليها $\frac{1}{4}$ ٢٪ على الأرباح المحولة إلى الخارج . ولا توضع أى ضرائب أخرى على عمليات شركة فالكو خلال هذه الفترة إلا باستثناءات محدودة (ملحق ٣) وهناك أيضا أهم امتيازات غير مذكورين في هذه القائمة وهما : -

(أ) الاتفاق على بيع الطاقة إلى المصهر بسعر يزيد قليلا عن سعر التكلفة (١) .
(ب) عدم الضغط على فالكو للقيام بإنشاء مصنع للألومينا في غانا . ونظرا لأهمية تكاليف الطاقة في مجموع التكاليف العامة لصناعة الألومنيوم فقد ضمنت الاتفاقية لفالكو سعرا يعتبر من أرخص الأسعار في العالم إذا ما قدر بالأسعار في جهات أخرى تعتبر نماذج لمنتجى الألومنيوم في العالم .

وكان انخفاض سعر الطاقة ، فضلا عن رخص اليد العاملة في غانا من أهم العوامل التي ساعدت على قيام صناعة الصهر في غانا معتمدة على الألومينا المستوردة وبعبارة أخرى لو كان سعر الطاقة فوق حد معين لما كان في الامكان قيام صناعة الألومنيوم في غانا إلا اعتمادا على استغلال البوكسيت المحلي .

فاذا نظر إليها من هذه الزاوية فإن تثبيت سعر القوة المحركة لمدة ثلاثين عاما معناه منع غانا من الضغط على فالكو لاقامة مصنع ألومينا يعتمد على البوكسيت المحلي .

وهكذا كان التوقيع على اتفاق يمنع غانا من استغلال بوكسيتها المحلي ، معناه الخروج عن المفهوم الأصلي لمشروع سد الفولتا . ورغم أن تقرير كايزر (عن إعادة

(١) يرجع انخفاض سعر الطاقة إلى أن السعر الذي حدد لكهرباء المصهر يتراوح بين $\frac{1}{4}$ و $\frac{1}{2}$ السعر الذى حدد للأغراض الأخرى . وهو على سبيل المثال يعادل $\frac{1}{4}$ تكاليف انتاج الكهرباء في أكثر محطات الكهرباء كفاءة في غانا . ويفسر طريقة تشغيل المصاهر بسبب هذا الرخص ، فالمصاهر تعمل طيلة ٢٤ ساعة كاملة ، من ثم يصبح طلب المصاهر على الكهرباء له صفة الاستمرار ، على حين أنه يتميز بنظم الانتظام في أوجه الاستهلاك الأخرى ، له قمة وحضيض خلال اليوم الواحد ، هكذا يصبح سعر الكهرباء بالنسبة للمصاهر بسعر التكلفة ، وتصبح زيادة الطلب من جانب أوجه الاستهلاك الأخرى أمرا ضروريا ليربح مشروع الكهرباء .

تقدير الموقف) أوصى بأن تكون الاستثمارات المبدئية لشركات الألومنيوم تتجه نحو إنشاء مصهر الألومنيوم. إلا أن هذا لا يمنع أن تكون هناك مادة أو نص على تعدين البوكسيت المحلي وإقامة مصنع ألومينا (١) في المستقبل القريب .

وإذا قيل بأن الاتفاق يضمن ما يشجع فالكو في المستقبل على استغلال البوكسيت المحلي والاشارة هنا إلى أنه بعد عام ١٩٧٧ إذا لم تستغل فالكو البوكسيت المحلي ، فإن ما تقتضاه الحكمة على الألومينا المستوردة سوف ترتفع من ٥٦٪ إلى ٦٠٪ من الأسعار العالمية للألومنيوم حينئذ وهذا لا يمثل دافعا بأية حال (٢) .

وإذا كانت الدراسات لم تتم بعد على نوعيته ، فإن التقارير تذكر أن عامل قربه من تيمبا يجعل استغلاله لاستخراج الألومنيوم عملية اقتصادية .

وفي الحق هناك من الأسباب والدوافع التي تجعل من اللازم إقامة صناعة

(١) يبدو أن هناك سببا سياسيا في عدم استغلال بوكسيت غانا المحلي ، وإقامة مصنع ألومينا في غانا . ذلك أن مصنع الألومنيوم الحالي في تيمبا إنما يعتمد على الألومينا التي تستوردها شركة كايزر ذاتها . وسبق أن تعرفنا على الموقف الاحتكاري لشركة كايزر في صناعة الألومينا والألومنيوم في العالم ، من ثم لا يمكن لغانا أن تقوم بأى عملية تأمين لمصادر تيمبا لأن هذه المصادر لا يمكنها أن تعمل على البوكسيت المحلي ، وإنما على الألومينا المستوردة والتي تتحكم فيها احتكارات شركة كايزر .

(٢) ترد الشركة على هذا بأنها مكنت غانا من أن يكون لها مصادر للألومنيوم تقف على قدم المساواة مع المصادر العالمية الأخرى ، وبذلك مكنت غانا من الحصول على ما يقرب من ٩ مليون دولار من العملة الصعبة سنويا ، فضلا عن تشغيل قوة عاملة قدرها ١٧٥٠ نسمة منهم ١٦٥٠ من الغانيين ، كما أن نصف الرؤساء والمديرين غانيين ، ولكن واضح ضعف هذا الرد وعدم استفادة الاقتصاد الغاني بصورة واضحة ، فليست هناك حركة انسيابية بين التقدم في مصادر تيمبا وبين التخلف الذي تعانيه البلاد - من ثم تصبح أشبه ببؤرة أو جزيرة منعزلة من التقدم وسط محيط من التخلف . ولا ننسى أيضا أن الشركة السيطرة الكاملة على موظفيها من الخبراء ، كما تضع كل أرباحها من هذه العملية بالعملة الصعبة في حساب لها بالولايات المتحدة الأمريكية (راجع في هذا Africa. No. 3, 71) وقد فكرت الحكومة في إقامة مصهر للألومينا غير مصهر فالكو يعتمد على البوكسيت المحلي راجع Africa, No. 4, 71 «Boost from Bauxite»

وأحتت شركة كايزر بهذا فأعلن إدجار كايزر رئيس مجلس إدارة فالكو بأن الشركة سوف تبدأ عمليات حفر كثيفة لتحديد كميات الاحتياطي الغاني من البوكسيت حتى يمكن استغلاله ، لأن الحد الأدنى لطاقة مصنع الألومينا يجب ألا تقل عن ٦٠٠ ألف طن سنويا ، ليقف على قدم المساواة مع نظائره في السوق العالمية ، وأن فالكو سوف تقوم ببناء مصهر آخر بمجرد التأكد من كمية الاحتياطي ، حتى يثبوا الثقة في المقترضين للمشروع (راجع West Africa, Sept. 1969, p. 1139) .

ألومنيوم متكاملة في غانا . فوجود الخام ومورد رخيص للطاقة وتسهيلات ضخمة في ميناء تيمبا يوفر ظروفًا فريدة لإنتاج ألومنيوم رخيص . فعظم منتج الألومنيوم في العالم يشحنون الألومينا أو البوكسيت لمسافات طويلة إلى المصاهر . ولعله من الغريب أن معظم الألومنيوم الذي تنتجه مصاهر فالكو في غانا يأتيها من الولايات المتحدة الأمريكية وهذه بدورها مستخرجة من بوكسيت شحن للولايات المتحدة من جايكا .

إن فائدة الاقتصاد الغاني من قيام صناعة الألومنيوم متكاملة ليست في حاجة إلى مناقشة أو جدل كبير .

فأولا وقبل كل شيء سوف تزيد قدرة البلاد على الاستيراد ، ذلك أن سعر الطن من البوكسيت من النقد الأجنبي يرتفع بصورة طردية مع درجة تكريره . فإذا أخذنا أسعار ١٩٦٠ منجد ما يلي بالنسبة لطن البوكسيت (١) .

قيمة تصدير طن من خام البوكسيت	٢ جنيه و ١٠ شلن
قيمة تصدير طن من الألومينا	٥ - ٦ جنيه
(كل ٤ طن تعطى طنين من الألومينا)	
قيمة تصدير طن من الألومنيوم	١٨-٢٢ جنيه
(كل طن ألومنيوم يستخرج من ٨-١٠ طن بوكست)	

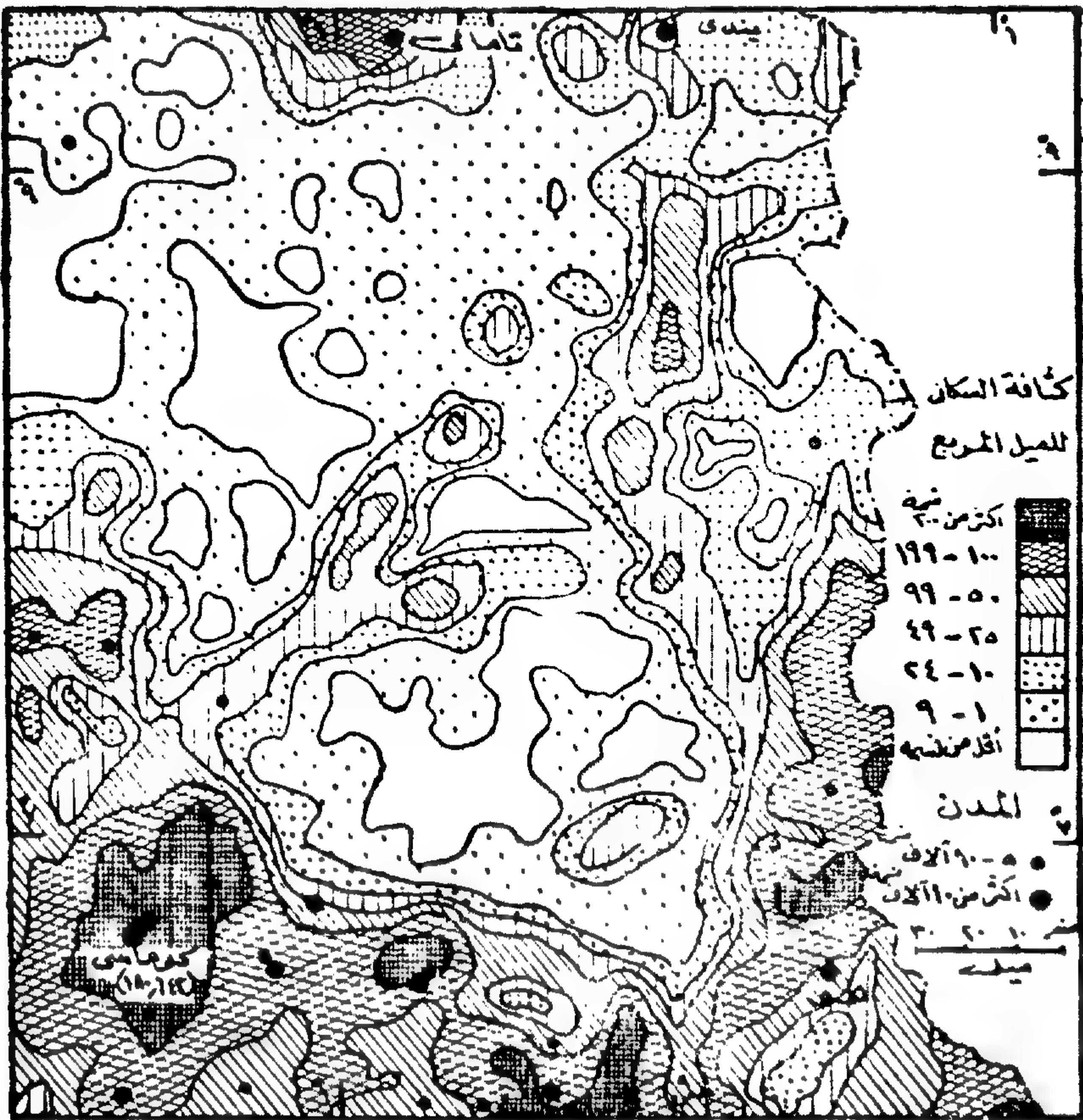
وعلى هذا فالقوة الشرائية للألومنيوم تعادل سبع مرات خام البوكسيت ، والسبب الرئيسي في عدم إنشاء مصهر للألومنيوم هو تكاليف هذا المصهر وما يرتبط به من استخراج البوكسيت وهذه تبلغ ٣٤ مليون جنيه ، وهو رقم ليس يبعد عن تكاليف المصهر الذي أقيم وبلغت تكاليفه ٤٣ مليون جنيه ، ومع ذلك يبدو أن فالكو لا تريد أن تقامر بهذا المبلغ .

نتائج تكوين البحيرة

إعادة توطين السكان

ذكرنا أن البحيرة غطت نحو ٣٪ من مساحة غانا ، وتمتد لمسافة ٢٠٠ ميل

شمالاً مما أدى إلى ضرورة إعادة توطين السكان الذين ستغرق البحيرة أراضيهم ، ولكن لحسن الحظ كانت منطقة البحيرة مغلخة السكان . وكانت هناك أول الأمر فكرة اعطاء تعويضات نقدية للمتضررين ، ولكن ثبت عدم جدوى مثل هذه الفكرة في مشروع مماثل له في الهند وهو مشروع وادي دامودار Damodar حيث اختار ٩١٪ من السكان التعويض النقدي بدلاً من أرض جديدة وكانت المشكلة الضخمة بعد ذلك هي هجرتهم إلى المدن وتركهم الزراعة ، ثم محاولة جمعهم من طرقات المدن ، ولتفادي هذا عورض مبدأ البدل النقدي ، ولم



يسمح به إلا لعدد بلغ ٩٥٥٧ نسمة أربعة أخماسهم من التونجو الصيادين المهاجرين من الفولتا الأدنى (١) .

وبدأ مشروع توطين السكان عام ١٩٦٢ لإعادة اسكان ٨٠ ألف نسمة للذين أغرقت بحيرة الفولتا أراضيهم . وهؤلاء كانوا يعيشون من قبل في ٧٤٠ قرية مبعثرة بمتوسط كثافة سكانية قدرها ٢٤ للميل المربع ، منها ٦٠٠ قرية عدد سكان كل منها يقل عن مائة نسمة وكان هذا العامل فضلا عن تبعثها وعدم سهولة الوصول إليها ما جعل من الاحصاء عملية صعبة ، وما يتبع ذلك من مسح إجتماعي ، فلم يكن هناك سوى سبعة عشر قرية بها أسواق . كما كان سكان تلك القرى يعيشون في مستوى معيشي منخفض عن المتوسط العام باستثناء بعض الحالات المعروفة كسكان المراكز التي تزرع اليام حول كيتي كراتش Kete Karachi وزراع الكاكاو جنوبي افرام ، وكانت معظم المنازل مبنية من الطين والقش وقدرت الوحدة السكنية بنحو ٢٠ جنيه بالاضافة إلى الأثاث والمعدات والأدوات التي لم يزد تقديرها على ١٠ جنيهات لكل وحدة سكنية .

وكان ٩٠٪ من السكان الذين أعيد توطينهم يعتمدون أساسا على الزراعة في دخلهم ، أي يعتمدون على زراعة نوع معين من المحاصيل ، وعلى سهولة تسويقها ، ومن أجل هذا تذبذبت دخلهم : ففي منطقة زراعة اليام في الشمال يتراوح متوسط دخل المزرعة ذات الأربعة أفدنة بين ١٠٠ - ١٤٠ جنيه على أساس زراعة محصول واحد سنويا بينما يرتفع هذا الدخل إلى ١٥٠ جنيه في مزرعة الكاكاو جنوبي افرام وأن كانت هناك بعض الأسر التي تحصل على ٥٠٠ جنيه سنويا . ولكن المزارع عادة لا يزرع أكثر من فدان ونصف تعطيه ما بين ٥٠ ، ٨٠ جنبا ، وهناك أيضا عشرون ألفا من قبيلة الايني Ewe الذين يعملون بالصيد (٢) . ولكنهم مهاجرون من الفولتا الأدنى ، من ثم لم يدخلوا ضمن مشروع التوطين .

وقد وضعت هيئة نهر الفولتا (VRA) (٣) في الاعتبار عند عملية التوطين

Hilton, «The Volta Resettlement Scheme», P. 14

(١)

Rowena Lawson, «Three Rural Development Schemes in Africa» African Affairs, vol 67, no. 267, P. 124

(٢)

(٣) اختصار Volta River Authority وقد تكونت هذه الهيئة في إبريل ١٩٦١ للإشراف على تخطيط وتنفيذ المشروع بكامله من بناء وتشغيل السد ومحطة توليد الكهرباء إلى محطات التحويل إلى الإشراف على النواحي الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بالسكان

البحث عن البيئة المناسبة مما اقتضى قدراً كبيراً من البحوث الاجتماعية .
أعيد توطين السكان في ٥٢ قرية كبيرة مدت ببعض الضروريات كماء الشرب
ودورات المياه والأسواق ولم تكن هذه التسهيلات معروفة لكل السكان قبل ذلك



شكل رقم (٤)
مراكز التوطين الجديدة

كما أن مستوى المساكن التي يعيشون فيها الآن أعلى بكثير من مستوى المساكن السابقة ، بل وأرفع مستوى من مساكن الجماعات المضيفة . وضمت المساكن بحيث تحتوي كل مسكن على حجرتين ومطبخ وحجرة للمعيشة . وبنى المسكن من الطوب ومقفه من الألومنيوم (١) وفي معظم القرى تركت فراغات بجوار المساكن للتوسع في عدد الحجرات في المستقبل . وقدرت تكاليف المسكن بنحو ٢٠٠ جنيه ، ولكن نظراً لارتفاع تكاليف البناء ولزيادة التضخم ارتفعت التكاليف إلى ٣٥٠ جنيه عام ١٩٦٤ - ٦٥ مما جعل متوسط تكاليف الوحدة السكنية يبلغ ٣٣٠ جنيه في المشروع ككل .

وكانت هناك خطط لمساعدة المزارع على أن يحيا حياة جديدة ، ولكنها لم تنفذ جميعاً ، على سبيل المثال كانت الطريقة الوحيدة للحصول على كفاية من الأرض الزراعية هي تجنب طريقة الزراعة التقليدية . . والعمل في ظل نظام دورة زراعية للمحاصيل . وما يتطلبه ذلك من تطهير واعداد الأرض . واستعمال الآلات الزراعية الميكانيكية فضلاً عن التسميد . وكان من المقترح أن تبدأ عملية تطهير واعداد الأرض اللازمة للزراعة في نفس الوقت الذي تبدأ فيه عملية تطهير الأرض واعداد المساكن . ولكن تضافرت عوامل عديدة كقص المعدات ، ونقص التخطيط والحاجة إلى نقل المعدات الثمينة لمسافات طويلة من مدينة إلى أخرى وكانت النتيجة أن انتقل السكان إلى مواطنهم الجديدة دون أن يمدوا الأرض الزراعية الكافية لهم وواجهتهم مشكلتي البحث عن الأرض المناسبة لأنفسهم . وعلى سبيل المثال كانت الأرض الزراعية المطلوبة في ظل التخطيط الأول للمشروع ٥٤ ألف فدان ، ولكن مع بداية ١٩٦٥ لم يكن هناك سوى ١٥ ألف فدان مطهرة تماماً ، نصفها لبناء القرى وفي نهاية ١٩٦٥ طُهر ١٢ ألف فدان أخرى للزراعة وبذلك ظل هناك ٤٢ ألف فدان يلزم اعدادها . واستمر هذا الموقف حتى أكتوبر ١٩٦٧

(١) ورغم ذلك فقد تدخلت العوامل الاجتماعية كالتقاليد والعادات القبلية في ظهور مشكلات توطین كعدم قبول سكنى قرى معينة لأنها تستلزم عبور مجرى مائي معين يعتبر من المحرمات Taboo الكبير ، ويذهب الرجل لزيارة كل زوجة حسب الظروف ، ولكن في ظل المباني التي أقامتها هيئة نهر الفولتا كان على الزوجات أن يمشن معاً .

راجع Imoh Omo-Fadaka, «A Second Look at the Volta Project», west Africa, 5 may 1972, P. 556

حينما قدم برنامج الغذاء العالمى المساعدات للمشروع للاسراع فى تطهير الأرض ومحاولة لإشراك الأهالى أنفسهم فى العملية (١) .

وتفاوتت تكاليف تطهير الأرض فى الأقاليم المختلفة فى الغابات الكثيفة فى وادى أفرام تراوحت تكاليف الفدان بين ٥٠ ، ٦٠ جنيها بينما إنخفضت إلى مايتراوح بين ٣٠ ، ٣٥ جنيها فى جنوب شرق البحرة . وكانت أقل تكاليف فى الشمال أى فى اقليم السفانا حيث تراوحت بين ١٥ و ٢٠ جنيها وبهذا فاقت التكاليف الفعلية التقديرات الأولية .

وأدخلت هيئة نهر الفزلنا نظام الدورة الزراعية الذى يستند على أسس علمية والذى بمقتضاه تنتظم الدورة ٦ محاصيل زراعية وهى الذرة العريضة واللوبيا والفزل السردانى والدخن والبطاطا والعلف الحيوانى وتزرع فى أشرطة فى حقل كبير وبحيث تسمح بعملية التطهير والحرث والحصاد الآلى . ويشغل كل شريط محصول واحد . وذلك لتسهيل الاشراف وتسميد ومقاومة الحشرات وغيرها . وطبقا للتخطيط كان نصيب كل مزارع فدانين لكل محصول أى بمجموع اثنا عشر فدانا وأن يتبع النظام التعاونى فى التسريق ويتحمل المزارع مسئولية تطهير الأرض من الحشائش والحصاد . ويتوقف نصيبه على أساس المحصول وإلى جانب زراع المحاصيل هناك المزارعين الذين يربون الماشية والذين يقرمون بزراعة المحاصيل الشجرية وهؤلاء أيضا ينتظمون فى وحدات تعاونية .

ولم تكن التجربة ناجحة تماما بالنسبة لزراع المحاصيل ، بينما نجحت أول الامر بالنسبة للمزارعين الذين قاموا بتربية الحيوان ، غير أن هذه التجربة بدأت تلاقى الفشل عام ١٩٦٦ نظراً لارتفاع أسعار الذرة وندرة مواد العلف الأخرى وأن كان قد أعيد احياؤها مرة أخرى وكان النجاح الملحوظ لدى صيادى الأسماك الذين ازداد انتاجهم حتى اجتذبت هذه الحرفة مهاجرين وبصفة خاصة من الاينى سكان الفزلنا الأدنى .

ويمكن ارجاع عدم نجاح المشروع الزراعى تماما إلى أكثر من سبب منها :

- ١ - عدم تطهير مساحات كافية فضلا عن استهلاك الآلات .
- ٢ - عدم كفاية وسائل الاعلام وعدم كفاية الخدمات وجهل المزارعين في المشروع بالنظم الزراعية الجديدة .
- ٣ - الفشل في تنظيم التعاونيات .
- ٤ - التأخير في تسويق المحاصيل وبصفة خاصة الدخان وبذلك حرم المزارعون من العائد السريع .
- ٥ - امتناع بعض المزارعين عن التحول إلى الغلات النقدية والعودة إلى زراعة الاستكفاء .

وبعد انقلاب ١٩٦٦ ظهرت بعض مشكلات أخرى منها حسد القبائل المضيفة للمستوطنين على مساكنهم الجديدة وعلى التسهيلات وعلى وسائل الراحة النسبية التي يستمتعون بها .

وكان هناك اتفاق على أن يتنازل السكان الأصليون عن بعض المساحات للمستوطنين ولكن هذا لم يتم في بعض الجهات ووجدت هيئة نهر الفولتا صعوبات في الحصول على هذه الأرض نظرا لعدم وجود تسجيل للملكيات ، كما انتقل بعض المستوطنين إلى أماكن أخرى فنتج عن ذلك ما عرف بمدن الأشباح Ghost Towns نظرا لعدم وجود أراضي زراعية كافية بجوار المراكز الجديدة وأصبح من الصعب إعادتهم إلى المراكز مرة أخرى وذلك لفقدان الثقة بين الأهالي (١) .

الثروة السمكية :

واستخدام البحيرة كمصايد للأسماك كان من الأمور التي اهتمت بها هيئة سد الفولتا وعينت خبيرا للدراسة النتائج . وخرج من دراسته بأن مياه البحيرة يمكن أن تعطى ما يقرب من ٦ أطنان من الأسماك لكل ميل مربع سنويا وهذا معناه أن إنتاج البحيرة سوف يبلغ ٢٠ ألف طن سنويا أو ما يعادل ما تستورده غانا من

(١) أنظر الجهود التي بذلت والخطوات التي اتبعت في سبيل تنفيذ إعادة عملية التوطين بقلم الخبراء الذين اشتركوا في هذا المشروع في :

أسماك ، وبذلك توفر على الدولة ما يقرب من ثلاثة ملايين من الجنيهات . وقد حدث فعلا انفجار ضخيم في كميات الأسماك التي تعطيها البحيرة رغم أنه لم يدخل البحيرة أسماك من الخارج ، فقد أصبح فيها الآن ما يزيد على ١٢٠ نوعا منها ٦٠ نوعا تصاد بكميات تجارية وصالحة للغذاء ، فالمياه الآن غنية بالبلانكتون ، وأفضل مواطن الصيد هي القريبة من الشاطئ حيث تنمو الحشائش وتكثر المواد العضوية التي تزدهر في التكوينات الطينية الساحلية والأخشاب العطنة ، لذلك لم تكن الزيادة في أعداد الأسماك فحسب بل أيضا في أحجامها (١) . ومعظم صيادي البحيرة من قبيلة التنجو Tungu وكانت مساكنهم جنوب السد ولكنهم اعتادوا الهجرة نحو الشمال لعلمهم بغنى المياه بالأسماك، وإذا كان بعضهم يقوم بهجرات سنوية نحو الشمال، ثم يرجع ثانية إلى الجنوب ، فإن البعض الآخر بنى مساكن ثابتة على ضفاف البحيرة . ويقدر عدد الصيادين بنحو ٧٠ ألفا يمتدون على شواطئ البحيرة فيما يترب من ٧٥٠ قرية ، من ثم يقدر بأن كل عشرة من السكان بينهم فرد من التنجو (٢) ويأتي للتجار البحيرة من جهات مختلفة لشراء الأسماك وتجهيزها بأشمس أو تمليحها لحفظها . وتظهر أهمية البحيرة في الغذاء السكاني في أن ما يتراوح بين ٥٪ ، ١٠٪ من الأسماك المستهلكة في الجهات الساحلية لغانا هي نتاج بحيرة الفولتا وترتفع هذه النسبة إلى ٣٠ ، ٤٠٪ كلما اتجهنا من الساحل نحو الشمال (٣) . وكان من نتائج ارتفاع المستوى الغذائي اختفاء مرض Kwashiorker النتائج عن سوء التغذية . غير أن هناك وجه آخر للموضوع ، فإذا كانت البحيرة قد ساعدت على منع أمراض سوء التغذية فإنها كانت سببا في انتشار أمراض أخرى .

فمن المعروف أن نصف السكان فوق الأربعين والذين يعيشون على ضفاف الفولتا مصابون بالعمى بسبب ذبابة Simulium ذلك نتيجة قرص الذباب الذي يؤدي إلى ترك ديدان صغيرة . فإذا كان قرصها في العين ونفقت

(١) Maxon, op cit., P. 156

(٢) A Second Look at the volta Project, P. 555

(٣) سجل الصيد في البحيرة ٦٠ ألف طن من الأسماك في موسم ١٩٦٩ - ٧٠ وهو يعتبر رقما

قياسيا راجع Africa, Special Report, No 16, Dec. 1972, P. 72

للدودة فان جسم الإنسان يحيطها بمادة ليفية مما يؤدي إلى فقدان البصر . وقد ظن المسؤولون أنه بتكوين البحيرة يتم القضاء تلقائيا على هذا المرض ولكن الذبابة في الحقيقة انتقلت إلى روافد القولتا ، ثم كان اندفاع الماء من المد بمعدل ٢٠ ألف قدم مكعب في الثانية ، معناه توفير بيئة مثالية للذبابة مما أدى إلى سوء الحالة لدرجة أن نسبة المصابين في قرية Atimpoker بالقرب من جسر Adomi بلغت ٦٨٪ من أهل القرية ، ٩٢٪ منهم من الذكور البالغين . وهناك محاولات للقضاء على الذبابة باستخدام الد . د . ت وإن كانت النتائج الايكولوجية لم تكن تقييما بعد .

وكان انتشار البلهارسيا أحد الجوانب البيئية لتكوين البحيرة ، ولم تكن هذه المنطقة تعاني منها من قبل ، ولكن انتقال ما يتراوح بين ٦٠ ألف ، ٩٠ ألفا من لايبي الصيادين والآتين من القولتا الأدنى حيث تنتشر قواقع البلهارسيا أدى إلى ظهور مثل ضخم لهذه القواقع . وهكذا بدأت نسبة المصابين ترتفع منذ عام ١٩٦٦ حين كانت ١٠٪ بين الاطفال ما بين ١٠ ، ١٥ عاما إلى ما يقرب من ١٠٠٪ عام ١٩٦٨ . ولم تتغير النسبة عام ١٩٧٠ رغم أن شركة ميبا السويسرية أعلنت عام ١٩٦٦ عن تصنيع عقار جديد يسمى Ambilhar (١) .

وتمثل النباتات المائية مشكلة جادة ، ذلك أنها أصبحت تغطي معظم مياه البحيرة ، فهناك ورد النيل Hyacinth المعروف في نهر النيل ولكن يزيد عليه خص الماء Pistia الذي يتميز بنموه وانتشاره السريع وتبلغ كثافته أشدها في الاجزاء الغربية من البحيرة ويخشى الباحثون أن تصبح مأوى للبعوض والذباب وقواقع البلهارسيا إن لم تكن الحيات والتماسيح قد وجدت فيها مكانا آمنا .

النقل :

ذكرنا أن البحيرة تشغل مسطحا ضخما قدره ٣٢٧٥٠ ميلا مربعا وبسواحل تبلغ ٤٥٠٠ ميلا ، من ثم يمكن الاستفادة منها كوسيلة من وسائل النقل البري

(١) يذكر Guy Lavoipierre رئيس بعثة منظمة الصحة العالمية إلى غانا أن نسبة الإصابة بين صيادي الايبي في منطقة عمل البعثة تراوحت بين ٤٠٪ ، ٩٠٪ راجع تقريره Health and Planning المنشور بمجلة Africa, No. 16, 1972 .

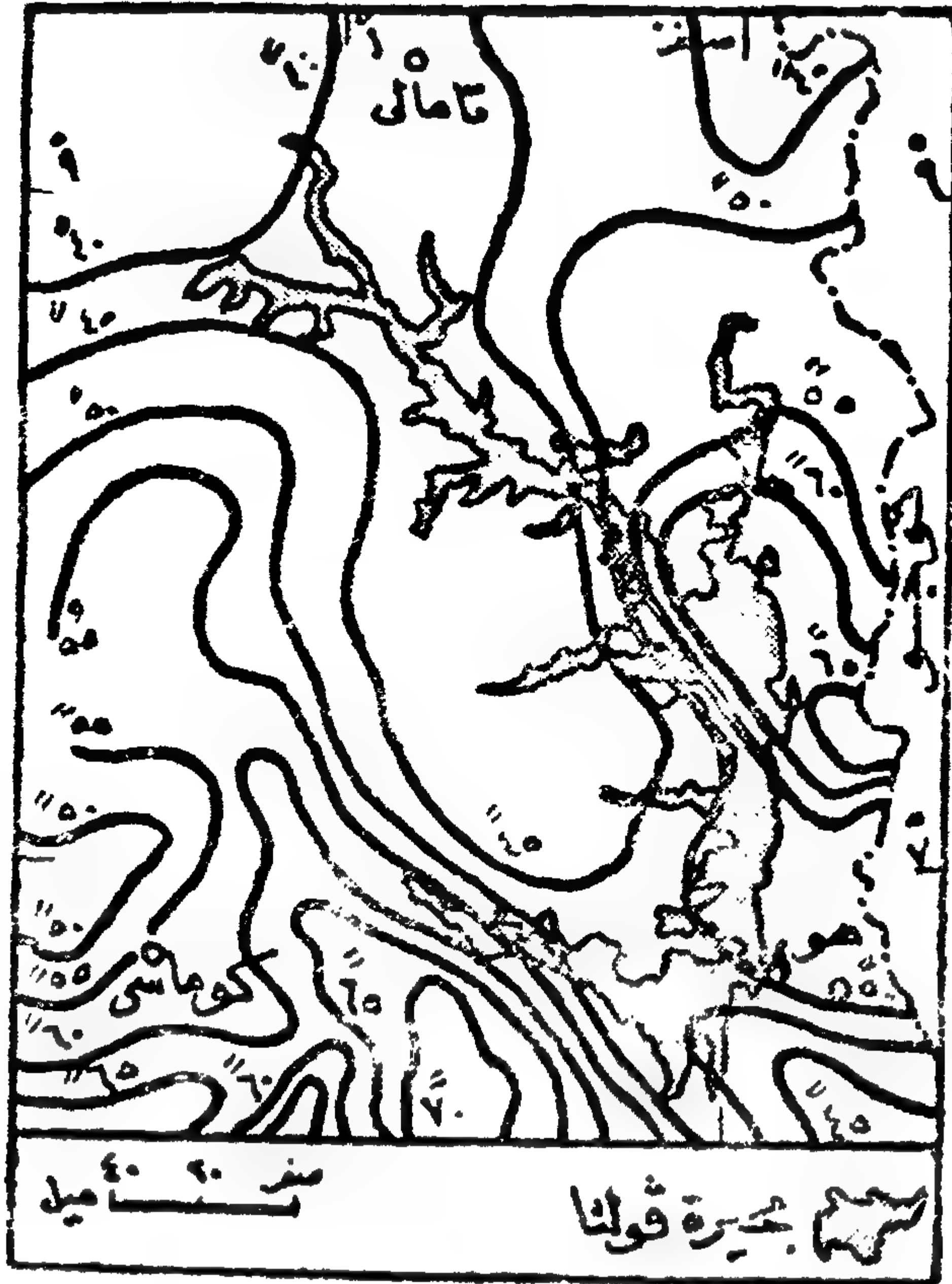
خاصة وأن البحيرة امتدادها شمالى جنوبى ، ولم تكن هذه الحركة قبل تكوين البحيرة كبيرة ، نظرا لأن الأراضي المحيطة لم تكن تعول اعدادا كبيرة ، كما أنها فقيرة في المواد المعدنية والزراعية بحيث لم يكن حجم الحركة يتعدى ٣٤٠ ألف طن عام ١٩٦٢ . بهذا متصبح البحيرة شريانا ضخما يخدم عملية التكامل النقلى بوجه عام وتخدم المناطق الشمالية المتخلفة بوجه خاص . من ثم تضمن المشروع تشييد عدة موانى بحرية ، وهذا يتطلب ربط جنوبى البحيرة بالسكك الحديدية من Koforidua إلى ميناء Apimso الذى ينشأ على البحيرة في جنوبها ومنها يمتد خط ملاحى ليصل إلى ميناء تمالى في الشمال وفي نفس الوقت يمكن توصيل تمالى في الشمال بأواجود وجو عن طريق خط حديدى ، وبالإضافة إلى هذا ستمد خطوط من الميناء الجنوى للبحيرة وبين الموانى الأخرى مثل كيتوكيباندى وكراشى وتلك الموانى التى تخدم مناطق الكاكاو والى تحيط بسهل Afram . وهكذا لن تشجع البحيرة الحركة التجارية بين شمالى وجنوبى غانا ، وبين شرقها وغربها فحسب . بل أيضا بين الخمس دول المجاورة : الفلتا العليا ، النيجر ، مالى ، وداهومى ، وتوجو ، وتصبح المنطقة المستفيدة أربع مرات قدر مساحة غانا ويسكنها ما يقرب من ٩ مليون نسمة ، ويؤدى هذا إلى استفادة ميناء تيمالا من الناحية الصناعية فحسب ، بل أيضا كميناء تجارى .

وعلى عكس تقدير الحركة التجارية على النهر في هذا الجزء عام ١٩٦٢ بنحو ٣٤٠ ألف طن ، فان تقرير مؤسسة كايزر تعطى ٨٧٠ ألف طن عام ١٩٧٥ فضلا عن ٢٤٠ ألف من الركاب . وقدرت تكاليف الأسطول النهري وانشاء تسع موانى بحرية بنحو ٩ مليون جنيه ، وقد بدأ الأسطول متواضعا بعد بداية ظهور البحيرة عام ١٩٦٤ ، ونما الأسطول بسرعة بحيث أصبح يتكون من ٢٢ وحدة . ولما كانت صلاحية أى نظام من نظم النقل تتوقف على حجم الحركة ، فقد تزداد أهمية البحيرة في النقل إذا استغلت خامات الحديد في Shieno شمالى البلاد ، خاصة وأن ذلك الجزء يعتبر متخلفا بالنسبة للجنوب .

الرى :

وكانت امكانيات الرى موضوع دراسة وبحت منظمة الأغذية والزراعة ،

ومرة أخرى ، فإن هذا المشروع من الناحية الفنية لا غبار عليه ، ففى الامكان الحصول على كميات كبيرة من مياه البحيرة لرى مساحة كبيرة من الأرض دون أثر يذكر على توليد الكهرباء ، ولكن التكاليف المبدئية باهظة وقد أشار إلى هذا خبير الأمم المتحدة فى تقارير له إلى هيئة نهر الفولتا بأنه فى الامكان اقامة مشروع مشروع رى ناجح ، لكنه يتكلف ٨,٢٥ مليون جنيه . وأنسب الأقاليم لاستخدام الرى هى سهول أكرا حيث تنتشر التربة السوداء الصالحة بصفة خاصة لزراعة الأرز . وأشار التقرير بأن محصول الأرز سوف تزيد قيمته على مجموع التكاليف كما أن توفير ٣٠ ألف طن من الأرز سنويا يوفر لغانا قدرا من النقد الأجنبي .



شكل رقم (٥) خطوط المطر المتساوى فى منطقة المشروع

وقد اختيرت سهول أكرا لأنها أكثر جهات غانا جفافا ، من ثم يمكن تكثيف الزراعة فيها بعد امدادها بالرى ، وأجريت تجارب ناجحة على زراعة الأرز

وقصب السكر . وقام فعلا مشروعان لزراعة قصب السكر اعتمادا على ضخ المياه من الفولتا الأدنى . ودلت الدراسات التي قامت بها مؤسسة كايزر على امكانية زراعة ٨٠٠ ألف فدان ، على أن تحفر قناة تبدأ من كبونج، وتنتهى فى أكرا ، وتقوم القناة أيضا بتوصيل مياه الشرب إلى أكرا وتيا .

غير أن هذا المشروع ، لم يقدر له أن يرى النور بعد الاطاحة بحكم نكروما ، ذلك أن الحكومة الجديدة اكتشفت أن على غانا دينا ضخما قدره ٣٠٠ مليون جنيه من النقد الأجنبي مع نفاد احتياطها ، من ثم نصح الاقتصاديون بتوفير النفقات الخاصة بالمشروع والتي لا ترتبط بتوليد القوة الكهربائية ، وكان من آثار هذا الكشف تأجيل مشروع رى سهول أكرا بصفة مبدئية .

الحركات الوطنية في أنجولا

دكتور سعد زغلول عبد ربه

The National Movement in Angola

The national movement in Angola is due to Portuguese cruelty against the natives. The movement can be divided into two sections. The first one is distinguished by individuality. The second section is distinguished by organized groups, which managed at first to win peaceful co-existence with Portuguese settlers, but the Portuguese refused the native demands, and the revolutionary parties applied to arms, and the Portuguese managed to press it severely.

The Afro-Asian group delivered the case to the United Nation Assembly which discussed the matter, and issued a proclamation in favour of the natives. The Portuguese refused the proclamation and the revolt continued. The natives are aimed to liberate all the Angolian territories.

Dr. S.Z. Abdrabou.

الحركات الوطنية في أنجولا

تنقسم الحركة الوطنية في أنجولا إلى قسمين متميزين يبدأ أحدهما من القرن السابع عشر حتى أوائل القرن العشرين ويبدأ القسم الثاني من أوائل القرن العشرين ويستمر حتى وقتنا الحالى . وقد أدى الضغط البرتغالى على سكان البلاد والحروب التى جرت بينهم وبين الوطنيين إلى حدوث توتر شبه دائم ينتظر الفرصة لظهوره . وقد انتهز الوطنيون الأنجوليون وصول الهولنديين إلى أنجولا فى سنة ١٦٤١ وثاروا بقيادة ملك الكنگو وملكة ماتمبا وانضموا للقوات الهولندية ، ونتيجة لتلك الثورة لم يبق فى أيدى البرتغاليين من أراضى أنجولا سوى قلعة ماسنجانو وبطرد الهولنديين من أنجولا ، أعاد البرتغاليون احتلال منطقة كبيرة من الأراضى الانجولية ، وعملوا على القضاء على النظام الوطنى الأساسى ، وأجبروا زعماء تلك المناطق على توقيع معاهدات خضوع جديدة واستطاعوا الانتهاء من تنفيذ رغبتهم فى سنة ١٦٧١ . وأستطاع البرتغاليون بعد معارك متتالية هزيمة قوات الكنگو وماتمبا ودنجو ، وبالإستيلاء على قلعة دنجو فى سنة ١٦٧١ استطاعوا القضاء على الثورة ، واحتلال المناطق التى كانوا يسيطرون عليها من قبل . وقد استطاع البرتغاليون القضاء على الثورة وهزيمة القوات الوطنية بمساعدة قوات زنوج الحرب المكونة من المجموعات القبلية الموالية لهم فى المنطقة الواقعة شمالى نهر كوانزا . وكان لتلك القوات دور حاسم فى تمكين البرتغاليين من هزيمة القوى الوطنية الثائرة (١) .

أولا : الحركات الوطنية حتى أوائل القرن العشرين :

ثورة مانيكويتنغو (مار كير موسىل) : Maniquitongo

أدت المنافسة البريطانية البرتغالية فى المنطقة الواقعة شمالى لواندا إلى بيع التجار

«Cadornega, A. : Historia Geral, Vol. II, pp. 298-358.

(١)

البريطانيين الأسلحة والبارود للوطنيين المقيمين بالقرب من مصب نهر الكنفو ،
وشراء أعداد كبيرة من الرقيق المجلوب من الداخل . واضطر البرتغاليون إلى الدخول
في معركة حربية خطيرة مع ماينكويتنجو المعروف باسم ما ر كير موسيل الذي كان
يحكم الجزء الأدنى من نهر لوجي Logo المعروف باسم نهر كويتنجو Quitungo^(١)
وكان ماينكويتنجو يشتغل في أواخر القرن الثامن عشر بتجارة ناجحة مع السفن
البريطانية والفرنسية ويستخدم في جلب الرقيق! اللازم لتلك السفن طريقا برياً يمتد
شرقا حتى بونجو أندنجو . وبلغ من سطوة ذلك الحاكم أن رفض الاعتراف بالسيادة
البرتغالية ، وطرد سفارة أرسلها البرتغاليون في سنة ١٧٨٥ . وحاول البرتغاليون
إجباره على الاعتراف بالسيادة البرتغالية ولكنه هزم الجيش الذي أرسله البرتغاليون
في سنة ١٧٨٨ وأجبره على العودة إلى لواند . ولم يكتف بذلك بل شن هجوما على
المزارع الأوروبية الممتدة حتى نهر بنجو Bengo . وتحركت الحكومة البرتغالية
في لواندا تحت ضغط والحاح البرتغاليين . وأرسلت في أواخر سنة ١٧٩٠ جيشاً
حاصر الزعيم الوطني واضطره إلى الالتجاء إلى إحدى السفن البريطانية الراسية في
ميناء أمبريز . وبعد فترة قصيرة أعلن ماينكويتنجو خضوعه للسيادة البرتغالية ،
ووقع معاهدة ولاء في ٢٥ أبريل سنة ١٧٩٢^(٢) .

ثورة قبائل دمبو الأولى Dembo

انتشرت الإشاعات باحتمال الغاء تجارة الرقيق كلية في مستعمرة أنجولا بعد
توقيع بريطانيا والبرتغال للمعاهدات والاتفاقيات المتعلقة بتحديد تجارة الرقيق
بالمستعمرات البرتغالية في سنوات ١٨١٠ ، ١٨١٥ ، ١٨١٧ ، وكان لتلك
الإشاعات أثرها على الرأي العام في المستعمرة . ولقيت تلك الفكرة معارضة شديدة
من المتفعين بتجارة الرقيق من الإفريقيين والبيض . وبعض البرازيليين الذين
بقوا في أنجولا بعد استقلال البرازيل عن البرتغال . وبدأت أصوات الاحتجاج في
الظهور خشية فقد الأرباح الطائلة التي كانوا يجتونها من وراء تلك التجارة .
وازداد الاحتجاج في داخل أنجولا بعد ظهور عدد من السفن الحربية البريطانية في

(١) أطلق على ميناء كويتنجو فيما بعد اسم أمبريز Ambriz

Dias, S. : Os Portugueses, p. 298.

(٢)

سنة ١٨٣٠ بالمنطقة لمقاومة تصدير الرقيق من أنجولا . وأعتقد الزعماء الإفريقيون المشتغلون بتجارة الرقيق أن ملك البرتغال يرغب في معاقبتهم على أعمال العنف والسرقات التي أرتكبوها ضد المستوطنين البيض بمنع تجارة الرقيق^(١) .

أصدرت الحكومة البرتغالية في لشبونة مرسوم إلغاء تجارة الرقيق في جميع الممتلكات البرتغالية في ١٠ ديسمبر سنة ١٩٣٦ فانهاالت الاحتجاجات من كل أنحاء أنجولا . وكان رد الفعل خطيرا واندلعت الثورة في جنوبي أنجولا بالقرب من بنجويلا . واضطرت حكومة لواندا إلى زيادة حامياتها في المنطقة ، وبناء التحصينات حول مدينة بنجويلا^(٢) . وحدثت ثورة أخرى في مقاطعة دمبو بالقرب من لواندا . وقد تزعم الأمير دوم اليكسودي أجوا Dom Aloixo de Agua وهو أحد أفراد العائلة المالكة في الكونغو الثورة في سنة ١٨٤١ ، وأقنع رجاله قبيلة دمبو بالخروج على زعيم المنطقة ، والامتناع عن دفع ضريبة العشور التي فرضها البرتغاليون على المنازل بالمقاطعة تلك الضريبة التي كان على الوطنيين دفعها عينية أو نقدا بدلا من الضريبة سنوية التي كانوا يدفعونها رقيقا . واستطاع البرتغاليون القضاء على الثورة في سنة ١٨٤٤ . والقبض على دوم اليكسو وسجنه في لواندا حتى سنة ١٨٥٦^(٣) .

ثورة الاخوان جوميس : Gomes

كانت أكثر الثورات خطورة والتي نتجت عن عدم رضا الوطنيين لقرب نهاية تجارة الرقيق تلك الثورة التي قام بها الاخوان جوميس . وأحد الأخوين وهو فرييرا جوميس Ferreira Gomes زنجي من بنجويلا قبض عليه البرتغاليون في سنة ١٨٣٥ بسبب ثورته على السلطة البرتغالية وأرسلوه إلى لشبونة . وبعودة جوميس إلى أنجولا انضم إليه أخوه المولد وزنجيان آخران وأحد البيض سبقواتهم في سنة ١٨٤٥ بقتل امرأة بيضاء وأحد التجار واحراق المعامل البرتغالية . ثار هؤلاء الخمسة في سنة ١٨٤٦ على الحكم البرتغالي وجمعوا الزنوج الموالين لهم بالقرب من كاتومبيللا Catumbella ، وتوجهوا إلى بنجويلا وطردها الأوربيين منها .

A .H .U . : Angola, pasta, 73, Letter of 10 June 1830, Gov. Gen.

(١)

Delgado, R .AO Sul do Cuanza, Vol. 1, p. 107.

(٢)

A .H .U . : Op. Cit. 2, 20 Sept. 1839.

(٣)

ولم يكتف الثوار بطرد الأوربيين بل قتلوا الوطنيين الذين رفضوا الانضمام إليهم^(١). ويرجع انتصار الثوار في مبدأ الأمر إلى ضعف البرتغاليين في منطقة بنجويلا لسحب الحاميات العسكرية منها بعد سنة ١٨٣٠ . ولكن البرتغاليين استطاعوا القضاء على الثورة بعد جلب الامدادات الكافية .

ثورة كويلانجي كويساني : Quilange Quissane

هاجم الوطنيون بقيادة الزعيم كويلانجي كويسانجي قلعة أمباكا Ambaca في سنة ١٨٢٧ فأرسلت حكومة المستعمرة في أوائل سنة ١٨٣٨ حملة مكونة من آلاف عديدة من قوات زنوج الحرب مزودة بالمدفعية للقضاء على الثورة ، ومد الحكم البرتغالي إلى تلك المنطقة من الممتلكات البرتغالية^(٢) . وبعد القضاء على الثورة بنى البرتغاليون قلعة جديدة في المنطقة الشرقية من أنجولا ، وأطلقوا عليها اسم قلعة دوق دي براجنزا Braganza . وأرغموا كويلانجي على توقيع معاهدة تبعية للحكومة البرتغالية . وقد نصت تلك المعاهدة على :

- ١ - الاعتراف بتبعية وطاعته للملكة ماريما الثانية Maria II ملكة البرتغال ، والتعهد بالدفاع عن البرتغاليين ضد هجمات الوطنيين ورفع العلم البرتغالي .
- ٢ - دفع الضرائب التي فرضها البرتغاليون على المنازل والمواشي .
- ٣ - استقبال جميع المبشرين وإكرامهم ، وتقديم المساعدة اللازمة للموظفين البرتغاليين .
- ٤ - القبض على جميع الجنود والرقائق الهاربين الذين لا يظهرون تصاريح المرور أو الوثائق الدالة على إيفادهم في مهام رسمية .
- ٥ - المساهمة في الخدمات البرتغالية المتعلقة بالتجارة والأعمال الملكية ومناجم الحديد .
- ٦ - مساعدة التجار البرتغاليين واحترامهم وامدادهم بالحمالين اللازمين :

A .H .U . : Ibid. 10, No. 13, Gov. Gen. 14 Nov. 1846.

(١)

A .H .U . : Ibid. 2, No. 433, Gov. Gen. 24 Feb. 1838.

(٢)

٧ - خضوع جميع الزعماء الوطنيين سواء المهزومين أو المتطوعين للسلطات البرتغالية واطاعة أوامرها ، وختمهم بالعلامة الملكية البرتغالية على الجانب الأيسر من صدرهم حتى يحترمهم شعبهم ويطيعهم ويعترف بتبعيةهم لصاحبة الجلالة البرتغالية (١) .

الثورة في كاسانجي : ١٨٦٠ - ١٨٦٣

اندلعت الثورة في كاسانجي التي كانت مستقلة من الناحية الاسمية عن الحكم البرتغالي في أنجولا لسوء تصرف السلطات البرتغالية (٢) ، وطلبها ضريبة العشور (٣) من ملك كاسانجي الذي لم يكن يدفع عشورا قبل سنة ١٨٦٠ ولكنه كان يدفع ضريبة سنوية قدرها عشرة حمالين يبعث بهم إلى حكومة المستعمرة في لواندا . وكان مكان إقامة ملك كاسانجي يبعد ثلثمائة ميل عن ساحل غرب إفريقية مما جعله بعيدا عن متناول أيدي البرتغاليين كما كانت الحواجز الطبيعية بالمنطقة تمنع احتلال البرتغاليين للمنطقة احتلالا فعليا . ورغم حدوث منازعات بسيطة بين الوطنيين والتجار البرتغاليين في السوق التجاري إلا أن الصدام الحقيقي بين الطرفين لم يحدث إلا بعد طلب كارفاليو Carvalho قائد حامية كاسانجي ضريبة العشور مما أدى إلى ثورة الملك وقتل ضابط برتغالي وعلان الحرب على البرتغاليين .

هزمت قوات ملك كاسانجي القوات البرتغالية وأجبرتها على التقهقر إلى مالانجي وتوالت الهزائم على القوات البرتغالية بالقرب من كاسانجي في أواخر سنة ١٨٦٢ ، واضطر البرتغاليون إلى جلب امدادات وتعزيزات من المنطقة الساحلية لتعزيز قواتهم في كالانجي وسانزا . ولم تستطع تلك القوات عمل أي شيء حتى أغسطس سنة ١٨٦٣ حيث هزمت قوات ملك كاسانجي وعقد البرتغاليون معه معاهدة سلام . وبتوقيع معاهدة السلام في ٢٩ أغسطس سنة ١٩٦٣ تسمى ملك كاسانجي باسم دوم باسكول رايزما كادو Dom Pascoal Raiz Machado وتضمنت المعاهدة النص الآتي :

Mensario Administrativo : 1948, No. 7.

Reade, W. : Savage Africa, p. 264.

A.H.U. : op. cit. : 32, No. 380, 2 Oct. 1863.

(١)

(٢)

(٣)

١ - خضوع ملك كاسانجي للتاج البرتغالي والقوانين البرتغالية وإعادة السلطة البرتغالية إلى كاسانجي .

٢ - الإفراج عن جميع المسجونين الذين قبض عليهم الملك أثناء الحرب ، وتسليم الرقيق المملوك للأوربيين .

٣ - تعويض السلطات البرتغالية والتجار البرتغاليين عن المصاريف والخسائر التي تكبدوها في الحرب وما نتج عنها من تدمير .

٤ - ضمان الملك لرعاياه في دفع الديون التي عليهم للتجار الأوربيين . وتقديم الزعماء الوطنيين الشمع والعاج للبرتغاليين كرمز لتنفيذ شروط السلام بين الجانبين.

وبتوقيع معاهدة السلام أرسل ملك كاسانجي سفارة وصلت لواندا في أكتوبر سنة ١٨٦٣ تحمل شكوى ضد تصرفات البرتغاليين المقيمين في كاسانجي ، واعتراض الملك على ضريبة العشور بحجة أنها سوف تقضى على الرخاء التجارى في بلاده^(١) . وذكر في شكواه الأسباب التي أدت إلى حدوث الحرب بين البرتغاليين ، وعلل ذلك بالسرقات التي ارتكبتها أفراد برتغاليون ذكر أسماءهم ، وأعلن في نهاية شكواه رغبته في البقاء في بلاده وعدم الهجرة منها كما اتبع من قبل^(٢) . ورغم توقيع المعاهدة المذكورة إلا أن البرتغاليين لم يحاولوا استيطان كاسانجي . وبقيت مالانجي أبعد نقطة حدود في شرق أنجولا . وقد أضعفت حرب كاسانجي القوى البرتغالية في أنجولا . وعرقلت النشاط الحيوى الأوربي . وقد أعلن أنترادى حاكم عام أنجولا في سنة ١٨٦٣ خطأ البرتغاليين في حرب كاسانجي^(٣) . وأعلن في سنة ١٨٦٧ أن الحكم البرتغالي في كاسانجي كان ضعيفا ومحدودا . وأن تطرف التجار والموظفين البرتغاليين قضى على الهيبة البرتغالية في المنطقة . وكانت كاسانجي بعيدة عن الإدارة المركزية ولا يمكن إدارتها بصفة رسمية في ذلك الوقت^(٤) . وإذا

Carvalho, H. : E tongraphiae Histore, p. 83.

(١)

A.H.U. Op. cit. : 32, No. 380, 2 Oct. 1863.

(٢)

A.H.U. : Ibid, 32, No. 380, Gov. Gen. to Overseas Minister.

(٣)

A.H.U. : Ibid 37, No. 533, 18 Oct. 1867, Gov. Gen.

(٤)

كانت معاهدة السلام قد شملت بوجوده ظف برتغالي في كاسانجي بعد سنة ١٨٦٣
إلا أن البرتغاليين لم ينفذوا ذلك إلا في أوائل سنة ١٨٨٣ ، ورفضوا العلم البرتغالي
على سوق كاسانجي التجاري لأهميته لاقتصاد أنجولا (١) .

الثورة في شمال أنجولا :

وصلت أنجولا إلى حالة الغليان في أواخر العقد الخامس من القرن التاسع
عشر وانتشرت الأفكار عن ضرورة الاستقلال عن البرتغال بين البيض والزنج
في أنجولا . كما انتشرت الأفكار الخيالية بالمستعمرة حتى أن بعض البرتغاليين
المتطرفين فكروا في تحرير البرتغال نفسها من الحكم البرتغالي ، وفضلوا الجنسية
البرازيلية . بل أن بعض هؤلاء المتطرفين فكروا في أن تكون أنجولا جزءا من
الولايات المتحدة الأمريكية (٢) . ووصل الشك وعدم الثقة بين الرقيق وأسيادهم
إلى أوج قمته وخاصة بالقرب من المستوطنات الكبرى . وقتل بعض الرقيق
أسيادهم فيما بين سنتي ١٨٦٠ و ١٨٦٢ في مدينتي لواندا وبنجويلا . كما قتلوا في
٢٩ سبتمبر سنة ١٨٦٠ المقيم البرازيلي في لواندا . وتعتبر حادثة قتل المقيم البرازيلي
رابع حادثة قتل ارتكبها الرقيق في لواندا خلال أربعة أشهر (٣) . وازداد الخوف
مرة أخرى في سنة ١٨٦٢ عندما قتل جون كوك سيده أثناء نومه . و طالب قاضي
لشبونة التنكيل بالقاتل ليكون عبرة لغيره (٤) . وكان لتصرفات الرقيق في أنجولا
مع أسيادهم أثرها في تخويف هؤلاء الأسياد في منطقة لواندا والمناطق الداخلية
الملحقة بها (٥) . وكان السبب المباشر لذلك هو المعاملة الوحشية التي عامل بها
المستوطنون البرتغاليون رقيقهم حتى أن بعض هؤلاء المستوطنين كانوا يضربون
الرقيق بالسياط أثناء تناول الطعام بحجة جعل الأكل أحسن مذاقا .

وقد عاصر التوتر الشديد بين الرقيق وأسيادهم تشدد حاكم عام أنجولا تجاه
الكنغو . فبعد احتلال أمبريز في سنة ١٨٥٥ احتل البرتغاليون كويبالا Quiballa

A.H.U. : Ibid 3, No. 331, Gov. Gen.

(١)

Sarmiento, A. : Os Sertões D'Africa, p. 67.

(٢)

Boletim Oficial : No. 783, 6 Oct. 1860.

(٣)

A.H.U. : Op. Cit. 31, No. 688, 4 July 1862.

(٤)

Reade, W. : Op. Cit. p. 317.

(٥)

وبمبي Bombe بحاميات صغيرة في سنة ١٨٥٦ لتشغيل واستغلال مناجم كربونات النحاس malachite في جبال المنطقة الشرقية من بمبي وأنشئوا شركة «مناجم كربونات نحاس غرب إفريقيا» ، وهي شركة ذات مرسوم ملكي برأس مال بريطاني برازيلي^(١) واتهر الفارود ونجو Alvaro Dongo فرصة موت هنري الثاني ملك الكونغو في أواخر سنة ١٨٥٧ وأعلن الثورة ، وطرد المربي كاتندي Catendi ابن أخت الملك المتوفى والوارث الشرعي الذي كانت تؤيده السلطات البرتغالية . وبوصول الامدادات طرد البرتغاليون الفارود ونجو في يونيو سنة ١٨٥٩ من ساو سلفادور عاصمة الكونغو^(٢) . وأعادوا الوارث الشرعي الذي تسمى باسم بيدرو الخامس إلى عرش الكونغو . ووضعت الحكومة البرتغالية حامية عسكرية في عاصمة الكونغو لأول مرة على رغم أن الكونغو كانت من الناحية الرسمية حليفا وصديقا للبرتغال ، وليست تابعة لها^(٣) . ولم يأس الفارود ونجو . وهاجم القوات البرتغالية الموجودة خارج أمبريز وحاصر قلعة بمبي في أواخر نوفمبر سنة ١٨٥٩ . واتهم الحاكم البرتغالي البريطاني بمد ألفارو بالاسلحة والبارود . وطلب مساعدات عسكرية من لشبونة بعد تعرض المستوطنات البرتغالية الجنوبية في هويلا لهجوم الوطنيين مرة أخرى^(٤) . وقطع الثوار المواصلات شمالا لواندا في فبراير سنة ١٨٦٠ واستمروا محاصرين للبرتغاليين في بمبي . ومنعوا الطعام عنهم . وبوصول الامدادات من لشبونة في مارس سنة ١٨٦٠ توجهت قوة من زنوج الحرب يقدر عددها بثلاثمائة جندي بقيادة زعيم بانجو - اكويتامبا Bango-Aquitambq الانجولي إلى أمبريز قضت على ثورة الفارو^(٥) .

لم يهنا البرتغاليون بانتصارهم على ألفارو ونجو طويلا فقد عارض سياستهم الجديدة في الكونغو قائد وطني متعلم هو نيكولاس أجوروزادا N.A. Rosada ابن هنري الثاني ملك الكونغو الراحل الذي لم يكن له حق ولاية عرش مملكة الكونغو طبقا

Anstey, R. : Britain and the Congo, p. 51. .

Journal do Commercio, 19, Jan., 1860.

Journal do Commercio, 1 Dec., 1859.

A . H . U . : Op. Cit., p. 26, 28 Feb., 1860.

Boletim official : 15 Sept. 1860, No. 780, p. 43

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

لقانون الوراثة الوطنى الذى يقضى بتولى ابن الاخت عرش المملكة . وقد كتب نيكولاس الذى تعلم فى لشبونة ، واشتغل كاتبا بالحكومة فى لواندا ، وكان على صلة بالمجموعات الأجنبية خطاب احتجاج بعث به إلى صحيفة لشبونة فى سبتمبر سنة ١٨٥٩ ذكر فيه أنه أكثر أهلية لتولى عرش الكنگو من كاتندى لتعلمه ، وأن البرتغاليين لا يملكون الحق القانونى لاقطاع مملكة الكنگو والتدخل فى إدارتها . وبشر الصحيفة للخطاب فى ١ ديسمبر سنة ١٨٥٩^(١) أمر حاكم عام أنجولا بنقل نيكولاس إلى موزامبيدس فى فبراير سنة ١٨٦٠ لوقاحته . ولم يبق نيكولاس طويلا فى موزامبيدس ومنها استقل سفينة حربية بريطانية إلى كويسمبو Quissembo ورغم عدم وضوح الهدف من ذلك^(٢) إلا أنه يوجد بعض الأدلة على تأمر القنصلين البرازيلي والبريطاني فى موزامبيدس مع نيكولاس فيما يتعلق بمستقبله ومستقبل مملكة الكنگو . واتهم الوطنيون نيكولاس بالخيانة وبيع أمبريز للبرتغاليين . كما اتهمه البرتغاليون بالخيانة لكتابة خطاب الاحتجاج السابق . واتهى الأمر بقتله على يد الوطنيين فى كويسمبو^(٣) .

اتخذ حاكم عام أنجولا من مقتل نيكولاس حجة للقضاء على الثورة فى شمال أنجولا ، وأرسل قوة عسكرية عبرة نهر لوجى . واستطاع الثوار ردها على أعقابها إلى أمبريز . وتبعث تلك المحاولة محاولة أخرى للاستيلاء على كويسمبو ولكنها فشلت كما سبقها^(٤) . واضطرت الحكومة البرتغالية فى لشبونة إلى إرسال حملة عسكرية مكونة من سبعمائة جندي وضابط إلى لواندا فى فى شهر يونيو وأغسطس وسبتمبر سنة ١٨٦٠ وبقيت تلك القوة كوحدة مقاتلة فى شمال أنجولا ، وبصفة أساسية فى أمبريز وبمبي وساو سلفادور حتى أواخر سنة ١٨٦١ عندما رجع الباقون على قيد الحياة من أفرادها وعددهم ٣٨٤ جنديا إلى لشبونة . وكانت أصابات الجنود بالحمى الصفراء والملاريا أكثر من الإصابات بحراب ورصاص الوطنيين^(٥) .

Journal do Commercio : Op. Cit. 10 Dec., 1859.

(١)

A.H.U. : Op. Cit. p. 26, 28 Feb., 1860.

(٢)

Journal do Commercio : Op. Cit. 13 June, 1860.

(٣)

Journal do Commercio : Ibid, 13 June 1860.

(٤)

A.H.U. : Op. Cit. No. 748, 1 July 1862.

(٥)

ولم يستطع البرتغاليون تهدئة شمال أنجولا إلا في أواخر سنة ١٨٦٢ ، وأصبحت الطرق والمدن الموجودة الواقعة شمالى لواندا آمنة بالنسبة للسكان والتجارة عما كانت عليه في فترة الحرب (١) .

ثورة قبائل دمبو الثانية :

اقترح أمارال حاكم عام أنجولا في سنة ١٨٥٦ إنشاء قلعة أو قلعتين في منطقة قبائل ديمبو التي كانت معادية لاحتلال البرتغاليين لبمبي وكانوا ينهبون البضائع المارة بالطريق الواصل بين إنكوجي وامبريز . ولم ينفذ ذلك الاقتراح لانشغال البرتغاليين بتهدئة المستعمرة (٢) . وقد حاولت حكومة المستعمرة تهدئة قبائل ديمبو بارسال الحملات العسكرية والهدايا وفتح الطريق التجاري . وصحبت الحملة التي أرسلت إلى المنطقة في سنة ١٨٦٢ معها قسيسا وكمية من الهدايا لزعيم المنطقة وتعهدت الإدارة البرتغالية بعدم فرض ضريبة العشور إذا تعهد الزعيم بتقديم الرجال اللازمين لحمل المتاجر إلى الساحل (٣) . وعلى رغم هذا العمل من حكومة المستعمرة بقيت المنطقة معادية للبرتغاليين ، واحتفظ زعمائها بأسمائهم الوطنية ولم يتسموا بأسماء برتغالية على خلاف المتبع مع زعماء المنطقة الخاضعة للحكم البرتغالي في شمال أنجولا (٤) .

ساءت العلاقات بين سكان دمبو والسلطات البرتغالية في سنة ١٨٧١ . واندلعت الحرب بين الجانبين في سنة ١٨٧٢ ، وفشلت الحملتان الرئيسيتان اللتان أرسلهما البرتغاليون في شهرى أبريل ويوليو للقضاء على ثورة شعب دمبو ، ولكن زعيم المنطقة اضطر في النهاية إلى التسليم بعد الهجمات البرتغالية المتتالية ، وحرقهم القرى الوطنية ، وفتحهم الطريق التجاري بالقوة . وعادت القوات البرتغالية إلى لواندا في أكتوبر سنة ١٨٧٢ حيث استقبلت استقبالا حافلا (٥) . وفي الواقع كانت عودة القوات البرتغالية تعتبر هزيمة لها في أراضي دمبو . وبذلك لم يعد للبرتغاليين قوات

Imprensa Nacional ; Relatorios dos Governadores, report for 1872- 74,p. 84. (١)

A.H.U. : Op. Cit. No. 133, 4 Feb. 1857. (٢)

A.H.U. : Ibid. No. 712, 18 June 1862. (٣)

Sarmiento, A. : Os Sertoes D'Africa, p. 161. (٤)

Castelbranco, F. : Historia de Angola, p. 244. (٥)

عسكرية في تلك المنطقة بعد سنة ١٨٧٢ (١)، ولم يعد اسم دمبو يذكر في تقارير حاكم عام أنجولا بعد منتصف سنة ١٨٧٣، ولم تدخل القوات البرتغالية المنطقة مرة أخرى إلا في سنة ١٨٩٠، كما لم تتم تهديتها إلا بعد سنة ١٩١٩.

ثانيا : الحركات الوطنية في القرن العشرين :

أعلن البرتغاليون في سنة ١٩١٩ أن السيادة البرتغالية في أنجولا أصبحت كاملة، وساد الهدوء جميع المستعمرة . وبدأت في سنة ١٩٢٢ إدارة فعالة بها . وفي الواقع لم تكن الفترة السابقة انتصارات عسكرية برتغالية متواصلة ، ولم تتوقف الثورة الأنجولية المسلحة في ذلك الوقت إلا لاتفاق الدول الأوربية على حظر تصدير الأسلحة إلى أفريقيا . وكانت الأعمال البرتغالية في أنجولا تقابل بمقاومة عنيفة من الأنجوليين رغم محاولة البرتغاليين القضاء على تلك المقاومة بكل قسوة وعنف ، ولم يحترموا العادات القبلية المتوارثة ، وأوجدوا نظاماً قديماً مختلفاً عن النظام الموجود بين القبائل . وعلى الرغم من الاحتلال البرتغالي الفعال فقد حدثت في أنجولا ثورتان كبيرتان في سنتي ١٩٢٢ . ١٩٣٩ . وعدد قليل من المناوشات قليلة الأهمية (٢) .

ظهر رد الفعل الوطني للاحتلال البرتغالي من الناحية السياسية بعد التهدة في صورة إصدار الصحف الوطنية التي تداولها عدد قليل من الأنجوليين وهم الفئة المتعلمة التي تقيم في المدن الأنجولية . وعلى الرغم من قلة عدد هؤلاء إلا أن الحكومة الاستعمارية بادرت باغلاق إدارات تلك الصحف . ومصادرة المطبوع منها ، ونفى المسؤولين عن إدارتها إلى خارج البلاد خوفاً من تأثيرها الضار على الاستعمار البرتغالي . وتمثل رد الفعل الثاني في تكوين المنظمات السياسية لتبصير الوطنيين الأنجوليين بحقوقهم السياسية . وكشف مساوئ الاستعمار البرتغالي . وكانت منظمة العصبة الإفريقية Liga Africana التي تكونت في لشبونة ودعت في سنة ١٩٢٣ إلى عقد المؤتمر الإفريقي الثالث تحت رعايتها أولى تلك المنظمات . وقد وصف التقرير النهائي للمؤتمر العصبة الإفريقية بأنها « اتحاد حقيقى لجميع الهيئات الوطنية المنتشرة

Imprensa Nacional : Op. Cit., pp. 84-85.

(١)

Pinheiro, P.M.C. : Politics of A Revolt (Angola), P. 105

(٢)

في خمس مقاطعات من أفريقية البرتغالية ، وتمثل ملايين عديدة من الأفراد .. وعلى الرغم من وجودها في قلب البرتغال أن لها لجنة تتكلم باسمها تمثل جميع المنظمات الوطنية، وتعرف العصبة كيف تعبر للحكومة البرتغالية بوضوح وبدون امتنان عن الطرق التي يجب اتباعها لإلغاء القوانين الجائرة : ونشر العدل في المقاطعات ، وعلى هذا كانت العصبة الإفريقية في لشبونة هي الموجه لحركة إفريقية البرتغالية ، وسياستها استخدام الكلمة الحسنة . وعدم اللجوء إلى العنف . وعدم تخطي الحدود الدستورية (١) .

وبتولى الدكتور سالازار الحكم في البرتغال ووضع أسس استعمارية جديدة كانت الظروف السائدة في المستعمرات البرتغالية قد جعلت الوطنيين على استعداد لمقاومة الاستعمار البرتغالي ، ولم يتوان الوطنيون في مقاومة ذلك النظام. وتكونت في سنة ١٩٢٩ العصبة الوطنية الإفريقية LNA (٢) ، وكان مقرها مدينة لواندا ، واشترك في تأسيسها عدد من المنظمات القانونية في المستعمرة . وتأسس في نفس العام النادي الإفريقي Grémio Africano الذي أطلق عليه فيما بعد اسم الجمعية الإقليمية لشعب أنجولا ANANGOALA (٣) وعلى هذا فقد وجد الشعور القومي الأنجولي متنفسا له للاحتجاج على التصرفات البرتغالية في العشر سنوات التالية . وما لبثت الخلافات أن ظهرت في آراء الأنجوليين المشتركين في العصبة الوطنية الإفريقية في العقد الرابع من القرن العشرين ، ومنذ ذلك الوقت حصرت العصبة نشاطها في المطالبة بالإصلاح ، وتصحيح الظلم الواقع على الأنجوليين باشرائهم المباشر في الحكم . ولما كانت العصبة تضم العناصر الأنجولية المولدة فقط فقد ظهرت أصوات تطالب باشرائك الوطنيين فيها مثل المولدين . وقد ردت الإدارة الاستعمارية على تلك الآراء والمطالب باستخدام التهديد والضغط من جميع الأنواع ، وادخال عناصر عميلة لها في العصبة ، ثم عينت في النهاية لجنة إدارية للعصبة بدلا من نظام الانتخاب الذي كان معمولاً به (٤) .

Pinheiro, P.M.C. : Ibid, pp. 106-107.

Liga Nacional Africana.

Associacas Regional dos Naturais de Angola.

Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 107.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

كون الأنجوليون منظمة قانونية أخرى هي الجمعية الإفريقية لكل أنجولا (A.A.S.A.) (١) التي أسسها عمال السكك الحديدية في لشبونة الحديدية ، ولم تلبث الإدارة أن تدخلت في برنامج كفاحها وتوجهها حتى أصبحت عديمة الجدوى لاستطيع التأثير في مجرى الأمور السياسية في أنجولا (٢) .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية انتشر الوعي السياسي بين الإفريقيين الأنجوليين ، وأدى التجاء الإدارة إلى تنفيذ سياسة العمل الإجباري والاستغلال التجاري والتجريد من الحقوق المدنية إلى زيادة استياء الشعب الأنجولي وخاصة منذ تولى سالازار حكم البرتغال ، وفرض الرقابة الشديدة على المستعمرات في العقد الخامس من القرن العشرين . وبدأت المطبوعات الأجنبية وخاصة البرازيلية التي تنادى بمحاربة الفاشية ، والقتال لتحرير البلاد المستعمرة في الوصول إلى أنجولا ، وفي نفس الوقت بدأت أخبار الحركات الاستقلالية في البلاد الإفريقية الخاضعة للاستعمار في التدفق على أنجولا . وكان هذين العاملين أثرهما على الموقف في أنجولا . وأصبح الشباب الأنجولي مشتاقا للإصلاح الإجتماعي والسياسي . وبدأ الأنجوليون في الكلام عن ضرورة القضاء على الحواجز اللونية الموجودة بين الوطنيين والمولدين . وطالبوا بتكوين كتلة إفريقية للعمل على استقلال أنجولا (٣) .

وكان حزب الاتحاد النضالي لأفريقي أنجولا (PLUA) (٤) هو أول حزب سياسي ثوري تأسس كهيئة غير شرعية في أنجولا . وقد أصدر ذلك الحزب اعلانا طالب فيه الإفريقيين الأنجوليين بالانضمام إلى المجموعات السرية والاتحاد في حركة عريضة لتحرير المستعمرة من الحكم البرتغالي . وقد التقى زعماء حزب الاتحاد النضالي في ديسمبر سنة ١٩٥٦ مع غيرهم من المنظمات الأنجولية في مدينة لواندا لتوحيد نشاطهم . و انتهى ذلك الاجتماع بتكوين هيئة جديدة هي الحركة الشعبية لتحرير أنجولا MPLA (٥) . وتمثل المنظمة الحديدية تكتلا سياسيا جديداً يعمل من داخل أنجولا . وكان مؤسسوها من الإفريقيين الذين لم يتركوا أنجولا .

Associações African do Sul de Angola.

Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 107.

Pinheiro, P.M.C. : Ibid. pp. 107-108.

Unida dos Africanos.

Movimento Popular de Libertação de Angola.

Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 108.

(١)

(٢)

(٣)

(٤)

(٥)

(٦)

وفي خارج أنجولا تكونت في سنة ١٩٥٤ منظمة أطلق عليها اسم اتحاد شعب شمال أنجولا UPNA (١) ، وأعيد تسميتها في سنة ١٩٥٨ باسم اتحاد شعب أنجولا UPA (٢) وتأسست تلك المنظمة في الكونغو البلجيكي (زائيرى) ، وتعكس طموح الوطنيين الأنجوليين ورغبتهم في الاستقلال عن البرتغال ، ونشرت آراءها بين أكثر من نصف مليون من العمال الأنجوليين المهاجرين الذين ذهبوا إلى الكونغو بحثا عن العمل والأجور المرتفعة . وقد أعلنت إدارة تلك المنظمة أن عدد أعضائها المسجلين بلغ أربعين ألف شخص ، وكان لها صحيفة نصف شهرية تحمل اسم الشعب الانجولى بدأت في الصدور في سبتمبر سنة ١٩٦٠ بأربع لغات هي الفرنسية والبرتغالية ولغتان أفريقيتان . وتوجد إدارة المنظمة في ليوبولد فيل ولها فرع في نيويورك أنشئ بمساعدة الجمهورية التونسية . وقد نشرت المنظمة برنامجها في سنة ١٩٦٠ ذلك البرنامج الذى أدانت فيه الظلم والتمييز العنصرى في أنجولا وسياسة الاستعباد والرجعية الحضارية ، وأحتجت على إرسال القوات البرتغالية إلى أنجولا ، واستخدم قنابل النابالم بواسطة القوات الجوية البرتغالية ، وطرده السكان الوطنيين من بيوتهم وإعدامهم . وقد ذكر البرنامج أن أهداف المنظمة « إزالة الفوارق بين السكان الوطنيين والبرتغاليين ، وتكوين شعب واحد » وأرجعت اشتداد المقاومة الوطنية يوما بعد يوم إلى « التمييز العنصرى وعدم المساواة في الحقوق الأساسية ، والضغط الشديد الذى ليس له سوابق في التاريخ الاستعمارى وأن الحوادث الحارية في أنجولا ماهى إلا ثورة آخذة في النمو لتحرير أنجولا واستقلالها (٣) .

وللأهمية الكبرى للدور العسكرى الذى قامت به منظمة اتحاد شعب أنجولا في الصراع التحررى القائم في أنجولا أعلن سالازار وأيده في ذلك بعض المراقبين الأجانب أن المنظمة تعمل بتوجيه من خارج المستعمرة ، وتحت رعاية أجنبى يحتمل أنهم من البلاد الشيوعية . وقد أظهرت المنظمة منذ تأسيسها الصفة الوطنية للحركة الأنجولية . وكان أول نشاط لها انشاء بعض المدارس السرية لتعليم الأميين

União das Populações das Norte de Angola.

(١)

União das Populações de Angola.

(٢)

Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. pp. 115, 116, Panikkar K.M. : Angola, p. 69. Duffy, J. Portuguese Africa, p. 218.

(٣)

القراءة والكتابة . واستغلت المنظمة الهياج المستمر في أنجولا وقامت بالدعاية لتحرير البلاد من الاستعمار البرتغالي ، وأصدرت المنشورات معلنة عن سياستها الوطنية . وبمضى الوقت ازدادت هبة المنظمة ، وانعكست آراؤها على جمعية العصبة الوطنية الإفريقية المصرح بقيامها قانونا وعلى الجمعية الإقليمية لشعب أنجولا . وأدى نشاط المنظمة إلى إنتشار السخط وعدم الرضا بين الإفريقيين الأنجوليين إلى أقصى مداه (١) .

أما حزب الاستقلال الوطني لأنجولا MINA (٢) الذي تكون في سنة ١٩٥٨ فقد اندمج مع حزب الحركة الشعبية لتحرير أنجولا . وتكون حزبان آخران مهمان هما اتحاد عمال الصناعات السود في أنجولا UTONA (٣) وله مركز إدارة سرى خارج أنجولا ، واتحاد الصناعات الأنجولية UNTA (٤) الذي كان مركز إدارته في ليوبولدفيل (زائري) وينتسب إلى مؤتمر الهيئات الوطنية للمستعمرات البرتغالية ، وكلا الحزبين لا يتمتع بالصفة القانونية وكان هناك حزب وطني آخر مقره ليوبولدفيل هو تحالف شعب زمبو ALIazo (٥) . وقد تكون ذلك الحزب من أفراد شعب زمبو الذين هاجروا إلى الكنفو . وقد أعلن ذلك الحزب أنه يعتمد على تأييد حوالي ثلثي مليون نسمة من الأنجوليين الذين يقيمون بين أويجا Uige وحدود الكنفو، وزار أندرا ماساكي A. Massaki زعيم الحزب ومساعدته أنطوين ماتومونا A. Matumona أوربا وحاولا اقناع الحكومات الغربية بتغيير سياستها تجاه حكومة سالازار (٦) .

بدأت خطورة الأحزاب الوطنية الأنجولية في الظهور فتحركت الإدارة البرتغالية في ٢٩ مارس سنة ١٩٥٩ وألقت القبض على المئات من الإفريقيين بما في ذلك بعض قادة حزب الحركة الشعبية لتحرير أنجولا ، وألقت بهم في السجون . واضطر كثير من زعماء الحزب إلى الفرار من البلاد لتجنب القبض عليهم وشل

Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit, p; 108.

(١)

Movimento Para a Independencia Nacional de Angola.

(٢)

União Trabalhadores e Operarios Negro de Angola.

(٣)

União dos Trabalhadores Angolanos.

(٤)

Zombo Peoples Alliance.

(٥)

Pinheiro, P.M.C. Op. Cit. p. 109.

(٦)

حركة الحزب ولممارسة نشاطهم السياسى فى المنفى . واستقرت قيادة الحزب فى كوناكرى عاصمة جمهورية غينيا . وقد ترتب على بعد مركز إدارة الحزب عن مسرح العمليات الحربية فى أنجولا ، وعدم تنسيق نشاطه مع نشاط منظمة اتحاد شعب أنجولا إلى سوء فهم دور الحركة الشعبية فى معركة التحرير . وتم نقل مركز إدارة الحزب إلى ليوبولد فيل رسمياً فى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٦١ . وأعلن ماريو أندراى زعيم الحزب الأسباب التى أدت إلى الانتقال إلى ليوبولد فيل ، والنقط الأساسية لسياسة الحركة ، وذكر أنها تركز فى بذل الجهود لتوحيد العمل بين جميع القوى الوطنية الانجولية . وأبدى استعداد الحزب لتقديم كل التسهيلات اللازمة لتكوين جبهة موحدة لتحرير أنجولا ، ودعا جميع زعماء المنظمات الانجولية إلى اجتماع لرسم سياسة ثابتة للعمل على زيادة سرعة حركة التحرير فى أنجولا . وأوضح أندراى أن سياسة الحركة قائمة على أساس الحياد الإيجابى . وتهدف إلى كسب عطف وتأييد جميع قطاعات العالم لمعركة استقلال أنجولا ، كما أعلن مسئولية الحركة عن عمليات فبراير سنة ١٩٦١ التى كانت الشرارة الأولى التى شجعت شعب شمال أنجولا على الثورة فى الشهر التالى . وبين أن نشاط الفدائين يهدف أساساً إلى شل الاقتصاد الاستعمارى فى أنجولا ، واخلال الجهاز الإدارى والمقاومة العسكرية للعدو (١) .

استطاعت الحركة الشعبية تنفيذ أغراضها . ووصل نشاطها إلى جميع مناطق أنجولا ولما كانت القوات البرتغالية مجهزة بأحسن وأحدث الأسلحة ، وعلى درجة كبيرة من القوة فقد عملت المنظمة على إخلاء جميع المناطق التى يحتلها الجيش البرتغالى ونقل سكانها المدنيين إلى الأحرار . وتعاون السكان الوطنيون مع جيش الحركة الشعبية تعاوناً كاملاً ، واشتركوا فى تدمير الجسور ، وتصفية عملاء الاستعمار ، ونقل الغذاء والذخيرة للوحدات الوطنية المقاتلة ، والقيام بعمليات الاستطلاع ، وتدمير مزارع المستوطنين البرتغاليين والمحافظة على صحة الوطنيين ، كما ساعدت كتيبة الانقاذ التى كانت تحت إشراف مؤتمر المنظمات الوطنية فى المستعمرات البرتغالية والتى كان للحركة الشعبية فضل السبق فى إنشائها عدداً كبيراً

من اللاجئين في الكونغو بلغ عددهم ١٦٠٠٠ لاجيء . وقد ذكر أندرادى أن الضعف في تنظيم المعركة التحررية في أنجولا يمكن التغلب عليه بتوحيد جميع التنظيمات السياسية . وبدأت تلك الوحدة في الظهور والنمو بين الشبان الوطنيين بغض النظر عن اعتقادهم السياسي (١) .

وقد اتهمت حكومة الإدارة الاستعمارية المقبوض عليهم من الوطنيين الأنجوليين بالعمل ضد الأمن الخارجى والداخلى للدولة ووحدة الشعب ، وحدثت ثلاث محاكمات بلغ عدد المتهمين فيها سبعة وخمسين شخصاً وحدثت أول محاكمة لخمسة وعشرين أنجوليا بينهم زنجيان من كوبا وفود واحد من الولايات المتحدة الأمريكية وحوكم في المحاكمة الثانية أربعون فردا منهم سبعة برتغاليين وأحد رجال البحر الملونين من رعايا الولايات المتحدة الأمريكية . وكان جميع المتهمين غائبين باستثناء البرتغاليين . وقبضت السلطات البرتغالية في الفترة الواقعة بين شهرى مارس وأغسطس سنة ١٩٥٩ على أكثر من مائتى شخص ، وتبع ذلك محاكمة خمسة وعشرين فرداً . وتعتبر محاكمة هؤلاء السبب المباشر للثورة الأنجولية فقد كان بن المقبوض عليهم الأب يواقيم دى أندرادى Joaquim de Andrade والد كتورنيتو Neto الشاعر الأنجولى المشهور وهو أحد زعماء الحركة الشعبية . وعندما احتج الأنجوليين على المعاملة الوحشية التى تعرض لها نيتوقضت قوات المخابرات الدولية البرتغالية PIDE (٢) على المظاهرة السلمية بكل قسوة . وقتلت الكثير من الأنجوليين الذين اشتركوا فيها (٣) . وبعد فترة قصيرة بدأ البرتغاليون في تعزيز قواتهم العسكرية في أنجولا وأعلنت الحكومة البرتغالية رسميا وجود حركة مقاومة سياسية في أنجولا . وطلب سالازار في شهر مايو من الدول الأوربية الانضمام إلى البرتغال للقيام بعمل موحد ضد ما أطلق عليه اشتعال اللهب من الخارج . وإذا كان الحزبان الوطنيان الرئيسيان في أنجولا وهما حزب الحركة الشعبية لتحرير أنجولا وحزب اتحاد شعب أنجولا قد أخفيا في أول الأمر أنهما سيطلبان عطف وتأييد شعوب القارة الأفريقية ضد الحركة الاستعمارية البرتغالية إلا أنهما بعد طلب سالازار تدخل الدول الأوربية

Pinheiro, P.M.C. : Ibid, p. 114.

Polícia Internacional de Defesa do Estado.

Panikkar, K.M. : Op. Cit. pp. 68-69, Duffy, J. Op. Cit. p. 213.

(١)

(٢)

(٣)

حضرُوا المؤتمرات الإفريقية الدولية . وطلبوا مساعدة الدول الإفريقية المستقلة
لحركة التحرير في أنجولا (١) .

أعلن أندرادى النقطة الأساسية في برنامج الحركة الشعبية وهي حق تقرير
المصير لشعب أنجولا . وإصدار عفو عام عن جميع المسجونين السياسيين ، وحق
الشعب القانوني في تكوين الأحزاب السياسية . وتقديم الضمانات الكاملة لممارسة تلك
الأحزاب لنشاطها السياسي . وإطلاق الحرية للسكان المدنيين . وسحب القوات
المسلحة والقواعد العسكرية البرتغالية من أنجولا ، وعقد مؤتمر مائدة مستديرة
بين ممثلي جميع الأحزاب السياسية في أنجولا والحكومة البرتغالية للوصول إلى حل
سلمي لنظام الإدارة الاستعمارية في أنجولا لمصلحة الطرفين . وترتب على إهمال
سالازار لمطالب الحركة الشعبية تنفيذ تهديدها وحدث النزاع المسلح في أنجولا .
ومع هذا لم تتحول الحركة الشعبية عن برنامجها لتفضيل زعمائها تحرير أنجولا بالطرق
السلمية . وقد عبر أندرادى عن ذلك الرأي في خطاب ألقاه في ٣٠ أكتوبر سنة
١٩٦٠ في مدينة ليوبولدفيل . وأكد أن الحركة تنوى الاستمرار في المعركة
المسلحة ، وأنه لا محل لبحث موضوع الدخول في محادثات مع الحكومة البرتغالية
« مادامت حكومة سالازار الفاشية عدوة الحريات الأساسية وحق تقرير المصير
تتولى السلطة » . وأعلن أن مقاتلي أنجولا « وضعوا نظام سالازار في الطريق المؤدى
إلى القبر » (٢) .

ولتوحيد نشاط الأحزاب الوطنية الأنجولية في داخل أنجولا وخارجها عقد
في مايو سنة ١٩٦٠ مؤتمر حضره زعماء الحركة الشعبية لتحرير أنجولا المنفيون
ومندوبون عن الأحزاب الوطنية الموجودة وفي داخل أنجولا . وفي ذلك الاجتماع
أعلن مندوبو الأحزاب الموجودة في داخل أنجولا عن رغبة أحزابهم في القيام بعمل
فوري ضد البرتغاليين ، وعارض الزعماء المنفيون ذلك الاتجاه وطالبوا بعدم
اتخاذهم إلا بعد استكشاف الطريق ، ومحاولة الوصول إلى حل سلمي ، وتوحيد
جميع الأحزاب والهيئات الوطنية قبل اللجوء إلى استخدام القوة . ووجه المجتمعون

Panikkar, K.M. : Op. Cit. p. 68, Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. pp. 109, 110. (١)

De Figueirido, A. : Angola, p. 56, Duffy, J. Op. Cit., pp. 219-220. (٢)

نداء إلى جميع المنظمات الوطنية لتكوين جبهة التحرير الأنجولية Angolan Liberation Front وتنفيذا لتلك القرارات وجهت الحركة الشعبية في ١٣ مايو نداء إلى الحكومة البرتغالية طلبت فيه حل مشكلة أنجولا بالطرق السلمية . وكان رد الإدارة البرتغالية على ذلك النداء اتخاذ اجراءات عسكرية شديدة والقبض على الوطنيين بطريقة جماعية في كل من لواندا ولوبيتو ومالانجي ودالاتاند . وجلب تعزيرات عسكرية برية وجوية ووضعها على حدود المقاطعات (١) .

أصبح الموقف شديد التوتر في شهر مايو سنة ١٩٦٠ ، وبدأت القوات البرتغالية هجمات إرهابية على الأحياء الوطنية في لواندا فهاجمت السكان وأشعلت النار في مساكنهم وعذبت النساء والأطفال . ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل ارتكبوا في شهر نوفمبر عملا وحشيا آخر إذ هاجموا اثنين وعشرين وطنيا من كابندا وأطلقوا عليهم النار في فناء سجن لواندا . وبازدياد أعمال الإرهاب البرتغالية طالبت الحركة الشعبية في ١٣ سبتمبر سنة ١٩٦٠ أعضاء هيئة الأمم المتحدة بمناقشة الموقف في أنجولا . والضغط على الحكومة البرتغالية لوقف عمليات الإرهاب والقمع التي تقوم بها القوات البرتغالية في أنجولا . وأصدرت الهيئة نداء آخر في شهر نوفمبر طلبت فيه من السكان الأنجوليين توحيد جميع الأحزاب والهيئات الوطنية ولأفراد لمواجهة الإرهاب البرتغالي . وتبع ذلك النداء مؤتمر صحفي في ديسمبر حضره مندوبوا الهيئات الوطنية في المستعمرات البرتغالية حذرت فيه الهيئة من إهمال الحكومة البرتغالية لمطالب الشعب الأنجولي . وأن ذلك العمل من جانب الحكومة البرتغالية سيؤدي إلى إغلاق جميع الأبواب في وجه المحاولات السلمية ، ويترك الباب مفتوحا أمام العمل المسلح للقضاء على الاستعمار البرتغالي . ونفذت الحركة الشعبية تهديدها في ٤ فبراير سنة ١٩٦١ ، وهاجم الوطنيون من مؤيدي الحركة الشعبية السجون ومحطة الاذاعة وأحد المعسكرات البرتغالية . واستمرت المعارك ثلاثة أيام وقتل البرتغاليون ثلاثة آلاف أنجولي في يوم ٥ فبراير . ومنذ ذلك التاريخ بدأت الاشتباكات المسلحة تأخذ مكانها في جميع أنحاء أنجولا ، ثم انتقلت في مارس من نفس العام إلى منطقة الكنفو في الجزء الشمالي من مستعمرة أنجولا (٢) .

Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 110.

(١)

Pinheiro, P.M.C. : Ibid. pp. 110-111.

(٢)

كان زعماء الحركة الشعبية من البداية على اتصال بالحركة الوطنية في غينيا البرتغالية الممثلة في حزب الاستقلال الإفريقي PAI^(١) ، واتفق زعماء الحزبين على تكوين منظمة الحركة المعادية للاستعمار MAC^(٢) التي تكونت من الإفريقيين المنفيين من المستعمرات البرتغالية . وكان للمنظمة الجديدة أهداف واضحة هي : دراسة حاجات التنظيمات الوطنية في المستعمرات البرتغالية . والعمل على وحدة العمل الثوري بين الحركات التحررية في المستعمرات البرتغالية ، وتدريب أنفسهم كاحتياطي للمعركة الدائرة داخل بلادهم . وقد تكلم ممثلو المنظمة في مؤتمر أقطاب إفريقية الذي انعقد بالدار البيضاء في المدة من ٤ إلى ٧ يناير سنة ١٩٦١ ، وأوضحوا للرأى العام العالمى ما يدور في المستعمرات البرتغالية . وقد تحولت تلك المنظمة إلى منظمة جديدة هي الجبهة الثورية للتحرير الوطنى FRAIN^(٣) . وأصبحت عضويتها مباحة لكل التنظيمات الموجودة في المستعمرات البرتغالية المشتركة في النضال للقضاء على الاستعمار البرتغالى^(٤) .

وقد تقابل مندوبو أنجولا وغينيا وجوا في لندن في ديسمبر سنة ١٩٦٠ ، ودعوا إلى عقد مؤتمر للمنظمات الوطنية في المستعمرات البرتغالية لتكوين لجنة اتصال دائمة . وانهقد ذلك المؤتمر في الدار البيضاء في المدة من ١٨ - ٢٠ أبريل سنة ١٩٦١ ، ونتج عنه تأسيس مؤتمر المنظمات الوطنية في المستعمرات البرتغالية CONCP^(٥) الذى حل محل الجبهة الثورية للتحرير الوطنى . وقد حضر ذلك المؤتمر أربعة عشر مندوبا عن عشر منظمات تمثل المستعمرات البرتغالية باستثناء مستعمرتى مكاو وتيمور . وانتخب أعضاء المؤتمر ماريو دى أندراى رئيسا له ، وأنشئت سكرتارية دائمة ، وعين مارسيلينو دوس سانتوس مندوب موزمبيق سكرتيرا عامة لها . وقد طالب المؤتمر زعماء الدول الافريقية والآسيوية ببذل

Partido Africano de Independência.

(١)

Moviments Anticolonialista.

(٢)

Frente Revolucionaria Africana Para a Independência.

(٣)

Panikkar, K.M. : Op. Cit. pp. 70-71, Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. p. 111.

(٤)

Conference of Nationalist Organisations of the Portuguese Colonies.

(٥)

كل جهودهم لإنهاء الحرب في أنجولا ، وأعلن المؤتمر أن نشاطه سوف يسير على نفس الأسس التي أعلنتها المؤتمرات الأفرو آسيوية المختلفة التي انعقدت بعد مؤتمر باندونج. وتضمنت قرارات المؤتمر ثلاث نقاط مهمة هي ؛ النضال لإنهاء الإستعمار البرتغالي بصفة كاملة والقضاء على جميع أنواع الضغط ، والعمل على توحيد وتجميع جميع المنظمات الوطنية في المستعمرات البرتغالية ، والعمل لضمان التأييد الدولي لحركة النضال من أجل الاستقلال (١) .

اجتمع مؤتمر المنظمات الوطنية في المستعمرات الإفريقية في مدينة دلهي في أكتوبر من نفس العام ، وأصدر تقريراً عما تم إنجازه في الأشهر الست السابقة : وذكر ذلك التقرير الجهود المادية والدبلوماسية والمساعدات الأدبية الكثيرة التي أمكن الحصول عليها استجابة لمؤتمر الدار البيضاء من ذلك : تحريم غانا رسو السفن البرتغالية بموانئها ونزول الطائرات البرتغالية بمطاراتها . وسحب أندونيسيا لسفيريها من لشبونة . وقطع السنغال لعلاقتها الدبلوماسية مع البرتغال . وتحرير داهومي لقلعة ساوجاو بايتسادى أجودا البرتغالية . وبذل الجهود لإنشاء جبهة متحدة في أنجولا من حزبي الحركة الشعبية واتحاد شعب أنجولا . وتكوين كتبية من المتطوعين لمساعدة اللاجئين الأنجوليين والإشراف على آلاف اللاجئين إلى الكونغو . وأنهى المؤتمر تقريره بمطالبة الدول تقديم المساعدات للمحاربين الأنجوليين من الإمدادات الطبية والضغط المباشر على الحكومة البرتغالية لحل الأزمة الأنجولية ، وتحريم امداد البرتغال بالأسلحة ، وتوقيع العقوبات بواسطة هيئة الأمم المتحدة على البرتغال (٢).

بدء ثورة التحرير :

تعتبر سنة ١٩٥٥ نقطة تحول في تاريخ العلاقات بين الإدارة الاستعمارية في أنجولا وبين شعب الباكونجو ، ففي أبريل من تلك السنة توفي ملك الكونغو ، وبعد عدة شهور انتخب الشعب ملكاً له حسب التقاليد القبلية ، ولكن الإدارة الاستعمارية لم توافق على الشخص المنتخب ، وفرضت على شعب الباكونجو ملكاً اختارته . واعتبر شعب الباكونجو هذا العمل من جانب الإدارة الاستعمارية تحدياً واحتقاراً

Pinheiro, P.M.C. : Op. Cit. pp. 111-112.

(١)

Pinheiro, P.M.C. : ibid, p.p. 112-113.

(٢)

لنظمهم القبلية المتوارثة ، ولم تمض شهور قليلة حتى قبض البرتغاليون على كثير من قادتهم في ساو سلفادور مما أدى إلى إنتشار الغضب ، وتزايد الشعور بعدم الرضا ، وتغيرت نظـرة الشعب كلية في أبريل سنة ١٩٥٦ . وبقيام الحرب العالمية الثانية أشتركت المستعمرات البريطانية والفرنسية والبلجيكية فيها ، وخاضت شعوبها المعارك ضد النازية والفاشية ، واطلعت على التقدم الحضارى في البلاد التي وصلوا إليها ، وترتب على ذلك حدوث تحول سياسى بين سكان تلك المستعمرات وظهرت الافكار الجديدة التي تطالب بحق تقرير المصير ، والقضاء على الاستعمار . وبدأت تلك الشعوب تحصل على استقلالها واحدة إثر أخرى ، فحصلت غانا على استقلالها في سنة ١٩٥٧ ، وانتقلت منها فكرة الاستقلال إلى المستعمرات الفرنسية في أفريقية في سنة ١٩٥٨ . وأعلن ليوبولد ملك بلجيكا في يناير سنة ١٩٥٩ عزم بلجيكا على منح الكونغوا استقلاله ، وتم ذلك في يونيو سنة ١٩٦٠ . وباستقلال الكونغو البلجيكي يكون القسم الثانى من شعب الباكونجو قد حصل على استقلاله بينما بقى الجزء الآخر المقيم في أنجولا البالغ عدده نصف مليون نسمة يرزح تحت نير الاستعمار البلجيكي وترتب على ذلك الوضع هياج شعب الباكونجو الذى لم ينس تدخل البرتغاليين في عملية انتخاب ملكه ، وفرضهم ملكاً آخر لا يرضونه وكان شعب الباكونجو شعباً ريفياً لا توجد ببلاده مدن كبيرة أو صناعات وكان أكثر ما يطمع فيه هو عبور الحدود بحثاً عن الثروة بالعمل في التجارة والصناعة في الكونغو البلجيكي (زائيرى) حيث يوجد زعماءه المنفيون ، ولهذا فقد تكونت منظمة إتحاد شعب أنجولا UPA في الكونغو البلجيكي (١) .

وإلى الجنوب من شعب الباكونجو يوجد شعب كيمبوند والذى اجتذبه الحياة في لواندا ومالانجي وندندو وغيرها من المدن حيث توجد فرص كثيرة للعمل في الإدارات الحكومية والمصانع لمواجهة أعباء الحياة ورفع مستوى المعيشة . وفي تلك المدن التحق الأنجوليون بالمدارس الخاصة والمدارس التابعة للبعثات التبشيرية من المرحلة الابتدائية إلى المرحلة الثانوية . ورأى هؤلاء الوطنيون ميلاد منظمة الحركة الشعبية لتحرير أنجولا MPLA ، وشاهدوا عملية القبض على زعمائها

ولإساءة معاملتهم والحكم عليهم بالسجن مددا طويلة مما أدى إلى التفكير في تخليص هؤلاء الزعماء من النفي أو الموت خاصة وأن الإدارة البرتغالية كانت تعتمد إلى إلقاء المسجونين السياسيين من الطائرات في البحر لقتلهم . وتحول الإفريقيون الأنجوليون من مرحلة التفكير إلى مرحلة التنفيذ . وقاموا بحركة عصيان غير مسلح في ٤ فبراير سنة ١٩٦١ لتخليص المسجونين السياسيين في لواندا . واتخذت الإدارة الاستعمارية من ذلك الحادث ذريعة لزيادة قواتها المسلحة . ونشر الإرهاب بين الإفريقيين الذين أصبحوا في حالة خوف متزايد . وكان يكمن وراء ذلك الانفجار ذكرى السنوات الطويلة من الاستغلال والمعاملة السيئة التي تعرض لها الشعب الأنجولي ، وتدفق المهاجرين البرتغاليين على أنجولا مما زاد خوف الوطنيين من استمرار السيادة البرتغالية في أنجولا (١) .

بدأت العمليات العسكرية الوطنية في ١٥ مارس سنة ١٩٦١ في مزرعة من مزارع البن أسمها بريما فيرا في شمال أنجولا وانتشرت منها إلى جميع أنحاء مقاطعة الكونغو ، ثم انتقلت إلى مقاطعات مالانجي ولواندا ولشبونة الجديدة وغيرها من المدن الواقعة على خط سكة حديد بنجويلا - البرايت فيل . وكانت العمليات العسكرية مبنية بصفة أساسية على مهاجمة المزارع المنزلة التي يملكها المستوطنون البرتغاليون والمستوطنات تجارية والمراكز الحكومية . وقطع المواصلات بتدمير الجسور والمعديات وسد الطرق بنجوع الأشجار وحفر الخنادق . وكان رد البرتغاليين على تلك الأعمال سحب المواطنين البرتغاليين من المراكز الرئيسية ، وأجلاء النساء والأطفال إلى لواندا أو المدن المحصنة مثل ماكويلا وكارمونا وساو سلفادو - وأمبريزيتا ، وسمحت للمستوطنين البرتغاليين بتكوين فرق حراسة مسلحة . ولما كان هؤلاء المستوطنون يعرفون الطرق الموجودة بالمستعمرة ولهم منازل ومصالح بالمستعمرة فقد كانوا النواة الأولى للمقاومة الأوربية للحركة الوطنية . وقد انحصر وجود القوات الوطنية الفدائية في مبدأ الأمر في شريط من الأرض يمتد ستين ميلا على حدود الكونغو فيما بين لوفو وكيمانجو ، ويشمل بمبي وكامبا الجديدة ومو كابا ونامبو أنجونجو وجبال منطقة دمبو . وكان هدف

Parsons, C. : Ibid p. 65, Duffy, J. : Portugal in Africa, pp. 214-215.

(١)

الوطنيين من الهجوم على المستوطنات الواقعة على الحدود هو طرد الاوريين من مناطق الأحرش والغابات حتى تستطيع القوات الوطنية التحرك بحرية وتنظيف مناطق الجناحين قبل الهجوم على المراكز البرتغالية والطرق . ولما كانت المنطقة الساحلية لا تقدم الغطاء الكافي للحركات الفدائية فقد بقيت تلك المنطقة غير متأثرة بالحركة الثورية في بداية الأمر . وفي الوقت الذي اتحد فيه الأوريون لمواجهة الخطر الوطني الثوري كان شعب أنجولا غير متحد في آرائه . وكان شعب زمبو غير مقتنع باللجوء إلى العمل العسكري ويأمل في بدء المحادثات بين الوطنيين والبرتغاليين بمساعدة هيئة الأمم المتحدة . والحصول على الحرية بدون استخدام العنف (١) .

تعرض كثير من المستوطنين البرتغاليين للموت في الهجوم الأول للثوار . واستغلت الإدارة البرتغالية ذلك وعمدت إلى نشر الأكاذيب عن عدد القتلى والفظائع التي ارتكبتها الوطنيون ضدهم وتمثيلهم بحث القتلى واتخذت الإدارة البرتغالية من ذلك العمل فرصة للانتقام من الوطنيين بحجة قتلهم المستوطنين قبل إعطائهم الفرصة للدفاع عن أنفسهم . وقدر التقرير السنوي لشركة ماس أنجولا الصادر في ٣٠ يونيو سنة ١٩٦١ عدد القتلى بمائتي فرد . وهذا التقرير له أهمية كبيرة لصدوره بعد يوم ١٥ أبريل وهو اليوم الذي تم فيه إجلاء جميع النساء والأطفال الأوريين من المناطق المعرضة للهجوم من الثوار . ومن المحتمل أن عدد القتلى من النساء والأطفال الأوريين كان قليلاً جداً ، ولكن الإدارة البرتغالية عمدت إلى التهويل للحصول على عطف وتأييد الدول الأجنبية ، وأثارة حمية المستوطنين لمواجهة الثوار بكل قوة . ومن المحتمل حدوث أخطاء في العمل الثوري أثناء الهجوم على المستوطنات أدى إلى انسحاب المستوطنين من المستوطنات المجاورة التي لم يصل إليها الوطنيون بعد ، وتجمعهم للدفاع عن تلك الأماكن وخاصة بعد صدور التقارير والبيانات الحكومية المضللة (٢) .

وعلى الرغم من الشك في صحة الأنباء المتعلقة بالفظائع التي ارتكبتها الوطنيون إلا أنه يمكن تفسيرها أن كانت قد حدثت بالأسباب التالية :

(١) Duffy, J. : Ibid (Portugal..) pp. 215-216, Parsons, C.: Op. Cit. pp. 66-67, Panikkar, K.M. :. Op. Cit. p. 72.

Parsons, C. : Op. Cit. pp. 67-68.

(٢)

١ - شعور الوطنيين بالمرارة الشديدة من الفظائع التي أرتكبها البرتغاليون خلال سنوات عديدة واستخدام نظام العقاب الجسدى الجماعى ضد خدم المنازل الذين لا يحترمون أسيادهم ، وضد الرجال الذين لا يرفعون قبعاتهم احتراماً لرئيس المركز البرتغالى ، وضد العامل غير المتقن لعمله والزعيم المحلى الذى يعجز عن تقديم العدد المطلوب من العمال الوطنيين ، وكان البرتغاليون يضربون هؤلاء جميعاً بالسياط جزاء لهم على ما أرتكبوه فى حق المستوطنين البيض . وحتى النساء الإفريقيات لم يسلمن من سوء المعاملة من رجال الشرطة أثناء عملهن بالطريق العامة مما أدى إلى حدوث حالات إجهاض لبعضهن . ولم تسلم البنات من هتك أعراضهن بواسطة رجال الشرطة والموظفين الأوربيين ، وإهمال إنصافهن والاقتصاص من مرتكبي تلك الحوادث .

٢ - محاولة الأنجوليين التخلص من الخضوع الذى رزحوا تحته زمناً طويلاً ، والتخلص من المعاملة السيئة . والحصول على العدل والمساواة مع غيرهم من الأجناس والشعوب .

٣ - استخدام الأدوية والماء المقدس الذى قيل أنه يسلب الإفريقيين عقولهم ، وخداع مدعى السحر لهم .

٤ - وجود مجرمين بين مجموعات المقاتلين الوطنيين . وهذا لا يخلو منه أى تنظيم عسكري . وكانت القوات البرتغالية هى الأخرى تضم بينها عدداً من المجرمين وارتكبت العديد من الفظائع التى حاولت التقارير الرسمية البرتغالية إخفاءها عن الرأى العام البرتغالى والعالمى (١) .

لم تعد البرتغال فى نهاية مارس سنة ١٩٦١ تنكر قيام الثورة الأنجولية وخاصة بعد إنضمام ثلاث فرق من الجنود الوطنيين بأسلحتهم للشوار . وأعلن البرتغاليون أن جنودهم فى أنجولا بلغ عددهم عند قيام الثورة ٦٠٠٠ جندي إفريقي و ٢٠٠٠ جندي برتغالى ، ولكن صحيفة التايمز نشرت فى ٢٧ - ٥ - ١٩٦٠ تقريراً لمراسلها فى أنجولا ذكر فيه نبأ وصول ٢٠٠٠ جندي برتغالى إلى أنجولا فى سنة ١٩٥٩ وبذلك بلغ عدد القوات البرتغالية عشرين ألف جندي أغلبهم من الجنود الأنجوليين .

وتم تدعيم تلك القوات بعدد يتراوح بين ثلاثة آلاف من المستوطنين البيض الذين أدوا الخدمة العسكرية في أنجولا . واستخدمت القوات البرتغالية الأسلحة الحديثة والطائرات وقنابل النابالم والصواريخ ومدافع الماكينة في وقت استخدم فيه الأفريقيون السكاكين والبنادق العادية ، وما يحصلون عليه من أسلحة حديثة من البرتغاليين أنفسهم . وقد استخدم البرتغاليون أسلحتهم ضد اثوار والمدنيين من الرجال والنساء والأطفال غير المشتركين في الصراع دون تفرقة . وارتكب البرتغاليون فظائع لا يمكن إنكارها . واضطرت الإدارة الاستعمارية إلى اختلاق الأعذار الواهية لتعليل إرتكاب تلك الجرائم بعد أن كانت تصر على انكارها في مبدأ الأمر (١) .

لم تسلم المناطق التي لم تمتد إليها الثورة في مبدأ الأمر من ارتكاب البرتغاليين للفظائع ضد السكان المسلمين . وألقت السلطات البرتغالية القبض على السكان في مناطق كويوكولاو وبيجي الذين كانوا يجهلون مشروعات الثورة ولم يشتركوا فيها وتعرض السكان للضرب الوحشي وإطلاق الرصاص والقتل بالجملة . وحدث نفس الشيء في كارمونا حيث توجد الإرساليات الدينية البريطانية إذ أطلقت السلطات البرتغالية الرصاص على أحد الوطنيين تجراً واعترف لباترسون قسيس الإرسالية البريطانية بمعلومات عن عمليات القتل الوحشي التي إرتكبتها السلطات البرتغالية ، ولم يكتف البرتغاليون بذلك بل طردوا باترسون من المنطقة . ولم تسلم مدينة لواندا مقر الحكم البرتغالي من إرتكاب الأعمال الوحشية فقد عمد البرتغاليون بعد ثلاثة أسابيع من اندلاع الثورة إلى قتل الإفريقيين الأبرياء المقيمين في الضاحية المجاورة أثناء الليل . وكان القتال في ذلك الوقت يبعد مائة ميل عن لواندا . ولم يكتف البرتغاليون بذلك وإرتكبوا عمليات القتل علانية في الطرق أثناء النهار . وقد وجه البرتغاليون هجومهم مباشرة على الفئة الأنجولية المتعلمة دون غيرها بحجة أنها هي التي تحمل لواء الثورة وتعمل على نشرها في جميع أرجاء المستعمرة . وكانت الإدارة البرتغالية على علم تام بتلك الحوادث ولكنها أعلنت أنها غير مستعدة لحماية الإفريقيين خوفاً من تعرضها لعداء المجتمع الأبيض الذي استفزته الجرائم التي ارتكبتها الوطنيون.

وامتدت فظائع المستوطنين البرتغاليين إلى هضبة بنجويلا في الجنوب حيث توجد قبائل ييلوندو الموالية للإدارة البرتغالية . واعتقل البرتغاليون عددا كبيرا من قبائل ييلوندو مات منهم خمسة عشر رجلا في السجن ، ونقلوا الكثيرين منهم من بلادهم . وتكررت عملية القبض والإختفاء في ريدوندو الجديدة وموازيميدس (١) .

قام المستوطنون البرتغاليون في حالات كثيرة بقطع رؤوس الإفريقيين وغرسمها في أعواد والطواف بها في الشوارع لإرهاب الوطنيين وبث الفرع في نفوسهم ، ولم يسلم الأحياء من المعاملة الوحشية فطاردت القوات الجوية البرتغالية الفارين من الوطنيين إلى الكونغو البلجيكي ، وألقت عليهم القنابل ، وهاجمتهم بالمدافع الرشاشة ، وأحرقت الحشائش الطويلة والمزروعات ، وضربت القرى بالقنابل . وعمد البرتغاليون إلى وخز المسجونين بالسونكي وتقييد الرجال وإلقائهم في الأنهار ، ودفن البعض الآخر وهم على قيد الحياة . وزعمت الحكومة البرتغالية أن القوات الوطنية هي التي ارتكبت تلك الأعمال ، ولكن اللاجئين أنكروا هذا الإدعاء ، وأعلنوا أن القوات البرتغالية قبضت على جماعات كبيرة من الإفريقيين . وأطلقت عليهم النيران ثم أعلنت بعد ذلك مسئولية الثوار عن ذلك العمل . وللهرب من الفظائع التي يرتكبها البرتغاليون عبر كثير من الإفريقيين الحدود ولحقوا إلى الكونغو البلجيكي حتى بلغ عددهم أربعين ألف لاجيء في منتصف شهر مايوسنة ١٩٦١ ، وارتفع ذلك العدد إلى ثمانين ألف لاجيء في شهر يوليو . وادعت الإدارة البرتغالية عودة الكثير من هؤلاء اللاجئين إلى أنجولا إلا أن هيئة الصليب الأحمر الدولية أعلنت أن عدد اللاجئين بلغ مائة وواحد وثلاثين ألفا في أول سبتمبر سنة ١٩٦١ وارتفع ذلك العدد إلى مائة وواحد وأربعين ألفا في ٣ أكتوبر من نفس العام . وبذلك تكون قصة عودة اللاجئين التي ذكرتها السلطات البرتغالية مختلفة من أساسها لتناقضها مع البيانات الرسمية لهيئة الصليب الأحمر الدولية وهي هيئة محايدة (٢) .

دور الأمم المتحدة في الصراع الدائر في أنجولا :

أدت الشروط والمساوىء الناتجة عن الاستعمار والدور العالمي الجديد لهيئة

Panikkar, K .M . : Ibid. p. 74, Parisons, C. : Op. Cit. pp. 72-73.

(١)

Parison, C. : Ibid. pp. 74-75.

(٢)

الأمم المتحدة إلى تكوين لجنة للوصاية لمراقبة تطور الدول التي لازالت تحت نير الاستعمار ، والتي كانت بعض الدول الكبرى تشرف عليها وتديرها . وقد طلبت تلك اللجنة من جميع الدول امدادها بصفة دورية بالمعلومات والبيانات عن البلاد التي لازالت غير مستقلة . ووافقت الدول جميعا على ذلك الطلب باستثناء البرتغال وإسبانيا وجمهورية جنوب أفريقيا . فقد رفضت هذه الدول الاستجابة لطلب لجنة الوصاية . ولما كان أغلب الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة وخاصة الدول الأفرو آسيوية قد خضعت من قبل للاستعمار الأجنبي فقد تقدمت ٤٣ دولة أفرو آسيوية باقتراح للجمعية العامة للأمم المتحدة التي وافقت عليه باجماع الآراء في ٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ يعلن « منح الاستقلال للبلاد والشعوب المستعمرة » وامتنع عن التصويت على ذلك القرار الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة المتحدة وأستراليا وبلجيكا وجمهورية الدومينيكان والبرتغال وأسبانيا واتحاد جنوب أفريقية . ويعتبر هذا الإعلان علامة هامة في تاريخ الأمم المتحدة .

وقد تضمن إعلان ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ سبع نقاط رئيسية هي :

١ - تعارض إخضاع الشعوب للاستعباد والتسلط والإستغلال الأجنبي مع حقوق الإنسان ومخالفة ذلك لميثاق الأمم المتحدة وعرقلته للسلام العالمى .

٢ - حق جميع الشعوب فى حكم نفسها : وبموجب هذا الحق للشعوب الحرية الكاملة فى اختيار نظامهم السياسى . واتباع السبيل المؤدى إلى ترقية نظمهم الاقتصادية والاجتماعية والحضارية .

٣ - لا يمكن الاعتذار بالتأخر السياسى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى لتأخير استقلال الشعوب الخاضعة للاستعمار .

٤ - ضرورة إيقاف جميع العمليات العسكرية والضغط بجميع أنواعه الموجه ضد الشعوب المستقلة وتمكين تلك الشعوب من ممارسة حقوقها واستكمال استقلالها بسلام وحرية تامة واحترام وحدة أراضيها .

٥ - اتخاذ خطوات فورية فى البلاد الواقعة تحت الوصاية والتي ليس بها حكم ذاتى وغيرها من البلاد التي لم تحصل بعد على استقلالها لنقل جميع السلطات

إلى شعوب تلك البلاد بدون أى شروط أو تحفظات طبقاً لرغباتهم الحرة ، وبلدون تميز عنصرى أو لوني لتمكينهم من ممارسة استقلالهم وحريتهم كاملة .

٦ - إن أى محاولة تتخذ لإحداث انشقاق جزئى أو كلى للوحدة الوطنية ووحدة أراضي البلاد الواقعة تحت نير الاستعمار مناقض تماماً لأهداف وأسس ميثاق الأمم المتحدة .

٧ - ضرورة تنفيذ جميع الدول بصدق وتديق لميثاق الأمم المتحدة والإعلان الدولى لحقوق الإنسان والإعلان الحالى على أسس من المساواة وعدم التدخل فى الشئون الداخلية لجميع الدول ، واحترام حقوق السيادة لجميع الشعوب ووحدة أراضيها (١) .

رفضت البرتغال تقديم بيانات عن مستعمراتها ، ولم يتم أى إجراء حتى سنة ١٩٥٩ على الرغم من عدم موافقة الدول الأفرو آسيوية الأعضاء بالأمم المتحدة وقد شكلت الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة فى ذلك العام لجنة للدراسة ما إذا كانت هناك تعهدات لاعطاء معلومات عن البلاد الخاضعة للاستعمار مما يندرج تحت نص المادة ٧٣ من الميثاق من عدمه . وتبنت الدول الأفروآسيوية الموضوع فى سنة ١٩٦٠ ، وناقشت لجنة الوصاية فى المدة الواقعة بين يومى ٢ . ١١ نوفمبر موضوع المستعمرات البرتغالية والإسبانية . وقدمت أفغانستان وبورما وسيلان وغانا وغينيا والهند ونيجيريا مسودة قرار تقترح فيه أن تجبر الجمعية العمومية للأمم المتحدة حكومتى البرتغال وإسبانيا لإنشاء نظام ديمقراطى فى مستعمراتها ، وتسهيل حصول تلك المستعمرات على استقلالها ، وأن يكون ذلك العمل إجبارياً ، والزامهما بتقديم المعلومات عن البلاد الخاضعة لحكما عملاً بنص المادة ٧٣ وبلدون تأخير (٢) .

ناقشت لجنة الوصاية موضوع مسودة القرار الأفروآسيوى بضعة أيام ، وتكلم أكثر من خمسين مندوباً فى الموضوع . وأعلنت اللجنة فى ١٢ نوفمبر سنة ١٩٦٠ وجوب تقديم البرتغال المعلومات عن مستعمراتها التى أطلقت عليها اسم مقاطعات

(١) Panikkar, K.M. Op. Cit. pp. 83-85, Duffy, J. : Op. Cit. (Portugal), p. 222.

(٢) Panikkar, K.M. : Op. Cit. pp. 85-86.

ما وراء البحار إلى الأمم المتحدة . واحتجت البرتغال بشدة على قرار اللجنة ، وأعلنت أن هذا القرار يعتبر تدخلا في شئونها الداخلية . واقترح مندوب أوكرانيا في لجنة الوصاية طرد البرتغال وأسبانيا من الأمم المتحدة ولكن أغلبية اللجنة رفضت ذلك الرأي على أساس أنه سوق يخلص البرتغال كلية من مشكلتها معتمدة في ذلك على انضمامها لحلف الأطلسي ، وبذلك تتجاهل الأمم المتحدة كلية وكانت الحكومة البرتغالية تدرك تمام الإدراك أن الدول الأفروآسيوية لن تترك موضوع المستعمرات البرتغالية ولهذا فقد تعرض سالازار في خطابة الذي ألقاه أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٦٠ للدول الأفروآسيوية التي تبنت موضوع المستعمرات البرتغالية واتهمها بالجهل والحاجة إلى مراجعة التاريخ ، وتكلم عن شعب يتكون من أجناس كثيرة يمتد من غرب أوروبا إلى جزر تيمور ، وكان يقصد بذلك الشعب البرتغالي بعد ادخال سكان المستعمرات البرتغالية ضمن الشعب البرتغالي . ولم يكن سالازار متأكدا من مساندة الولايات المتحدة الأمريكية في مشكلة البرتغال الاستعمارية ولذلك قابل السفير البرتغالي في ٧ ديسمبر وزير الدولة الأمريكي وأخطره أن البرتغال لن تتوقف عن اتخاذ أي عمل تراه في أراضيها الإفريقية^(١) .

وببدء الثورة في أنجولا في ٤ فبراير سنة ١٩٦١^(٢) طلب مندوب ليبيريا من مجلس الأمن في ٢٠ فبراير مناقشة اتخاذ عمل فوري لوقف الفظائع التي يرتكبها البرتغاليون . ومنعهم من تدمير أنجولا وتشريد سكانها . ولم تتوان الدول الأفروآسيوية وأخطرت رئيس مجلس الأمن بتأييدها لطلب مندوب ليبيريا . واحتج مندوب البرتغال في خطاب أرسله لرئيس مجلس الأمن في ٧ مارس على طلب ليبيريا مناقشة موضوع يعتبر من اختصاص الحكومة البرتغالية ، وهو الاحتفاظ بالنظام والأمن الداخلي . وبنى المندوب البرتغالي احتجاجه على أساس أن مقاطعات ما وراء البحار جزء لا يتجزأ من البرتغال وليست مستعمرات . وتقدمت الجمهورية العربية المتحدة (جمهورية مصر) وليبيا وسيلان في ١٤ مارس بمسودة قرار

Panikkar, K.M. : Ibid. pp. 86-87.

(١)

(٢) أنظر صفحة ٥٠ من هذا البحث

لمجلس الأمن طلبت فيها اجراء اصلاحات في أنجولا فيما يختص بحقوق الإنسان والحريات الأساسية ، وتعيين لجنة فرعية لتقصي المشكلة الأنجولية . وفشل مجلس الأمن في التصويت الذي أجراه في ١٥ مارس في الحصول على الأصوات الضرورية لتنفيذ القرار لامتناع الدول الأوربية المؤيدة للبرتغال عن التصويت (١) .

وبفشل مجلس الأمن في الوصول إلى قرار نشطت مجموعة الدول الأفروآسيوية ، للحصول على تأييد الدول الثلاث اللازم لإدراج المشكلة ضمن جدول الجمعية العمومية للأمم المتحدة . وفي اجتماع مجلس الأمن الذي عقد في ٢٢ مارس سنة ١٩٦١ للموافقة على المواضيع التي سوف تدرج في جدول أعمال الجمعية العمومية طلب مندوب اليابان مناقشة طلب ليبيريا الخاص بالموقف في أنجولا . وطلب وضع المشكلة في جدول الأعمال لمناقشته في الجمعية العمومية على أساس أن المادة العاشرة من الميثاق تنص على مناقشة أى مشكلة تقع في نطاق نصوص الميثاق ، وأن الموقف في أنجولا يعرض السلام الدولي للخطر . ولم يوافق المندوب البرتغالي على ذلك . وعارض إدراج الموضوع في جدول أعمال الجمعية العمومية . وبني اعتراضه على أن المجلس سبق وناقش المشكلة . وأن الاحتفاظ بالقانون والأمن في أنجولا هو عمل داخلي واتخاذ أى إجراء من جانب الأمم المتحدة يعتبر تدخلا في شئون دولة ذات سيادة . ولم يحدث أى انتقاص لحقوق الإنسان في أنجولا . ورفض مجلس الأمن الأخذ بوجهة نظر المندوب البرتغالي . وقرر قبول طلب ليبيريا . وأدرج المشكلة ضمن جدول الجمعية العمومية للأمم المتحدة لمناقشته (٢) .

عرض الموضوع على الجمعية العمومية للأمم المتحدة وبعد مناقشته وافقت في ٢٣ أبريل سنة ١٩٦١ بثلاثة وسبعين صوتا ضد صوتين هما صوتا إسبانيا واتحاد جنوب أفريقية على قرار يطالب البرتغال باجراء إصلاحات عاجلة في أنجولا طبقا لنصوص إعلان الجمعية العمومية الصادر في ١٤ ديسمبر سنة ١٩٦٠ الخاص بالمستعمرات (٣) . وشكلت الجمعية العمومية لجنة من خمسة أعضاء لدراسة الموقف في أنجولا . وجمع الوثائق واستقصاء الحقائق وتقديم تقرير للجمعية العمومية عن

Panikkar, K.M. : Op. Cit. pp. 87-88.

(١)

Panikkar, K.M. : Ibid, p. 88.

(٢)

(٣) أنظر ص ٥٩-٦٠ من هذا البحث .

نتيجة عملها . ولم توافق البرتغال على قرار الجمعية العمومية ، وأرسل مندوبها خطابا لرئيس مجلس الأمن أوضح فيه أن حكومته تعتبر عمل الجمعية العمومية غير قانوني ، وتدخل غير ضروري في الشؤون الداخلية لشعب ذي سيادة^(١) .

واجتمع مجلس الأمن في ٦ يونيو . وبدأ مناقشة الموقف في أنجولا ، وفي ذلك الاجتماع هاجم الأعضاء الأفرو آسيويون حكومة البرتغال بشدة مما أدى إلى امتناع بريطانيا وفرنسا وهما من أصدقاء ومؤيدي البرتغال عن التصويت . ووافق مجلس الأمن في ٩ يونيو بتسعة أصوات ضد لا شيء على القرار التالي :

١ - إعادة تأكيد قرار الجمعية العمومية رقم ١٦٠٣ (XV) ومطالبة البرتغال بالعمل طبقا لنصوصه .

٢ - مطالبة اللجنة الفرعية المعنية ببناء على قرار الجمعية العمومية بإنجاز مهمتها دون تأخير .

٣ - مطالبة البرتغال بالكف فورا عن اتخاذ خطوات قمع في أنجولا ، ومنح اللجنة الفرعية التسهيلات الضرورية اللازمة لتمكينها من إنجاز عملها بأسرع ما يمكن .

٤ - التعبير عن الأمل بأن يتم الوصول إلى حل سلمي لمشكلة أنجولا طبقا لميثاق الأمم المتحدة .

٥ - مطالبة اللجنة الفرعية برفع تقرير عن نتيجة عملها إلى مجلس الأمن والجمعية العمومية بأسرع ما يمكن^(٢) .

بدأت اللجنة الفرعية عملها في استقصاء الحقائق وجمع الوثائق المتعلقة بالمشكلة ، وطلبت من البرتغال السماح لها بالذهاب إلى أنجولا للحصول على المعلومات من مصادرها الأصلية . ولكن الحكومة البرتغالية تجاهلت اللجنة كلية ، ورفضت في ٣٠ يونيو السماح لها بالذهاب إلى أنجولا بحجة عدم وجود أخطاء في أنجولا ، وأن ما كان دائر بها عبارة عن مؤامرة أجنبية من جانب مجموعة الدول الشيوعية ، وقد أمكن القضاء عليها . ووجه سالا زار الدعوة لرئيس اللجنة بصفة شخصية

(١) Duffy, J. Op. Cit. (Portugal..), p. 223, Panikkar, K.M. : Op. Cit. pp. 88-89.

Panikkar, K.M. : Ibid. pp. 89-90.

(٢)

لزيارة لشبونة دون اللجنة (١) . وقدمت اللجنة تقريرها المكون من ١٤١ صفحة في ٢٨ نوفمبر وأثبتت فيه ظروف القمع والشدة التي تعرض لها الوطنيون في أنجولا وأدت إلى حدوث الثورة . وانتقد التقرير السياسية البرتغالية في أنجولا بصفة عامة وطلبت اللجنة في تقريرها من البرتغال ضرورة عمل اصلاحات كثيرة ، وإعداد أنجولا للحكم الذاتي وممارسة حق تقرير المصير . وختمت اللجنة تقريرها بقولها إن « السلطات البرتغالية تواجه اختباراً حقيقياً وعليها إما الاستمرار في استخدام العنف بما يتبعه من بؤس وخسارة اقتصادية متوقعة ، ومستقبل مشكوك فيه أو الاستجابة للرأي العام العالمي ، واتخاذ خطوات لتطمين السكان ، وضمان عودة اللاجئين وقيام علاقات جديدة مع الشعب الأنجولي ، وتفهم لقوى العالم الجديد وقبول التغيير واستخدام الحكومة في تكوين وتبني الوسائل المتاحة للبقاء على الحل السلمي » (٢) .

أظهرت مناقشات الأمم المتحدة وتصويت عدد كبير من أعضاء حلف شمال الاطلنطي في موضوع أنجولا عدم تأييد الدول وخصوصا الولايات المتحدة الأمريكية للبرتغال . وظهر للبرتغال أنها لا تستطيع الاعتماد على حلفائها وهددت في اجتماع حلف الاطلنطي الذي عقد في مايو سنة ١٩٦١ بسحب قواتها من الحلف لاستخدامها في أنجولا . كما هددت بالانسحاب الكامل من الحلف . وحاولت حكومة الولايات الأمريكية في أوائل سنة ١٩٦١ الضغط على البرتغال لادخال بعض الاصلاحات على سياستها الاستعمارية . ولكن ذلك الضغط توقف قبل أزمة برلين بفترة قصيرة رغبة في الإبقاء على تماسك حلف الأطلسي ، واعتقاداً أن الرأي العام الإفريقي ليس له أهمية كبرى كما كان يعتقد قبل مؤتمر بلغراد للدول غير المنحازة (٣) .

لم تستجب حكومة البرتغال لقرارات الأمم المتحدة ، واستمرت حرب التحرير الأنجولية واتخذت شكلاً جديداً في أواخر سنة ١٩٦٦ ، واشتعلت الحرب بشدة

Panikkar, K .M . : Ibid. p. 90, Duffy, J. : Op. Cit. (Portugal.), p. 223.

(١)

Duffy, J. : Ibid. p. 223.

(٢)

Duffy, J. : Ibid. pp. 223-224.

(٣)

في كابندا وبذلك تكون حركة التحرير قد فتحت جبهة ثانية على حدود أنجولا الشمالية . وهاجمت القوات الوطنية فيلا تكسيرا الواقعة على حدود زامبيا في أواخر ديسمبر ، وأصبحت القوات البرتغالية مشتبكة في حرب مع قوات التحوير على الحدود الشرقية والشمالية الشرقية لأنجولا . وطبقاً للأنباء التي نشرت في الصحف تحركات قوات برتغالية كبيرة إلى حدود جمهورية الكونغو كينشاسا «زائري» وحدود زامبيا ، وأخلى البرتغاليون المستوطنات البرتغالية في منطقة عرضها عدة أميال على الحدود الانجولية ، وأنشأوا بها مطارات جديدة . وأتخذوا خطوات جديدة لتقوية دفاعاتهم ، وأصبحت منطقة شرق أنجولا في يناير سنة ١٩٦٧ مركز للنشاط العسكري البرتغالي ، وأغلقت السلطات البرتغالية الحدود بين أنجولا والكونغو كينشاسا (زائري) في ديسمبر سنة ١٩٦٧ بعد عدد من الحوادث بدأت بالهجوم على القنصل البرتغالي في كينشاسا (١) .

يعترف البرتغاليون في نشرتهم العسكرية أنهم يقاتلون حركة التحرير الشعبي MPLA ، والحكومة الثورية الانجولية في المنفى GRAE . والاتحاد الوطني لتحرير أنجولا UNITA . وأعترف البرتغاليون في أوائل أبريل سنة ١٩٦٧ باستمرار القتال حول نو كوي Noque بالقرب من حدود جمهورية الكونغو ، وحدث هجوم مفاجيء للوطنيين على طريق كانجا - لوكاسا ، واستمر القتال في المنطقة الواقعة في شمال جبال أويجي Uige ومنطقة دمبوف في مقاطعة موكسيكو التي ذكرت الصحف أنها المركز الرئيسي للنشاط العسكري . وبلغت إصابات البرتغاليين في الأسبوع المنتهى في ٢١ يناير سنة ١٩٦٨ أحد عشر قتيلًا وثمانية عشر جريحًا ، وهي نسبة مرتفعة أكثر من العادة . وحدث في مارس سنة ١٩٦٨ اشتباك بين القوات البرتغالية وبين قوات التحرير في منطقة سيربا بنتو عاصمة مقاطعة كواندا . وأصبح السفر غير مأمون بالنسبة للأفراد غير المسلحين لتعدد هجمات قوات التحرير المفاجئة . ومادامت الحكومة البرتغالية ترفض الاستجابة لقرارات الأمم المتحدة ومطالب الوطنيين الأنجوليين فسوف يستمر القتال ويشدد حتى يتم تحرير أنجولا من الإستعمار البرتغالي بقوة السلاح .

U.N.G.A. : Angola, (A/AC. 109/L. 451) 17 April, 1968, pp. 6-7.

(١)

U.N.G.A. : Ibid : p. 7.

(٢)

U.N.G.A. : Ibid. p. 27 March, 1968, p. 7.

(٣)

مراجع البحث

أولا : وثائق منشورة :

- 1 . Arquivo Historico Ultramarino (A.H.U.). Lisbon, 1885.
- 2 . Boletim Official, Luanda, 1860.
- 3 . Imprensa Nacional : Relatórios dos Governadores, Lisbon, 1875.
- 4 . Mensário Administrativo : No. 7, Lisbon, 1948.
- 5 . United Nation General Assembly (U.N.G.A.): A/AC. 109/L. 451, April and March 1968.

ثانيا : مراجع بلغات أجنبية :

- 1 . Anstey, R.T. : Britain and the Congo, Oxford, 1962.
- 2 . Cadornega, A. : Historia Geral, 3 vols. Lisbon, 1940, 1942
- 3 . Carvalho, H. : Ethnographiae Historie, Lisbon, 1892.
- 4 . Castelbranco, F. : Historia de Angola, Lisbon, 1932.
- 5 . Delgado, R. : As Sul do Cuanra, Lisbon, 1944.
- 6 . Dias, S. : Os Portugueses em Angola, Lisbon, 1954.
- 7 . Duffy, j. : Portugal in Africa, Cambridge, 1962.
- 8 . Duffy, j. : Portuguese Africa, Cambridge, 1959.
- 9 . de Figueirido, A. : Portugal and its Empire, London, 1961.
- 10 . de Figueirido, A. : Angola. Oxford, 1952.
- 11 . Panheiro, P.M.C. : Angola, Oxford, 1952.
- 12 . Panikkar, K.M. : Angola in flames, London, 1962.
- 13 . Parsons, C. : Angola. Oxford, 1952.
- 14 . Reade, W. : Savage Africa, N.Y. 1864.
- 15 . Sarmiento, A. : Os Sete D'Africa, Lisbon, 1880.

ثالثاً : دوريات :

- 1 . journal do Commercio, 1 Dec. 1859, 19 jan. 1860.

قضية روديسيا^(١)

تطورها التاريخي وموقف الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية منها

د. شوقي الجمل

THE RHODESIAN PROBLEM

Its historical development and the attitude of the Organization of African Unity and the United Nations towards it,

Dr. Shawki El Gamal

The Rhodesian problem is one of the most important problems that absorbed the Africans and the United Nations and its committees. In fact it shed light on one of the problems emerging from imperialism which the continent suffered for a long period.

This study digs deep into the root of the case, the stages of its historical development and the methods and means used by the white settlers who form only a minority and whose number did not exceed 220 thousands, to dominate the fate of the country and its inhabitants who numbered more than four millions.

This research also, shows clearly the attitude of the organization of African Unity Concerning this problem and it also shows what took place in the committees of ministerial councils of organization and discussions held in the African summit conference and the resolutions taken and the extent of their effectiveness. All this is based on the reports of the organization's Committees and its sessions .

(١) سنستخدم هذا اللفظ - تجلوزا - في هذا البحث رغم أن الوطنيين يفضلون أن يطلقوا على بلادهم لفظ زمبابوى (Zimbabwe) أو زمبيزيا اللفظ القديم المعبر عن أصلهم الإفريق وحضارتهم القديمة والمرتبطة بنهرهم العظيم (الزيمبزي) .

This study also shows the viewpoint of the United Nations, the Security Council and the special and specialized Committees concerning and this problem. All this is also based on the formal reports and the United Nations documents and the registered reports of the session. Besides depending on the report of the Committee, chosen lately by Britain under the supervision of Lord Pearce to know the Rhodesian's point of view in the agreement reached between Britain and racial government of Rhodesia in 1971 or as the agreement called « the test of acceptability ». This report was submitted to the English Parliament in May 1972.

مقدمة :

قضية روديسيا من القضايا الهامة التي شغلت بال الأفريقيين ، ولا تزال تؤثرهم ، بلى . شغلت هيئة الأمم المتحدة ولجانها المختلفة ، ولا تزال مدرجة في (جدول) مجلس الأمن والجمعية العمومية ، كما تستحوز على نشاط وجهود لجان عدة من لجان الهيئة الدولية .

والقضية غريبة في بعض أطوارها لكنها على العموم تعتبر صورة من الصور التي مارس بها الإستعمار نشاطه في القارة الإفريقية منذ أن رزئت به في العصور الحديثة. ووجه الغرابه فيها يرجع إلى أن الأقلية العنصرية من المستوطنين البيض الذين لا يزيد عددهم عن ٢٢٠ ألفا - بينما يتجاوز عدد الوطنيين أصحاب البلد الحقيقيين أربعة ملايين نسمة - قد أعلنت الاستقلال بالبلاد عن النفوذ البريطاني. والاستقلال في حد ذاته هدف تسعى كل الشعوب المغاوبة إلى أمرها في الحصول عليه ولكن استقلال هذه الأقلية الدخيلة وانفرادها بالحكم يعني في الحقيقة استبدادها بالأمر دون أصحاب البلاد الحقيقيين واستمرار استغلالها لخيرات البلاد وتسخيرها لأهلها لخدمة مصالح هذه الأقلية التي تشبه الأخطبوط الذي يتساق على النبات الأصلي ليمتص عصارته ويتركه جافا لا حياة فيه .

وتمتد جذور هذه القضية في الحقيقة إلى الموقف الذي قدم فيه الإستعمارى البريطانى سيسل جون رودس (Cecil John Rhodes) إلى جنوب أفريقيا ، ثم بدأ نشاطه في هذه البلاد ، وأسس شركة جنوب أفريقيا البريطانية (British South African Company) ليحقق عن طريقها أهدافه بعد أن استطاع الحصول من ملك

قبائل (الميتابلي) الذى كان يحكم هذه البلاد على تصريح بالتنقيب عن المعادن فى أرضها ، فوضع خطة للإطاحة بالملك الإفريقى ، ووضع يده على هذه البلاد واستعمارها واستغلالها لتحقيق أهداف الرجل الأبيض .

وفى عرضنا لتطورات هذه القضية قدمنا عرضاً سريعاً للملامح الجغرافية للبلاد لأهميتها فى تفسير الأحداث التى ألمت بها بعد ذلك ، ثم تتبعنا التطور التاريخى والحضارى للسكان فى الفترة السابقة لامتداد النفوذ البريطانى إليها ، وأبرزنا بعض معالم الحضارة الإفريقية بهذه البلاد والتى يعتمد المستعمرون الأوربيون تجاهلها لأنها تهدم الأساس الذى يبنون عليه استئثارهم بالسلطة دون الأفريقيين إذ يدعون أنه لم يكن لهم نصيب من الحضارة من قبل فلن يمكنهم بالتالى مسيرة الحضارة الحديثة .

وقد شرحت الوسائل التى اتبعها البريطانيون لبسط نفوذهم على هذه البلاد ، ونظام الحكم الذى وضعوه لها الذى أدى فى الحقيقة إلى أن تصل المشكلة إلى الوضع الذى وصلت إليه .

فالمشكلة فى الحقيقة ليست بنت اليوم لكنها النتيجة الطبيعية للسياسة التى اتبعتها بريطانيا منذ البداية فى هذه البلاد ، فسواء فى فترة إدارة شركة جنوب إفريقية البريطانية للمستعمرة وهى الفترة التى امتدت من ١٨٩٠ إلى ١٩٢٣ أو فى فترة الحكم الذاتى مع التبعية للتاج البريطانى وهى فترة امتدت من ١٩٢٣ إلى ١٩٥٣ ، أو فى فترة الاتحاد الثلاثى (اتحاد وسط إفريقيا) الذى فرضه المستوطنون البيض فى عام ١٩٥٣ مهددين بالإنضمام إلى اتحاد جنوب إفريقيا إذا لم تتحقق الوحدة مع روديسيا الشمالية ونياسالاند — كان واضحاً أن الأقلية البيضاء فى روديسيا تعمل للإنفراد بالسلطة لتستطيع أن تنفذ سياستها العنصرية المتطرفة واتى تنافى مع كل المبادئ الإنسانية والدولية .

والقاء نظرة على وضع الإفريقيين ومدى ما يتمتعون به من حقوق ، وما متاح لهم من فرص للاستفادة من الخدمات فى بلادهم ، مقارنة ذلك بوضع الأوربيين المستوطنين يوضح أبعاد السياسة العنصرية التى تعمل الأقلية البيضاء فى روديسيا لتحقيقها .

أما عن موقف منظمة الوحدة الإفريقية من القضية ، وما اتخذته من قرارات في هذا الشأن ومدى فاعليتها فقد استندت في توضيحه على تقارير لجان المنظمة ومحاضر جلساتها وقرارات مؤتمراتها .

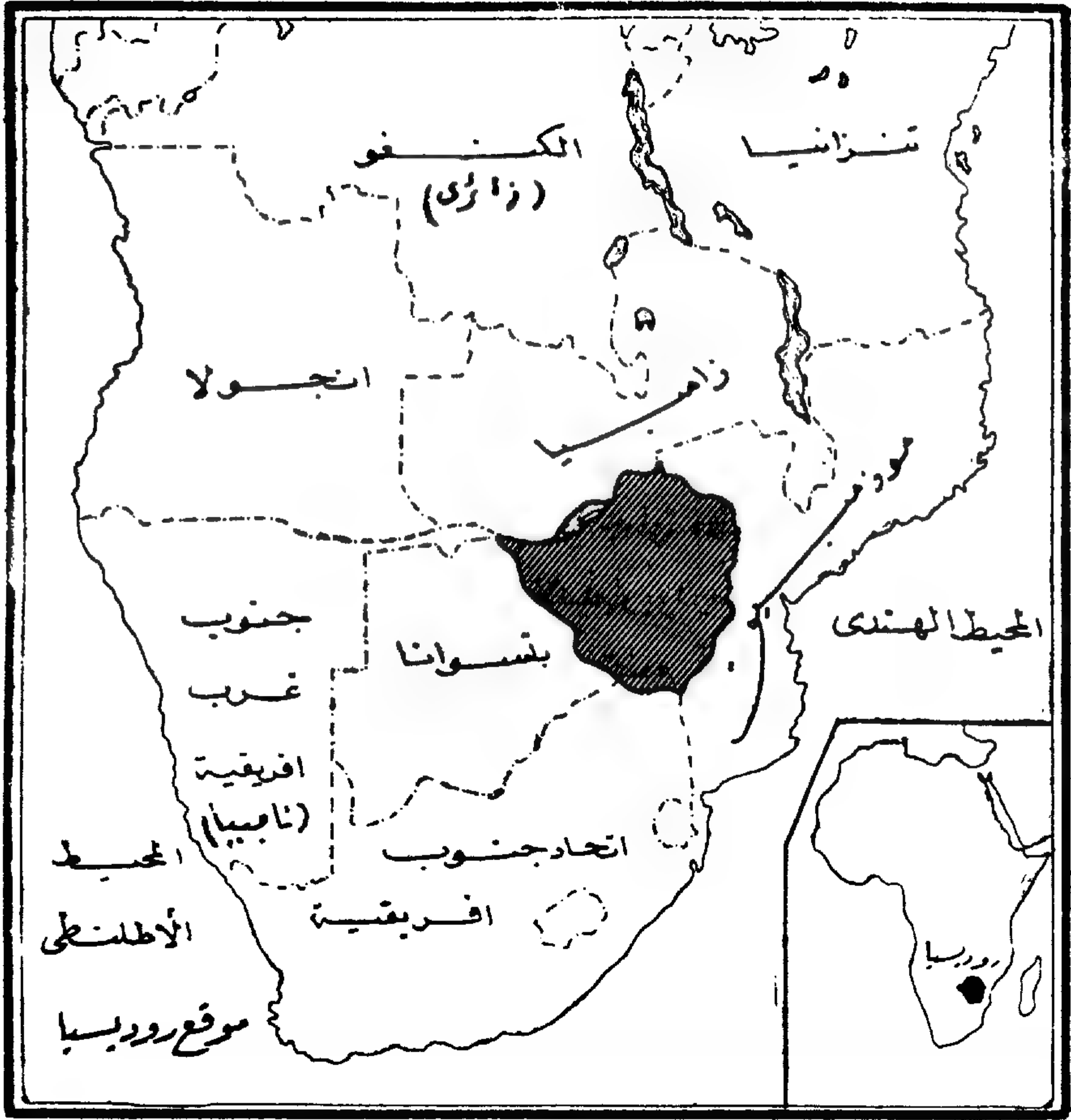
كذلك في معالجة موقف الجمعية العمومية للأمم المتحدة ، ومجلس الأمن واللجان الخاصة المتخصصة (لجنة الأربعة والعشرين عضواً) ، ولجنة حقوق الإنسان ، والمجلس الإقتصادي والإجتماعي وغيرها من هذه القضية - فقد رجعت لتقارير هذه اللجان الرسمية كما هي واردة في وثائق الأمم المتحدة ، وقد أشرت بصفة خاصة للدراسة التفصيلية التي قامت بها اللجنة الخاصة لمعرفة مدى نشاط المصالح الإقتصادية الأجنبية وتغلغلها في روديسيا وأثر ذلك على القضية الروديسية ، فقد تناولت هذه الدراسة كل نواحي النشاط المتعلق بالزراعة والتعدين وأعطت صورة لاستثمارات الشركات الاستغلالية المختلفة في روديسيا وأرباحها التي تحققها بما يلقي الأضواء على موقف الرأسماليين البريطانيين وموقف القوى الاستعمارية الأخرى من القضية التي تعتبر من أهم وأخطر قضايا الكفاح في سبيل الحقوق الطبيعية للشعوب .

ولا يسعني في هذا المجال إلا أن أشكر الذين يسروا لي الحصول على الوثائق المتعلقة بمنظمة الوحدة الإفريقية ، وهيئة الأمم المتحدة ولجانها ومجالسها سواء السادة الأفاضل العاملين بمركز المنظمة الإفريقية بأديس أبابا أو بمكتب المنظمة الدولية ومكتبها (بجاردن سيتي بالقاهرة) أو بالإدارة الإفريقية بوزارة الخارجية المصرية وبوزارة الخارجية البريطانية نفسها .

أولاً - الملامح الجغرافية لروديسيا

ليس من شك في أن (شخصية المكان) - كما يعبر عنها بعض الجغرافيين أو (فلسفة المكان) كما يحلو للبعض أن يسميها^(١) - كان لها أكبر الأثر ليس فقط في إغراء الإستعماريين السابقين من أمثال سيسل جون رودس على الإصرار على مد النفوذ البريطاني لهذه الجهات - ولكن أيضاً كانت في مقدمة الأسباب التي جعلت أحفاد هؤلاء الإستعماريين يعملون اليوم على زيادة قبضتهم على هذه البلاد .

(١) أنظر حمدان ، جمال : شخصية مصر (القاهرة ١٩٧٠) ص ١ ، ٢ ، ٣ .



(شكل ١)

إذا ألقينا نظرة على خريطة روديسيا فلعل أول ما يلفت المظر هو موقعها الداخلي في الهضبة الجنوبية للقارة الإفريقية فهي لا تطل على سواحل بحرية أو محيطية وإن كانت تقرب كثيراً من سواحل المحيط الهندي ، وتحدها من الشمال والشمال الغربي جمهورية زامبيا (Zambia) (روديسيا الشمالية سابقاً) ، ومن الشرق مستعمرة موزمبيق البرتغالية (Mozambique) ، ومن الجنوب جمهورية جنوب إفريقيا (S. Africa R.) ومن الغرب بتشوانا (Botswana) (بتشوانا لاند البريطانية سابقاً) فهي تشبه الصدفة المغلقة على نفسها (١) قد حتم هذا الموقع الداخلي على روديسيا أن تتجه إلى الدول الغربية المطلّة على المنافذ البحرية مثل موزمبيق (على

Brelsford, W.V. : Handbook to the Federation of Rhodesia & Nysaland (١)
(London 1960) P. 1

المحيط الهندي) ، وأنجولا (على المحيط الأطلنطي) وارتبطت روديسيا بها بخط حديدي يمتد من ميناء بيرا (Beira) في موزمبيق إلى بنجويلا (Benguala) على المحيط الأطلنطي في أنجولا (Angola) ، وقد أدرك (سيسل رودس) أهمية ميناء بيرا لروديسيا باعتباره منفذا طبيعيا لها وكاد أن يدخل في نزاع مع البرتغال بسببها ، لكن اللورد سولزبرى (Salisbury) رفض أن يذهب إلى حد الحرب مع البرتغال لهذا السبب (١) .

وموقع روديسيا هذا جعلها بين فكي الكماشة المتمثلة في النفوذ الإستعماري البرتغالي في الشرق ، وأنجولا في الغرب كما جعلها مطمع أنظار الدول الإستعمارية الأخرى خاصة إنجلترا التي كان رجالها الاستعماريون يعملون لمد نفوذها في جنوب القارة صوب الشمال ، وألمانيا التي كانت تطمع في ربط مستعمراتها (إفريقيا الشرقية الألمانية) ، (وجنوب غرب إفريقية الألمانية) أحدهما بالأخرى .

هذا من جهة الموقع أما سطح روديسيا فهو مرتفع إذ تمثل هضبة يتراوح إرتفاعها بين ٤,٠٠٠ ، ٥,٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وقد أدى هذا الارتفاع إلى اعتدال المناخ معظم شهور السنة رغم وقوع (روديسيا الجنوبية) في العروض المدارية ، وأغرى هذا الإرتفاع كثيراً الأوربيين على الهجرة إلى هذه البلاد ، وتقطع الهضبة عدة أنهار تختلف في إتجاهها وتصريفها النهرى ، وأهم هذه الأنهار - نهر الزمبيزي وروافده وهو يسير من الغرب للشرق وتعرض مجراه (شلالات فيكتوريا) الشهيرة التي رآها ليفنجستون (Livingstone) في ١٦ نوفمبر عام ١٨٥٥ فأبدع في وصفها وقدم لنا صورة من وحي أنفعالاته النفسية أثر مشاهدته لها للوهلة الأولى (٢) .

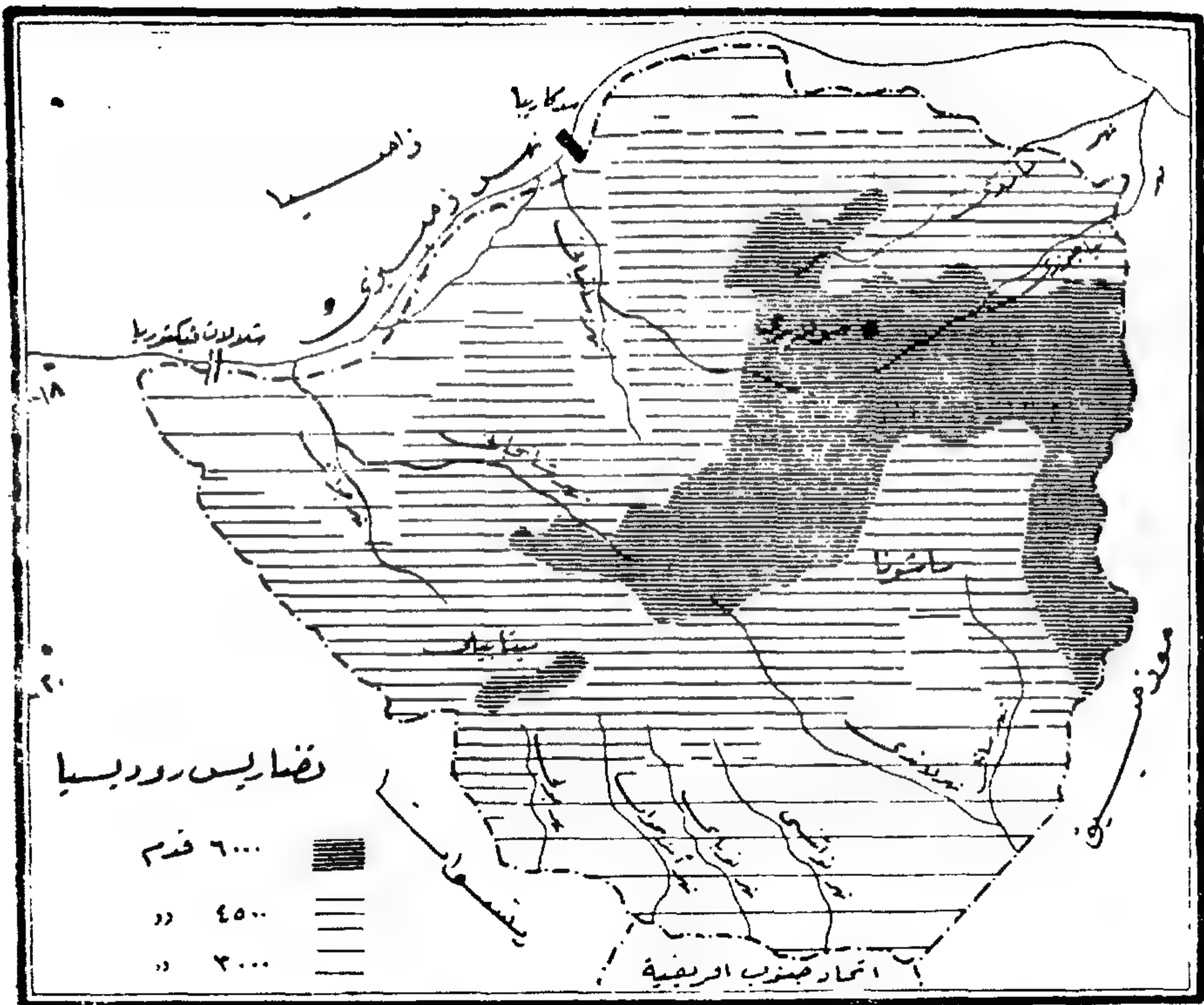
وقد أقيم على هذا النهر سد كاريبا الذي تم تنفيذه في عام ١٩٥٩ (٣) .

Waugh, Evelyn : Tourist in Africa (New York, 1960) P. 149

(١)

Livingstone, David : Missionary Travels & researches in South Africa (1857) (٢)
P.P. 51—525

(٣) طول جسم السد ٢٠٠٠ قدما وعرضه ٦٠ ميل تقريبا وتبع إقامته نشأة - بحيرة مساحتها ٢,٠٠٠ ميل مربع وقد ترتب عليه تهجير عدد كبير من السكان من الأماكن التي غمرتها مياه السد ، والهدف الأساسي من السد إمداد منطقة (الحزام النحاسي) بقوة كهربية ضخمة تيسر عمليات الاستغلال الاقتصادي التي يحرص عليها المستعمرون الأوربيون .



وبالطبع تختلف درجة الحرارة كما تختلف كميات التساقط (أى الأمطار)
تبعاً للإرتفاع والموقع ، ولذلك اختار المهاجرون الأوربيون المناطق المرتفعة
المعتدلة المناخ تاركين المناطق المنخفضة الحارة والتي تنتشر فيها الأمراض
للإفريقيين .

ويسقط المطر هنا في فصل الصيف (الجنوبي) في الفترة ما بين شهرى نوفمبر ومارس ، بينما يسود الجفاف باقى شهور السنة ومتوسط المطر ما بين ٢٥ ، ٣٠ بوصة سنويا ، ويلاحظ أن أكثر شهور السنة حرارة ليست هى شهور الصيف ، لكن ترتفع درجة الحرارة بشكل ملحوظ في فترة الجفاف التى تسبق موسم المطر ، والمطر عامل رئيسى في تحديد الإنتاج الزراعى (١) .

Black, Colin : The Lands & People of Rhodesia & Nysaland (London 1961) (1)
P. 23

ومن جهة النبات الطبيعي تغطي حشائش السافانا مساحات واسعة من روديسيا كما تغطي مساحات كبيرة الغابات التي تستغل أخشابها في صناعة الأثاث والصناعات الخشبية الهامة الأخرى بالإضافة إلى استخدامها كوقود ولأغراض التعدين ، ولذا فقط قطعت كثير من الأشجار بغير نظام ودون أن يزرع بديل لها مكانها وساعدت الحرائق- التي كثيراً ما كانت تنشب في الغابات ويتعذر أخذها إلا بعد أن تأتي على مساحات واسعة منها على إهدار هذه الثروة الطبيعية . ولذا يجد المتنقل في بعض غابات روديسيا التحذير التالي « شجرة واحدة تعمل مليون عود ثقاب - لكن عود ثقاب واحد يمكن أن يقضي على مليون شجرة (١) » .

أما عن الإنتاج الزراعي فيختلف تبعاً لكمية المطر وأهم الغلات الزراعية : الفاكهة ، والشاي ، والبن ، واللوز ، والطباق ، والقطن ، والحبوب ، وقصب السكر .

وترعى الماشية في المناطق التي تصلح للرعى والتي تتوفر بها المراعي الطبيعية من السافانا ومراعي الفلد الصالحة لتربية الكثير من الحيوانات ، وتعتبر روديسيا من أكبر الدول المصدرة للثروة الحيوانية ومنتجاتها ، وقد أدخل الأوربيون أنواعاً جديدة من الماشية التي اشتهرت باعطاء كميات وفيرة من الألبان . كما أدخلوا رعى الخيل والخنازير (٢) . وللزراعة والرعى مكانة هامة في حياة الإفريقيين في روديسيا كما في مناطق كثيرة في القارة الإفريقية - فنظرتهم للأرض وللماشية تختلف اختلافاً كلياً عن النظرة الاستقلالية التي ينظر بها الأوربي لها ، فالأرض ملك للقبيلة منها تستمد سلطاتها في السلم أو الحرب ، كما أنها ترتبط بعقيدة روحية لديهم فهي المكان الذي تأوى إليه أرواح الأسلاف .

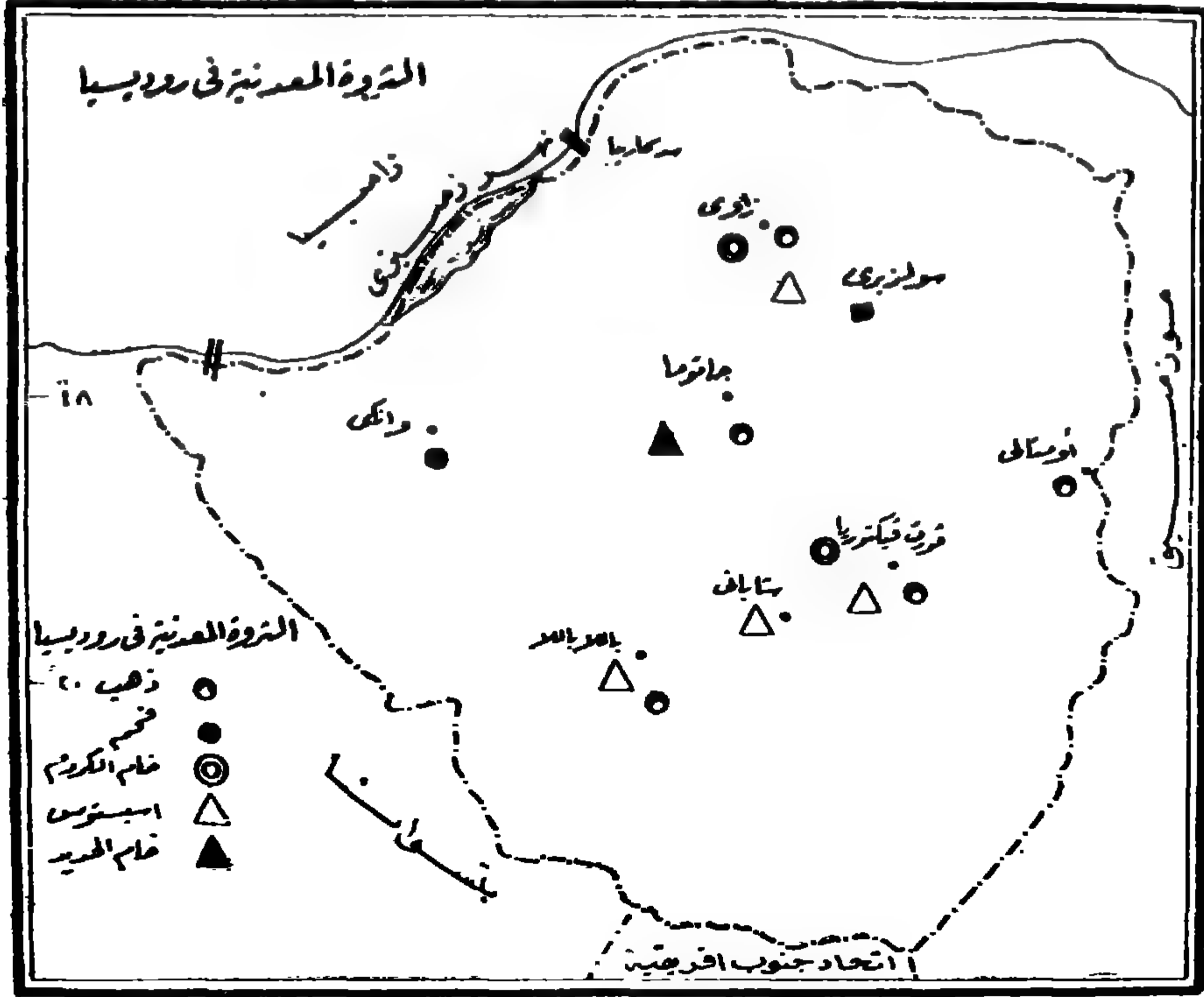
ولذا كان اغتصاب الأوربيين لأراضي الإفريقيين واستغلالها لإنتاج الغلات التجارية (كالطباق ، والشاي ، والفاكهة ، والقطن) دون مراعاة لتقاليد الإفريقيين وحاجاتهم مثار غضبهم وحقدهم على الأوربيين الدخلاء (٣) .

(١) Maurette, Fernand : Geographie Universelle Tome XII (Paris 1883) P. 263.

(٢) Kuper, H. : The Shona & Ndebele of Southern Rhodesia (London 1954) P. 20

(٣) أنظر التقارير السنوية عن الإنتاج الزراعي للروديسي التي تصدرها وزارة الاقتصاد .
Ministry of Economic Affairs Salisbury : Economic Report

وتمثل الأثماك مورداً من الموارد الهامة للبروتين لأن الروديسي - كما ذكرنا - حريص على الاحتفاظ بماشيته رمز جاهه وثروته ، ومن عادات الأهالي تجفيف الأثماك في الشمس أو النار ليتيسر الاحتفاظ بها مدة طويلة .



(شكل ٢)

وشهرة روديسيا في التعدين ليست حديثة ، ولا يرجع الفضل فيها - كما قد يتبادر للذهن - للمستعمرين الأوروبيين ، فقد ذاعت القصص عن شهرة هذه البلاد (بالذهب) ، فقد قيل إن كنوز الملك سايمان التي اشتهر بها جاء الكثير منها من روديسيا وأن ملكة سبا أتت من أرض سابي التي يجري فيها نهر سابي ، وقد دلت الآثار على أن (الحديد) و (النحاس) كانا معروفين منذ زمن بعيد في هذه البلاد وكان السكان يصنعون منهما بعض لوازم حياتهم (١) .

وقد أكد الحيولوجي الألماني كارل ماوخ (Carl Mauch) في عام ١٨٦٦ وجود الذهب بروديسيا ، كما يرجع إليه الفضل في لفت أنظار العالم إلى آثار زمبابوى

Ger'rude, Sarah : Rhodes (London 1933) P. 10

(١)

(Zimbabwe) وإلى أهميتها في الكشف عن معالم الحضارة القديمة للشعب الإفريقي الذي سكن هذه البلاد .

ومن المعادن الهامة الأخرى التي كشف عنها في روديسيا — الأسبستوس ، والكروم ، والفحم أو الحديد ، والنحاس إلى جانب معادن أخرى مثل الجرافيت ، والميكا ، والبريليوم ، والليثيوم ، والقصدير^(١) .

ويتضح لنا مما سبق أن المواد الخام الزراعية والمعدنية متوفرة في روديسيا ، هذا بالإضافة إلى الأيدي العاملة ، وروثوس الأموال الأجنبية التي تدفقت على البلاد بهدف الاستغلال ، كما توفرت الطاقة المحركة لوجود الفحم بكميات كافية ، ولاستغلال مساقط المياه على نهر زمبيزي بعد إقامة (سد كاريبا) . وكل هذا يتيح الفرص لنجاح مشروعات التصنيع بها .

وتحتل الصناعات المعدنية وخاصة صناعة الحديد والصلب مركزاً هاماً في اقتصاد البلاد ، كما قامت الصناعات الغذائية ويتركز الإنتاج الصناعي في المدن الكبرى مثل سولزبرى (Salisbury) وبولا وايو (Bul awayo) .

ومن تحليلنا لحدول الصادرات والواردات ومن التقرير الإقتصادي الذي تصدره وزارة الاقتصاد الروديسية يتضح لنا ما يلي : —^(٢)

١ — يعتبر الدخان ، والجلود المدبوغة ، والذرة ، والأخشاب في مقدمة الصادرات من الإنتاج النباتي والحيواني — والأسبستوس ، والكروم ، والذهب ، والنحاس من الإنتاج المعدني .

٢ — الدول الهامة التي يجري معها التعامل التجاري هي : دول الكومنولث ، والبرتغال ومستعمراتها (موزمبيق وأنجولا) . وألمانيا الغربية ، وإيطاليا ، والهند ، واليابان وفرنسا .

٣ — منذ سنة (١٩٥٨) دخلت إسرائيل في عداد الدول المشتركة في نطاق هذا التبادل التجاري وعقدت معها إتفاقيات إقتصادية كذلك التي عقدت مع اتحاد جنوب

(١) Stamp, Dudley: Africa—A Study of Tropical Development (N.Y. 1959) P.432.

(٢) أنظر التقرير الإقتصادي (Economic Report) الصادر عن وزارة الاقتصاد الروديسي والأرقام الخاصة به لعام (١٩٦٥) .

إفريقيا بهدف معاملة هذه البلاد معاملة خاصة تتيح لها الأولوية في مجال النشاط الإقتصادي ، وحجم التبادل التجاري مع البلدين يسجل تزايداً مستمراً عاماً بعد عام.

وأهمية هذه الدراسة للاقتصاد الروديسي في موضوع بحثنا هذا ترجع إلى أن أنها تعطي فكرة عن أثر المقاطعة الإقتصادية على الحكومة العنصرية في روديسيا لو طبقت هذه المقاطعة بحزم ودقة ، كما توضح الدور الذي تلعبه بعض الحكومات الاستعمارية كالبورتغال . وجنوب إفريقيا وإسرائيل في إفساد فاعلية قرارات المقاطعة التي أصدرتها الأمم المتحدة ضد حكومة الأقلية العنصرية في روديسيا التي ستحدث عنها فيما بعد^(١) .

وقبل مجيء الأوربيين إلى روديسيا كان الوطنيون يستخدمون الطرق البرية في تنقلاتهم ورغم وعورة هذه الطرق فقد اعتادوا عابها ، لكن الأوربيين طوروا وسائل النقل لتساير أهدافهم الإقتصادية فهدت عدة طرق برية لتيسير نقل الخامات المعدنية لأماكن التصنيع والتصدير ، كما مدت الخطوط الحديدية لتسهيل السيطرة على الإقليم وربطه بالخطوط الحديدية التي تصل إلى موانئ جنوب إفريقيا كما ربطت المدن الهامة في روديسيا بخطوط تلغرافية ، وقد أنشئ في كل من (بولا وايبو) ، و (سولزبري) مطار دولي^(٢) .

وإذا كان استنزاف ثروة البلاد من أهم الدوافع التي دفعت الأوربيين للاهتمام بتيسير وسائل النقل والمواصلات وربط هذه البلاد بالبلاد الأخرى المجاورة – فاننا لا يمكن أن نقلل من أثر وسائل النقل والإتصال المختلفة في فتح عيون المواطنين الإفريقيين في روديسيا إلى ما يدور حوّلهم في البلاد الإفريقية الأخرى بل وفي العالم الخارجي .

ثانيا : التطور التاريخي والحضاري لروديسيا

مر تاريخ الشعوب التي سكنت روديسيا في مراحل أهمها :

(١) أنظر تقرير اللجنة الخاصة للأمم المتحدة (Special Committee) عن النشاط الاقتصادي الأجنبي في روديسيا الجنوبية والصادر في أكتوبر ١٩٦٦ .

Hailey Lrod : An African Survery (London 1957) P. 1593

(٢)

٩ - المرحلة الأولى في العصور السابقة للميلاد :

وكشف النقاب عن التاريخ الماضى للشعب الإفريقى فى روديسيا وعن المظاهر الحضارية لهذا الشعب قبل أن ينكب بالاستعمار ، يعتبر أمراً كريها لدى المستوطنين البيض بل هو مصدر رعب بالنسبة لهم لأنه يرتبط فى ذهنهم بما يطالب به الإفريقيون من حق الأغلبية فى الحكم بينما يرتبط هذا التاريخ فى ذهن الأفريقى بماضيه المجيد ومقومات قوميته وحضارته وآماله فى مستقبل سعيد^(١) .

وتعتمد الكثير من معلوماتنا عن تاريخ الشعوب التى عاشت فى هذه المنطقة فى الفترة السابقة للاستعمار الأوروبى على الآثار التى عثر عليها وعلى الروايات التى يرويها السكان عن أسلافهم وعلى الأساطير التى تشير لمعتقداتهم بالإضافة إلى كتابات الرحالة .

ولعل أول دليل على حضارة وحياة السكان الأوائل لهذه البلاد يتمثل فى الرسوم الجميلة الملونة التى عثر عليها على جدران أكثر من (١٥٠٠) كهف فى روديسيا وهى تدل على مرحلة حضارية متقدمة وعلى فن إفريقى أصيل . فمن دراسة هذه المناظر نستطيع أن نكون فكرة عن حياة هؤلاء السكان ، ونظامهم الاجتماعى . وتقاليدهم ، وحيواناتهم^(٢) - وقد لجأ الفنان الروديسى إلى صقل الاحجار وفى بعض الأحيان تغطيتها بعجينة ملساء تسهل الرسم عليها ، ويبدو أن الأدوات التى استخدمت فى الرسم هى ريش الطيور وقطع الأخشاب المدببة ، أما المواد التى استخدمت فى التلوين فلعلها أخذت من جذور بعض النباتات بالإضافة إلى مساحيق صنعت من طحن بعض الصخور ومن التربة ذاتها التى تحتوى على بعض المعادن وقد ظهر فى رسومهم اللون الرمادى ، والأصفر ، والأحمر ، والأبيض واللون الأسود الذى ربما حصلوا عليه من الفحم النباتى بينما كان اللون الأزرق نادراً الاستخدام ولم

(١) Mtshali, Vulindela : Rhodesia; Background to Conflict (London 1968) P.P. 16—19

— ملاحظة : مؤلف هذا الكتاب من قبائل (الزولو) فى جنوب أفريقيا ، وقد تخصص فى دراسة الحركات القومية فى جنوب أفريقيا ، وحصل على درجة الماجستير فى العلوم الاجتماعية من معهد الدراسات الاجتماعية فى نيويورك (Institute of Social Studies) ، ويعد رسالة للحصول على الدكتوراه فى العلوم السياسية .

Brelsfort, : Op. Cit. P. 33

(٢)

بظهر أثر اللون الأخضر فقد كانت الأشجار تلون بلون ذهبي باهت ، وقد بدت في بعض الأشكال محاولات للتعبير عن الحركة بل لقد تغلب الفنان الروديسي على بعض العقبات التي واجهت الفنان الأوربي فيما بعد كرسـم المنظور ومراعاة المسافة (١).

ويرجح بعض المؤرخين أن هذه الآثار الفنية ترجع إلى (البوشمن) ، ويذهب هؤلاء إلى أنهم كانوا منتشرين في هضبة روديسيا منذ وقت بعيد قد يصل إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، لكنهم تحت ضغط موجات أخرى اجتاحت المنطقة اضطروا للهجرة ولم يبق من نسلهم إلا بقايا البوشمن الذين يوجدون اليوم في صحراء كلهارى وقد تأقلموا على مضي الزمن بالبيئة الجديدة .

ويذهب البعض الآخر من المؤرخين إلى أن السكان الذين تركوا آثارهم في هذه الكهوف لم يتركوا البلاد نهائيا بل اندمجوا في هجرات أخرى من أجناس جديدة وفدت على المنطقة (٢) .

ولا شك في أن هذه اللوح الفنية التي تركها سكان روديسيا الأوائل على كهوفهم تحتاج للدراسة أكثر عمقا ، فثل هذه الدراسة يمكن أن تعطي صورة أوضح عن خصائص البيئة التي كانوا يعيشون فيها وعن مظاهر حياتهم المختلفة .

وهناك سؤال يلح على المشاهد لهذه الآثار الفنية وهو – ما الدافع الذي دفع الروديسي لأن يسجل هذه المناظر على الأحجار وبهذه الكثرة الغريبة ؟

هل ترتبط هذه الرسوم بالنظام (التوتمي) أو ببعض معتقداتهم ، أم أن الفنان الروديسي كان في هذه الرسوم فنا نا أصيلا يعبر عن انفعالاته أكثر من أى شيء آخر أو يرسم الفن ذاته (L'art pour L'art) ؟

٢ – المرحلة الثانية – في العصور الميلادية الأولى :

منذ طلائع القرن الأول الميلادي وفد على روديسيا قوم جدد أخذوا يشاركون (البوشمن) في هذه المنطقة ، ويبدو أن دخولهم في هذه البلاد كان في موجات وتم بطريقة سلمية ، ويدل عليهم التغير الواضح في النقوش والرسوم التي وجدت على

Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodesia from Earliest Times to the Referendum. (London 1968) P.P. 14 & 15.

(١)

Ransford, Oliver : Op. Cit. P. 748.

(٢)

الكهوف ، ويبدو أن هؤلاء الوافدين الجدد كانوا يعيشون في أكواخ وأنهم كانوا على دراية باستغلال المعادن فصنعوا منها الكثير من أدواتهم ، وأنهم كانوا يمتازون عن السكان السابقين بطول القامة وميل البشرة إلى السمرة وإن كانت لا تبدو فيهم الصفات الزنجية . وقد ربط بعض المؤرخين بين هؤلاء القادمين الجدد وبين (الهوتنتوت) وذكروا أنهم يمثلون هجرة جديدة من مناطق البحيرات الوسطى في إفريقيا إلى روديسيا ، بينما رأى آخرون أن التغير الذى طرأ على المنطقة لا يعدو أن يكون مرحلة حضارية متقدمة من المراحل التى مر بها (البوشمن) أنفسهم وأنهم كانوا من المرونة بحيث استطاعت جماعة منهم أن تنتقل من العصر الحجري إلى عصر المعادن ومن الجمع والصيد والتنقل المستمر إلى الرعى والاستقرار النسبي – ويعتبر هذا بداية شهرة هذه البلاد بالذهب ، والعاج ، وشجع هذا العرب والهنود والصينيين للقدوم للساحل الشرقى لإفريقيا فى انتظار مبادلة بضائعهم بالذهب والعاج الروديسى .

٣ – المرحلة الثالثة – هجرات البانتو لهذه البلاد :

منذ القرن التاسع الميلادى – نلمس بوضوح أن النقوش الفنية للروديسين الأوائل تبدأ تفقد طابعها الأصيل ، ويظهر فيها عامل السرعة والعجلة ، ويستطيع المدقق أن يحكم بيسر على أنها تمثل فترة قلق واضطراب ، ولعل هذا يرجع إلى تعرض المنطقة لغارات الزنوج (البانتو) الذين زحفت جحافلهم على المنطقة فأفقدتها هدوءها .

وأدت هذه الغزوات إلى انقراض معظم سكان هذه البلاد اللهم إلا القلة التى استطاعت أن تهرب للمناطق الوعرة، وقد اصطدمت هذه القلة فيما بعد بالمستعمرين الأوربيين ، والعجيب أن الأوربيين الذين حرصوا على سن القوانين التى تكفل الحفاظ على بعض الحيوانات التى أدركوا أنها على وشك الانقراض لم يهتموا بالحفاظ على أحفاد هذا الشعب العريق .

٤ – إمبراطورية المونوماتابا (Monomatapa) :

كان تدفق البانتو على هذه البلاد على شكل موجات بدأت صغيرة لكن

بالتدريج زادت كثافة ، وتعتبر هذه الهجرات من أبرز الهجرات المعروفة في التاريخ و كان تأثيرها على التكوين السكاني والحضارى على جنوب القارة الإفريقية كله عميقاً وقوياً .

وفيما يختص بروديسيا فقد استطاعت إحدى هذه القبائل المهاجرة المعروفة لقبائل الكارنجا (Karanga) أن تبسط نفوذها على منطقة الميتابلي (Metabele Land) ثم بسطت نفوذها على منطقة الماشونا (Mashona) في الشمال والشرق ، واستطاع زعماء الكارنجا أن يفرضوا سلطانهم على القبائل المنتشرة شمالاً حتى قرب نهر الزمبىزي ، واستمروا يتوارثون حكم هذه المناطق عدة قرون .

ومنذ منتصف القرن الخامس عشر شهدوا سلسلة من الحروب ترتب عليها مد سلطانهم أيضاً حتى ساحل المحيط الهندي وبذا أصبحوا يحكمون المنطقة التي تشمل معظم روديسيا الحالية وجزءاً كبيراً من جنوب (موزمبيق) ، وأصبحت حدود امبراطوريتهم تمتد من نهر الزمبىزي شمالاً إلى نهر (لمبوبو) جنوباً ومن المحيط الهندي شرقاً إلى نهر جواي (Gwai R.) غرباً ، وتعاقب على حكم هذه البلاد عدد كبير من الحكام ونقلوا عاصمتهم إلى سفوح تلال تشيتاكو (Chiako) وأختير تل مرتفع منها كمدفن للزعماء المتوفين وأصبح يطلق عليه لفظ (Zimbabwe) وهي بمعنى بلغتهم مدافن الزعماء (ground of the Chiefs The Burial) (١) .

ولم يكن في استطاعة أمبراطور المونوماتابا أن يدير بمفرده شئون هذه المنطقة الواسعة التي إمتد إليها سلطانهم فقسمت البلاد إلى ست ولايات على كل منها حاكم ، وقد وصلت إمبراطورية المونوماتابا إلى قمة مجدها في القرن الخامس عشر ونهضت منها الصناعة حتى إنه قيل إن بصفة الآلاف من الهنود كانوا يساهمون في استغلال مناجم الذهب بها وأن ما يقرب من ١٠,٠٠٠ تاجر عربي مسلم كانوا يستقرون بها ليمارسوا عملية التبادل التجاري وليكونوا حلقة الاتصال بين إخوانهم في الجزيرة العربية وبين سكان هذه البلاد الإفريقية وقد أعطى لنا الرحالة البرتغاليون — الذين أخذوا يترددون على هذه الإمبراطورية منذ القرن السادس عشر — صورة

(١) أطلق اسم (زمبابوي) على أكثر من مدينة حيث كانت تنقل العاصمة ومدفن الزعماء ، لكن يطلق الاسم اليوم فقط على العاصمة القديمة بالقرب من حصن فكتوريا (Fort Victoria) . .

عما وصلت إليه من العظمة والتقدم ، فوصفوا لنا القصر الإمبراطوري في زمبابوى وما به من تحف ومجاذيب وأواني خزفية ونحاسية والحصون الحجرية المنتشرة في أنحاء الإمبراطورية حيث كان الإمبراطور يحتفظ بحماياته لحماية المناجم والطرق التجارية المؤدية للساحل ، كما ذكروا أن المراعى كانت في هذه الإمبراطورية عامرة بالحيوانات ، والمزارع مملوءة بالحبوب والفواكه ، وكان يصاد منها سنويا ما لا يقل عن ٥٠,٠٠٠ فيل ، وأن جيش الإمبراطورية كان يصل في وقت الحرب إلى ١٠٠,٠٠٠ مقاتل مسلحين بالسيوف والأقواس والسهام ، وذكروا أن جزء من دخل الإمبراطورية كان مخصصاً للعناية بالفقراء والمعوزين (١) .

وقد ظلت هذه الإمبراطورية قائمة لكن عوامل الضعف زحفت عليها حتى أصبحت تحت رحمة المستعمرين الأوربيين بالإضافة لغارات القبائل الإفريقية الأخرى الطامعة في ثروة هذه الإمبراطورية الفتية .

٥ - محاولات البرتغاليين مد نفوذهم لهذه البلاد :

افتتح البرتغاليون - كما نعلم - صفحة الإستعمار الأوربي الحديث في القارة الإفريقية بنزولهم في ساحل المغرب واحتلالهم قلعة سبتة Cetta في عام ١٤١٥ . وتتابع رحلاتهم بعد ذلك حتى قام فاسكودا جاما (Vasco Da Gama) في عام ١٤٩٧ برحله الشهيرة التي عبر فيها رأس الرجاء الصالح إلى الساحل الشرقى للقارة ، ومن ثم تتابع رحلات البرتغال للساحل الشرقى بقصد تثبيت أقدامهم في هذه السواحل الإفريقية ومحاولة القضاء على نفوذ العرب الذين كانت لهم السيادة التامة على طريق التجارة ويعملون كوسطاء في نقل منتجات الهند والشرق الأوسط إلى إفريقيا . واستولى البرتغاليون على الموانئ والإمارات الغربية بشرق

(١) كان أول أوربي يدخل هذه البلاد وكتب انطباعاته عنها هو أنطونيو فيرناندر البرتغالى فقد أوفدته حكومة البرتغال في عام ١٥١١ لزيارة إمبراطورية المونوماتابا وبحث أماكنيات التبادل التجارى بينها وبين البرتغال .

- أنظر (Antonio Fernandes (Lourenco Marques 1940 Tracey H. وكذلك قام دوارت بربروسا Durte Barbarosa بعد رحلة فاسكودا جاما الشهيرة برحلته إلى الامارات العربية بساحل إفريقيا الشرق وتوغل بعض الشيء في الداخل وتحدث عن إمبراطورية المونوماتابا وما شاهده فيها وما سمعه عنها .

- أنظر Keatley, Patrick : The Politics of Partnership (London 1965) P.P. 57—59.

إفريقيا ، وفي سنة ١٥٠٩ عينوا حاكماً عاماً لمستعمراتهم في شرق إفريقيا ومن ثم أخذت أنظارهم تتجه إلى إمبراطورية المونوماتابا التي ذاعت شهرتها وأخبار ثرائها (١) .

وقد مهدت رحلة (انطونيو فوناندر) التي أشرنا إليها سابقاً الطريق أمام البرتغال لهذه المملكة الإفريقية فبدأ نشاطهم التجاري والتبشيري في هذه المنطقة ، ومن وفد إليها من المبشرين البرتغال القس دي سلفيرا (Don Concalo Da Silveira) الذي وصل إليها في عام (١٥٦٠) وقابل الإمبراطور الذي سمح له بالتبشير في بلاده لكن بعض المقرين للإمبراطور أقنعوه بأنه ساحر وجاسوس يمهّد الطرق لحملة غزو برتغالية ضده وانهى الأمر بقتله ، وأثار مقتل (دي سلفيرا) ضجة في البرتغال وانتهر الملك (سيباستيان) الفرصة فأعد حملة لغزو هذه البلاد وأقلعت الحملة من لشبونة في عام (١٥٦٩) وكان من ضمن المرافقين للحملة شخصان هما مونكلارو (Monclaro) ودي فاريا (De Faria) نخصهما بالذكر لأنهما قاما بتسجيل (يوميات) دقيقة عن أحداث هذه الحملة وهي تعطينا فكرة عن أحوال هذه البلاد في ذلك الوقت (٢) .

وقد اقترف البرتغاليون أعمالاً وحشية ضد المواطنين والمسلمين في المناطق التي مرت بها حملتهم ، واستطاعوا أخيراً أن يجبروا الإمبراطور على التوقيع على معاهدة ترك لهم بموجبها حرية العمل لاستغلال مناجم الذهب في بلاده على أن يتكفلوا بحماية عرشه — لكن البرتغاليين الذين كانوا يظنون — كما قال أحد الكتاب المرافقين للحملة — إنهم سيغرفون من الذهب بأيديهم كما يشاءون — من مناجم منطقة مانিকা (Manica) أصيبوا بخيبة أمل (٣) .

(١) للدراسة التفصيلية لنشاط العرب في السواحل الشرقية للقرنة الإفريقية وفي المناطق الواقعة خلف هذه السواحل في ذلك الوقت .

أنظر : شوق الحمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها (١٩٧٠) ص ٣٥ - ٤٧ .

(٢) قام تيل (Teal) بترجمة مقتطفات من هذه المذكرات ونشرها في Records of South Eastern Africa وقد تحدث أيضاً بالتفصيل عن أخبار هذه الحملة البرتغالية :

Welch, S.R. : South Africa under King Sbastian (Cape Town 1949).

(٣) من أقوال دي فاريا De Faria — مؤرخ الحملة البرتغالية .

ويمثل منتصف القرن السابع عشر قمة النفوذ البرتغالي في بلاد (المونوماتابا) ، ومنذ النصف الثاني من هذا القرن بدأ النفوذ البرتغالي يضعف حتى انتهى الأمر بانسحاب البرتغال من هذا الميدان تاركين إياه لغيرهم من الدول الاستعمارية الأخرى ولعل وصول فان ريبيك (Van Reibeek) الذي أرسلته شركة الهند الشرقية الهولندية على رأس بعثة من ثلاث سفن إلى نقطة خليج تيبيل (Tebale Bay) في أبريل ١٩٥٢ ووضع نواة محطة لتكوين السفن حيث تقوم مدينة كيتون (Cape Town) الحالية تعتبر النقطة الحاسمة في هذا التحول فقد بدأت أعداد من الهولنديين تتدفق على هذه البلاد وتستقر في المناطق الصالحة للزراعة والاستغلال فكان هذا بداية لنفوذ البوير ونشاطهم في جنوب إفريقيا .

٦ - مملكة الميتابلي (Matabele) :

تعرضت إمبراطورية (المونوماتابا) لغارات قبائل إفريقية أخرى هي قبائل الروزوي (Rozwi) المحاربة ، واستطاعت هذه القبائل في أواخر القرن السابع عشر أن تسقط هذه الإمبراطورية وأن تفرض سلطانها على هذه البلاد واتخذ زعماء هذه القبائل الغازية من مدينة زمبابوى العظيمة (Great Zimbabwe) ^(١) مقراً لحكمهم.

(١) ترتبط المدينة في ذهن الروديسيين الوطنيين بمجدهم التالد وتاريخهم القوي ، فهي ترمز إلى ماضيهم المجيد وبالتالي للمستقبل المرتقب ، ولعل هذا هو السبب في أنه حتى الأحزاب الوطنية الحديثة حرصت على أن تنسب لهذا الاسم العريق مقام اتحاد شعوب زمبابوى الإفريقية (Zimbabwe African Peoples' Union) ويرمز له بالحروف الأولى زايبو (Zaupu)، واتحاد زمبابوى الإفريقى القومى (Zimbabwe African Nationalist Union) زانو (Zanu) . وقد كشف صياد يدعى آدم ريندرز (Adam Renders) صدفة في عام ١٨٦٨ عن بعض آثار زمبابوى في المنطقة الواقعة على بعد ١٧ ميلاً جنوب شرق حصن فكتوريا ، إذ عثر على (برج) مقام على أحد التلال وأرتفاعه يبلغ ٢٤ قدماً ، كما عثر على مرأى من هذا المكان في وادى المنخفض على بقايا منازل تدل على قيام مدينة قديمة وصفها ريدر هجارد (Rider Haggard) في قصته الشهيرة كنوز الملك سليمان (King Solomons Mines) - وعثر في أرض منبسطة ليس بعيداً عن هذه الآثار على مبنى بيضى الشكل من حجر الجرانيت له حوائط سمكية ، وقباب مخروطية الشكل وقد نحتت له ممرات وسلام وجزء من البناء مسقوف بينما باقى البناء عبارة عن فناء واسع ، كما عثر على أواني يعتقد أنها كانت معدة لصهر الذهب ، وقد نقلت بعض الآثار والآحجار التى عثر عليها إلى متاحف الغرب وبعضها حفظت في متحف بولاوايو. وقد كثرت التكهنات حول هذه الآثار فقد ذهب البعض إلى أنها ترجع إلى شعوب غربية وفدت على هذه المنطقة بينما يشير البعض الآخر إلى أنها قد تكون لشعوب إفريقية لكنها تأثرت بمحضارات أخرى وفدت من مصر أو من بابل أو من شبه الجزيرة العربية على كل لا تزال =

على أن مجموعة من القبائل الزولو (Zulu) التي اشتهرت بالمهارة في فنون الحرب والقتال بقيادة مزيلكازي (Mzilikazi) لم تلبث أن زحفت على هذه البلاد واستقرت بها ، ويقال أن زحف هذه القبائل كان تحت ضغط قوات البوير الذين كانوا قد زحفوا من (مستعمرة الكيب) بعد أن ضيق عليهم الإنجليز الخناق ، واستقر (مزيلكازي) وأتباعه في عام (١٨٣٧) بالقرب من مدينة بولاوايو (Bulawayo) ولم يجدوا مقاومة تذكر في بسط نفوذهم على هذه المنطقة التي تشمل معظم حدود روديسيا الجنوبية حالياً ، وقد أطلقت عليهم القبائل المعادية لفظ المتابلي (Matabele) لكنه أصبح بعد ذلك علماً عليهم (١) .

وكان (مزيلكازي) الذي حكم هذه البلاد حتى عام ١٨٦٨ حريصاً في البداية على ألا تطأ قدم أوربي بلاده ، لكن استطاع فريق من المبشرين ، ومن المغامرين الأوربيين أن يحطم هذا السياج الذي أحاط الملك به بلاده .

وكان المبشر د . روبرت موفات (Dr. Robert Moffat) في مقدمة الذين استطاعوا أن يتقربوا للملك وأن ينالوا ثقته ، وكان ممن فتحوا الطريق أمام الأطماع الأوربية في هذه البلاد ، كذلك هنري هرتلي Henry Hariley ممن شجع لهم الملك بصيد الفيلة وقد كان أول من اكتشف وجود الذهب في صحور المنطقة التي يصطاد فيها وأكدت أبحاث الجيولوجي كارل ماوخ (Karl Mauch) بعد ذلك هذه الحقيقة .

واستطاع المستكشف الجغرافي دكتور دافيد ليفنجستون (Dr. David Livingstone) زوج ابنة الدكتور (روبرت موفات) أن يزور هذه البلاد معتمداً على المكانة التي

= المنطقة تحتاج لدراسات أخرى ولعمل حفريات في هذه المناطق الأثرية .

– أنظر : Hensman Howard : A History of Rhodesia compiled from official sources. (Edinbur 1900) P. 9

– كذلك Mtshali, Vulindela : Rhodesia Background to conflict (London 1968) PP. 19 & 20

– كذلك Waugh, Evelyn : Tourist in Africa (N.Y. 1960) P. 149.

(١) لفظ (Matabele) يعني المتخفين وراء تروسهم الطويلة ، وبعض الكتاب ذكر أنه تحريف

لاسهم القبل (Amandabele) .

أنظر : Frank, Thomas : The Struggle for Power in Rhodesia & Nyasaland. (London 1960) P. 10

كانت لصهره لدى الملك الإفريقي ، ونجح (لفينجستون) في عام ١٨٥١ في تتبع نهر زمبيزي لمصبه مكتشفاً ما أتمناه اللورد كرزون (Lord Curzon) أكبر عجائب الأنهار في العالم ، ولما اكتشف المساقط المائية التي تعترض مجرى النهر سماها (شلالات فكتوريا) على إسم ملكة إنجلترا في ذلك الوقت وقد انتهت حياة لفينجستون بموته في شمال غرب روديسيا قرب قرية تشيتامبو (Chitambo) وكانت رحلاته بداية تدفق البعثات التبشيرية على هذه البلاد (١) .

وقد ظهر خطر هذه البعثات التبشيرية والمغامرين الأوربيين الذين وفدوا للبلاد يطلبون التصريح لهم بالبحث عن الذهب وغيره من المعادن واستخراجها - في عهد ابن مزلكازي والذي استتب له الأمر في مملكة والده في عام (١٨٧٠) ولقب باسم لوبنجيولا (Lubengula) وقد اتخذ هذا الملك الشاب صديق والده المبشر (الدكتور روبرت موفات) مستشاراً له وعن طريقه وقع الملك عدة معاهدات تجارية ومنح عدة تصريحات للبحث عن المعادن لأجانب مختلfi الجنسية ، ولعل من سوء حظ (لوبنجيولا) أن الأمر لم يقتصر على أطماع فردية لكن كان عليه أن يواجه الأطماع السياسية المتضاربة لثلاثة من دهاة الساسية في ذلك الوقت هم بسمارك (Bismark) الزعيم الألماني ، وكروجر (Kruger) زعيم البوير ، رودس (Rhodes) الإستعماري البريطاني . وكانت المأساة التي أنهت حياة الرجل بمثابة كارثة أصابت شعباً بأسره ولذا ارتبطت صورة الملك (لوبنجيولا) في أذهان شعبه بصورة أبطال القصص الشعبي من أمثال أوديب (Oedipus) وأخيل (Achilles) مع فارق أن بطل (الميتابلي) ليس خرافياً لكنه بطل حقيقي ويوجد حتى اليوم الآلاف الشيوخ الروديسين الذين سمعوا في طفولتهم قصصاً بطولية عن ملكهم الراحل والطريقة التي رحل بها من هذا العالم المليء بالغدر لأنه لم يتحمل مشاهدة مآسى شعبه على أيدي الأوربيين الذين خانوا عهدهم للملك ، وذلك من أفواه أناس شاهدوا هذه الأحداث شهود العيان (٢) .

(١) Ransford, Oliver : The Rulers of Rhodesia from Earliest times to the Referendum (London 1968) P. 116

— ملاحظة : نشرت مذكرات لفينجستون عن رحلاته في هذه الجهات :

(a) Livingstone, David : Narrative of an expedition, Zambese & its tributaries (1865).

(b) Livingstone, David: Missionary Travels & researches in South Africa(London 1867).

Keatly, Patrich : Op. Cit. P. 73.

(٢)

٧ - بسط النفوذ البريطاني على روديسيا :

يرجع نفوذ بريطانيا في البلاد إلى الإستعماري البريطاني سيسل جون رودس (Cecil John Rhodes) ، وقصة مجيء رودس إلى هذه البلاد وهو في سن السادسة عشرة للإستشفاء وإنضمامه لجماعة المغامرين الساعين للثراء عن طريق العمل في حقل التعدين والذي ذكر هو أنهم يعانون من حمى الأحجار الكريمة (Diamond Fever) تشبه القمص المشرحة - ويعتبر رودس في الحقيقة مثلاً قوياً للنزعة الإستعمارية التي يتميز بها (العصر الفكتوري) في إنجلترا فقد ظل لآخر حياته لا يعمل من ترديد قوله المأثور وهو يشير بيده لخريطة إفريقيا « أريد أن أرى كل هذه ملونة باللون الأحمر » «All Red—From Cape to Cairo» .

وتتبعنا للمراحل التي مرت بها علاقة إنجلترا بروديسيا توضيح الجذور التي منها نشأت قضية روديسيا .

مرت علاقة إنجلترا بروديسيا في أربع مراحل هامة نجمالها فيما يلي :

أولاً - فترة إدارة شركة جنوب إفريقيا البريطانية (١٨٩٠ - ١٩٢٣) :

تبدأ هذه الفترة بنجاح رودس في بسط نفوذه على مملكة الميتابلي ، وبقضائه على نفوذ الملك (لوبنجيولا) الذي أضطر للهروب من البلاد .

وقد بدأ اهتمام رودس بمملكة الميتابلي باقناعه حاكم مستعمرة الرأس ليرسل جون موفات (John Moffat) وهو ابن المبشر روبرت موفات (Robert Moffat) وكان مقرباً للملك الإفريقي - ليعقد معه معاهدة صداقة تمهد لنفوذ بريطاني في هذه البلاد وتضع حداً لنفوذ (البوير) وغيرهم من الذين بدأت أنظارهم تتجه لهذه المناطق .

ونجح موفات في مهمته فعقد معاهدة عرفت باسمه (Moffat Treaty) أقر فيها الملك بروابط الصداقة التي تربط بين شعبه والشعب البريطاني وتعهد بألا يعقد أية معاهدة تمنح أي فرد أو دولة أجنبية أخرى أية حقوق في بلاده دون إخطار سابق لممثل جلالة ملكة بريطانيا في جنوب إفريقيا (١) .

Samkange, Stanlake : Origins of Rhodesia (London 1968)
PP. 57 & 58.

(١) أنظر الاتفاقية في

على أن رودس وقد نجح في تحقيق الخطوة الأولى نحو هدفه — وهو بسط النفوذ البريطاني على المنطقة التي يحكمها (لوبنجيولا) — أسرع باتخاذ الخطوة التالية فبعث في عام ١٨٨٨ إلى (بولاوايو) بعثة على رأسها شارل دنيل رود (Charles Dunel Rudd) لمحاولة الحصول على توقيع الملك على امتياز يكفل لشركة يكونها رود ورفاقه حق إستخراج واستغلال المعادن الموجودة في حدود مملكته مع ساطة كاماة لعمل كل ما يلزم للحصول على هذه المعادن ، على ألا يمنح الملك إتفاقات مماثلة لمنافسين آخرين . وقد نجح رود بوسائله المختلفة وعن طريق الهدايا للملك وللمقربين إليه من الحصول على توقيع الملك على ما عرف بامتياز رود (Rudd Concession) (١).

واتجهت جهود رودس بعد ذلك إلى لندن فأرسل لوزارة المستعمرات البريطانية مطالباً بسرعة منحه التصريح بتأسيس شركة لإستغلال المناطق التي تمنحه الإتفاقية حق البحث عن المعادن فيها — وسافر رودس إلى لندن في أبريل ١٨٨٩ وبذل جهوداً جبارة لدى أعضاء مجلس العموم والصحافة البريطانية ولاسكات أصوات المعارضين لمشروعاته من الجماعات الإنسانية (Humanitarians) وأعضاء الغرفة التجارية البريطانية والصحفيين وأقطاب المال والسياسة وغيرهم ، مستخدماً كل الأسلحة الممكنة من سلاح الرشوة إلى سلاح الترغيب أو التهديد ، وقد فضح أمر هذه الرشاوى وكان ذلك مثار ضجة في البرلمان وخارجه باعتباره أسلوباً خطيراً للعمل في المجلس النيابي ، وكان رودس يردد أنه يستطيع أن يكسب أي رجل إلى صفه وأن لكل رجل عنده ثمنه (٢) .

وكان الملك (لوبنجيولا) قد أخذ يرتاب في النتائج المترتبة على الاتفاقية التي وقع عليها لأنصار رودس فأرسل بعثة إلى الملكة فكتوريا يستفسر عن أهداف

(١) للاطلاع على نصوص الاتفاقية المذكورة أنظر Ibid, P.P. 78 & 79

— كذلك نشرت نصوص الإتفاقية مع تعليقات عليها في جريدة التيمس في الكيب في عدد ٢٤ نوفمبر

١٨٨٨ (The Cape Times)

(٢) أنظر Robinson, R. & Gallagher, J. : Africa & The Victorians (London 1961) P. 228.

— وكذلك Cross, Felix : Op. Cit. P. 165.

ملاحظة : كانت مجالس إدارة الشركات الاستعمارية في ذلك الوقت تعتبر المجال لمن يستطيع أن يؤدي لشركة خدمة من طريق نفوذ أنصاره في البرلمان أو ما شابه ذلك .

البعثة البريطانية التي جاءت لبلاده وعن نتائج الاتفاقية التي منحها لأعضاء هذه البعثة . وكان رد ملكة إنجلترا على رسالة الملك « إنها تخبره أن البريطانيين الذين جاءوا لبلاده لطلب امتيازات خاصة بالتعدين لم يكلفوا من الملكة بهذا الأمر ، وذكرت له الملكة أن الحكمة تقتضى ألا تمنح كل هذه الحقوق والسلطات لأى فرد أو مجموعة أفراد غرباء فالملك قد يهب ثوراً من قطيعه لكنه لا يهب كل القطيع الذى يملكه (١) .

وأرسل رودس أحد رفاقه المدعو الدكتور جيمسون (Dr. Jameson) ليسافر فوراً إلى (بولوايو) ليكون بجوار الملك وليهدىء من روعه واستطاع الدكتور جيمسون فعلاً أن يتقرب للملك عن طريق تخفيف آلامه التي كان يشكو منها باستخدام (المورفين) .

وفي ٣ أبريل ١٨٨٩ وافق البرلمان البريطانى على المرسوم المطلوب بتأسيس شركة جنوب إفريقيا البريطانية (The British South Africa Company) وأعطى المرسوم الشركة حقوقاً وامتيازات عجيبة - منها حق تكوين قوة بوليسية مسلحة ، ومد الخطوط الحديدية، والتلغرافية وتشجيع هجرة الأوربيين لمناطق نفوذ الشركة (٢). ولسنا ندرى ما هو الحق الذى يخول للحكومة البريطانية أن تعطى للشركة كل هذه الإمتيازات فى أراضى مملكة أخرى ؟

واستناداً على هذا المرسوم الملكى البريطانى أعد رودس قوة لغزو بلاد (الماشونا) و (المتابلي) بحجة إقامة المحطات والنقط الحصينة لحماية عمال وموظفى ومهمات الشركة ، وتقدمت الحملة شمالاً وأسست عدة حصون دفاعية مثل (حصن فكتوريا Victoria Fort) و (حصن سولزبرى Salisbury Fort) - وذهبت احتجاجات الملك (لوبنجيولا) وصرخاته للملكة فكتوريا هباء . ولما وجد رودس - الذى أصبح فى عام ١٨٩٠ - رئيساً لوزارة مستعمرة الرأس - الوقت مناسباً لتحقيق أطماعه أمر فى أكتوبر ١٨٩٣ الحملة التي كانت قد أعدت

(١) للاطلاع على نص خطاب الملك أنظر Gertrud, Sarrah : Rhodes (London 1933) P. 110.

- ورد الملكة وارد فى Gross, Felix : Rhodes of Africa (London 1956) P. 168.

(٢) للاطلاع على نص المرسوم الصادر لشركة أنظر

Hertslet, E. : The Map of Africa by Treaty Vol. I (London 1909) P. 271.

لغزو بلاد الميتابلي بالتحرك ، فبدأت مدافعة تطبق على (بولا يوايو) وتحصده الإفرقيين – ولم يجد الملك أمامه إلا أن يحرق مساكنه ومخازنه ويفر مع بعض حرسه واختفى الملك نهائياً في الغابات والاحراش و هكذا زالت امبراطورية الميتابلي (١) .

ولم يكتف رودس بالاستيلاء على أغلب أراضي (الميتابلي) لكنه أيضاً نهب ماشيتهم وكانت حجته في ذلك « إن غير المتحضرين يجب أن يتركوا المجال للمدنية والحضارة ، وأن الحرب لم يكن منها مفر لضمان استقرار واطمئنان المستوطنين الأوربيين (٢) » .

وهكذا باسم المدنية والحضارة – سلب رودس سكان البلاد الأفريقيين حقهم في أراضيهم وماشيتهم – وكم من جريمة إقترفت باسم المدنية والحضارة .

وكان الاسم الرسمي للمناطق الممتدة من الترנסفال إلى الطرف الجنوبي لبحيرة تنجانيقا والمتداول في أوراق الشركة البريطانية (زامبيزا) لكن منذ عام ١٨٩٥ غير الاسم فأطلق على هذه الجهات اسم (روديسيا) على اسم الرجل الذي ربط هذه البلاد بعجلة الإمبراطورية البريطانية .

وانجهت أنظار رودس بعد ذلك إلى جمهوريتي البوير في (الترנסفال) و (الأورنج) ولتحقيق هدفه هذا دبرت المؤامرة المعروفة باسم غارة جيمسون (Jameson Raid) ولكنها فشلت ، لكن تحدت الحروب بين البوير والإنجليز و انتهت بتوقيع معاهدة بريتوريا في ٣١ مايو ١٩٠٢ وبموجبها فقدت جمهوريتا البوير استقلالهما وقام اتحاد جنوب أفريقيا من (الكيب ، وناتال ، والترانسفال ، والاورانج) (٣) .

على أن قبائل الميتابلي والماشونا لم تستسلم للأمر الواقع فقد ثارت هذه القبائل واعتصمت بالجبال وشتت على الإنجليز حرب العصابات واستخدم القوات التي

(١) Black, Colin : The Lord & Peoples of Rhodesia & Nyasaland (1961) P. 11

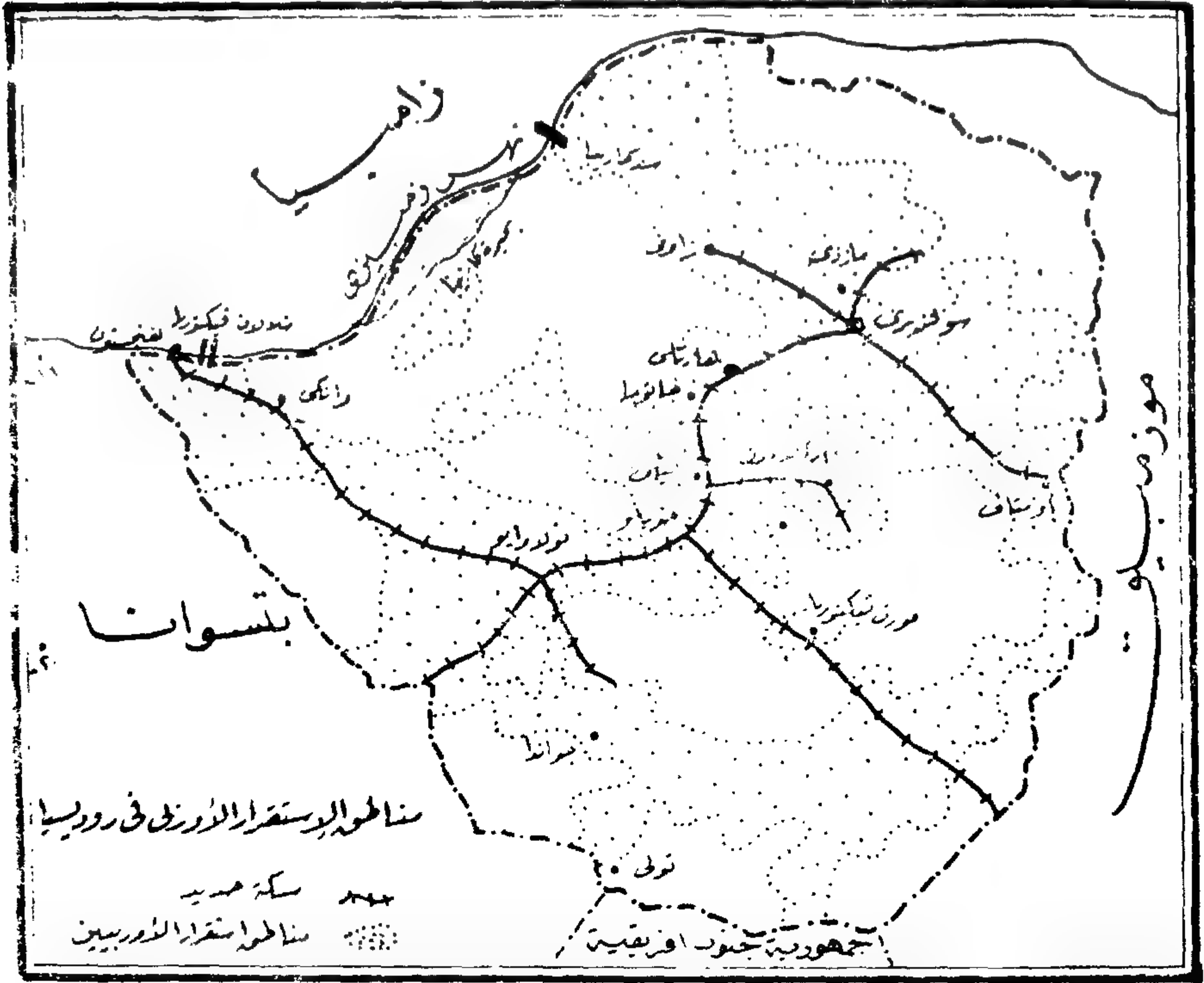
(٢) Lockhart & Woodhouse : Op. Cit. P. 265

(٣) للدراسة التفصيلية لحروب البوير أنظر

Pemberton, Baring : Battles of the Boer War (London 1964)

Marais : The Fall of Kruger's Republic (Oxford 1961). – وكذلك

أرسلتها حكومة جنوب إفريقيا بمنتهى الشدة ضد الأهالي الثائرين في وجه مستعمرتهم فقد كانت تعليمات رودس تقضي بإطلاق الرصاص فوراً ودون رحمة على كل إفريقي يشتبه في إنضمامه للثوار « لأن الإفريقيين - كما قال - كالكلاب يجب أن يطلق عليها الرصاص إذا خرجت عن المألوف وأصبحت خطرة » (١).



(شكل ٤)

لكن هذه الكلاب الإفريقية علمت رودس درساً قاسياً وألزمته أن ينزل عن كبريائه وغطرسته وأن يسعى للصالح وانتهى الأمر باتفاق عقد في ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ بعد أن كان الحصار الطويل والجوع قد أضنى الثائرين.

على أن جهود رودس اتجهت منذ اللحظة الأولى إلى استغلال موارد البلاد : فأقامت الشركة (حكومة) من المستوطنين لإدارة المستعمرة حسب تعليمات مجلس إدارة الشركة .

وكانت مدة الإمتياز الممنوح للشركة خمسة وعشرين عاماً تنتهى فى عام ١٩١٤ لكن بعد أن انتهت مدة الترخيص المذكور مدت الحكومة البريطانية مدة الترخيص المذكور عشر سنوات أخرى . وهكذا استمرت مدة إدارة الشركة لهذه البلاد قرابة خمسة وثلاثين عاماً استطاعت الشركة خلالها أن تثبت أقدام المستوطنين البيض أطلق عليهم اسم (الرواد الأول) على كل مرافق البلاد ، وكرس رودس المدة الباقية من حياته (توفى عام ١٩٠٢) لتحقيق حلمه هذا فقد مدت الخطوط التلغرافية الحديدية لربط مناطق الإستغلال الهامة بهذه البلاد فقد كان رودس يردد دائماً التعبير الذى أصبح مشهوراً به وهو « إن الخطوط الحديدية هى العربة التى ستحمل نفوذ بريطانيا عبر القارة الإفريقية » .

وبتدفق المستوطنين البيض على أرض روديسيا بدأت عمليات النهب والإغتصاب الأرضى وممتلكات وحقوق الوطنيين^(١) .

ويقول اللورد هيلي (Hailey) إن السلطات الحاكمة فى روديسيا قد بسطت سلطانها على الأرض وامتلكتها بوسائل متعددة ، بقوة السلاح أحياناً ، وعن طريق عقد اتفاقات مع رؤساء القبائل أحياناً أخرى ، أو عن طريق الإستيلاء على الأرض بحكم النصوص واللوائح وتفسيرها من وجهة النظر الأوربية دون النظر لحقوق الإفريقيين أو لأهمية الأرض بالنسبة للقبيلة والفرد^(٢) .

وأقامت الشركة (مجلساً تشريعياً) من ١٨ عضواً من المستوطنين البريطانيين تعرض عليه القوانين لمناقشتها .

ثانياً - فترة الحكم الذاتى مع التبعية للتاج البريطانى (١٩٢٣ - ١٩٥٢) :

شكلت الحكومة البريطانية لجنة برئاسة اللورد بركستون (Boxton Commission) لاجراء استفتاء فى روديسيا لاختيار أحد أمرين :

(١) إما الإنضمام لإتحاد جنوب إفريقيا الذى تكون فى عام ١٩١٠ .

(١) أنظر احصاءات توزيع الأراضى ، ونصيب كل من الوطنيين والمستوطنين الأوربيين والتاج من أراضى روديسيا فى . Brelsford, W.V. : Hand Book of the Federation of Rhodesia & Nyasaland (1960) P. 783

Hailey : An African Survey (London 1957) PP. 685—686.

(٢)

(٢) أو أن تتكون في روديسيا حكومة مستقلة استقلالا داخلياً مع تبعيتها للتاج البريطاني ، وتمت عملية التصويت في ٢٧ أكتوبر ١٩٢٢ وأسفرت النتيجة عن موافقة ٨٨٧٤ ضد ٥٩٨٩ صوتاً في صالح الإقتراح الثاني ، وبناء على ذلك صدر قرار بأن تكون روديسيا مستعمرة مستقلة ذاتياً (Self Governing Colony) تابعة للتاج البريطاني - وعلى هذا الأساس وضع أساس الحكم الجديد في روديسيا الذي ظل معمولاً به حتى عام ١٩٥٢ (١) .

وهكذا منحت بريطانيا روديسيا الجنوبية في عام ١٩٢٣ صورة من الإستقلال وأصبغت على نظام الحكم الجديد فيها صبغة ديمقراطية فأصبح هناك مجلس تشريعي ، لكن في الحقيقة كانت هذه كلها مظاهر شكلية ، بل إن الوضع ازداد سوءاً يوماً بعد يوم إذ أن السلطة تركزت في أيدي الأقلية البيضاء التي استغلت قبضتها في الجمعية التشريعية فسنت القوانين التي مكنت المستوطنين البيض من وضع أيديهم على كل مراكز النشاط في البلاد وزاد عددهم بشكل ملحوظ واتزعوا ما بقي من الأرض الصالحة أو التي يمكن استصلاحها من الإفريقيين ومارسوا سياسة التفرقة العنصرية بأبشع صورها فأصبح الأفريقيون غرباء في بلادهم ، وبحكم القانون أصبحوا يعيشون إما في المعازل (Native reserves) أو في الأماكن المخصصة للخدم (Servant Quarters) خلف منازل الأوربيين التي يخدمون فيها وأصبح دخول المدن الأوربية جريمة يعاقب عليها بأشد العقوبات (٢) .

وامتدت مظاهر التفرقة لكل جوانب الحياة فقد اتجهت التشريعات إلى أن تلزم الإفريقيين على العمل في المناجم أو في الأعمال الحرة التي تحتاج لجهود يملوية ويرفع الأوربيون عن القيام بها وكانت أجور الإفريقيين لا تتناسب بحال من الأحوال مع الجهد المبذول أو مع الأجور التي تدفع للأوربيين ، وكان العمال الإفريقيون يلتزمون بالسير على الأقدام لعدة أميال بينما تلتزم الشركات بنقل الأوربيين في سيارات خاصة وعلى الأمر بحجج تحمل كل معاني الاستخفاف بالقول وبالقيم

(١) كان عدد البيض في روديسيا في ذلك الوقت حوالى ٣٤,٠٠٠ نسمة بينما كان عدد الإفريقيين أكثر من مليون نسمة ولم يؤخذ برأى إلا نفر قليل جداً منهم .

Frank, Thomas: Race & Nationalism (Loudon 1960) P. 87

(٢)

والمبادئ الإنسانية فقد برر المسئولون الأمر بأن الأبيض لا يتحمل المشى على قدميه بعكس الإفريقي ، وامتدت مظاهر هذه التفرقة إلى المؤسسات الاجتماعية فالإفريقيون ممنوعون من ارتياد النوادي والمسارح والمطاعم ودور السينما والفنادق التي خصصت للأوروبيين ، بل امتدت للمدارس والمستشفيات وأصبحت تمارس بحماية القانون وفي ظل التشريعات التي صدرت تباعاً لتحقيق رفاهية الأوروبيين وتسخير الإفريقيين لهذا الهدف والعجيب أن الأوروبيين وصل بهم الأمر إلى أنهم لم يجدوا ما يدعوهم لإخفاء هذا الاتجاه فقد ذكر جودفري هاجنز (Godfrey Huggens) في كلمة ألقاها في ١٢ يولييه ١٩٣٤ « لقد حان الوقت ليدرك الناس في أوروبا أن الرجل الأبيض في أفريقية ليس مستعداً ولن يكون مستعداً أبداً لقبول الإفريقي على أنه مساو له من الناحيتين السياسية والاجتماعية » ، وقد أكد دفرى هذا المفهوم ثانية في حديث له آخر بعد ١٩ عاما من هذا الحديث الأول ، أي في عام (١٩٥٣) (١) .

إن دراسة التشريعات التي صدرت في هذه الفترة من تاريخ روديسيا تؤكد كلها حقيقة صارخة وهي أن النهاية التي وصلت إليها مشكلة روديسيا هي في الحقيقة وليدة السياسة التي اتبعت في هذه البلاد طوال سنوات طويلة وتمتد جذورها حتى بداية الاستعمار البريطاني لها - هذا مع العلم بأن دستور ١٩٢٣ منح بريطانيا الحق في الاعتراض على أي قانون تصدره الجمعية التشريعية يكون فيه اضرار بمصالح الوطنيين الأفريقيين (٢) .

ثالثا - روديسيا ضمن اتحاد وسط افريقيا (١٩٥٣ - ١٩٦٣) :

كانت الحلقة الثالثة في سلسة هذه الأحداث التي أدت للقضية التي نحن بصدددها هي محاولة البيض في روديسيا الجنوبية - على وجه الخصوص - لتثبيت امتيازات الأقلية العنصرية البيضاء وكان هذا هو الدافع وراء تحمس هؤلاء البيض في روديسيا لفكرة تكوين اتحاد من روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند .

وحيث وجدت الأقلية البيضاء المسيطرة على الحكم في روديسيا معارضة عنيفة من الإفريقيين في تكوين مثل هذا الاتحاد حددت بأنها ستاجأ إلى إعلان انضمام

(١) راشد البراوى : الاستعمار البريطاني ومشكلة روديسيا - مجلة العلوم السياسية العدد ٣ ص ١٢ .

Franck, Thomas : Op. Cit. P. 20

(٢)

روديسيا الجنوبية إلى جنوب إفريقيا - وهي كما نعلم - قلعة الرجل الأبيض - وكانت الحجج التي قبلت لتبرير قيام مثل هذا الاتحاد « إنه يتيح فرصة للتكامل الإقتصادي بين الأقاليم الثلاثة » وقد عبر المؤيدون لفكرة الاتحاد عن ذلك مستخدمين المثل الإفريقي « إن الإبناء الذي يقف على ثلاثة أرجل لا يستطيع أن يقف على اثنين » (A three legged pot cannot stand on two legs) (١) .

وقد ظلت فكرة الاتحاد تتأرجح فترة طويلة بين التأييد والمعارضة حتى خرجت إلى حيز التنفيذ أخيراً في عام ١٩٥٣ بعد سلسلة طويلة من الاجتماعات واللجان والمؤتمرات ففي أبريل ١٩٥٢ عقد حكام الأقاليم الثلاثة مؤتمراً عرف باسم مؤتمر لانكستر هاوس Lancaster House Conference حضره وزير المستعمرات البريطاني وأتفق فيه على أسس قيام الاتحاد ولم يحضر هذا المؤتمر أحد من الإفريقيين لكن بذلت المحاولات لإقناع الإفريقيين بأن مصالحهم وضعت في الاعتبار وأن فجر عهد جديد من التعاون والمشاركة يوشك أن يبدأ وأن الجميع مدعوون للمشاركة في البناء الجديد (٢) .

على أن مفهوم المشاركة للأسف عند الاقلية البيضاء - كما عبر عنه رئيس الاتحاد - هو أنها تشبه (العلاقة بين الحصان وراكبه) أو كما عبر عنه روي ولينسكي (Roy Wolensky) الذي خلف جود فري في رئاسة الاتحاد عام ١٩٥٦ « بأن الأوربيين عليهم مهمة قيادة الإفريقيين في الاتجاه السليم (٣) » . - فهي علاقة بين تابع ومتبوع وليست بين أفراد متساويين .

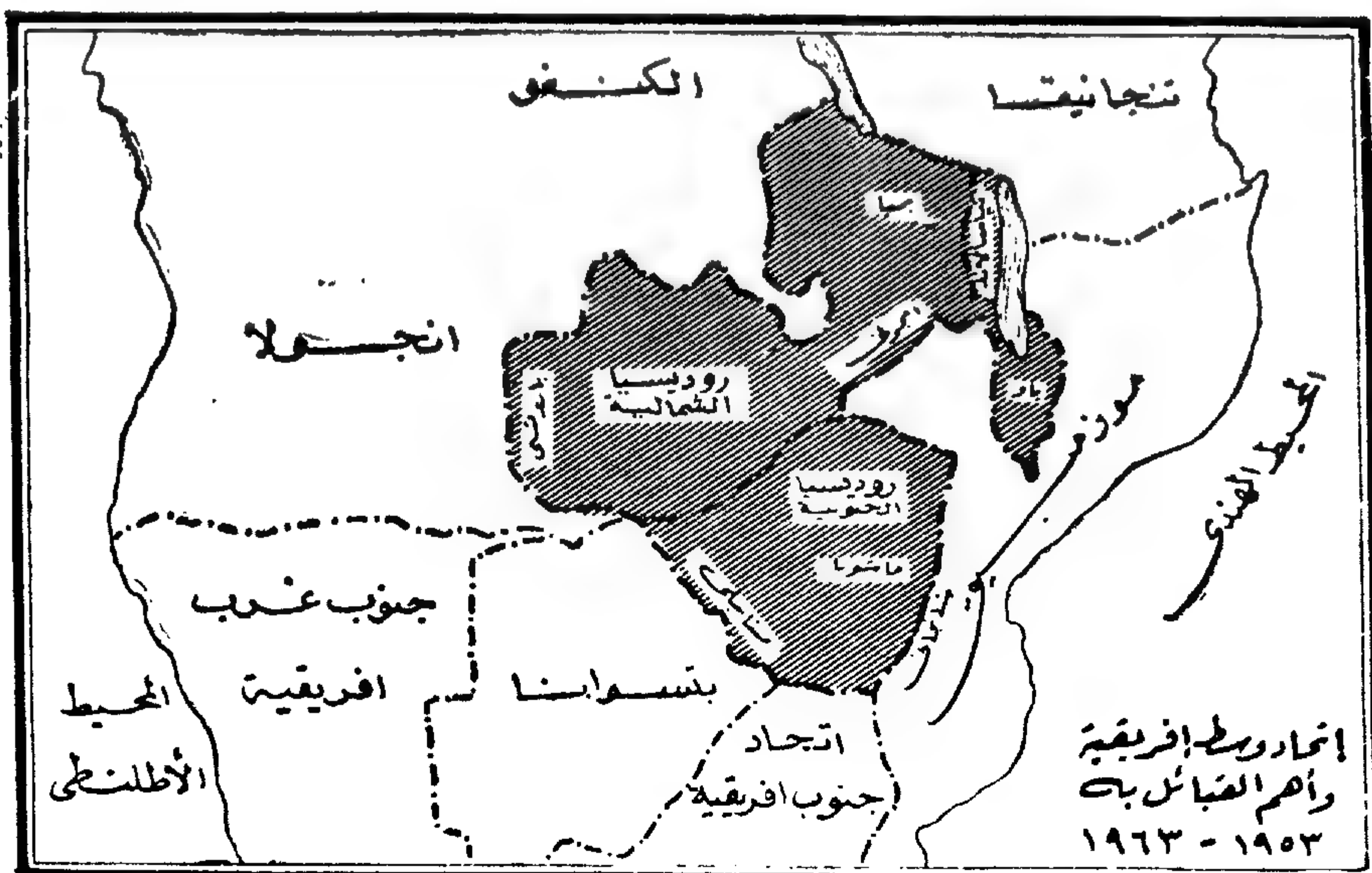
وظهرت منذ اللحظة الأولى لقيام الاتحاد سيطرة الرجل الأبيض وتحقق ما كان بخشاه المعارضون لقيام الاتحاد ، فقد اتجهت معظم التشريعات التي صدرت إلى تحقيق سيطرة البيض وتمكينهم من استغلال موارد البلاد إلى أقصى حد ممكن ، واتبعت أقصى أساليب القمع والعنف مع المعارضين فذه السياسة العنصرية حتى

(١) Brelsford, W.V. : Handbook to the Federation of Rhodesia & Nyasaland (London 1960) P. 591.

(١) Mshali, Vulindela : Rhodesia Back ground to conflict (London 1964) P.P. 96—98

(٢) Mshali, Vulindela : Op. Cit. P.P. 96 & 100

من البيض—فحين طالب جريفيلد (Garifield Todd) الذي كان رئيساً لوزراء روديسيا الجنوبية في الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٥٨ بالعمل على رفع مستوى الإفريقيين ونادى بأن التآخي بين الجميع وخلق مجتمع يشارك فيه الكل ، وينعم فيه الكل بالخير وبثمرة جهودهم هو الوسيلة الوحيدة للتقدم — تكتل المتطرفون ضد هذه السياسة المعتدلة وانتهى الأمر بإبعاده عن الحياة السياسية واعتقاله^(١).



(شكل ٥)

على أن هذا الصراع بين الآراء والاتجاهات المختلفة كان له الفضل في دفع الإفريقيين إلى تنظيم أنفسهم في هيئة جماعات وهيئات يترعّمها بعض القادة الذين نالوا حظاً من الثقافة والتعليم وذلك للوقوف في وجه القوانين الجائرة والأطماع الجائعة للبيض فظهر المؤتمر الإفريقي الوطني (African National Congress—ANC) وظهرت الهيئة الوطنية الديمقراطية (National Democratic Party—NDP) وغيرهما من الهيئات ، وقابلت السلطات الحاكمة الأمر بإصدار مزيد من قوانين القمع وكبت الحريات ، لكن تطور الأحداث بهذا الشكل جعل الكثيرين من البريطانيين أنفسهم — ومنهم أعضاء في البرلمان البريطاني من أمثال جون ستونهوس (John Stonehouse) الذي أتهم أثناء زيارته لروديسيا ولقائه بزعماء الإفريقيين بأنه

Todd, Judith : Rhodesia (London 1966 P. 29.

(١)

حرضهم على الخروج على السلطات بقوله لهم : إنكم يجب أن تتصرفوا كأنكم أصحاب البلاد ولستم غرباء فيها - يشيرون إلى أن الأوضاع في روديسيا الجنوبية لا تختلف عن الأوضاع التي تشكو منها في الكونغو .

وقد عقدت الحكومة البريطانية عدة إجتماعات و مؤتمرات لمحاولة وضع علاج لهذه الأوضاع المتدهورة في الإتحاد عن طريق وضع دستور جديد يعمل به في روديسيا الجنوبية بدلا من دستور ١٩٢٣ لكان الوضع في روديسيا تدهور بشكل ملحوظ وأصبح ينذر بالخطر إثر فوز حزب إيان سميث (Ian Smith) الذي يمثل في الحقيقة كبار الملاك والرأسماليين البيض الذين أثروا ثراء فاحشاً من استغلال أموالهم في روديسيا الجنوبية - في انتخابات عام (١٩٦٢) - وألف ستون فيلد (Field) وزارة كان سميث وزيراً للخزانة فيها بينما كانت كل من روديسيا الشمالية ، ونياسالاند تسعى للحصول على الاستقلال .

وفي ٣١ ديسمبر ١٩٦٣ عقد بتلر (Butler) الوزير البريطاني مؤتمراً أعلن فيه حل اتحاد وسط أفريقيا وأعقب ذلك استقلال روديسيا الشمالية في يولييه ١٩٦٤ تحت اسم (جمهورية زامبيا) كما استقلت نياسالاند في أكتوبر ١٩٦٤ تحت اسم (جمهورية مالاوي) وبقيت روديسيا الجنوبية مستعمرة تحت حكم الأقلية العنصرية البيضاء باسم روديسيا .

رابعاً - حكم الأقلية العنصرية البيضاء في روديسيا :

هكذا كانت عجلة الأحداث في هذه المنطقة الهامة من إفريقيا تسير بسرعة عجيبة فبينما الأقلية البيضاء تستحث الخطى لتضرب ضربتها الأخيرة فتعلن الانفصال التام عن النفوذ البريطاني وتنفرد بتسيير دفة الأمور في روديسيا دون منازع - نجد الزعماء الوطنيين يتخاصمون ويتنازعون على أشياء ليست جوهرية في هذه الآونة الحاسمة من النضال - فقد حدث خلاف بين (انكوتو) ، وسيرول (Si hole) وانتهى الخلاف بخروج سيرول وبعض رفاقه وأعلنوا تكوين حزب جديد باسم اتحاد زمبابوي الإفريقي القوي - زانو .

وفي أبريل ١٩٦٤ استقالت وزارة ونستون فيلد لتفسح المجال لوزارة يرأسها (إيان سميث) ، وأعلن سميث بمجرد توليه الوزارة الجديدة : أن هدف حكومته

الأساسى هو إعلان استقلال روديسيا ووضع دستور جديد لها يكفل السيادة الكاملة للبيض ويضع فى أيديهم كل السلطات والإمكانات (١) .

وبدأ سميث على الفور سياسة عنيفة لتصفية الحركات القومية فاعتقل الأعضاء البارزين من حزبي (زانو) ، (زابو) وزج بهم فى معتقلات أنشأها فى الأماكن النائية بعيداً عن المدن الرئيسية — ثم بدأ يفاوض بريطانيا الإتفاق على ما أسماه (الاستقلال) ملوحاً باستعداده لإعلان الاستقلال من جانب واحد إذا لم تصل الحكومة البريطانية إلى اتفاق معه تمنح روديسيا بموجبه الاستقلال .

واتضحت نوايا سميث حين زار (جنوب إفريقيا) قلعة العنصرية فى إفريقيا للإجتماع مع رئيس وزرائها د . فيرورد (Dr. Verwoerd) ، كما زار وهو فى طريقه إلى لندن — دكتور البرتغال دون سالازار (Don Salazar) — ونستطيع أن نتكهن بسهولة بما دار فى هذه الإجتماعات بين الأطراف الثلاثة التى تمثل بلا شك تحالفاً غير مقدس أو غير شريف بتعبير آخر .

وتعددت الإجتماعات بين ممثلى بريطانيا وبين سميث وأعوانه للوصول إلى الإتفاق على شروط يرتضيها الطرفان دون طائل وكان سميث قد أجرى انتخابات برلمانية عامه أسفرت عن أغلبية ساحقة لحزبه فى البرلمان ، وفى أكتوبر ١٩٦٥ طار واسون (Wilson) إلى روديسيا فى محاولة يائسة ليسنى سميث عن عزمه ، لكن هذا الأخير لم يلبث أن أعلن حالة الطوارئ فى البلاد فى ٥ نوفمبر ١٩٦٥ ، وفى ١١ نوفمبر أعلن فى بيان قصير قراره الخطير . وقد جاء فى هذا البيان « إن القرار الذى اتخذناه اليوم هو قرار برفض الروديسيين أن يتنازوا عن طريق البيع عن حقهم الوراثى ... لقد اتخذنا هذا القرار لحماية العدل ، والحضارة والمسيحية فنحن وحي هذه الأهداف فأننا فى هذا اليوم قررنا أن نمارس حقنا فى الإستقلال ليبارككم الله جميعاً (٢) .

(١) ولد سميث فى روديسيا فى عام ١٩١٩ من أبوين من المستوطنين الإنجليز ، وتعلم فى (جامعة رودس) فى جنوب إفريقيا ، وبدأ نجمه يلمع منذ عام ١٩٦١ حين استقال من حزب الجبهة الروديسية (Rhodesian Front Party) احتجاجاً على دستور ١٩٦١ ، وشكل جماعة أخرى متطرفة تعارض منح أية حقوق سياسية للإفريقيين .

(٢) ترجمة حرفية لإعلان الاستقلال الذى أذيع فى ذلك التاريخ .

وقد أحدث هذا الإعلان دوياً عنيفاً في بريطانيا ، وفي الدول الإفريقية وفي الأمم المتحدة فتحرّكت لإتخاذ الإجراءات لمواجهة الموقف الحديدي الذي يعتبر في الحقيقة تحدياً صارخاً للضمير العالمي وللبادئ العالمية كلها .

ثالثاً - موقف منظمة الوحدة الإفريقية من قضية روديسيا

منذ أن بدأت المؤتمرات الإفريقية بهدف توحيد جهود الإفريقيين في مواجهة قضاياهم المشتركة - احتلت قضية روديسيا مكانة هامة من اهتمام الدول والحكومات الإفريقية .

وحيث نجح مؤتمر القمة الإفريقي الأول في أديس أبابا الذي عقد في الفترة من ٢٢ إلى ٢٥ مايو ١٩٦٣ في إصدار ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية (Organization of African Unity-OAU) تركّزت الأنظار على هذه المنظمة لتبني (قضية روديسيا) باعتبارها في مقدمة قضايا النضال الإفريقي من أجل حق الشعوب الإفريقية في الحياة الحرة الكريمة^(١) .

وقد اتخذ مؤتمر القمة الإفريقي الأول قرارات خاصة بقضية روديسيا فأعلن تأييده الكامل للوطنيين الإفريقيين بها ، ودعا المملكة المتحدة ألا تنقل سلطات ومقررات السيادة لحكومة تمثل الأقليات المستوطنة فيها وأشار إلى أن هذا العمل إذا تم يعتبر إخلالاً بقرار الأمم المتحدة ١٥١٤ الذي اتخذته الجمعية العامة للأمم المتحدة في الدورة (١٥) بتاريخ ١٤-١٢-١٩٦٠ ، وقد شكل المؤتمر لجنة خاصة أطلق عليها اسم (لجنة التحرير) من تسعة أعضاء لبحث - قضية الاستعمار من جميع نواحيه وعهد إليها ببحث هذه المشكلة الروديسية ، وقد قررت هذه اللجنة بدورها تأليف لجنة ثلاثية من ممثلي (تنجانيقا ، وأغنده ، ونيجيريا) للسعي للتوفيق بين الحزبين الرئيسيين في روديسيا حزب (زابو) وحزب (زانو) لتكاتف الجهود كلها

(١) حفلت الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية بسلسلة هامة من المؤتمرات الآسيوية والأفريقية.

- للدراسة المستفيضة لهذه المؤتمرات وقراراتها أنظر :

شوقي الجمل : الوحدة الإفريقية ومراحل تطورها (القاهرة ١٩٦٦) .

- أما عن ميثاق منظمة الوحدة الإفريقية فهو من ٣٣ مادة :

أنظر Organization of African Unity; Basic Documents & Resolutions-Charter of OAU.

وكذلك بطرس بطرس غالي : منظمة الوحدة الإفريقية (د . ت) ص ٧٩ وما بعدها .

لمواجهة الإستعمار خاصة بعد أن فاز - في الانتخابات - حزب (جبهة روديسيا) الذى يمثل المتطرفين من الأقلية البيضاء .

وقد وجه مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية الذى عقد فى لاجوس - بنيجيريا فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٩ فبراير ١٩٦٤ الأنظار إلى التطورات الخطيرة التى تتطور إليها مشكلة روديسيا ، وطالب الحكومة البريطانية باتخاذ إجراءات فعالة لمواجهة الموقف الذى ينذر بالإنفجار فى روديسيا ، كما طالب الأعضاء فى منظمة الوحدة الإفريقية بإعادة النظر فى علاقاتهم مع بريطانيا إذا تجاهلت توصيات المؤتمر كما دعاهم لتقديم المزيد من التأييد للوطنيين الإفريقيين فى كفاحهم فى سبيل حقهم ، وطالب المجموعة الإفريقية فى الأمم المتحدة باتخاذ إجراءات أخرى فعالة بالتعاون مع المجموعة الآسيوية لإلزام الحكومة البريطانية بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن روديسيا .

وكان على مؤتمر القمة الإفريقى الثانى الذى عقد فى القاهرة فى الفترة من ١٧ إلى ٢١ يوليو ١٩٦٤ أن يواجه الموقف فى روديسيا بما يستلزمه من إجراءات حازمة خاصة بعد أن تولى (إيان سميث) فى أبريل ١٩٦٤ عقب إستقالة وزاره فيلد .

وقد أشار رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة فى الخطاب الذى ألقاه فى جلسة الافتتاح إلى خطورة الوضع فى روديسيا ، كما أشار رئيس وفد زامبيا - وهى الدولة الإفريقية التى لم تكن حتى انعقاد المؤتمر قد استقلت بعد^(١) - إلى وضع زامبيا الحرج بالنسبة لموقعها بين قوى استعمارية وعنصرية (أنجولا ، وموزمبيق ، جنوب أفريقيا ، روديسيا الجنوبية) ، كما أن الاستعمار ربط بين اقتصاديات هذه البلاد بطريقة تضمن تحكمه فى شرايين الحياة الاقتصادية بها^(٢) .

وقد اتخذ هذا المؤتمر الإفريقى (مؤتمر القمة الثانى) قرارات هامة خاصة

(١) استقلت زامبيا فى ٢٤ أكتوبر ١٩٦٤ وهى روديسيا الشمالية لكنها اتخذت بعد الاستقلال اسم جمهورية زامبيا .

(٢) أشارت اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة التى شكلت فيما بعد لبحث أثر المصالح الاقتصادية الاستعمارية وتأثيرها على قضية روديسيا - إلى ذلك كما سنوضح فيما بعد .

بروديسيا تقضى بأنه في حالة إعلان حكومة الأقلية في روديسيا الاستقلال من جانبها فإن الدول الإفريقية ستؤيد قيام حكومة وطنية إفريقية في المنفى ، كما ناشد المؤتمر بريطانيا الإسراع باتخاذ الخطوات الكفيلة بإعلان دستور ديمقراطي جديد يضمن حكم الأغلبية وطالب بالإفراج فوراً عن الزعماء الوطنيين المعتقلين في سجون روديسيا ، وانتدب المؤتمر لجنة من ممثلي (مالاوي) و (تنجانيقا) و (زنجبار) لبذل مساعيها للتوفيق بين الأحزاب الروديسية .

و حين عقد مؤتمر القمة الإفريقي الثالث بأكرا في الفترة من ٢١ إلى ٢٥ أكتوبر ١٩٦٥ كانت منظمة الوحدة الإفريقية قد أتمت ٢٩ شهراً من عمرها ، وكانت في هذه الفترة الوجيزة قد قامت بنشاط كبير في حل العديد من المشاكل الإفريقية المترسبة من عصر الاستعمار الطويل كالنزاع الصومالي الاثيوبي الكيني ، والحركات الاستعمارية التي صاحبت استقلال الكونغو - ومع ذلك فقد كانت المشكلة الروديسية تفرض نفسها على رؤساء الدول الإفريقية وكانت هذه المشكلة في الحقيقة تعتبر اختباراً صعباً لمدى قوة منظمة الوحدة الإفريقية ومبادئها - ورغم اختلاف وجهات النظر بين المنادين باستخدام القوة المسلحة لردع المتمردين البيض في روديسيا وقطع علاقات الدول الإفريقية مع بريطانيا وانسحاب الدول الأعضاء في (الكومنولث) وبين من كان يرى ضرورة التروي قبل إتخاذ هذه الخطوات الحاسمة - فقد اتخذ المؤتمر قرارات توفق بين وجهات النظر المختلفة وتقضى (١) :

١ - بإعادة النظر في علاقات الدول الإفريقية مع بريطانيا إذا تهاونت مع المستوطنين وتركهم يصلون إلى هدفهم من الإستيلاء على السلطة في البلاد .

٢ - تقديم كل مساعدة لشعب زيمبابوي لتحرير نفسه وبلاده ودعوة الدول المحبة للسلام لمعاونة هذا الشعب في محنته .

٣ - دعوة مجلس الأمن لاستعمال العقوبات المنصوص عليها في الباب السابع من ميثاق الأمم المتحدة باعتبار الموقف في روديسيا مهدد للسلام والأمن العالميين .

(١) أنظر Resolutions of African Heads of State & Governments held in Akra from 21 to 25 October 1965.

٤ - مقاطعة الحكومة القائمة في روديسيا الجنوبية مقاطعة سياسية واقتصادية تامة وتشكلت لجنة من خمس دول إفريقية لمتابعة تنفيذ قرارات (أكر) بشأن روديسيا .

على أن إعلان (إيان سميث) في ١١ نوفمبر ١٩٦٥ - الاستقلال المزيف وضع جميع الدول الإفريقية ومنظمة الوحدة الإفريقية أمام اختبار قاس - فحكومة الأقلية البيضاء في روديسيا فضلاً عما تمارسه من أعمال القمع والاضطهاد ضد شعب زيمبابوي - تمثل في الحقيقة قاعدة استعمارية تمارس الدول الإستعمارية عن طريقها نشاطها مثلها في ذلك مثل إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط .

تحليل موقف منظمة الوحدة الإفريقية بعد إعلان سميث الاستقلال :

في ضوء قرارات مؤتمر أكر والمؤتمرات السابقة له كان أمام الدول الإفريقية عدة إجراءات تتطلبها التزاماتها تجاه الموقف في روديسيا منها :

١ - اتخاذ إجراءات اقتصادية وسياسية ضد حكومة الأقليات - ويتطلب هذا تعاون الدول الأخرى التي تتعامل مع روديسيا لتكون المقاطعة فعالة كما يتطلب الأمر فرض الحصار على (الثغور التجارية) التي تعتبر منافذ لروديسيا .

٢ - الضغط على بريطانيا بكل الوسائل لإلزامها للقيام بواجبها باعتبارها المسؤولة عن الوضع في روديسيا ، ومن بين وسائل الضغط على بريطانيا - إعادة النظر في علاقات الدول الإفريقية السياسية والاقتصادية مع حكومة لندن تنفيذاً لما اتخذته الدول الإفريقية في مؤتمر أكر في هذا الشأن - عل أنه كان يخشى من تردد بعض الدول الإفريقية في اتخاذ هذه الخطوات مما يحول دون نجاحها . وهذا ما حدث بالفعل .

٣ - التزمت الدول الإفريقية في مؤتمر أكر باستخدام القوة لمنع استقلال الأقلية البيضاء - وتنفيذ هذا القرار يتطلب إسهام الدول الإفريقية في تكوين قوة عسكرية مسلحة لتموين المعركة ضد حكومة الأقلية في روديسيا ولتقديم التأييد الكافي (لزامياً) باعتبارها المنفذ الوحيد لوصول المساعدات للشعب الإفريقي في روديسيا ، كما يستلزم تنفيذ هذا أيضاً أن يندد شعب زيمبابوي بخلافاته ويجتمع كله حول هدف واحد هو استخلاص حقه من مغتصبيه .

٤ - إقامة حكومة وطنية لروديسيا في المنفى تعترف بها وتساندها الدول الإفريقية - لكن تنفيذ هذا يستلزم حسم الخلاف بين حزبي (زابو) و (زانو) وتكوين جبهة واحدة تواجه الموقف وتتولى الكفاح المسلح ضد العدو المشترك - لكن كان يحول دون ذلك إصرار كل حزب على أنه الحزب الوحيد الذي يمثل جماهير الشعب الروديسي .

وفي ٣ ديسمبر ١٩٦٥ عقد مجلس وزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الإفريقية إجتماعاً طارئاً في أديس أبابا لبحث الموقف الجديد في رودسيا واتخذ المجلس في هذا الاجتماع قرارات تقضي بفرض حصار إقتصادي كامل على رودسيا وعدم تقديم أية تسهيلات للحكومة العنصرية بها للحصول على البترول أو الوقود ، كما قرر إعطاء بريطانيا مهلة أخرى حتى ١٥ ديسمبر لتمارس مسؤولياتها باستخدام القوة لاسقاط (إيان سميث) وحكومته غير الشرعية وإلا نفذت الدول الإفريقية التزامها بقطع علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا .

ولما لم تتخذ بريطانيا حتى ١٥ ديسمبر موقفاً حاسماً إزاء المؤامرة الإستعمارية في رودسيا بدأت الدول الإفريقية المتحررة بقطع علاقاتها معها الواحدة تلو الأخرى وكانت في مقدمة الدول التي اتخذت هذا الاجراء الجمهورية العربية المتحدة ، وغينيا وبنن ، وغانا ومالي ، وموريتانيا والكونغو (برازافيل) ، والجزائر - كما أخذت الدول الإفريقية الأعضاء في الكومنولث البريطاني تبحث ما يمكن اتخاذه من اجراءات .

على أن الدول الأعضاء في منظمة الوحدة الإفريقية لم تستطيع أن توحد موقفها من هذه المشكلة الخطيرة ، وقد عبر عن ذلك السيد (دياللو تيلي) الأمين العام لمنظمة الوحدة الإفريقية قبل إجتماع مؤتمر القمة الإفريقي الرابع بأديس أبابا في عام ١٩٦٦ بقوله « إن حكومة المملكة المتحدة كما تبدو قد نجحت في شل حركة الدول الإفريقية ، والدول الصديقة سواء في أفريقيا أو في الأمم المتحدة للإطاحة بحكومة المتمردين البيض التي اغتصبت السلطة في رودسيا » .

وقد ناقش المؤتمر الذي عقد في أديس أبابا في الفترة بين ٥ إلى ٩ نوفمبر ١٩٦٦ مشكلة رودسيا في أكثر من جلسة من جلساته ، كما ناقش وضع (زامبيا) بالذات

وما تتعرض له من ضغوط إقتصادية وسياسية نتيجة موقفها من القضية واتخاذ المؤتمر قرارات تقضى بدعم حركة تحرير روديسيا وتقديم المساعدات الفنية والإقتصادية لمساندة زامبيا ليتمكنها أن تصمد وأن تقدم مساعدات أكثر للمحاربين في زمبابوى وكذلك تقضى باتخاذ اجراءات مشددة ضد الأفراد والشركات التى لا تزال نشاطها مع روديسيا الجنوبية .

هكذا أصبحت قضية روديسيا تحتل مكاناً بارزاً من مناقشات واجتماعات اللجان المختلفة والمؤتمرات لمنظمة الوحدة الإفريقية ، وقد تألفت لجنة خماسية خاصة متفرعة من لجنة تحرير إفريقيا لمتابعة الجهود المبذولة المتصلة بهذه القضية وهى من ممثلى (الجمهورية العربية المتحدة ، وزامبيا ، وكينا ، وتانزانيا ، ونيجيريا) وبذلت هذه اللجنة جهوداً مضنية لبحث الوسائل الفعالة لمساندة المتاضلين الوطنيين فى روديسيا - كما تكونت لجنة ثلاثية أخرى من مندوبى الجزائر ، والسنغال . وزامبيا لمتابعة الموقف المتعلق بالقضية فى الأمم المتحدة وقد أطلق على هذه اللجنة اسم (لجنة روديسيا التابعة لمجلس الأمن) .

ورغم كل هذه الجهود فقد أثبتت تقارير هذه اللجان التى قدمت لمؤتمر القمة الإفريقى الذى عقد فى كينشاسا (زائرى) فى الفترة من ١١ إلى ١٤ سبتمبر ١٩٦٧ إن الأمر يحتاج إلى إجراءات أخرى أكثر فاعلية خاصة وأن العقوبات الاقتصادية التى فرضت على حكومة الأقلية العنصرية فى روديسيا كانت قليلة الحدوى بسبب المساعدات المستمرة التى تقدمها (البرتغال) و (جنوب إفريقيا) للنظام الثائر فى روديسيا ، كما أن الإفريقيين هم الذين يتحملون العبء الأكبر لهذه المقاطعة الإقتصادية - كما ذكر الكاتب (كولين ليجوم) المتخصص فى الشؤون الإفريقية - فالعمال الزراعيون أصبحوا يعيشون على لقمة العيش التى يقدمها لهم مخلوموهم . ولما كان الإفريقيون لا يجدون أى بدل لهذا الوضع الذى يعيشون فيه فإنهم لا حول لهم ولا قوة ، (١).

ورغم أن قضية روديسيا كانت مثار بحث ونقاش فى مؤتمرات القمة الإفريقية

(١) تحقيق نشره الأهرام فى ١٥ فبراير ١٩٦٧ الكاتب هو صاحب كتاب الجامعة الإفريقية وقد ترجمه إلى العربية أحمد محمود سليمان (القاهرة ١٩٦٤) .

التي عقدت بعد ذلك لكن لم تستطيع الدول الإفريقية أن تركز على هذه القضية بالذات لبروز مشكلات أخرى حيوية كمشكلة بيافرا ومشكلة الشرق الأوسط فلم تعد المشكلة الروديسية هي المشكلة الرئيسية التي يتركز عليها اهتمام الدول الإفريقية .

ولا شك في أن (أيان سميث) قد استفاد من هذه الظروف فعمد إلى دعم مركزه في البلاد ، كما أن بريطانيا لجأت إلى مفاوضة نظام الأقلية غير الشرعية في سولزبرى لإيجاد حل للأزمة من وجهة نظرها — ففي الفترة من ١٠ إلى ١٢ أكتوبر ١٩٦٨ دارت المباحثات بين (ويلسن) رئيس وزراء بريطانيا وبين أيان سميث على ظهر الباخرة البريطانية (فيرلس) وكانت الحكومة البريطانية قد وضعت بعض المبادئ لتيسير المباحثات بين الجانبين على أساسها — ورغم أن هذه المبادئ قد رفضت من جانب الحكومة العنصرية في روديسيا فإن الدول الإفريقية أعربت أيضاً عن إعتراضها على ما تضمنته هذه المقترحات من مبادئ بل إنها احتجت على مبدأ المفاوضة نفسه مع هذه الحكومة دون اتخاذ موقف أكثر حزمًا منها .

وتتمة للخطوة التي بدأها سميث يوم أعلن في (١١ نوفمبر ١٩٦٥) استقلال روديسيا في ظل نظام الأقلية العنصرية — قامت حكومة سميث في عام ١٩٧٠ بوضع دستور جديد لروديسيا يزيد من قبضة الأقليات العنصرية في حكم البلاد — كما أعلنت في آخر فبراير ١٩٧٠ قيام الجمهورية في روديسيا — فكان هذا بمثابة تحد جديد لمنظمة الوحدة الإفريقية وللأمم المتحدة والعالم المتحضر كله .

وقد ناقش مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية في دورته الرابعة عشرة (فبراير — مارس ١٩٧٠) الوضع في روديسيا ، كما ناقش مؤتمر القمة الإفريقي الثامن في اجتماعه في أديس أبابا (سبتمبر ١٩٧٠) القضية في ضوء هذه التطورات الجديدة ، وقد أعرب المؤتمر عن سخطه إزاء هذا التحدي السافر من حكومة سولزبرى وإزاء تهاون بريطانيا في إتخاذ إجراء بحسم الأمر وطالب بضرورة تطبيق الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة الخاص باستخدام القوة لحسم الموقف في روديسيا باعتبار أنه يعرض السلام والأمن الدولي لخطر .

على أن مشكلة روديسيا برزت من جديد على مسرح الأحداث منذ عودة

حكومة المحافظين في إنجلترا إلى الحكم في ١٨ يونيو ١٩٧٠ فقد صرح رئيس الوزراء إدوار هيث (Edward Heath) بأنه سيعمل للوصول إلى حل سلمي لهذه المشكلة ومرت المفاوضات بين الطرفين في هذه المدة في عدة مراحل واستغرقت شطراً كبيراً من عام ١٩٧١ و انتهى الأمر بإعلان صدر في لندن في ٢٥-١١-١٩٧١ بأن الوفد البريطاني الذي كان على رأسه السير (اليك دوجلاس) قد وصل إلى (مشروع) إتفاق بشأن الأزمة الدستورية بين بريطانيا وروديسيا سوف يعرض على شعب روديسيا لبدء رأيه فيه عن طريق ما أطلق عليه لفظ (اختبار القبول) (The test of acceptability) ، وقد كونت لجنة برئاسة اللورد بيرس (Lord Pearce) للقيام بهذه المهمة^(١) ، ولا يتسع المجال هنا لمناقشة كل بنود هذه الإتفاقية لكن نشير لبعض ملاحظات بخصوصها :

١ - لم يوضح المعيار الذي ستخذه اللجنة لتصل إلى الحكم الصحيح بالنسبة لرأي الإفريقيين في الإتفاق ، ولعله كان من الأفضل معرفة رأي الإفريقيين في الإتفاق عن طريق الإقتراع العام بدلا من لجنة لم يحدد الإتفاق عدد أعضائها أو نوعيتهم .

٢ - يتعلق بدستور روديسيا نص الإتفاق على أن الأساس سيكون دستور (١٩٦٩) مع تعديلاته تتح الفرص للإفريقيين للإدلاء بأصواتهم في الانتخابات وبالتالي بالترشيح للبرلمان حسب الدخل ومستوى الثقافة بحيث يصبح الإفريقيين على قدم المساواة مع البيض في الحكم إذا ما وصل تقدمهم في المبدئين التعليمي والاقتصادي إلى المستوى الذي وصل إليه البيض .

وهذا الفرض وإن كان للمساواة لكن حقيقته غير ذلك ، وقد أشار اللورد (البورت) الذي كان وزيراً مستولا عن الشؤون الإفريقية في حكومة (هارولد ماكيلان) تعليقا على هذا التعديل في الدستور « إنه لا يتوقع أن تكون هناك فرصة أمام قيام حكم للأغلبية في ظل هذا الاتفاق » .

٣ - كذلك لم يضع الإتفاق حداً جنزياً لمشكلة التفرقة العنصرية ، وإن كان

(١) نلاحظ أن البيان لم يستخدم كلمة استفتاء .

قد أشار إلى أن (سميث) قد سجل « رغبة حكومته في الحد من التفرقة العنصرية إلا إذا وجدت اعتبارات خاصة تنظر إليها أية حكومة على أنها بالغة الخطورة » .

وقد قوبلت هذه العبارة في مجلس العموم البريطاني باستهجان وكان تعليق أحد أعضاء المجلس (مستر فولدرز Faulds) بأن « أقل ما توصف به هذه العبارة أنها أمر مشين وخيانة كاملة واضحة (١) » .

٤ - ومن جهة الخدمات قررت بريطانيا تزويد روديسيا بمساعدة قدرها ٥٠ مليون جنيه استرليني سنويا ولمدة عشر سنوات لمساعدة الحكومة على تنفيذ برامج للتنمية والتعليم خاصة في المناطق الإفريقية - وكانت هذه المساهمة البريطانية هي الورقة التي حاولت بريطانيا أن تكسب عن طريقها موافقة الإفريقيين على هذه الإتفاقية .

وقد قوبلت الإتفاقية بموجة من السخط والهجوم في الدول الإفريقية - وكذلك في أوساط الأمم المتحدة بل وفي بريطانيا من حزب المحافظين ومن الإفريقيين في روديسيا .

وصلت لجنة (تقصى الرأى) إلى روديسيا في ١١ يناير ١٩٧٢ . لقيام بمهمتها ، وفي مايو ١٩٧٢ قدمت للبرلمان البريطاني نتائج عملها الذي شرحت فيه بإيضاح الطريقة التي اتبعتها لمعرفة رأى الإفريقيين والمصاعب التي قابلتها مع جداول تفصيلية بعدد الأفراد الذين قابلتهم اللجنة من كل من الأوربيين والإفريقيين واتجاه آراء كل مجموعة فيما يتعلق بالاتفاقية وما قدمت للجنة من شكاوى واتهامات عن تدخل رجال الادارة أو غيرهم في الإنتخابات أو عن اعتقال الحكومة الروديسية لبعض الزعماء الإفريقيين في فترة عمل اللجنة .

ومن تحليلنا لنتائج الاستفتاء حسب تقرير اللجنة نلاحظ :

١ - أن عدد الذين أدلوا بأصواتهم من الإفريقيين كان ١١٦,٣٦٤

Times Friday-November 26, 1971 (House of Commons)

(٢) أنظر

Report of the Commission on Rhodesian Opinion under the Chairmanship of the Right honourable Lord Pearce presented to Parliament (May 1972) . أنظر

بينما عدد البالغين فوق ١٨ سنة حسب إحصاء ١٩٦٩ هو ٢,٠٠٧,٤٢

وتقدير الزيادة في عدد السكان خلال هذه الفترة بحوالى ٧٪ .

٢ - عدد الذين أدلوا بأصواتهم من الأوربيين كان ٦,٠٢٤ بينما عدد البالغين (فوق ١٨ سنة) حسب إحصاء ١٩٦٩ هو ١٤٤,٩٧٠ وتقدر الزيادة في العدد في هذه الفترة تقدر بـ ٥٪ .

٣ - بلغ عدد الذين رفضوا المقترحات من الإفريقيين الذين أدلوا بأصواتهم ١٠٧,٣٠٩ بينما عدد الذين وافقوا عليها لم يتعد ٢,٩٣٤ - وهكذا تكون الأغلبية الساحقة من الإفريقيين قد رفضت المقترحات ، وكما ذكر التقرير أن أكثر المتفائلين من رجال الأحزاب الإفريقية لم يكونوا يتوقعون أن تصل نسبة الرفض إلى هذا الحد الكبير .

٤ - وصل عدد الذين قبلوا هذه الإتفاقية من الأوربيين إلى ٥,٦٣٤ وعدد الراضين لم يتعد ٣٩٠ - وهكذا تكون غالبية الأوربيين قد قبلت المقترحات .

ومن الأسباب الرئيسية التي ذكرتها الأغلبية الأوربية لقبولها المقترحات أن هذه المقترحات ، هي الفرصة الوحيدة لإيجاد جو من التفاهم والتقارب بين الإفريقيين والمستوطنين الأوربيين ، وأنها ستفتح المجال لتحسين الحالة الاقتصادية وإيجاد فرص عمل جديدة ، للإفريقيين وبذا يستتب الأمن لأنه كما قال أحدهم « الإنسان الجائع إنسان خطر » .

أما الإفريقيين فعللوا رفضهم للمقترحات بأنها لا يحق لهم العدالة والمساواة ، كما أنهم ذكروا أن الإتفاقية تضمنى الصبغة القانونية على تصرفات الحكومة الروديسية دون أن تكفل أية ضمانات على احترامها لالتزاماتها .

وهكذا انهارت هذه الاتفاقية الجديدة من بريطانيا وحكومة روديسيا العنصرية .

رابعاً - موقف الأمم المتحدة من قضية روديسيا

كان ميلاد الأمم المتحدة الذي وقع ميثاقها في ٢٦ يونيه ١٩٤٥ وأصبح نافذاً في أكتوبر عام ١٩٤٥ - أملاً جديداً للشعوب الواقعة تحت نير الاستعمار - فقد أعلن

ميثاق الأمم المتحدة (إيمان البشرية بحقوق الإنسان الأساسية وبكرامته وقيمه ويتساوى حقوق الأمم كبيرها وصغيرها ، كما أعلن حق جميع الشعوب في ممارسة الحقوق الإنسانية والحريات الأساسية دون تمييز بسبب الفرق أو الجنس أو اللغة أو العقيدة) (١).

وفي عام ١٩٤٨ تبنت الجمعية العامة للأمم المتحدة (الإعلان العالمي لحقوق الإنسان) كما أصدرت عدة قرارات خاصة بحق الشعوب المستعمرة في التمتع بحريتها ومن أهمها قرارها رقم ١٥١٤ الذي صدر في الدورة ١٥ (في ١٤-١٢-١٩٦٠) .

وفي ١٩٦١ أنشأت الجمعية العامة اللجنة الخاصة (The Special Committee) لنظر الموقف فيما يتعلق بتطبيق إعلان منح الإستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة .

وفي هذا العام (١٩٦١) تقدمت ١١ دولة أفريقية وآسيوية بقرار للجمعية العامة لتعهد اللجنة الخاصة ببحث الوضع في روديسيا - وقد اعترضت بريطانيا بأن روديسيا الجنوبية لا تدخل ضمن الأقاليم التي تعهدت بتقديم بيانات عنها للأمم المتحدة - لكن الدول الإفريقية أشارت إلى أن الوضع في روديسيا خطر وأنها تتحول إلى جنوب إفريقيا أخرى - فأصدرت الجمعية العامة قرارها رقم ١٧٤٥ (١٦) في ٢٣ فبراير ١٩٦٢ مذكرة بقراراتها السابقة المتصلة بالأقاليم غير المتمتعة بالحكم الذاتي - وطلبت من (اللجنة الخاصة) بحث الوضع في روديسيا - ومنذ ذلك الوقت أخذت اللجنة الخاصة تدرس مسألة روديسيا وتوليها اهتماماً خاصاً وقدمت هذه اللجنة عدة قرارات للجمعية العامة أوضحت فيها أن الوضع في روديسيا خطير واستناداً لهذا أصدرت الجمعية العامة عدة قرارات منها قرارها ١٧٤٧ (١٦) في ٢٨-٦-١٩٦٢ ، وقرارها ١٧٥٥ في ١٢-١٠-١٩٦٢ ، والقرار ١٧٦٠ في ٣١-١٠-١٩٦٢ ، ١٨٨٣ (١٨) في ١٤-١٠-١٩٦٣ ، ١٨٨٩ (١٨) في ٦-١١-١٩٦٣ - وفي جميع هذه القرارات دعت الجمعية العامة حكومة المملكة المتحدة إلى إتخاذ الإجراءات الكفيلة بعدم نقل أية سلطة من سلطات السيادة إلى

(١) أنظر ديباجة ميثاق الأمم المتحدة .

روديسيا الجنوبية بنظام حكمها العنصرى الحاضر ، وأن تنظر فى أمر قيام حكومة تامة التمثيل لجميع سكان المستعمرة ، وأن تعمل للإفراج عن المعتقلين السياسيين .

وقامت اللجنة الخاصة (لجنة الأربعة والعشرين عضواً) بنشاط واضح فى القضية خلال عام ١٩٦٤ ، وقد قامت هذه اللجنة بدراسة شاملة لنفوذ المصالح الإقتصادية الأجنبية فى الإقليم وأثره على القضية - فقد أوضح التقرير أن الرأسماليين الإنجليز هم أصحاب الأنصبه الكبيرة فى رؤس الأموال المستثمرة فى روديسيا - كما أوضح أن الشركات التى تمارس نشاطها هناك معظمها لها فروع فى جنوب إفريقيا وفى المستعمرات الإفريقية ولذا فمن مصلحتها وفى وسعها تحطيم القيود المفروضة على الإقتصاد الروديسى (١) .

ولما كان إتجاه الحكومة الروديسية إلى إعلان الاستقلال من جانب واحد قد وضع فقد أصدر مجلس الأمن فى ٦ مايو ١٩٦٥ قراراً يطلب فيه من المملكة المتحدة وجميع الدول الأعضاء عدم قبول إعلان الاستقلال من جانب واحد ويطلب من المملكة المتحدة القيام بكل مايلزم لمنع ذلك .

وقد أصدرت الأمم المتحدة عدة تحذيرات للسلطات الحاكمة فى روديسيا والمملكة المتحدة بصفتها السلطة الإدارية المسئولة عن إعلان استقلال غير قائم على أساس حق الإنتخاب العام للبالغين .

وكان لإعلان حكومة سميت الاستقلال فى ١١ نوفمبر ١٩٦٥ رد فعل مريع فى الأمم المتحدة فدعت الجمعية العامة فور صدور الإعلان لاجتماع طارئ عقد فى

(١) يعتبر تقرير اللجنة فى هذه الناحية والذي صدر فى ٧ أكتوبر ١٩٦٦ تحت رقم A / 6300 / Add. 1 من أهم الدراسات التى تلقى الأضواء على العلاقة بين النواحي الإقتصادية والنواحي السياسية فى القضية الروديسية ، وأورد جداول احصائية للصادرات وقيمة كل النقدية ، وقدم دراسة لتشريعات الأرض المختلفة ، وبيانات عن شركات الأراضى وملكية كل ، بالإضافة إلى دراسة تفصيلية للمادن الهامة وإنتاجها فى روديسيا - كما درس العمل والعمالة وموقف العمال الأفريقيين وقارن بين أجورهم وأجور الأوربيين .

نفس اليوم وصدر قرار بادانة الإستقلال من جانب واحد الذى أعلنته حكومة روديسيا الجنوبية ، وطلبت الجمعية العامة من المملكة المتحدة تنفيذ قراراتها السابقة من أجل وضع نهاية لتمرّد السلطات غير الشرعية فى روديسيا ، وأوصت الجمعية العامة مجلس الأمن ببحث الموقف فى روديسيا على وجه السرعة .

واجتمع مجلس الأمن فى اليوم التالى لإعلان الاستقلال من جانب واحد ودعت الدول الإفريقية والآسيوية إلى استخدام القوة لسحق التمرد بموجب الفصل السابع من الميثاق (المادة ٤٢) وأشارت هذه الدول إلى أن التدابير التى تتخذها المملكة المتحدة قاصرة عن حل الموقف - لكن تحت ضغط بريطانيا وحلفائها اقتصر قرار المجلس رقم ٢١٧ : الذى صدر فى ٢٠-١١-١٩٦٥ على دعوة جميع الدول إلى فرض الحظر على منتجات النفط والبتروول ، وقطع جميع العلاقات التجارية ، والإمتناع عن تزويد روديسيا الجنوبية بالأسلحة والمهمات والمواد الحربية ، وناشد القرار جميع الدول عدم الإعراف بالسلطة غير الشرعية وعدم مساعدتها وعدم الاحتفاظ بعلاقات دبلوماسية معها .

وهكذا لم تخرج الإجراءات التى اتخذتها إنجلترا والأمم المتحدة لانقاذ الإفريقيين فى روديسيا الجنوبية وتمكينهم من الحصول على حقوقهم فى بلادهم - عن هذه الاجراءات الاقتصادية التى ثبت أنها قليلة الجدوى وأنها - كما أشارت الصحيفة البريطانية المعروفة د . لوسى مير (Dr. Lucy Mair) لا تغنى بريطانيا من مسئوليتها الأخلاقية قبل الشعب الإفريقى فى روديسيا^(١) .

ورغم أن عدداً كبيراً من الدول الأعضاء فى الأمم المتحدة - أبلغت السكرتير العام أنها قررت قطع علاقاتها الاقتصادية كلية مع حكومة روديسيا وفرضت حظراً على تصدير النفط إليها - فإن حكومة سميت لم تعبأ بهذه التدابير الاقتصادية التى

(١) أنظر مجلة (الايكونومست البريطانية) العدد الصادر فى ١٨ نوفمبر ١٩٦٥ .

- ود . لوسى مير حجة فى المشاكل الاستعمارية ، وقد أصدرت عدة كتب عن أفريقيا كما ألقت عدة محاضرات قيمة عن بعض القضايا الإفريقية الهامة - فى المعهد الأفريقى الدولى (International African Institute) - وقد ذكر اللورد هيل أنها عاونته معاونة صادقة فى مراجعة وإعادة كتابة بعض فصول كتابه الضخم عن إفريقيا - أنظر مقدمة كتابة :

Hailey, Lord : An African Survey P. VI (London 1957).

اتخذتها المملكة المتحدة والأمم المتحدة وثبت أن هذه التدابير — كما أشارت اللجنة الخاصة للأمم المتحدة في تقريرها في ٦ أبريل ١٩٦٦ — غير كافية — وأن روديسيا الجنوبية تحصل على حاجتها من النفط عن طريق السكك الحديدية وسيارات النقل عبر جنوب أفريقيا وموزمبيق وأن الأمر يجب أن يتجاوز العقوبات الاقتصادية إلى التدخل العسكري ، وقد لجأت بريطانيا إلى ذر الرماد في العيون (Smoke Screen) كما عبر عن ذلك ممثل زامبيا في الأمم المتحدة وإسكات الرأي العام العالمي بإيهامه أنها جاده في اتخاذ كل الوسائل الممكنة لحل المشكلة فحاولت أن تجرى مفاوضات مع الحكومة العنصرية في روديسيا دون جدوى^(١) .

وقد أصدر مجلس الأمن في ١٦-١٢-١٩٦٦ قراراً بفرض عقوبات إقتصادية إضافية ملزمة على روديسيا طبقاً للمادة ٤١ من ميثاق الأمم المتحدة فقد قرر أن تمتنع جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة عن استيراد المنتجات الآتية من الاسبتوس ، الحديد ، الكروم ، النحاس ، السكر ، التبغ ، منتجات اللحوم . جلود الحيوانات — كما طالب القرار أن تمتنع الدول عن تصدير النفط ومنتجاته والأسلحة ، والمعدات الحربية والطائرات ، والمركبات الآلية — إلى روديسيا الجنوبية واعتبر المجلس عدم تطبيق أية دولة لهذا القرار انتهاكاً للمادة (٢٥) من ميثاق الأمم المتحدة التي تلزم الدول الأعضاء في الأمم المتحدة بقبول قرارات مجلس الأمن وتنفيذها^(٢) .

وقد أصدرت الجمعية العامة ولجان الأمم المتحدة الأخرى عدة قرارات أخرى أكدت فيها شرعية كفاح شعب زمبابوي لاسترداد حقه في الحرية والاستقلال وطالب جميع الدول بتقديم كل معونة لهذا الشعب في كفاحه ونددت بسياسات البرتغال وجنوب إفريقيا والدول الأخرى التي تساند نظام الحكم غير الشرعي — ودعت المملكة المتحدة لاتخاذ تدابير فعالة لاسقاط نظام الحكم المتعبد في روديسيا .

لكن إزدادت الحالة في روديسيا سوءاً وتماادت الحكومة العنصرية في إرهابها وتنفيذ أحكام الاعدام على المعتقلين السياسيين — كما أن مجلس الأمن اعترف بأن

(١) U. N. Year Book 1966, P. 101.

(٢) جلسة المجلس رقم ١٣٤٠ — قرار رقم ٢١٢ .

الإجراءات التي اتخذت كلها فشلت في إنهاء حركة التمرد في روديسيا وأن بعض الدول من أعضاء الأمم المتحدة لا تزال تتحدى قرارات المجلس والجمعية العامة فهي لا تزال تراول نشاطها الاقتصادي والسياسي مع نظام الحكم غير الشرعي في روديسيا^(١) .

وقد طال الأمد على القضية الروديسية وهي تتسكع في المحافل الدولية وغير الدولية - ولعل ذلك هو الذي شجع بريطانيا على أن تخطو خطواتها الأخيرة بمحاولة الإتفاق مع حكومة الأقلية العنصرية البيضاء لتضفي على تصرفات هذه الحكومة الناحية الشرعية ولتجد بريطانيا وسيلة للتدخل من القيود الاقتصادية التي التزمت بها أمام الهيئة الدولية تجاه روديسيا .

وإن كانت اللجنة التي شكلتها بريطانيا لمعرفة رأى الشعب الروديسي في الإتفاق قد أعلنت في تقريرها الذي أشرنا إليه من قبل والذي قدم للبرلمان الإنجليزي في مايو ١٩٧٢ - إلى أن غالبية الشعب الروديسي لم تقبل هذا الاتفاق الذي تم بين بريطانيا والحكومة العنصرية : وأنها لا تعتبره وسيلة ناجحة لحل المشكلة - فقد حان الوقت للشعوب الإفريقية لتعلم الدرس الاساسي من هذه القضية وأمثالها وهو « أننا في عالم لا تزال من مبادئه أن الحق يؤخذ ولا يعطى » .

(٣) قرار المجلس رقم ٢٧٧ في ١٨-١٢-١٩٧٠ (الجلسة رقم ١٥٣٥) .

CONCLUSIONS

We believe that taking into account the explanation given by the Rhodesian authorities, the activities of those opposing or promoting the Proposals, the distribution of our simplified version of the Proposals and the explanations given by the Commission at meetings and over the radio, the great majority of those who gave us their opinions had a sufficient understanding of the content and implications of the Proposals to enable them to pass judgment on them. We are satisfied that the Proposals have been fully and properly explained to the population of Rhodesia.

We are satisfied on our evidence that the Proposals are acceptable to the great majority of Europeans. We are equally satisfied, after considering all our evidence including that on intimidation, that the majority of Africans rejected the Proposals. In our opinion the people of Rhodesia as a whole do not regard the Proposals as acceptable as a basis for independence.



PEARCE

(Chairman)



HARLECH

(Deputy Chairman)



MAURICE H DORMAN

(Deputy Chairman)



H SMEDLEY

(Secretary-General)



GLYN JONES

(Deputy Chairman)

صورة طبق الاصل من الصفحة الاخيرة التي ختم بها
(بيرس) تقرير لجنته المرفوع للبرلمان الانجليزى والتي
ضمنها النتائج النهائية التي وصلت اليها اللجنة

أهم مراجع البحث

نورد هنا أهم المراجع التي استعنا بها في هذا البحث والتي أشرنا إليها في حواشي البحث .

أولا – المراجع الأصلية (النشرات والتقارير الرسمية) ومحاضر جلسات منظمة الوحدة الإفريقية وهيئة الأمم ولجانها وكذلك الإحصاءات الرسمية الصادرة من حكومة سولزبرى :

1. Organization of African Unity (Information Department) ID/Rhodesia (The OAU & Rhodesia : Published by the General Secretariat of the Organization of African Unity (Addis Ababa 1961).
2. Organization of African Unity (Basic Documents & Resolutions) : published by the provisional Secretariat of the Organization of African Unity (N.D.)
3. United Nations Documents Index (Southern Rhodesia Situation)
4. United Nations Reports (A/7601/Add.1).
5. United Nations Resolutions
6. United Nations draft Resolutions (A/C. 3L. & A/C 4L.)
7. United Nations Meeting Records.
8. United Nations Demographic Year Book (1960).
9. United Nations Year Book (1965).
10. United Nations Year Book (1966).
11. United Nations Year Book (1967).
12. Report of The Special Committee on the Situation with regard to the Impleimintation of The Declaration on the Granting of Independence to Colonial Countries & Peoples (Study of the Activities of Foreign Economic & Other Intersts in Southern Rhodesian & Other Mode of Operation (7 October 1966).
13. Report of the Commission on Rhodesian Opinion under the chairmanship of the Right honourable the Lord Pearce (Presented to Parliament — May 1972).

ثانياً — بعض نشرات ومطبوعات صادرة من هيئات تحرير زمبابوى :

- 1 . The Zimbabwe Review (Published by the Publicity & Information Bureau of the Zimbabwe African Peoples Union (Post Box 1657 — Lusaka, Zambia).
June 1965 — March 1966 — April 1966 — January 1967 — February 1967 — October 1969, Dec. 1969 & January 1970.
- 2 . Zimbabwe Today (Published by The Zimbabwe African National Union of Southern Rhodesia (5 Ahmed Hishmat Street Zamalek, Cairo U.A.R. (November 1965, April 1967, Dec. 1969 & January 1970).
- 3 . Nkomo, Joshua «One Man & One Vote» — The Only Solution in Southern Rhodesia (Published by Zimbabwe African National Union of S.R.).

ثالثاً — مراجع عربية :

- ١ — بدير ، صلاح الدين : التفرقة العنصرية فى إفريقيا (القاهرة ١٩٦٦) .
- ٢ — الراوى ، راشد : الاستعمار البريطانى ومشكلة روديسيا (١٩٦٦) .
- ٣ — البطريق ، عبد الحميد وآخرون : إفريقيا حلم الاستعمار البريطانى (١٩٦٢) .
- ٤ — تشيرس ، ر . ج . هاريسون : الاستعمار الحديث (ترجمة دولت صادق — مراجعة محمد السيد غلاب) .
- ٥ — الحمل ، شوقى : التضامن الآسيوى الإفريقى وأثره فى القضايا العربية (١٩٦٦) .
- ٦ — الحمل ، شوقى : الوحدة الإفريقية ومراحل تطورها (١٩٦٧) .
- ٧ — الحمل ، شوقى : تاريخ القارة الإفريقية واستعمارها (١٩٧١) .
- ٨ — حمدان ، جمال : استراتيجية الاستعمار والتحرر (١٩٦٨) .
- ٩ — الحشاب ، شوقى : اتحاد روديسيا — ونياسالاند (القاهرة ١٩٦٤) .
- ١٠ — رياض ، زاهر : إستعمار إفريقيا (١٩٦٥) .
- ١١ — الصقار ، فؤاد : التفرقة العنصرية فى إفريقيا (١٩٦٥) .
- ١٢ — صفى الدين ، محمد : إفريقيا بين الدول الأوربية (القاهرة ١٩٥٩) :

١٣ - غالى ، بطرس بطرس : منظمة الوحدة الافريقية (القاهرة د . ت . الناشر الأنجلو) .

١٤ - ليجوم ، كولین : الجامعة الإفريقية (ترجمة أحمد محمود سليمان - مراجعة عبد الملك عوده - ١٩٦٤) .

١٥ - نكروما ، كوامي : الاستعمار الجديد (ترجمة خيرى حماد) .

رابعاً - مراجع أجنبية :

1. Abraham, O.P. : The Early Political History of the Kingdom Mwnee Mutapa (Salisbury 1962).
2. Barber, James : Rhodesia, The Road to Rebellion (London 1967).
3. Barber, William : The Economy of British Central Africa (London 1960).
4. Bartlett, V. : Struggle for Africa (1953).
5. Black, Colin : The Lands and People of Rhodesia & Nysaland (London 1961).
6. Boggs, S. : International Boundaries (New York 1940).
7. Brelsford, W.V. : Hand book to the Federation of Rhodesia & Nysaland (London 1950).
8. Carter, Margret : Rhodesia & Nysaland (London 1960).
9. Clegg, Edward : Race & Politics (Partnership In the Federation of Rhodesia & Nysaland (London 1960).
10. Cooper, Ayandele Gravin & Afigbo : The Growth of African Civilisation (London 1965).
11. Coupland, : East Africa & Its Invaders (London 1938).
12. Donald, S. Rotschild : Towards Unity in Africa, A Study of Federation in British Africa (Washington 1960).
13. Duffy, J. : Protugeuse Africa (London 1959).
14. Franck, Thomas : The Struggle for Power in Rhodesia & Nyasaland (London 1960).
15. Gertrude, Sarah : Rhodes (London 1933).
16. Gross, Felix : Rhodes of Africa (London 1956).
17. Hailey, Lord : An African Survey (London 1957).

18. Hanna, A.J. : *The Beginnings of Nyasaland & North-Eastern Rhodesia (1859—95)* (London 1965).
19. Hanna, A.J. : *The Story of the Rhodesia & Nyasaland* (London 1960).
20. Hensman, Howard : *A History of Rhodesia, Compiled from Official Sources* (Edinburg 1900).
21. Hertslet, E. : *The Map of Africa by Treaty. Vol. I* (London 1909).
22. Johnston, H. : *A History of the Colonization of Africa by Alien Races* (1913).
23. Keatley, Patrick : *The Policies of Partnership* (London 1963).
24. Kellie, Scott : *The Partition of Africa* (London 1985).
25. Kruger, Paul : *The memoirs of Paul Kruger Vol. I* (London 1954).
26. Kuper, H. : *The Shona & Ndebele of Southern Rhodesia* (London 1954).
27. Leo Marquard : *The Story of South Africa* (London 1954).
28. Leys, Colin : *European Politics In Southern Rhodesia* (London 1959).
29. Leys, Colin & Prate, Granford : *Rhodesia & Nyasaland* (N.Y. 1961).
30. Livingstone, David : *Missionary Travels & Researches in South Africa* (1857).
31. Lockhart & Woodhouse : *Cecil Rhodes* (N.Y. 1963).
32. Marais : *The Fall of Kruger's Republic* (Oxford 1961).
33. Masan, Philip : *The Birth of a Dilemma* (London 1958).
34. Maurette, Fernand : *Geographic Universelle Tome XII* (Paris 1883).
35. Mtshali, Vulindlela : *Rhodesia, Background to Conflict* (London 1968).
36. Pemberton, Baring : *Battles of the Bore War* (London 1964).
37. Ransford, Oliver : *The Rulers of Rhodesia from Earliest times to Referendum* (London 1968).
38. Rayner, William : *The Tribe & Its Successor* (London 1962).
39. Robinson, R & Callagher, J. : *Africa & The Victorians* (London 1961).
40. Samkange, Stanlake : *Origins of Rhodesia* (London 1968).
41. Seligman G.G. : *Races of Africa* (London 1959).
42. Stamp, Dudley : *Africa, A Study of Tropical Development* (N.Y. 1959).
43. Todd, Judith : *Rhodesia* (London 1966).
44. Tracey, H. : *Antonio Fernandes (Lourenco Marques 1940)*.
45. Waugh Evelyn : *Tourist in Africa* (New York 1960).
46. Welch, S.R. : *South Africa Under king Sebastian* (Cape Town 1949).
47. Woolf, Leonard : *Empire & Commerce In Africa* (London 1920).

موارد الأسماك البحرية حول أفريقيا

للدكتور سمير ابراهيم غبور

مدرس علم الحيوان — قسم الموارد الطبيعية

معهد البحوث والدراسات الافريقية — جامعة القاهرة

Marine Fisheries Resources Around Africa

By

Dr. Samir I. Ghabbour

Dept. of Natural Resources

Inst. of African Research & Studies

Cairo University, Giza, Egypt

Summary

What man gets from the sea is supposed to be the surplus of marine biological production. Man is still unable to manage the marine living resources and he may become so too late when marine life may be either depleted by overfishing or poisoned by pollution. Enormous quantities of fish are taken by non-African fleets¹ from African waters (especially in the Atlantic) and processed into fish-meal and oil. The Africans who are in great need of this fish to supplement their diet which is poor in proteins, are deprived of their legitimate fish stocks for the sake of some marketing circumstances. The meal is utilized by some countries of temperate latitudes to produce poultry and livestock because there is no other better use and the Africans are too poor to buy it.

The solution is for African coastal states to prevent this excessive over fishing which threatens to deplete fisheries resources and to extend their exclusive

fishing zones to the 600 M₁ isobath, to the continental shelf or to where exploitable fish stocks are known to occur. African States must also cooperate in managing their marine resources and develop the poultry industry to absorb the fish-meal produced from waters adjacent to them. They can also engage non-African fleets to fish for their own markets and help local fishermen who are the sector of the population most ready to benefit-with scientific advice, motorised boats, small and modern gear, etc. There are still unexplored possibilities for the culture of oysters, clams, sea-turtles, algae, etc. in coastal waters.

Measures must be taken to protect and conserve marine wildlife for the benefit of future generations.

ما زالت الإنسانية وهي تقترب من نهاية القرن العشرين تستغل المحيطات استغلالاً هامشياً وما زالت عملية إدارة وتنظيم الحياة البحرية محاولة مستحيلة. ولم يجد الإنسان حتى الآن وسيلة لتحسين الأنواع البحرية ولا انتخابها كما فعل على البر وهو عاجز عن زيادة إنتاجيتها أو حمايتها من مخاطر الأمراض ومن العوامل المهلكة.

وكل ما استطاع عمله هو نقل أنواع من مكان إلى آخر حيث لم تكن موجودة من قبل. وبذلك فإن استغلال الموارد الحيوانية البحرية يتم في مجال واسع مجهول. وما يحصل عليه الإنسان من البحر هو في الحقيقة فائض إنتاج ناشئ عن سلسلة من عدة تفاعلات تؤثر عليه إيجابياً وفي بعض الأحيان سلبياً. ولا يستطيع الإنسان أن يزيد الإنتاج الطبيعي في البحار ولكنه قادر على انقاصه بالتلوث باللدات والفترات الثقيلة والزيوت المملنة (كوستو ١٩٧١).

وينحش بعض بيولوجيو البحار أن الوضع الحالي للاستغلال البحري من حيث النمط والدرجة يمكن أن يؤدي حقيقة إلى انقاص واختفاء بعض أنواع الحيوانات البحرية ومثال ذلك الحوت (وهو ما يوشك أن يحدث فعلاً) والدرفيل والسردين أو إلى اختفاء كل أنواع الأسماك التجارية (ريذر ١٩٦٩).

وسائل الاستغلال :

١ - الجمع والبحث سيرا على الأقدام : ما زالت هذه الوسيلة البدائية تنتج كميات لا بأس بها في المنطقة المدية الجزرية أو على السواحل المرجانية وتصلح لجمع بعض الأسماك والسييا والقشريات والأصداف والطحالب.

ولا تحتاج هذه الوسيلة لأكثر من معرفة جيدة بالآماكن المناسبة ونظرة فاحصة للأنواع المختلفة من الحياة الشاطئية . ويمكن للصيادين القيام برحلات قصيرة بالقوارب الصغيرة لصيد الحيوانات التي تزور الشاطئ مثل السردين .

ويمكن كذلك للصيادين الوقوف عند البواغيز لصيد الأسماك التي تقوم برحلات هجرة منتظمة مثل البورى وثعابين السمك عند دخولها من البحر إلى الماء العذب أو العكس . وفي هذه الحالة تصاد كميات من هذه الأسماك التي تقوم بهذه الهجرة للتكاثر ولذا تكون كبيرة وسمينة .

٢ - الصيد في أعالي البحار : حينما يفكر الصائد في البحث عن الموارد المائية في عرض البحر فإن عليه أن يعتمد على وسيلة النقل الملائمة وهي دائما سفينة تحدد إمكانيتها المدى الذي يستطيع أن يبتعد إليه الصائد وكمية الصيد التي يستحوذ عليها.

وتحدد إمكانيات السفينة بعدد البحارة وقوة آلاتها وحجم مستودعها .

وقد تطورت صناعة سفن الصيد بحيث جعلت من السفينة الشراعية القديمة التي كان يعمل فيها الصياد بالتعاون مع أسرته - جعلت منها أداة متحفية ، وأحلت بدلا منها صناعة الصيد الكبيرة والمتقدمة . وأصبحت صناعة الصيد تعتمد أكثر وأكثر على السفن الكبيرة التي يسيرها طاقم مدرب تدريباً فنياً عالياً وتصب فيها استثمارات مالية ضخمة . ولكن مع هذا ما زالت السفن التي تسير بالمجاديف أو بالشرع أو بآلات قوتها أقل من ٥٠ حصان - وهي السفن الصالحة لعمل أسرة هي أكثر سفن الصيد عدداً ويعمل عليها نصف صيادي العالم .

وتنقسم سفن الصيد الكبيرة المصنوعة من الصلب إلى ثلاثة أقسام :

- من ٢٥ إلى ٣٥ متر طولا ، ومن ١٠٠ إلى ٣٠٠ طن حمولة ، ومن ٣٠٠

إلى ٨٠٠ حصان : وهى سفن الصيد الصغرى من بين السفن التجارية ويستخدم أغلبها لـ **الصيد التونة بشباك الجر** . وتعتبر مرحلة انتقال^٣ ، فهى أكبر من أن تستخدمها أسرة وأصغر من أن تستخدمها الشركات لأنها قد تآتى بخسائر اقتصادية .

— من ٣٥ إلى ٤٥ متر طولاً ، ومن ٣٠٠ إلى ٨٠٠ طن ومن ٨٠٠ إلى ١٢٥٠ حصان : وهى سفن الصيد التجارية الشائعة التى يمكن أن تزود بثلاجات وتصلح لـ **صيد التونة والقشريات** وتستخدم شباك البحر .

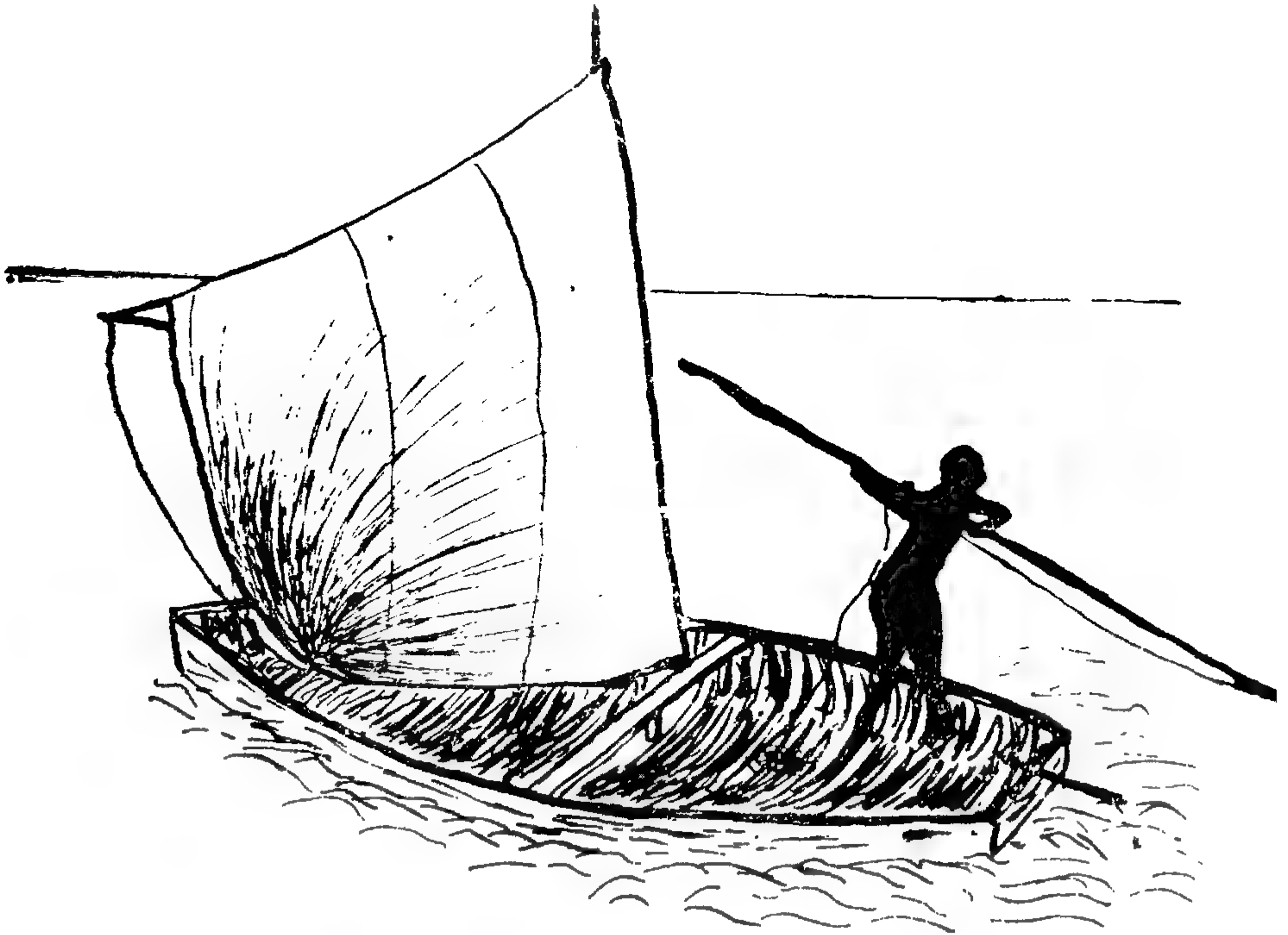
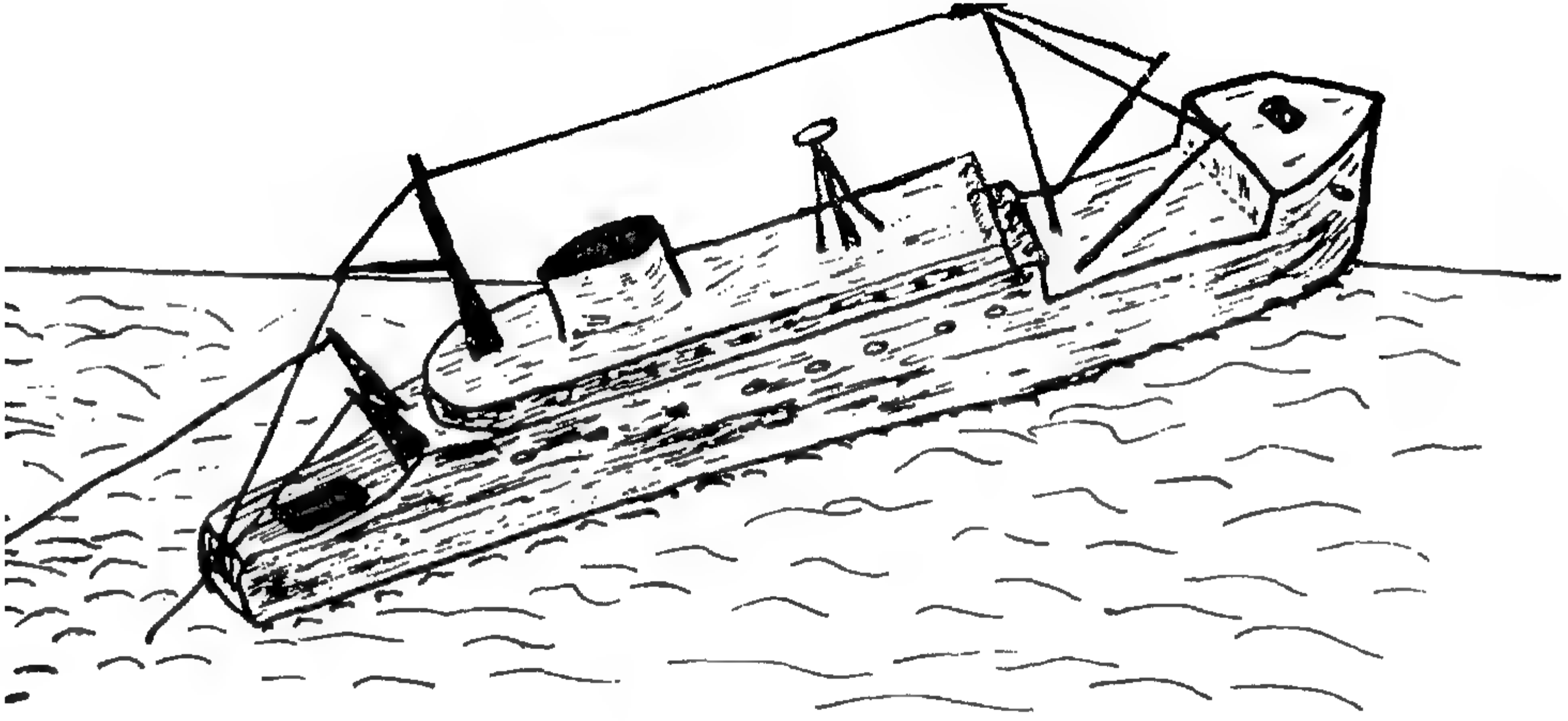
— أكثر من ٤٥ متر طولاً وبالأخص من ٦٠ — ٨٠ ويمكن أن تصل إلى ١٠٠ متر وحولتها من ٨٠٠ إلى ٣٠٠٠ طن وقوتها من ١٢٥٠ إلى ٢٥٠٠ حصان : وهى سفن الصيد التجارية الكبرى التى تجوب المحيطات وبها مجمدات ومصانع لتجهيز اليد مباشرة لتحويله إلى دقيق واستخراج زيت . وقد اتضح أن أنجح طراز هو ذو المؤخرة المنزلقة التى تسمح بتشغيل شباك الجر من الخلف بدلاً من الجانب مما يسهل عملية الصيد كثيراً .

وتستطيع الواحدة من هذه السفن صيد ٦٠ طن من السردين بحجرة واحدة لا تستغرق أكثر من نصف ساعة . ولا يقل طول السفن ذات المؤخرة المنزلقة عن ٣٠ متر (شكل ١ ، دومانج ١٩٦٥) .

وقد توصل السوفييت واليابانيون إلى الوسيلة المثلى للجمع بين مميزات السفن الصغيرة والكبيرة فهم يقومون بالصيد بواسطة أسطول يتكون من عدد من السفن الصغيرة المعتمدة على سفينة كبيرة كمخزن للماء العذب والطعام والوقود والعمرة الميكانيكية والثلج . الخ . وهى تجمد أيضاً الصيد أو تعالجه نهائياً وبالكامل فتعبله أو تدخنه أو تحوله إلى دقيق أو تستخرج منه الزيت .

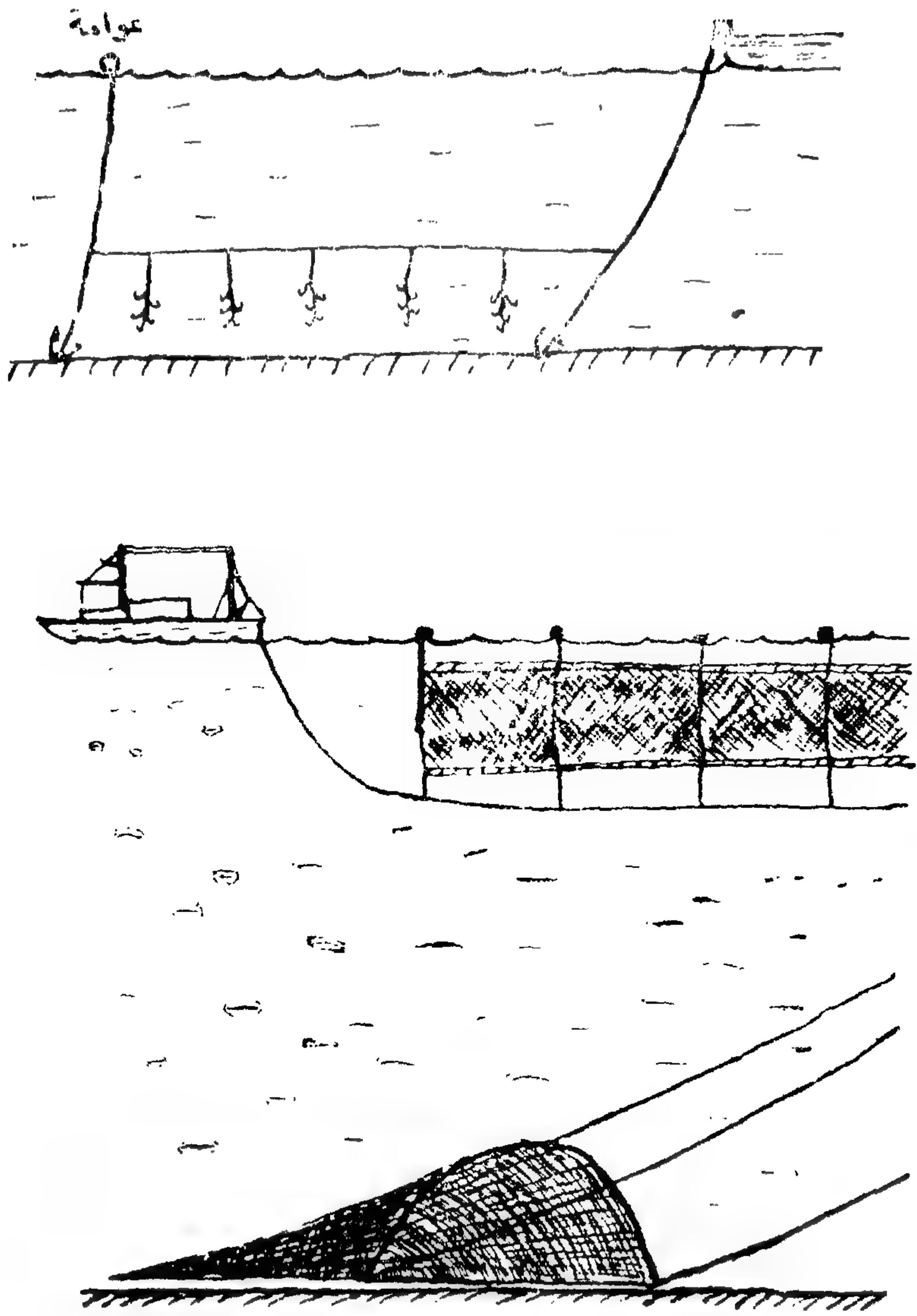
٣ — استخدام الآلات والمعدات : يتوقف استخدام نوع آلة الصيد على نوع الحيوان المراد صيده بحيث أن كمية المصايد تتوقف هى أيضاً على الوسيلة المستخدمة فى الصيد .

— **الخيوط والسنارة** : يصلحان لـ **صيد الأنواع الكبيرة الحجم** ولكن بأعداد قليلة ولذلك يقتصر استخدامها على الأنواع غالية الثمن (شكل ٢ ، ليفاستو ١٩٦٥) .



شكل (١)

معدات الصيد الآلية واليدوية : سفينة شباك جرذات المؤخرة المنزقة وبها مصنع عائمة لمعالجة السمك وقارب فردي يستخدم صاحبه الحريون في مياه جوال السنغال (عن دومانج ١٩٦٥) .



شكل (٢)

سنارة مركبة (الكنس) لصيد التونة وشباك خيشومية وشباك الجر . (عن ليفاستو ١٩٦٥)

ويمكن للسفن الكبيرة استخدام السنارة في جهاز خاص يسمى الكنيس لصيد التونة ويصل طول الخيط إلى ١٠٠ كيلو متر وتربط عليه وحدات كل ٢٠٠ إلى ٤٠٠ متر وتحتوى الوحدة على ٥ أو ٦ سنابير . ويدل الخيط عند الغروب ويسحب بعد ظهر اليوم التالى ، ويستخدم السردين كطعم . ويحصل الفرنسيون واليابانيون الذين يستخدمون هذه الوسيلة فى خليج غينيا على ٤ - ١٢ سمكة كبيرة من كل ١٠٠ سنارة .

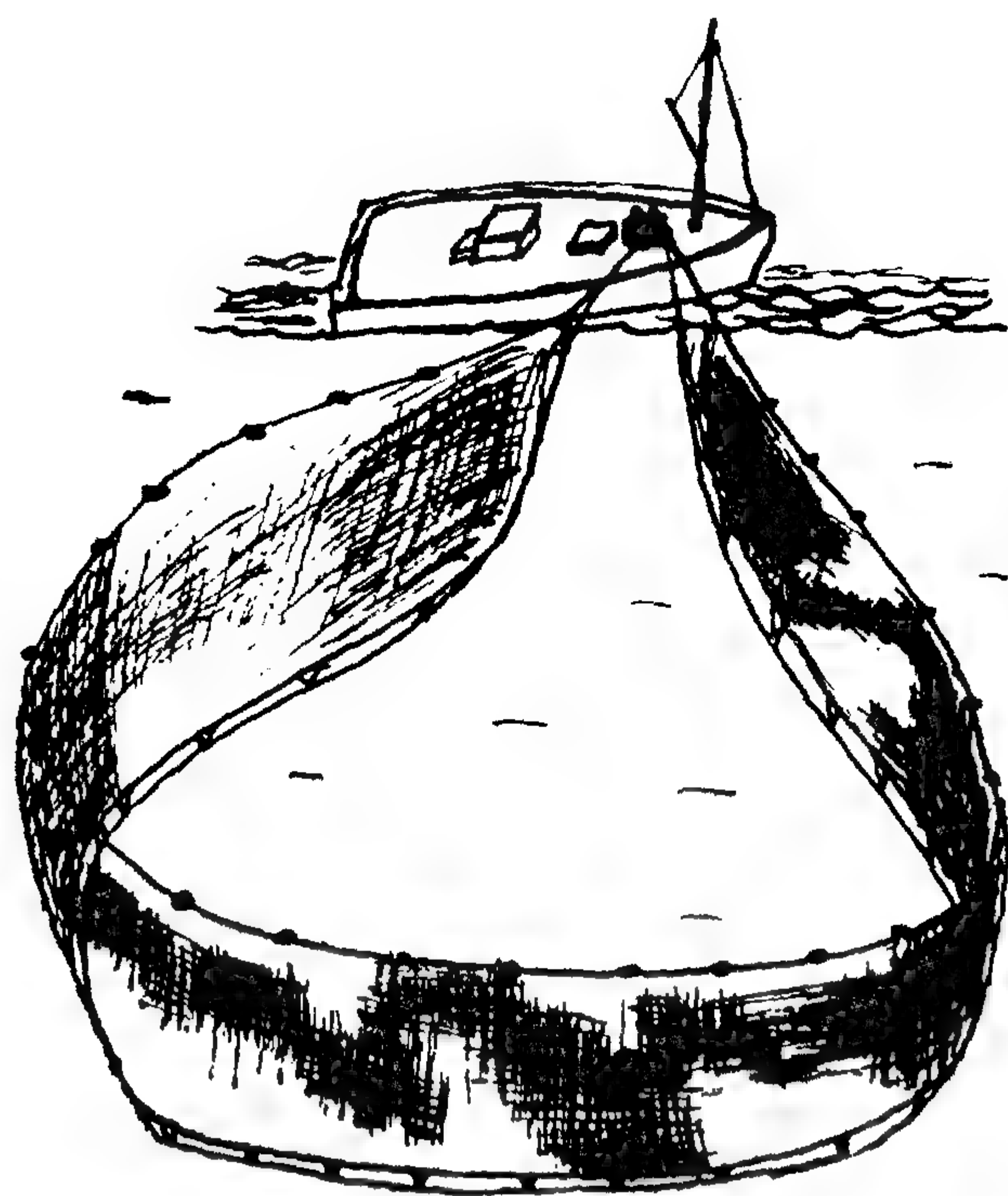
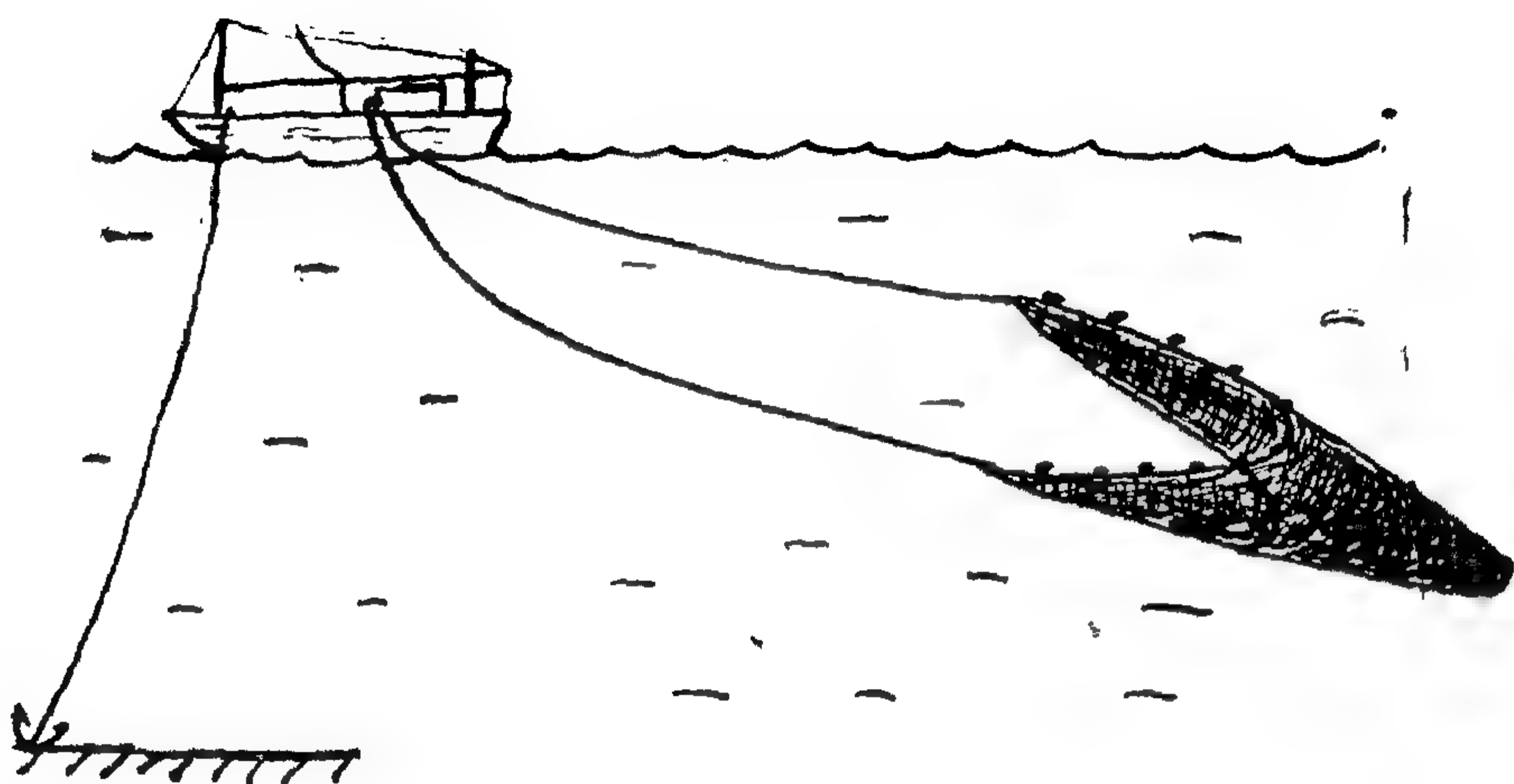
— الشباك وهى خاصة بالصيد الجزافى للأسماك والرخويات والقشريات من أى حجم . وهى لا تحتاج لطعوم خاصة ونتاجها أعلى ولكن استثماراتها أيضا أعلى وتحتاج صيانتها إلى مجهود كبير قلل منه اختراع خيط النايلون إلى حد كبير وتنقسم أنواع الشباك (شكل ٣) إلى :

شباك خيشومية أو غزل وهى تصنع على هيئة صفيحة واحدة تعوم رأسيا ويتعثر السمك فى فتحاتها ولذلك تعدل الفتحات حسب نوع السمك وتصلح أساسا للأسماك الزرقاء ، مثل السردين والرنجة والأنشوجة والماكريل والتونة والسالمون وتعطى محصولا متجانسا من الأسماك .

شباك الطرح التى يمكن أن تقفل من أسفل وتكون فى الأصل مستقيمة ولكنها تطرح فى دائرة وإذا أقفلت بسرعة فانها تحجز كميات هائلة من الأسماك ويكون قطرها ٥٠٠ متر وعمقها ٨٠ متر وتستخدم أساسا لصيد الأسماك المخصصة لصنع الدقيق أو استخراج الزيت وتستخدم بكثرة فى مياه جنوب غرب أفريقيا .

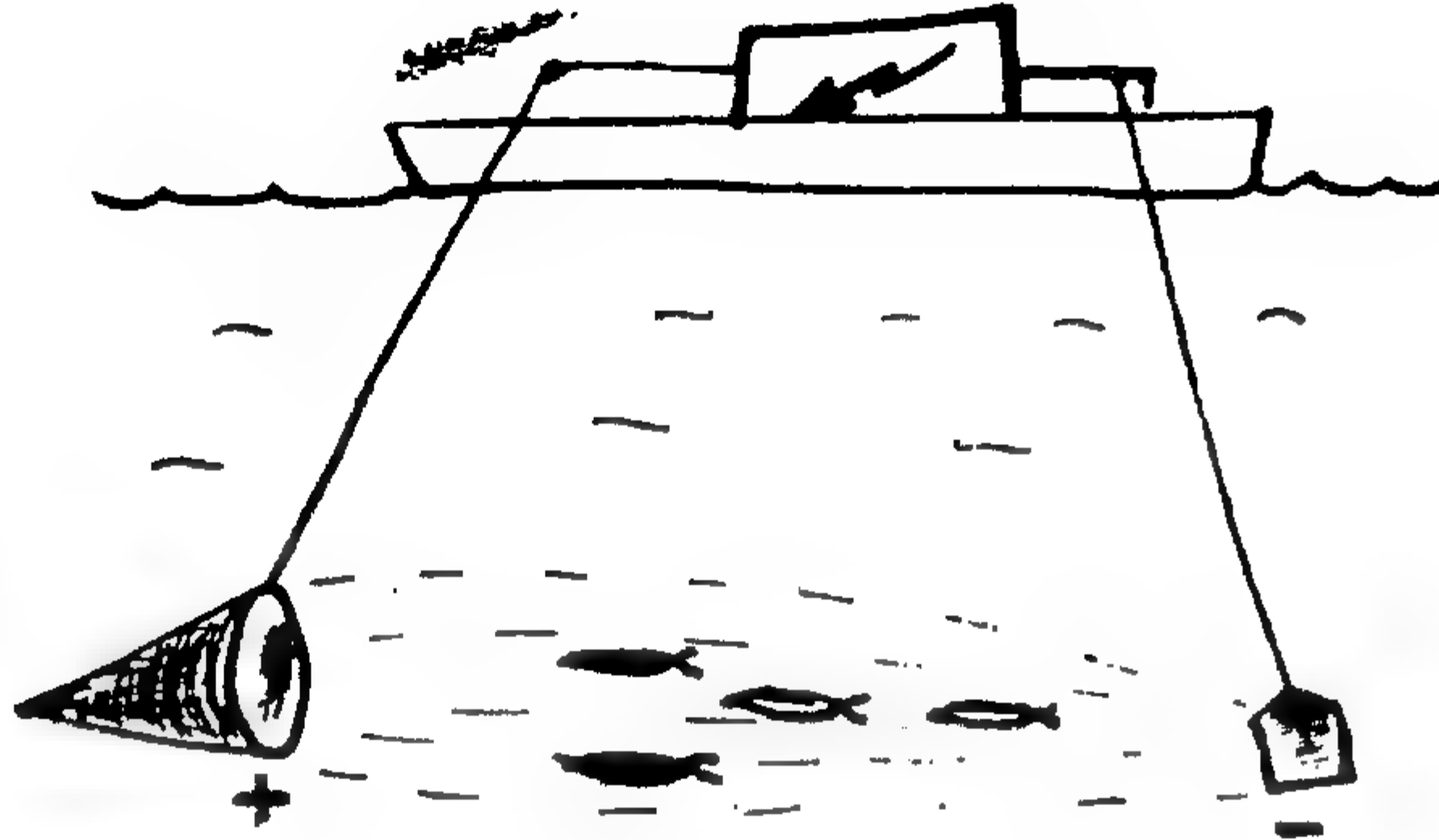
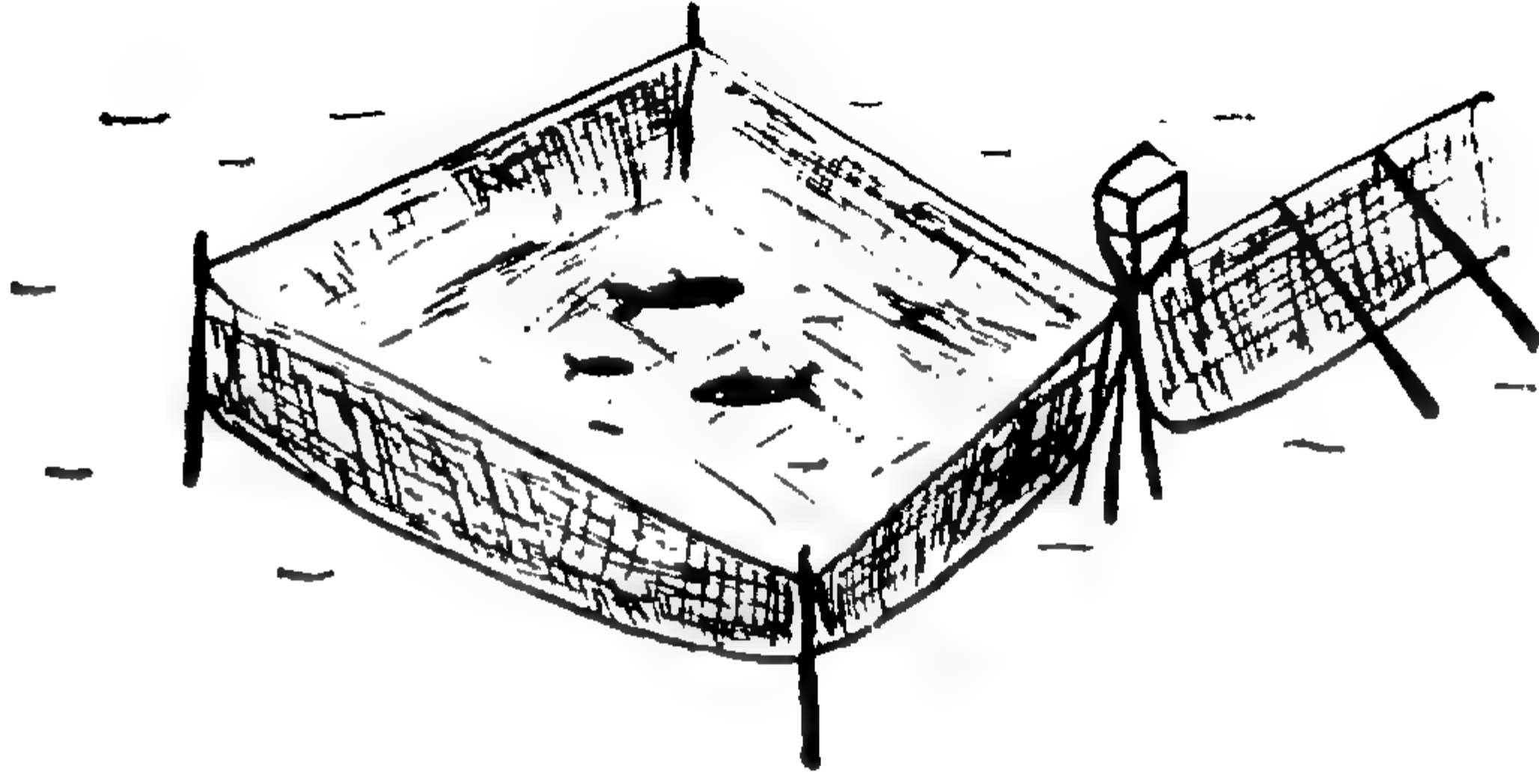
شباك الجر وقد بدأت على هيئة جيوب لها امتدادان جانبيان وتطورت إلى شباك الجر على القاع ويسمى الشكل الأصيل الشبيه بالحبيب جرافة وتقوم بتشغيلها سفينة واحدة أو سفينتان .

المصيدة : (شكل ٤) تستخدم عادة بالقرب من الشواطىء ويمكنها أن تغطى عدة كيلو مترات مربعة وتستخدم لصيد التونة على شواطىء ليبيا . ولكنها تستخدم أيضا فى المياه العميقة لصيد الاستاكوزا فى موريتانيا وفى مياه جنوب غرب أفريقيا .



شكل (٣)

الجرافة وشبكة الطرح . (عن ليفاستو ١٩٦٥) .



شكل (٤)

مصيدة الصندوق والحريون المدفنى واستخدام الكهرباء للصيد (عن ليفاستو ١٩٦٥) .

الحربون : بدأ استخدامه في العصر الحجري الحديث وتستخدمه الدول الكبرى لصيد الحيتان وللأسماك الكبيرة . ويستخدم الآن الحربون المدفعى الذى ينطلق بواسطة قذيفة من فوهة مدفع خاص .

الكهرباء : تستخدم اما للقتل المباشر أو كمصدر للضوء لجذب الكائنات البحرية ونظراً لكثرة الحوادث الناتجة عنها والصعوبات المرتبطة بها يقل استخدامها، ولكن تقوم السفن السوفيتية باستخدام الكهرباء لغرض ثالث وهو جذب الأسماك من تحت الماء إلى أحد قطبي الدائرة ثم شفطها بمضخة . ولا تستجيب الأسماك بنفس الطريقة للتيار الكهربائي بل يتوقف ذلك على نوع السمك وعلى مرحلة حياته .

التهيؤ للصيد البحرى :

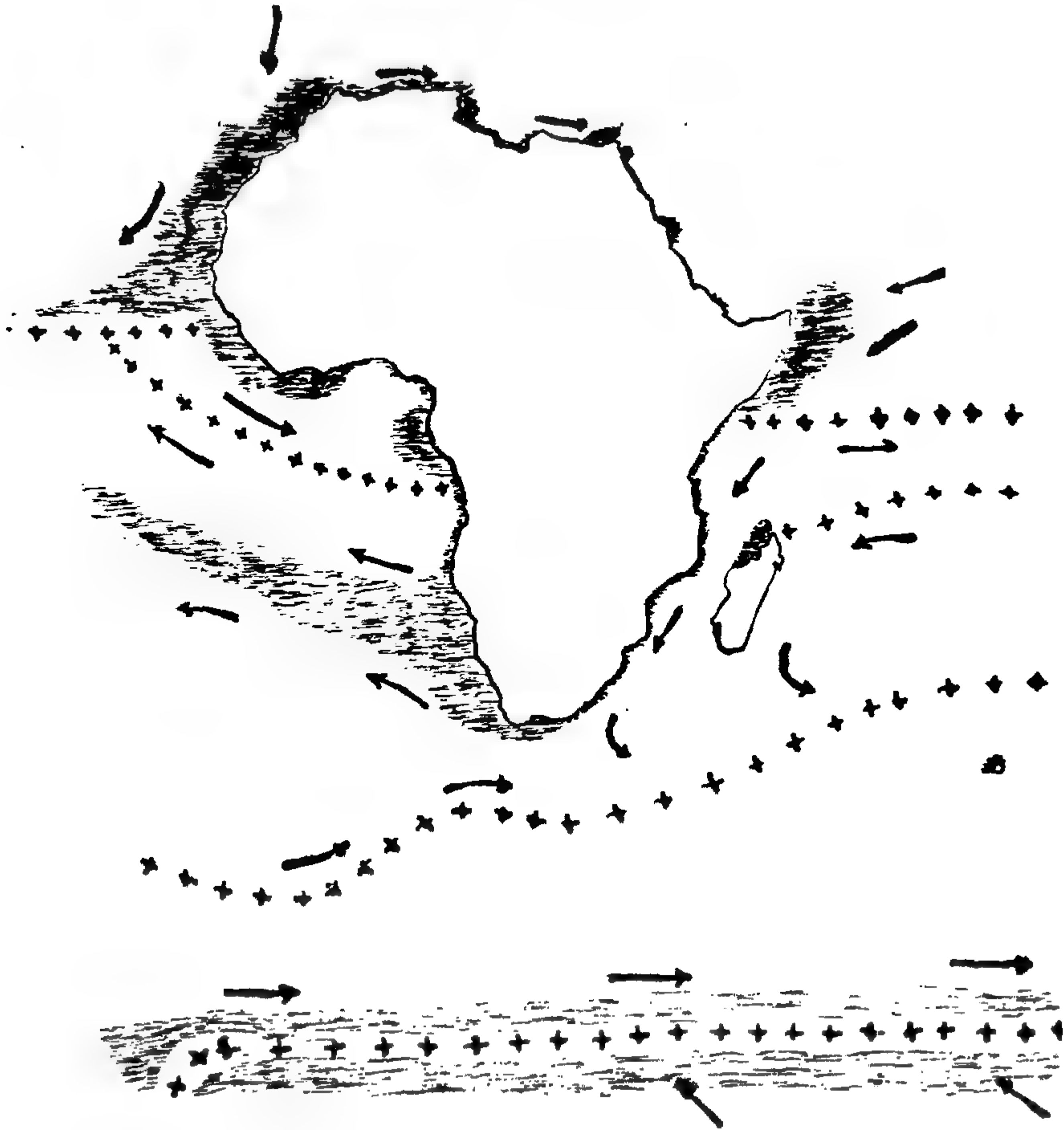
دلت التجارب والخبرات المستقاة من عدة دول على أن الحصول على أحدث وسائل الصيد ومعداته وسفنه والمعلومات العلمية المتاحة لا يضمن الحصول على صيد كبير إذ أن استغلال البحر فن لا يمكن تعلمه إلا فى مناخ اجتماعى ونفسانى يهيء له .

وإذا اعتمدت الدول الافريقية على من عندها من أفراد تربوا ونشأوا فى مجتمعات صيادين مهما قلوا واستفادوا من تراث ثقافة بأكملها تلخص خبرة الأجيال وزودت هؤلاء الأفراد بالخبرة الحديثة والتدريب المتقدم فانهم يمكنهم أن يخدموا مصايد الأسماك بأكثر من الأفراد المأخوذون من بيئات لا علاقة لها بالبحر مهما زودوا بكل الحقائق النظرية عن البحر . وقليلة هى المجتمعات والحضارات التى أظهرت استعدادات للعيش على خبرات البحر وهى تلك التى توجد على الشواطىء بالقرب من البحيرات الساحلية أو الأنهار . أما حيث يكون الشاطئ صخرياً أو رملياً وجافاً فان أنظار الناس تتجه إلى البر . ولذلك نجد الصيد مركزاً على ساحل الدلتا ونجد أن سكان الساحل الصحراوى غير مهتمين بالبحر . ولذلك أيضاً نجد أن صيادي أفريقيا هم سكان الجزر التونسية وقبائل البقاتى والأيوى على الساحل فيما بين السنغال وزائيرى الذين يعيشون على الشريط الساحلى الممتد لعدة آلاف من الكيلو مترات فى توازن مستقر مع بيئتهم . أما على الساحل الشرقى فقد استقر عرب عمان واتخذوا الصيد البحرى مهنة لهم . ونجد قبائل الصيادين البحرين فى

مدغشقر هم الفيزو والكافري . ومع ذاك فان السواحل الإفريقية على البحر المتوسط يتجول فيها الصيادون اليونانيون والإيطاليون والأسبان بحرية بينما يتجول الكثيرون من غير الإفريقيين على سواحل المحيطين الهندي والأطلسي .

مناطق الصيد :

تزدهر الحياة البحرية في مناطق معينة بحيث أن هذه المناطق فقط هي التي يمكن اعتبارها مناطق صيد دائمة أو موسمية (شكل ٥ . دومانج ١٩٦٥) .



شكل (٥)

المناطق الغنية بالثروة السمكية حول أفريقيا (الخطوط) والمناطق الجبهوية (+) والتيارات البحرية (الأسهم) (الإسهم) (عن دومانج ١٩٦٥) .

١ - الشريط الساحلى والرصيف القارى : هو المكان الأميز لأنه يستفيد من مميزات بيئة غنية تجمع بين المواد الغذائية الموجودة أصلا فى الماء وتلك القادمة من البر ويمكن استخدام جميع أنواع المعدات فيها .

٢ - مناطق تلاقى التيارات الحارة والباردة ويحدث فيها موت جماعى لكثير من الكائنات مما يجذب الأسماك الكبيرة . وتوجد هذه المناطق عند سطح الماء وكذلك عند أعماق مختلفة .

٣ - مناطق التصاعد : وتتميز بازدهار انفجارى للحياة عند السطح وأوضح مثال لها فى مياه جنوب غرب أفريقيا ولكن شباك الجر وغيرها من المعدات الحديثة تستطيع أن تحصد عند المنحدر القارى على عمق ٦٠٠ - ٨٠٠ متر حيث اكتشفت تجمعات ضخمة من الأسماك الكبيرة والقشريات .

٤ - مياه المحيط المتجمد تزدهر فيها الدياتومات موسميا يتبعها البلاكتون الحيوانى الذى تغذى به الحيتان والأسماك والأسقميات .

٥ - المياه المدارية وهى فقيرة عند السطح ولكنها أظهرت امكانيات جيدة عند عمق التبدل الحرارى كلما استقبلت المنطقة الضوئية مياهها باردة خصبة أو تلاقى عندها التيارات المتحركة .

٦ - المناطق الباردة التى تتلقى مياهها مدارية حارة ته ببح خصبة (رأس الرجاء الصالح)

٧ - المناطق تحت المدارية لا تزدهر فيها الحياة إلا فى قطاعات التصاعد والمناطق الجبهوية وينجذب السردين والأنشوجة والبشارد والماكريل والتونة إلى هذه القطاعات آتيا من الرصيف القارى وهى تجذب أيضا البورى وثعابين السمك من السواحل .

٨ - المناطق بين المدارية فقيرة عموماً ولا يوجد بها إلا قليل من السردين وتوجد أخصب مناطقهم داخل الحواجز المرجانية فى البحر الأحمر مثلا . ويرجع فقر هذه المناطق إلى ثبوت البيئة مما لا يسمح بتجدد العناصر الغذائية .

وبين الجدول رقم (١) تطور كميات الصيد البحرى فى العالم وزيادته التى ترجع أساسا إلى دخول سفن نصف الكرة الشمالى إلى مياه نصف الكرة الجنوبى :

جدول رقم (١)
تطور الصيد البحري في العالم
(عن مطبوعات منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	الانتاج (مليون طن)	الاستهلاك				
		طازجاً أو مثلجاً	مجمداً	مجففاً أو مملحاً أو مدخنأ	معلباً	دقيق أو زيت
١٩٥٤	٢٣	%٤٣	%٧	%٢٥	%٩	%١٣
١٩٦٠	٣٢	٤٠	٩	١٩	٩	٢٠
١٩٦٣	٤٦	٣٠	١٢	١٠	٩	٣٥
١٩٦٨	٦٤	٣٣	١٥	٧	٨	٤٤

وقد إتجه نمو صناعة الصيد البحري إلى إنتاج المزيد من الاسماك المعدة لاخترالها إلى دقيق أو زيت ليس لأن هناك طلباً متزايداً عليهما بل على العكس فهما أرخص من السمك نفسه ولكن لأن هناك صيداً زائداً وجائراً على مستوى الإقتصاد العالمي بحيث أن السمك المصاد لا يجد سوقاً رائجة فيحول إلى دقيق أو زيت . إن سعر نفس السمكة ينخفض بعد تحويلها إلى دقيق أو زيت إلى ٥ أو ١٠ مرات عن قدر سعرها مما لو كانت معلبة وإلى ١٠ - ٢٠ مرة مما لو كانت طازجة وأن سفن الصيد تحول السمك إلى دقيق وزيت لأن المؤسسات الموجهة لها لا تجد استخداماً أفضل لحجم الصيد الهائل الذي تحصل عليه .

أما صيد الحيتان فقد إنهار أو أوشك نتيجة للصيد الجائر وقد أغلقت المحطات الأرضية في أفريقيا وهي الدولة الوحيدة القائمة على أرض أفريقية والتي مارست صيد الحيتان في المياه الأفريقية ومياه المحيط المتجمد الجنوبي . أما المحطات الأخرى فقد كانت تابعة لدول غير إفريقية .

ويبين الجدول رقم (٢) خط سير صيد الحيتان في أفريقيا .

جدول رقم (٢)

(أ) صيد الحيتان في أفريقيا (عدد الحيتان المصادة)

(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	في المياه الإفريقية	في مياه المحيط المتجمد الجنوبي	صيد جنوب إفريقيا
١٩٥٤-١٩٥٣	١٠٨٨	٣٤٨٦٩	٣٢٤٩
١٩٦٣-١٩٦٢	٤٠٥٤	٣٠١٥٩	٤٠٥٥
١٩٦٤-١٩٦٣	٤٢١٠	٢٩٩٤٢	٤٢١٠
١٩٦٥-١٩٦٤	٥٣٩٨	٣٢٥٦٣	٥٣٩٨
١٩٦٦-١٩٦٥	٤١٤٨	٢٤٦٨٠	٤١٤٨
١٩٦٧-١٩٦٦	٢٦٩٢	٢٠٢٢٥	٢٦٩٢
١٩٦٨-١٩٦٧	١٣٠١	١٥٠٨٠	١٣٠١
١٩٦٩-١٩٦٨	٢٠٧٨	١١٤٧٨	٢٠٧٨
١٩٧٠-١٩٦٩	١١٩٤٩

جدول رقم (٣)

(ب) معدات صيد الحيتان

(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	١٩٥٤-١٩٥٣		١٩٦٧-١٩٦٦		١٩٦٨-١٩٦٧		١٩٦٩-١٩٦٨		المعدات
	في العالم	في جنوب إفريقيا	في العالم	في جنوب إفريقيا	في العالم	في جنوب إفريقيا	في العالم	في جنوب إفريقيا	
مخطات شاطئية	٤٧	١	٢٦	٢	٢٣	١	٢٠	١	
مصانع عائمة	٢١	١	١٦	—	١٤	—	١٢	—	
سفن صيد	٣٦٤	٢٥	٢٥٠	١٥	٢١٠	٧	١٩٠	٧	

الصيد غير الافريقى فى المياه الافريقية

اليابان - ظهرت السفن اليابانية لأول مرة عندما دخل أسطول يتبعها ويتكون من ٥٠ سفينة إلى المحيط الاطلنطى وصاد ٣١٠٠٠ طن بالسنارة المركبة عام ١٩٥٩ . ثم وصل عدد السفن إلى ٨٨ صادت ٨٢٢٥٠ طن عام ١٩٦١ . وفى عام ١٩٦٢ - ١٩٦٣ صادت ١٠٠ سفينة ١٠٠٠٠٠ طن . وقد نقل هذا الانتاج إلى جزر الكنارى وسيراليون وغانا والسنغال وساحل العاج حيث أقيمت سلسلة من القواعد لاستقبال المحصول وتصنيعه ونقله ثانياً إلى سفن يابانية تذهب به إلى اليابان . أى استخدمت هذه المحطات للترانزيت فحسب . وقد ارتفع عدد السفن فيما بعد إلى ١٢٧ بينما إنخفض المحصول إلى ٩٥٣٠٠ طن . وقد أقيمت قواعد أخرى فى جزر الرأس الاخضر وناتال وموريشوس . وقد ازداد أيضاً عدد سفن شباك الجر فى قطاع موريتانيا وجزر الكنارى كما يتبين من الجدول رقم (٣) .

الجدول رقم (٣)

سفن شباك الجر اليابانية فى

قطاع موريتانيا - جزر الكنارى

السنة	عدد السفن	المحصول
		طن
١٩٥٩	٢	٨٠٢
١٩٦٠	٨	٦٣٨٠
١٩٦١	١٥	٢٨٠٠٠
١٩٦٢	٢٦	٤٩٠٠٠
١٩٦٣	٣٤	٩٢٠٠٠
١٩٦٤	٤٧	١٣٥٠٠٠

وتستند سفن شباك الجر هذه إلى قواعد فى لاس بالماس بجزر الكنارى ، بينما يعمل أسطول آخر فى مياه جنوب غرب إفريقيا مستنداً إلى مدينة الكاب .

فرنسا - يعمل الصيادون الفرنسيون منذ زمن طويل في مياه غرب إفريقيا وهم يتركزون في السنغال وغينيا وزائير ويصيدون التونة والسردين والاستاكوزا والأصداف ويعودون بصيدهم إلى الموانئ الفرنسية على الاطلنطي ويتلقى الميناء الفرنسي الواحد في المتوسط ٤٠٠٠ طن تونة من غرب إفريقيا و ١٣٠٠ طن سردين من مياه المغرب . ويبيع حوالى ١١٠٠٠ طن من التونة سنوياً إلى دول غرب إفريقيا دون نقله إلى فرنسا .

ويستخدم الصيادون الفرنسيون المتمون إلى الموانئ الفرنسية على البحر المتوسط مياه الجزائر أيضاً في نشاطهم وقد بلغ محصولهم منها ١٦٠٠٠ طن عام ١٩٦٢ .

إسبانيا - عمل الصياديون الإسبان أيضاً منذ زمن طويل في مياه المغرب ونهر الذهب (الصحراء الإسبانية) بشباك الحر . وقد صادت سفنهم الحديثة ٢٠٠٠٠٠ طن من هذه المياه عام ١٩٥٨ . وفي الأعوام ١٩٦١ - ١٩٦٣ كان الصيد الإسباني من المياه الإفريقية حتى أنجولا جنوباً يمثل خمس مجموع الصيد الإسباني الكلى ، وهو يتمثل أساساً في السردين والأنشوجة .

وهم يزورون مياه خليج غينيا لصيد التونة من نوفمبر إلى مايو عندما تعصف الانواء بسفنهم في مياههم الأصلية - ويشاركهم في ذلك الفرنسيون . وفي ١٩٦٣ أنزلت ٥٦ سفينة صيد تونة (بالسنارة) يعمل عليها ١٠٢٠ رجلاً ٦٠٠٠ طن من التونة المجمدة في مينائى فريتاون وأبيدجان بساحل العاج حيث أعيد تجميدها وأرسلت للولايات المتحدة الأمريكية وعلب بعضها لأوروبا . أما في عام ١٩٦٤ فقد دخلت ١٢ سفينة إسبانية ذات المؤخرة المزلقة ومزودة بالمجمدات إلى المياه الإفريقية وعملت عند رأس الرجاء الصالح لأول مرة وصادت ١٢٣٠٠ طن من الهيك الجنوبي تركت منها ٧٠٠٠ طن في مدينة الكاب . وتحتفظ أسبانيا بمينائى صيد في المغرب هما سيوطة (٤٣٠٠ طن) ومليلا (٧١٠٠ طن) ولكن سفن هذين المينائين تنزل صيدها على الشاطئ الأندلسي .

أما الصيد المستند إلى سواحل الصحراء الإسبانية فليس مطوراً ، فالصيد في فيلاسنيروس ١٢٥ طن وفي العيون ٤٢٠ طن وفي لاجويرا ١٤٦٠ طن . ويقوم

بمعظم الصيد إسبان يعودون بمحصولهم إلى إسبانيا وإسبان قاعدة صيد أخرى في فرناندوبو مجموع إنتاجها ٧٨٣ طن في السنة .

أما جزر الكنارى فلها شأن آخر في الإقتصاد السمكى الإسباني فقد استقر الصيادون الإسبان في هذه الجزر ومارسوا مهنتهم حتى مياه موريتانيا حيث يحققون صيدهم على سواحلها . ويعيش أكثر من ٢٠٠٠٠ صياد في جزر الكنارى . وقد لاحظ اليابانيون مزايا هذه الجزر وكانوا أول من أقاموا عليها قاعدة لأسطولهم من سفن التونة وشباك الحر في لاس بالماس في جزيرة الكنارى الكبرى (جران كنارى) وقد استطاعوا أن يبنوا بالتعاون مع بعض الشركات الأجنبية الأمريكية وحدة تجميد معقدة . ثم جاء الإسبان أنفسهم وجعلوا منها قاعدة لسفنهم ذات شباك الحر .

وقد ارتفع ما أنزل إلى جزر الكنارى من ٨٥٠٠٠ طن عام ١٩٥٩ إلى ١٢٦٥٠٠ طن عام ١٩٦٣ (١١٩٥٠٠ طن طازج و ٧٠٠٠ طن مملح) أما إنتاج سكان الجزر فقد بلغ ١٤٥٠٠ طن من الأسماك الطازجة و ٥٠٠٠ طن لمملحها في ١٩٦٣ . وذلك في جزيرة لانزاروت — أما في جزيرة تريف فقد بلغ ١٠٠٠٠ طن في نفس العام . ولكن جزيرة الكنارى الكبرى هي التي أصبحت مركزاً عالمياً ويعمل عليها ١٠٦٠٠ صياداً ويعتمد عليها الأسطول الإسباني البالغ عدده ٢٧٢ سفينة من سفن شباك الحر بلغ محصور لها ١٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٦٣ .

البرتغال — حدث لها نمو مواز إذ عمل أسطولها المكون من ١٠٨ سفينة ذات شباك جر في مياه موريتانيا وصاد ٤٣٠٠٠ طن عام ١٩٦٢ ، ولكن البرتغاليين غير قادرين على استغلال المياه المتاحة لهم في الرأس الأخضر (١٦٠٠ طن) وساوتومي وأنجولا وموزمبيق استغلالاً مكثفاً مثل غيرهم من الدول الأوروبية لأسباب مختلفة .

بولندا — إن بولندا هي موطن اختراع سفن شباك الحر ذات المؤخرة المتحركة . وقد تعاقد البولنديون مع غينيا على تنمية صناعيتها السمكية على أساس تعاوني وقد بلغ مجموع صيدهم في غرب أفريقيا ١٠٠٠٠٠ طن عام ١٩٦٥ سلم بأكمله إلى غانا ونيجيريا .

الاتحاد السوفيتي - يقوم الاتحاد السوفيتي بصيد السردين بشباك الحر في خليج غينيا منذ سنة ١٩٦٢ من قواعد في غانا ثم أمتد نشاطهم إلى مياه إفريقيا الجنوبية وامتد ثانياً عام ١٩٦٤ إلى بحر العرب والمحيط الهندي . وقد بلغ مجموع المحصول السوفيتي ١٠٠٠٠٠ طن من السردين والتونة في عام ١٩٦٤ وقد سلم أيضاً إلى الدول النامية .

جنوب إفريقيا - من الطبيعي اعتبار جنوب إفريقيا وما تقوم به من أعمال في نطاق الأعمال غير الإفريقية على الرغم من استنادها إلى أرض إفريقيا لأسباب عديدة أهمها أن الحكم في أيدي غرباء عن إفريقيا وأن الصيد السمكي يجري لحساب السوق العالمية وليس لحساب الأهالي الإفريقيين . وأنه إذا دخل السوق المحلية فانه يخدم المدن التي يقطنها البيض ولا يصل السكان الأصليين منه شيء يذكر .

وقد بدأ الصيد البحري في جنوب إفريقيا مع بداية القرن العشرين وزاد في عام ١٩٢٥ مع إكتشاف تجمعات التونة والقشريات . وبدأت صناعة الدقيق والزيت عام ١٩٥١ . وتمتاز سواحل جنوب إفريقيا بمنطقة تصاعد ضخمة على الساحل الغربي ورصيف قارى عريض عند رأس الرجاء الصالح وشجع وجود الحيتان بين الرأس والقارة القطبية الجنوبية على قيام صناعة صيد الحيتان .

وتوجد قواعد سفن الصيد الرئيسية في مدينة الكاب وبورت اليرايث وبين الحلول رقم (٤) تطور إنتاج جنوب إفريقيا من الحيتان . ويتضح تدهور هذه الصناعة على المستويين العالمي والإفريقي نتيجة للصيد الجائر بلا تخطيط أو اعتبار لأصول علم صيانة هذا المورد الطبيعي الهام : (فريد ريش ١٩٦٩) .

ويتكون أسطول الصيد في جنوب إفريقيا من ٩٦٦ مركب مزود بالموتورات وشباك الحر بالإضافة إلى ٢٥٢٢ مركباً أصغر (في عام ١٩٥٩) وقد أصبحت جنوب إفريقيا ثامن دولة في العالم من حيث حجم الصيد وأول دولة في إفريقيا (تليها المغرب) . ويتكون معظم الصيد من البلشارد (٦٥٪) والماكريل (٦٪) والهيلك الجنوبي (٥٪) . ويصاد حوالي ٣٠٠٠٠ طن من مملك القرش يصدر كله تقريباً إلى الشرق الأقصى ولكن الولايات المتحدة هي المستورد الرئيسي لأسمك جنوب إفريقيا .

جداول رقم (٤)

انتاج جنوب إفريقيا من الحيتان
(ويشمل الدقيق والسوائل وزيت الكبد والدهون)
(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	العالم (بالآلف طن)		جنوب أفريقيا	
	دقيق وسوائل	زيت كبوددهون	دقيق وسوائل	زيت كبوددهون
١٩٥٣	٣٧	٤٨٥,٦	٦,٤	٣٣,٣
١٩٥٥	٦٨	٤٧٠,٠	٥,٦	٢٤,٧
١٩٥٦	٨٣	٤٩٤,٩	٧,٢	٢٧,٣
١٩٥٧	٨٢	٤٩٧,٩	١٠,١	٢٨,٩
١٩٥٨	٩٣	٥١٨,٣	٧,١	١٥,٢
١٩٥٩	٨٣	٤٩٥,٥	٩,٧	١٦,٠
١٩٦٠	٩٢	٤٨٩,٩	١٢,٠	١٧,٥
١٩٦١	٩٥	٤٩٧,٤	١١,٢	١٥,٠
١٩٦٢	٨٨	٤٧٥,٦	١١,٦	١٦,٤
١٩٦٣	٩٢	٤١١,٥	١١,٨	١٦,٢
١٩٦٤	٧٨	٣٧٨,٨	١٢,٤	١٥,٢
١٩٦٥	٨٣	٣٣٩,٣	١٣,٧	١٨,٠
١٩٦٦	٦٢	٢٦٣,٠	١٢,٨	١٦,٠
١٩٦٧	٥٦	٢٥١,١	٧,٩	١٠,٨
١٩٦٨	٥١	٢١٢,٧	٥,٠	٦,٧
١٩٦٩	٥٦	٢٠٦,١	٦,٢	٨,٦

وقد نظم صيد الاستاكوزا على الساحل الغربي عام ١٩٣٠ وبلغ أقصى صيد ٢٦٠٠ طن عام ١٩٥٧ حيث كادت الحيوانات أن تنقرض فانخفض الصيد إلى ٨٥٠٠ طن عند الكاب و ٥٠٠٠ طن عند ميناء لودرتز عام ١٩٦٤ . ولذلك تحولت مصانع القشريات إلى معالجة السردين والماكريل وسمك السيف التي علبت أولا ثم حولت إلى دقيق وزيت عندما زاد الصيد عن حاجة الاستهلاك .

ويبين الجدول رقم (٥) تحول الصيد الزائد إلى دقيق وزيت .

جدول رقم (٥)

تحول الصيد الزائد إلى دقيق وزيت في
جنوب غرب أفريقيا (الأرقام بالآلاف طن)
(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	الصيد الكلي	المعلب	دقيق	زيت
١٩٦١	٣٧٨	٧٠	٦٧	١٦
١٩٦٣	٥٤٠	٦٠	١٢٥	١٦
١٩٦٤	٦٥٠	٧٠	١٣٠	٢٠
١٩٦٩	٩٥٦	٤٩	٢٠٤	٢٩

في الساحل الغربي للكاب

١٩٥٩	٤٦٥	٩	٦٤	١٤
١٩٦٠	٥٧٨	١٢٩	٨١	٢٤
١٩٦١	٦٥٧	١٨٠	١٠٨	٣٩
١٩٦٢	٦٥٦	١٧٧	١١٢	٣٣
١٩٦٣	٥٩٠	١٤١	٩٨	٢٧
١٩٦٩	١٣٤٩	٧٠	٢٢٢	٥٥

وبالرغم من أن معظم السميد (حوالي ٩٠٪) يصدر إلا أنه لا يمثل دخلاً كبيراً بالنسبة إلى الثروة المعدنية التي تعتمد عليها جنوب إفريقيا بالدرجة الأولى . وبالمثل لا يعمل الكثير في الصيد فعدد الصيادين ٤٠٠٠ فقط ولذلك تجتذب مياه جنوب إفريقيا الغنية أساطيل الكثيرين من غير الأفريقيين .

أنجولا — حيث أن أنجولا أيضاً مازالت تترزح تحت نير الاستعمار فان مصايد أسماكها البحرية في أيدي غير إفريقية — وتحتوي مياه أنجولا على كميات ضخمة من السردينلا وسمك السيف والتونة . وقد زرعت الحكومة البرتغالية صفوفاً من قرى

الصيد على الساحل ونقلت إليها الصيادين البرتغاليين مع أساطيلهم منذ عام ١٩٤٨ حيث يصل عدد سفنهم الآن إلى ٨٠٠ ، وتتميز صناعة الصيد البرتغالية بتأخرها وبداءتها وقلة كفاءتها ، فالسفن كثيرة وتصيد كميات كبيرة ولكن المصانع الشاطئة لا تحسن تعليبه أو حتى تحويله إلى دقيق وزيت إذ يوجد ١١٥ مصنعا استهلكت عام ١٩٥٧ (٢٤٠٠٠٠ طن) من السمك وانتجت منها ٨٥٠٠٠ طن دقيق و ٧٠٠٠ طن زيت فقط ثم إنخفض إنتاج الدقيق باطراد إلى ٢٥٠٠٠ طن عام ١٩٦٣ مع زيادة كمية الصيد كما في الجدول رقم (٦) .

الجدول رقم (٦)

الصيد في أنجولا (بالألف طن)

(عن منظمة الأغذية والزراعة)

السنة	إجمالي الصيد	دقيق	زيت
١٩٥٣	٢٩٠	٩,٣	٢
١٩٥٦	٤٢٠,٥	٥٧,٧	١٨
١٩٥٧	٣٩٥,٥	٨٥	٧
١٩٥٨	٢٧٨,٥	٤٧,٧	١٧
١٩٥٩	٢٦٧,٤	٤٦,٢	١٥
١٩٦٠	٢٥٢,٠	٤٤,٨	١٢
١٩٦١	٢٤١,٥	٤٥,٣	١٠
١٩٦٢	٢٦٩,٥	٣٢,٠	١
١٩٦٣	٢٣٩,٧	٢٥,٠	٦,٨
١٩٦٩	٤١٧,٥	٨٢,٤	١٦,٥

ونتيجة للصيد غير المنظم اختفت التونة من مياه أنجولا عام ١٩٦٣ فتسببت هذه الازمة البيولوجية في أزمة اقتصادية حادة ولكن ظهرت قطعان التونة ثانياً عام ١٩٦٤ وصيد منها ٦٠٠٠٠ طن من مجموع الصيد الذي يبلغ ٣٥٥٠٠٠ طن. ولا يزال المحصول الانجولى يتذبذب بين ٢٩٣٠٠٠ طن عام ١٩٦٨ إلى ٤١٧٠٠٠ طن عام ١٩٦٩ . ويبلغ الصيد في موزمبيق ٧,٥٠٠ طن .

دول غير أفريقية أخرى - هناك بعض الصيد الذي يمارسه الإيطاليون والبلغار على ساحل ارتريا والسوفيت واليابانيون في خليج عدن واليونانيون في شمال وشمال غرب إفريقيا . وقد بدأ الإيطاليون نشاطهم في موريتانيا عام ١٩٦٥ بأسطول من ٦٤ سفينة تجميد صادت ٣٥٠٠٠ طن وهم يخططون لأسطول من ١٠٠ سفينة للعمل في خليج غينيا وجنوب أفريقيا .

الصيد الافريقى فى المياه الافريقية

مصر :

تمتلك مصر موارد سمكية بحرية هامة على شواطئ الدلتا تزودها بما يبلغ ٥٠٠٠٠ طن بورى وثعابين سمك ، ٧٠٠٠ طن سردين . ١٥٠٠٠ طن من الأنواع الأخرى وإن كان معظم هذا الصيد فى الواقع من البحيرات الساحلية وليس من البحر نفسه (عبد العليم ١٩٦١ ، ومطبوعات منظمة الأغذية والزراعة) .

والمنتظر أن يمتد صيد السردين إلى مخابته فى المياه العميقة من البحر المتوسط حيث أنه يلجأ شتاء إلى عمق ٢٠٠ متر فى عرض البحر حيث تكون المياه أكثر ملوحة مما عند السطح ، وعندما يأتى الصيف يرتفع إلى عمق ٥ - ١٠ متر ويقرب من الشواطئ (تورتونيرى - ١٩٦٠) .

وقد بدأت مصر فى الاستفادة من مصايد الاسماك فى أعالي البحار عام ١٩٦٨ بثلاث سفن ذات شباك جر ونزلت أول حمولة إلى الاسكندرية فى ٢٥ أغسطس ١٩٦٨ وكان مقدارها ٦١٤ طن من سواحل غرب إفريقيا ، وكان منها ٨٠ طن من سمك المرجان و ٦٠ طن سردين و ٧٤ طن سكومبرى ، ٤٠٠ طن استافرينا . وقد استغرقت أول رحلة ٧٢ يوما قطعت السفينة « برنيس » خلالها ١٩٥٨ ميلا . وتتبع هذه السفن طريقة الصيد الحديثة التى تتدرج فى عدة مراحل تبدأ بعملية البحث الالكترونى عن مناطق تجمع الاسماك ثم إلقاء الشباك فى المنطقة التى تبلغ فى المتوسط ٤ مرات فى اليوم الواحد . ثم تجمع حصيلة الصيد ويتم فرزها حسب أنواعها المختلفة ثم يعقب ذلك عملية تعبئة الاسماك كل نوع على حدة فى ثلاثيات

التبريد السريع ويضم كل عنبر من العنابر الأربعة بالباخرة ٨ ثلاجات للتبريد السريع الذى يستغرق حوالى ٥ ساعات ، وبعد ذلك تعبأ الاسماك فى علب من الكرتون المقوى سعة العلبه ٢٠ كيلو من السمك وتحتفظ فى ثلاجات درجة حرارتها ٢٠ درجة تحت الصفر ، وتبقى بها حتى ميناء الوصول . ويجمع من السواحل الغربية حوالى ٢٠ طن إسفننج على الأقل سنويا .

ليبيا :

تصاد التونة فى ليبيا بواسطة المصيده الصندوقية ويجمع منها حوالى ٤٠٠٠ طن ويبلغ مجموع الصيد ١٠,٠٠٠ طن ويجمع من الإسفننج ١٠٠ طن سنويا .

تونس :

تستفيد تونس من عدة عوامل حسنة عند مستنقعات خليج قابس و صفاقس والرصيف الشرقى ومع ذلك فلا يصاد أكثر من ٢٥٠٠٠ طن سمك و ٩٠ طن إسفننج سنويا لاستخدام الوسائل اليدوية فقط وقد بدأت أخيراً فى استخدام سفن شباك الحر .

الجزائر :

ويتذبذب المحصول من ١٨٢٠٠ طن عام ١٩٦٨ إلى ٢٣٢٠٠ طن عام ١٩٥٩ وهو يتكون من السردين والبشارد والأنشوجة والجمبرى والكابوريا . ويصاد من القشريات حوالى ١١٠٠ طن سنويا .

المغرب :

وصل الصيد المغربى إلى رقم قياسى هو ٣٠٣٤٠٠ طن عام ١٩٦٦ وهى لذلك تعتبر أكثر الدول الإفريقية إنتاجا للمصايد السمكية البحرية . ويكثر السردين عند الطرف الجنوبي الغربى (محصوله ٢٠٨٠٠٠ طن عام ١٩٦٧) وإنتاج الماكريل ١٥,٠٠٠ طن ، والتونة ١٠,٠٠٠ طن مما ساعد على قيام صناعة التعليب فى صافى (٧٦٠٠٠ طن) ، وأغادير (٦٦٠٠٠ طن) والحديدة .

ويبين الجدول رقم (٧) تطور الإنتاج المغربى الذى زاد زيادة كبيرة باستخدام سفن شباك الحر .

جدول رقم (٧)
إنتاج المغرب من الأسماك
 (عن منظمة الأغذية والزراعة)
 (الالف طن)

السنة	إجمالي الصيد	المعلب		الملح سردين وأنشوقة	دقيق * و زيت
		سردين وأنشوقة	تونة وماكريل		
١٩٤٨	٦٨,٦	٢٦,٩	٠,٨	٦,١	—
١٩٥٥	٩٤,٣	٢٦,١	١,٥	٠,٩	٨,٠
١٩٥٦	١٢٨,٢	٢٥,٢	١,٨	١,٣	٥,٩
١٩٥٧	١٤٥,١	٢٥,٩	٥,٥	٠,١	١٢,٦
١٩٥٨	١٦١,٧	٢٦,٥	٤,٧	٠,٢	١٦,٦
١٩٥٩	١٣٨,٤	٢٨,٤	٦,٣	٠,٤	١٤,٥
١٩٦٠	١٥٤,١	٣٢,٧	٧,٧	٠,٣	١٣,٩
١٩٦١	١٧٨,٩	٣٢,٣	٨,٨	٠,٤	١٩,٠
١٩٦٢	١٧١,٩	٣٦,٢	٩,٨	٠,٣	١٦,٠
١٩٦٣	١٨٤,١	٣٠,٦	٨,٥	٠,٥	١٩,٩
١٩٦٤	١٩٩,٦	٤١,٩	٨,٨	—	٢١,٨
١٩٦٥	٢١٤,٩	٤٣,٩	١٠,٠	١,٠	٢٧,٠
١٩٦٦	٣٠٣,٤	٤٢,٠	١٢,٠	٠,٥	٣٧,١
١٩٦٧	٢٥٨,٠	٤٣,٧	١١,٣	٠,٦	٢٥,٤
١٩٦٨	٢١٩,٠	٤٢,٠	—	—	٣٨,٣
١٩٦٩	٢٢٦,٠	٣٩,٠	—	٠,٤	٢٧,٥

* الكميات التي تم تصديرها .

دول ساحل غرب أفريقيا :

أقيم الكثير من مراكز الصيد الساحلية في غرب إفريقيا . ويستخدم رجال
 الايوى الشباك الجرافة الكبيرة على مراكزهم الخاصة في غانا وتوجو . أما الفاتى

في غانا أيضاً فهم يستخدمون الشباك الرأسية لصيد الساردينلا ويتجولون حول سيراليون شمالا وغربا وحتى أنجولا جنوبا وهم بذلك يفيدون سكان سواحل البلاد الإفريقية الواقعة على امتداد نشاطهم والذين لا يملكون الاستعداد للاشغال بالصيد — إذ أن الفاتي يبيعون صيدهم أولا بأول . ويفسر هذا لماذا وجدت سفن الصيد غير الإفريقية المجال مفتوحا مع نهاية الحرب العالمية الثانية . وقد بدأت المسألة بسفن شباك الحر الصغيرة الواردة من أسبانيا وفرنسا وإيطاليا منذ عام ١٩٤٨ و ١٩٥٠ التي حصلت سريعا على نتائج باهرة في صيد السردين وكانت تباع مباشرة إلى مراكز التحضر التي كانت في دور النمو السريع في غرب أفريقيا . ثم بدأ صيد التونة عام ١٩٥٥ بسناير السفن الفرنسية ثم الاسبانية ، ولما نجحت هذه المحاولات أيضا أقام الفرنسيون مصنعا للتعليب في داكار وأثبتوا أن موارد التونة في الاطلنطي المداري قابلة للصيد الصناعي المكثف وخاصة بعد أن قامت دراسة علمية دولية باعطاء معلومات دقيقة عن تجمعات الاسماك وعاداتها والمعدات اللازمة لصيدها في خليج غينيا . ثم كانت الخطوة الثالثة بدخول اليابان إلى الميدان للاستكشاف عام ١٩٥٧ وللإستغلال عام ١٩٥٩ . ومنذ هذا التاريخ أقيمت قواعد تجميد التونة في داكار وفريتاون وتيما وايدجان وبوانت نوار في جابون . وتتحول التونة المحملة بعد ذلك إلى الولايات المتحدة (٤٠٠٠٠ طن) ، وإيطاليا (٣٠٠٠٠ طن) ، وفرنسا (١٠٠٠٠ طن) ، وبقية أوروبا (١٠٠٠٠ طن) .

جدول رقم (٨)

الصيد البحري في دول غرب أفريقيا عام ٦٩

(بالطن — عن منظمة الأغذية)

ومصادر أخرى

الدولة	الإنتاج
موريتانيا	بالرغم من الصيد الضخم الذي يتم قرب مياه موريتانيا والذي يبلغ ٣٠٠,٠٠٠ طن فان ١٨,٠٠٠ طن فقط تنزل إلى موانئها منها ٣,٠٠٠ طن يصيدها الموريتانيون أنفسهم والباقي من صيد أهل جزر الكناري . وقد تم شراء ١٤ سفينة شباك جر ثقيلة وسفيتين بمجمدات لرفع الانتاج إلى ٢٤,٠٠٠ طن .

(تابع) جدول رقم (٨)

الدولة	الانتاج
السنغال	١٠٠,٠٠٠ طن بالقوارب الفردية ، ١٢٠,٠٠٠ طن صيد تجارى منها ١٠,٠٠٠ تونة .
جامبيا	وضعت فى الخطة صيد الجمبرى وتصديره مجمداً إلى أوروبا .
ليبيريا	يعتمد الصيد على قبائل الكرو والقاتى وقد زودت قواربهم بالموتورات وتستأجر سفن شبك البحر الايطالية والاسبانية واليابانية لتزويد السوق المحلية . ومع ذلك فلا يزيد الصيد عن ٥,٠٠٠ طن .
سيراليون	٢٠,٠٠٠ طن .
ساحل العاج	تمتلك أسطولا من ٣١ سفينة شبك جر و ٣٩ سفينة ثلاجة للسخدين ويجمد فى أبيدجان ٢٠,٠٠٠ طن من التونة التى تصيدها السفن الأجنبية ويبلغ الصيد المحلى ١٦,٠٠٠ طن وقد وضع صيد الجمبرى فى الخطة .
غانا	٢٦,٠٠٠ طن من الماكريل والرنبه والباراكودا والتونة .
توجو	١٠,٠٠٠ طن
داهومى	٥,٠٠٠ طن
نيجيريا	٣,٥٠٠ طن
الكاميرون	١٠,٠٠٠ طن مجهودات فردية . ١١,٤٠٠ طن صيد تجارى .
جابون	٢,٠٠٠ طن .
الكنغو	١٢,٠٠٠ طن صيد تجارى يصدر بأجمعه .

كمية الصيد الافريقى وغير الافريقى فى المياه الافريقية المحيطية

المنطقة	الصيد الافريقى	الصيد غير الافريقى (بالتقريب)
المغرب حتى زائيرى	٥٦٠,٠٠٠ طن	٢,٥٠٠,٠٠٠ طن
أنجولا	—	٨٠٠,٠٠٠ طن
جنوب إفريقيا وناميبيا	—	٢,٦٠٠,٠٠٠ طن
المحيط الهندى	٢٩,٠٠٠ طن	١,٨٥٠,٠٠٠ طن

ولكن سواء أجمدت التونة أو علبت فإن القليل جداً منها يدخل إلى السوق المحلية لعدم اعتياد الأهالي عليها - ولكنها تساعد على تزويد دول المنطقة بالعملة الصعبة (أنظر جدول رقم ٨) .

دول ساحل شرق أفريقيا :

هذه الدول لا تمارس الصيد البحري كثيراً ولكنها بذلك تهمل مورداً هاماً حيث ثبت أن البحر الأحمر والمحيط الهندي غنيان بالأسماك بعكس ما كان يشاع عنهما من قبل . ويقوم بالصيد السكان العرب في السودان (١٣٠٠ طن سمك ، ٢٠ طن أسفنج ، وبعض المحاريات) وفي جزر كومورو وزنجبار وساحل الصومال (١٢,٠٠٠ طن) ، أما في مدغشقر (٤٠٠٠ طن سمك ، ١٠٠٠٠ طن جمبري) فإن قبائل الفيريو والكافري تمتحن الصيد البحري وتوجد بعض المشروعات في الصومال ومدغشقر لاستغلال المصايد البحرية . ويمكن صيد الحيتان والتونة والجمبري والكابوريا بوفرة في المحيط الهندي . ويبلغ الصيد في جزر موريشيوس ١٢٥٠ طن .

الجهود الافريقية لحماية المصايد البحرية

أظهرت إجتماعات اللجنة العلمية لمنظمة الوحدة الافريقية بالقاهرة عام ١٩٧١ استياء الدول الافريقية من ترك المياه البحرية الافريقية نهياً مباحاً للسفن غير الافريقية ، كما طالبت اللجنة الدول الأعضاء في المنظمة بكسر هذا الاحتكار . وأظهرت المناقشات أن العقبات التي تحول دون ذلك هي مسألة التنظيم (عمليات الصيد - التسويق - التعليب) ورأس المال اللازم للحدود على المعدات الضرورية . أما تدريب الأخصائيين لهذه الأنشطة فليس صعباً . وفي كل الأحوال يجب تطبيق قواعد التحكم والتطوير المناسبة - مثل العناية الصحية بالأسماك - وإلا صيدت الأنواع المحبوبة من الالتماك إلى درجة الانقراض . وأوصت اللجنة الدول الأعضاء بأن تبني سياسة علمية وتجارية بهدف صيانة الموارد السمكية في المياه الاقليمية والدولية وأن تسهم إسهاماً فعالاً في مناشط الصيد المختلفة بما في ذلك إجراءات الصيانة بالتفاوض مع الدول غير الافريقية العاملة في المياه الافريقية . وقد اشتركت

فعلا السنغال وزائيرى وجنوب إفريقيا فى مؤتمر ريو دى جانيرو فى مايو ١٩٦٦ لوضع اتفاق دولى لصيانة تونة الاطلنطى واشتركت فى هذا المؤتمر من الدول غير الافريقية الارجتين والبرازيل وكندا وكوبا وفرنسا واليابان والبرتغال وكوريا الجنوبية وإسبانيا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة وأورجواى وفنزويلا . وكان هذا المؤتمر مهتما بصفة خاصة باتخاذ الإجراءات الكفيلة بمنع اساءة إستغلال تونة الإطلنطى وخاصة فى خليج غينيا .

وقد أوصت منظمة الوحدة الإفريقية الدول الأعضاء بحماية مياهها من الاستغلال الأجنبي لمصايد الأسماك فقامت عدة دول إفريقية بمد حدود مياهها الإقليمية إلى ٧٠ ميلا من الشاطئ ومنعت المغرب السفن الإسبانية من الصيد منها بعد أن كانت تفعل ذلك بأذن خاص حتى ٣١-١٢-١٩٧٢ .

مسألة المياه الإقليمية :

من الحقوق المسلم بها أن للدول الشاطئية أن تقتطع جزءاً من مياه البحر أو المحيط وأن تخضعه لسلطانها ويسمى هذا الجزء بالمياه الإقليمية للدولة . وقد صاغت الأمم المتحدة قانونا للبحر حاول وضع قواعد لحدود هذه المياه . وطبقاً لهذه القواعد فإن كل دولة لها الحق فى مد مياهها الإقليمية إلى بعد ١٢ ميلا بحرياً من الشاطئ بالإضافة إلى ١٢ ميلا أخرى تسمى المجاورة مع اعتبار بقية مياه هذه البحار والمحيطات مياهها دولية . وقد حثت منظمة الوحدة الإفريقية دولها الأعضاء على الاستفادة من ذلك ونفذت معظم الدول الإفريقية الإجراءات القانونية لإعلان المياه الداخلة فى نطاق الاثنى عشر ميلا مياهها إقليمية .

وللدولة كل الحقوق فى هذا النطاق بما فى ذلك ما قد يوجد بها أو ما تحتها من أراضي ، من معادن وبتروول وأسمك ومياه للأعذاب وللطاقة . ويبين الجدول رقم (٩) أوضاع الدول الإفريقية فى هذا الخصوص .

جدول رقم (٩)

أوضاع المياه الإقليمية للدول الإفريقية
(عن منظمة الأغذية والزراعة ومصادر أخرى)

٦ أميال بحرية	١٢ ميل بحري	حدود أخرى
ساحل العاج تونس	الجزائر - داهومي - أثيوبيا - جابون غانا - كينيا - ليبيريا - مدغشقر - نيجيريا - سيراليون - جنوب إفريقيا ج . م . ع - الكونغو - توجو - ليبيا السنغال - السودان .	الكاميرون ١٨ موريتانيا ٥٠ المغرب ٧٠ (عدا ٦ عند جبل طارق) . غينيا ١٣٠ زائيرى (لم تعلن حدودها) .

وحيث أن العديد من هذه الدول قد تحول إنتاج الصيد فيها من مستوى الكفاف إلى الصيد التجارى ، فقد أهتمت بمد حدود مياهها الإقليمية خاصة بعد نشر الدراسة التى سبقت الإشارة إليها عن الثروة السمكية فى خليج غينيا التى انتهت منها لجنة التعاون الفنى الإفريقى عام ١٩٦٤ (ضمت هذه اللجنة إلى منظمة الوحدة الإفريقية عام ١٩٦٥) ونوقشت فى مؤتمر لاجوس عام ١٩٦٨ . وقد أظهرت هذه الدراسة وجود قطعان ضخمة من السيبيا والقشريات (الجمبرى) ، والعديد من الاعمياك (الانشوجة والسردين والسردىلا الخ) ، والتى يمكن للدول الإفريقية صيدها تجارياً بدءاً من الرصيف القارى إلى عرض المحيط . وتضمن التقرير أيضاً التوصية بنوع السفن الواجب استخدامها .

وقد نص اتفاق منظمة الوحدة الإفريقية لصيانة وتنمية واستغلال الطبيعة والموارد الطبيعية - الذى وقعه بالجزائر فى سبتمبر ١٩٦٨ رؤساء حكومات ٣٨ من دول المنظمة - على حماية التجمعات الاحيائية النباتية والحيوانية ذات الصفة الخاصة والموجودة بالمياه الإقليمية . وقد نفذت كينيا ذلك بإنشاء حديقة بحرية على الشاطئ حيث تصان النباتات والحيوانات النادرة ويساعد الدخل الذى يدفعه الزوار على رفع عائد العملة الصعبة من السياحة .

ثم انتدبت منظمة الوحدة الافريقية لجنة من العلماء البيولوجيين لبحث الحالة في اجتماع عقد في أكتوبر ١٩٧١ في لاجوس وسجلت اللجنة أن المستوى الحالي لقطعان السمك حول إفريقيا في حاجة إلى حماية وصيانة على وجه الاستعجال نظراً للاستغلال المكثف الجائر (الذي سبق أن بينا صورته) من جانب الدول غير الافريقية . وقد لاحظت اللجنة بما يشبه الجزع أن جزءاً كبيراً من الصيد يتحول إلى دقيق يستخدم لطعام الحيوانات في الدول غير الافريقية بينما كان يمكن استخدامه لغذاء الادميين في إفريقيا وهم الذين يعانون من نقص البروتين . وقد رد على ذلك أحد الكتاب (في كراج ١٩٧٢) قائلاً أنه من الأفضل تحويل السمك الصغير الزائد في البحر إلى دقيق وإطعامه للحيوان في شمال أمريكا وغرب أوروبا لانتاج دجاج وخيـص بدلاً من تركه نهبا للمفترسات البحرية من الأسماك الكبيرة حيث أن شعوب الدول الفقيرة لا تستطيع شراء هذا الدقيق لتقوم هي بإطعام الدجاج في بلادها . ويتجاهل مثل هذا الكاتب أن السمك يحول إلى دقيق لأنه فائض عن حاجة الاستهلاك الآدمي في الدول الشمالية ويعطى للدجاج بدلاً من إعادته إلى البحر . كما يتجاهل تحذير راينر (١٩٦٩) بأن تزايد الصيد التجاري المكثف سيقتضي قريباً على الثروة السمكية في المحيطات . ومن أجل ذلك يجب على الدول الافريقية أن تحمي مواردها السمكية بكل السبل وأن تقوم هي باستغلاله سواء لتغذية الأهالي مباشرة أو لإطعام صناعة الدجاج التي يجب أن تنشأ فيها في أقرب وقت على أساس الاكتفاء الذاتي . وقد أوصت لجنة العلماء البيولوجيين أيضاً بأن على الدول الافريقية أن تمد مياهها الإقليمية إلى حيث توجد قطعان السمك القابلة للاستغلال حيث أن الوسائل الحالية للحماية غير كافية وغير منسقة . وحيث أن معظم الأسماك القابلة للاستغلال تتواجد على الرصيف القاري . فإن اللجنة ترى أنه يتعين على الدول الافريقية أن تمد مياهها الخاصة بالصيد إلى الخط العمودي على خط العمق المتساوي ٦٠٠ متر وأن يحرم الصيد في هذه المنطقة على غير سفن الدول الافريقية . ورأت اللجنة أيضاً أن احتياجات الدول الافريقية في تطوير وتنسيق تعاونها في هذا المجال يقع خارج إمكانيات منظمة الأغذية والزراعة ولذلك اقترحت اللجنة إنشاء مكتب تابع لمنظمة الوحدة الافريقية يختص بالاوقيانوغرافيا ومصايد الأسماك وتنسيق التعاون بين الدول

الافريقية في هذا المجال ومساعدتها على إتخاذ مواقف موحدة وفي هذه الحالة فقط يمكن للدول الافريقية أن تحصل على نتائج واضحة لصالحها جميعاً . وقد قدمت اللجنة هذه التوصيات استناداً إلى اعلان مونتغديو لقانون البحر في مايو ١٩٧٠ الذي بحث دول العالم الثالث على مد حدود سلطاتها وسيادتها إلى ٢٠٠ ميل بحري من الشاطئ وإلى قرار وزراء خارجية دول منظمة الوحدة الافريقية في الدورة العادية ١٧ من يونيو ١٩٧١ بأديس أبابا بخصوص حق الدول الافريقية في السيادة على الموارد الطبيعية في البحار المجاورة لها إلى حدود الرصيف القاري . وقد يخلق هذا المد مشاكل للدول المحصورة في الرصيف القاري مثل مالطة وتحتاج مثل هذه الحالات لدراسات قانونية خاصة .

وكجزء من سياسة تطوير إمكانيات الدول الافريقية لاستغلال مواردها البحرية حصلت غانا والسنغال وغينيا وليبيريا ومدغشقر والصومال على معونات لبناء أساطيل قومية بسفن شباك جر كبيرة تحتاج إلى إدارة صارمة وأطقم خبيرة ولذلك لم يفت هذه الدول في نفس الوقت أن تقوم بخطوة حكيمة وهامة وهي تشجيع الصيادين المحليين بتزويد مراكبهم بالموتورات وبالشباك الحديثة ولكن بمقاييس صغيرة وخيوط النايلون ، الخ . وقد أتت هذه السياسة بنجاح كبير وأثمرت تحسينات ملموسة حيثما طبقت لأنها أكثر ملاءمة للتقاليد الافريقية والظروف الاجتماعية السائدة فيما يختص بالخبرة البحرية .

وفيما يقابل هذه المجهودات الأفريقية تم جهود غير أفريقية لتطوير استغلال مصايد المحيط الهندي . فقد دعت جنوب إفريقيا إلى مؤتمر لهذا الغرض عقد في مدينة الكاب في سبتمبر ١٩٦٠ حضرته إيطاليا والبرتغال ومدغشقر ثم انضمت له فيما بعد استراليا والدانمرك وألمانيا الغربية وبريطانيا والهند واليابان والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . وقد خصصت له ميزانية قدرها ١٤ مليون دولار للبحوث .

تربية الكائنات البحرية :

تعتبر تربية الكائنات عموماً أفضل وسائل صيانتها بدلا من حصدها كيفما اتفق كما تعتبر بيئة المياه الشاطئية أكثر البيئات البحرية ملاءمة لتربية أو لزراعة الكائنات البحرية لموقعها واستفادتها من بيئتين عظيمتين تتلاقيان عندها وهي

في نفس الوقت لحسن الحظ أقرب البيئات إلى الانسان من الناحية المكانية ، ومع ذلك فان هذه الزراعة مازالت في مهدها لعدة صعوبات تكتنفها . وأهم هذه الصعوبات تعرض الزراعة للتيارات الهوائية أو البحرية القوية التي قد تدمرها أو للمفترسات والطفيليات التي قد تغتالها . فلا زال الانسان إذن أبعد ما يكون عن السيطرة على البيئة البحرية وإلى أن تتجمع المعلومات العلمية والخبرة العملية الكافية فلن تحتل الزراعة البحرية مكانها الذي تستحقه في اقتصاديات الحياة الانسانية . ولم تستطع سوى المجتمعات الكثيفة المعتمدة على البحر في اليابان وغرب أوروبا أن تتوصل لوسائل عملية في الزراعة البحرية جاء العلم متأخراً ليقننها وهذا علامة على الحدائة المرحلية لهذا المنشط الانساني .

والمأمول أن يؤدي التعاون الافريقي إلى تحسين هذا الموقف في المستقبل ، وقبل أن يؤدي التلوث العالمي لمياه المحيطات إلى استحالة هذه الزراعة كما حدث في خليج طوكيو منذ سنة ١٩٦٢ نتيجة لمياه المصانع الملوثة .

ومع هذا فقد أقيمت تربية المحار في غرب أفريقيا ونجحت نجاحاً لا بأس به . ويربى نوع جرافيا جازار عند دكاك وبياع في مالي وموريتانيا وساحل العاج . وأهم خطوة هي جمع اليرقات من البحر وتشجيعها على الاستقرار على الصخور والاصداف وقطع من الحديد أو الخشب أو الاسمنت وعندما تنمو إلى عدة سنتيمترات تقلع وتنقل إلى مرعى مناسب حيث تزاد العناية بها وتحمى من المفترسات (قنافذ البحر - نجوم البحر - المحاريات الثاقبة الخ ...) ومن الاندفاع الفجائي للمياه العذبة . ويتشابه التركيب الكيميائي للمحار مع اللبن إلى حد كبير كما يتبين من الجدول رقم (١٠) .

جدول رقم (١٠)

التركيب الكيميائي للمحار واللبن بالنسبة المئوية

(عن مارش - مارشا ١٩٦٩)

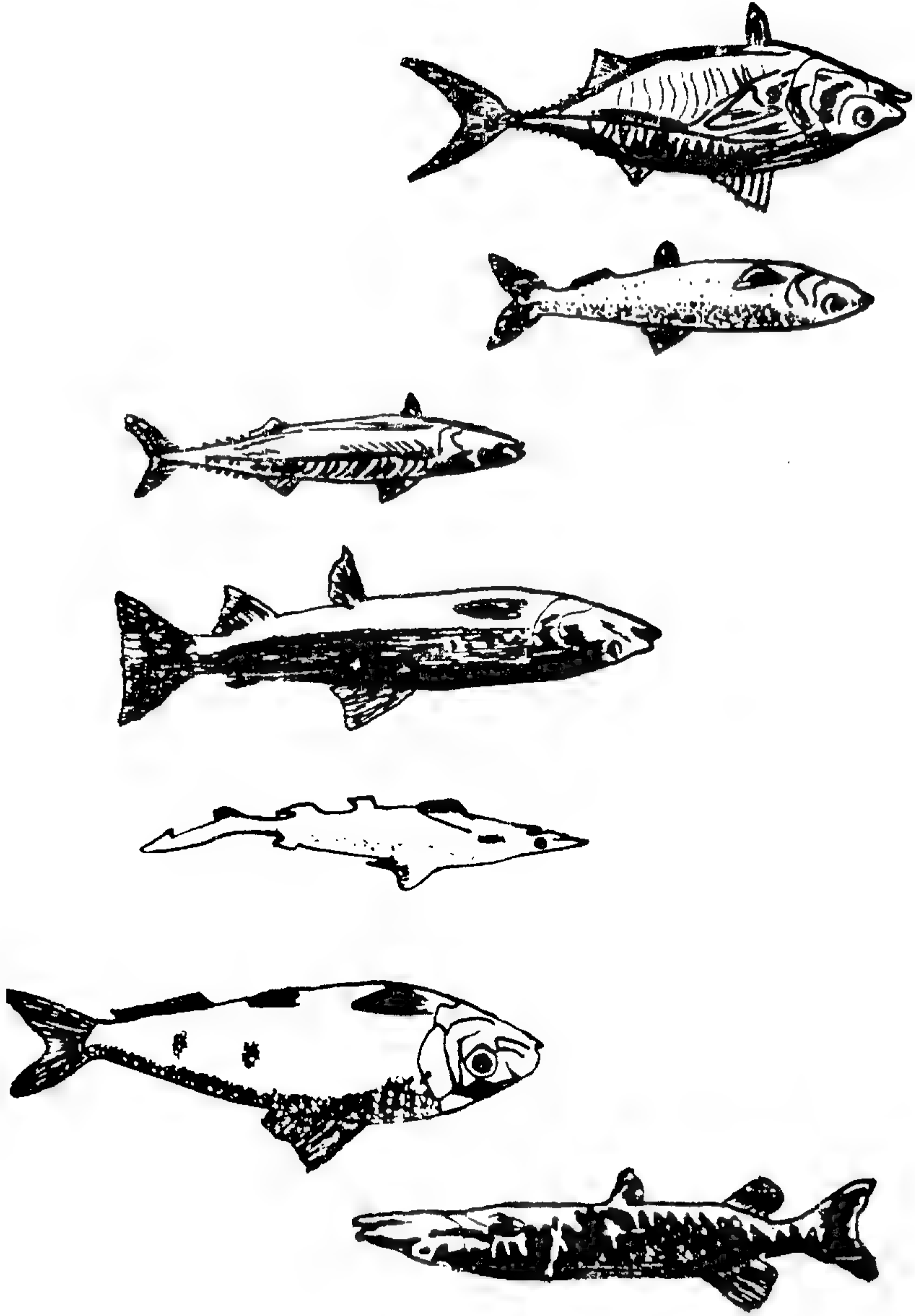
النوع	البروتين	الدهون	السكريات والنشويات	الأملاح	الماء
اللبن	٧	٢	٤	٢	٧٥
المحار	٣	٤	٥	١	٨٧

ويتركب بروتين المحار من الليسين والتربتوفان بصفة رئيسية وبه أيضا جليسم و فوسفات ويود (٢٠٠ مرة قلر اللبن) وستيرولات وفيتامينات ا و ب ٢ و ج و د و ف و ب ٧ . ومن مميزات أنه من بين القليل من الحيوانات التي يمكن أن تؤكل حية ولحمه سهل الهضم وقاتح للشهية ولذلك يؤكل قبل الوجبات ، أما إذا مات فإنه يتحلل بسرعة ولذلك لا يحفظ بالثلاجات إذ أنه يمكنه أن يبقى حيا عدة أيام داخل صدفته عند درجة الحرارة المعتادة ومن الخطر أن يجمع أو أن يربي قرب مرمى أنابيب التخلص من المجارى فى المدن الساحلية .

وقد ثبت أن المحار كان يجمع وكان يؤكل فى إفريقيا منذ العصر الحجري الحديث فهو بذلك ليس غريبا فيها - وتستغرق تربيته سنتين ويباع الطن بعشرة جنيهات استرلينية . ويوجد فى البحر المتوسط نوع آخر يسمى جرايفيا أنجيولاتا يربي فى الدول الأوربية شمال المتوسط ويمكن للدول الإفريقية جنوب المتوسط أن تجرب تربيته . كما يوجد نوعان آخران هما : مايتيلوس اديوليس و فارمايتيلوس جاللويروفنسيا ليس يريان شمال المتوسط بسهولة عن السابقين ولكنهما أقل ربحا .

أما فى البحر الأحمر فقد جربت زراعة الاسفنج وزراعة محار اللؤلؤ فى الغردقة وبورسودان ويوجد هذا المحار جنوبا حتى ساحل ترانيا . وأقيمت مرابى السلاحف البحرية (الترسه) فى موريشيوس وسيشيل لحمايتها من الانقراض . وينتظر المربون وصول الاناث إلى الشاطئ لوضع البيض ثم يأخذون بيضها وبضعونه فى الرمل حتى يفقس ثم ينقلون الفقس إلى أحواض خاصة ويطعمونه الحشائش البحرية حتى يكبر .

ويبين الشكل (٦) بعض أنواع الأسماك الهامة التى توجد فى المياه البحرية حول إفريقيا .



شكل (٦)

بعض الأسماك الهامة في المياه البحرية حول إفريقيا من أعلى إلى أسفل : البراكودا (٨٠ سم)
 السردين - (١٨ سم) القرش (١٢٠ سم) - السالمون (١٥٠ سم - الماكريل) ٥٠ سم (- الزجاجة)
 ٣٠ سم (- التونة) ١٢٠ سم .

References

- Aleem, A.A. (1961) Resources from water in Egypt and methods of their development . Dar Al-Maaref. Cairo: 436 pp. (In Arabic) .
- Cousteau , J . - Y . (1971) Statement on global marine degradation . Biol-Conserv. 4 (1) : 61 - 65 .
- Cragg , J . B. | Editor (1972) Advances in ecological research. Vol. 7 , Academic Press, New York & London : 254 pp.
- Doumenge , F . (1965) Geographie des mers . P . U . F ., Paris : 279 pp.
- FAO (1969) Limits and status of the territorial sea , exclusive fishing zones-fishery conservation zones and the continental shelf (with particular reference to fisheries) Rome : 32 pp .
- FAO (1970) Production Yearbook and Fishery Statistics . Rome.
- Friedrich , H. (1969) Marine biology. Sidgwick & Jackson , London : 474 pp,
- Laevastu , T. (1965) Manual of methods in fisheries biology.1 FAO, Rome, Fasc. 10 - 14 pp. '
- March - Marchad , J . (1969) Le monde animal en Afrique intertropicale. Ed. de L'Ecole, Paris : 607 pp.
- Rytheer , J . H. (1969) Photosynthesis and fish production in the sea. Scienc 166 : 72 - 76.
- Tortonese | G. (1960) General remarks on the Mediterranean deep-sea fishes Bull . Inst. Oceanogr. 1167 : 14 pp.

بعض ملامح إفريقية* في مظهر دانتي

SOME AFRICAN ASPECTS
in Dante's Purgatory

As Dante appealed to Africa's culture and tradition in the composition of his Inferno-as we have already treated in the first issue of this Journal, so he did the same in the composition of this Purgatory. For example he put here in one frame himself in company of Virgil, with Belacqua the musical instrument-maker of Florence, the river Ganges and Morocco. He put in one scene himself with Virgil, Statius, Guido Guinizelli the poet of the «dolce stile» and the inhabitants of India and Ethiopia. He again presented in one situation the Christ's symbol, the church's symbol, Augustus Caesar, Scipio Africanus, Pheton and Jupiter. All the African aspects that Dante chose were intrinsically woven within the elaborate and harmonious construction, in which he tried to express his ideas and create his art.

كانت المناطق المعروفة من إفريقيا جزءاً هاماً من العالم القديم، وأثرت وتأثرت بما حولها، وأسهمت في ثمرات البشرية ومصائرهما، ووضحت آثار ذلك في هجرة الإنسان، وانتقال الأساطير، وانتشار العقائد والأديان، وإندلاع الحروب، وسير التجارة، وثمرات العلم والفن والأدب، وذكر كتاب اليونان والرومان مثل هيرودوت وبلييني وفرجيليو بعض صور إفريقيا وأخبارها. وفي العصور الوسطى اضطرت العلاقة بين إفريقيا والعالم الخارجي في عهد الدولة البيزنطية، وفي عهد الدولة العربية التي امتدت من شمال إفريقيا حتى الأندلس وصقلية، واستمرت العلاقة بين الأوروبيين والشرق الأدنى بشقيه في الشام ومصر، وعرف الأوروبيون أجزاءً من إفريقيا عن طريق الرحلات والتجارة وفي أثناء الحروب الصليبية. وكان من

الطبيعى خلال ذلك كله ، أن تنتقل عناصر من التراث الافريقى فى ثنايا التراث القديم والوسيط إلى عالم الغرب فى أثناء العصور الوسطى ، التى كانت آخذة فى التطور والتهىؤ لبلوغ عصر النهضة فى العصر الحديث .

ودخلت عناصر من الثقافة الافريقية فى ثنايا الأدب الإيطالى الوليد (١) منذ أواخر القرن الثانى عشر الميلادى ، وظهرت آثار ذلك فى ثقافة المدرسة الصقلية بزعامة الامبراطور فردريك الثانى (٢) ، واستمرت تتابع نشأة الأدب الإيطالى (٣) حتى ظهور دانتي أليجيري ، الشاعر السياسى الجندى الفنان ، الذى عاش فى وطنه فى فلورنسا وفى سنوات المنفى الطويل فى أنحاء متفرقة من شمالى إيطاليا ، فى النصف الثانى من القرن الثالث عشر وأوائل القرن الرابع عشر الميلادى (٤) ، وظهرت بعض آثار من ثقافة إفريقيا فى مؤلفات دانتي وعلى الأخص فى « الكوميديا الإلهية » (٥) .

وفى « المطهر » كما فى « الجحيم » اتخذ دانتي من ذكريات أفريقيا وصورها وتاريخها ويثتها مصدراً لفنه العريق . وكما جعل من بعض تراث أفريقيا عنصراً فى بناء « الكوميديا » عندما هبط حلقات الجحيم وسط العواصف والنيران والأفاعى والجليد ، وأمام مشاهد الأسى والعذاب والدماء والدموع (٦) كذلك فعل دانتي فى بناء « الكوميديا » حينما صعد جبل المطهر ، وتغاب على صعباب المرتقى ، وشهد تطهر الزادمين وغفران خطاياهم . ولنعرض لبعض ما أورده دانتي فى المطهر عن أفريقيا .

فى الأنشودة الرابعة كان دانتي برفقة أستاذه فرجيليو يصعدان الجبل فى مقدمة المطهر ، ويلفغان منطقة المهملين الكسالى الذين تأخروا فى التوبة والتكفير عن آثامهم حتى آخر لحظة من حياتهم ، وعقابهم أن يبقوا فى موضعهم قبل دخول المطهر الحقيقى زمناً طويلاً (٧) . ورأى دانتي بلاكوا صانع الآلات الموسيقية الفلورنسى وقد جلس منخفضاً رأسه بين ركبتيه ، وبدأ أكمل مما لو كان الكسل شقيقاً له . قال بلاكوا إن عليه أن يبقى فى موضعه بقدر الزمن الذى تأخرت فيه توبته وتكفيره ، إلا إذا عاوته صلاة صادرة عن قلب ينعم بالرحمة الإلهية ، إذ لا يسمع سواها فى السماء ، وهذا هو عذاب هذه المنطقة . وعندئذ تقدم فرجيليو صاعداً فوق الجبل ودعا دانتي إلى الصعود ، لأن الظهر قد حل فى الوقت الذى حل فيه الليل فى نصف

الكرة الشمالى من نهر الكنج إلى مراکش ، التى كانت الحد الغربى للعالم المسكون عند الجغرافيين فى عصر دانتي (٨) .

وفى الأنشودة السادسة والعشرين فى الإفريز السابع ، حيث يتطهر مرتكبو خطايا الجسد وسط نيران المطهر ، تقدم ستانزيوس وفرجيليو ودانتي واحداً بعد الآخر ، بسبب ضيق المسافة الخالية من النار فى هذا الإفريز . وفى المسير ظهر ظل دانتي بحجمه الحى على النار المشتعلة فزاد توهجها ، فالتفت أشباح المتطهرين إلى هذه الظاهرة الغريبة واتجهوا إلى دانتي وهم حريصون على ألا يتجاوزوا نطاق النار، لأن بقاءهم فيها هو سبيل التعجيل بهم إلى الفردوس (٩) . ومن بين هؤلاء قال جويدو جوينتلى الشاعر البولونى إنه وجعته متعطشون إلى معرفة كيف يظهر ظل دانتي على النار ، وأنهم فى ذلك أشد تعطشاً من الهندي أو الإثيوبي إلى الماء البارد ، وكانت إثيوبيا عند جغرافى العصر واقعة فى المنطقة الإستوائية فى أقصى جنوبى أفريقيا (١٠) .

وفى الأنشودة التاسعة والعشرين فى أعلى جبل المطهر فى الفردوس الأرضى وعلى مقربة من نهر لىتي ، رأى دانتي أربعة حيوانات - رمز الأناجيل الأربعة - ولكل منها ستة أجنحة وريشها ملىء بالأعين (١١) ، وسارت بينها عربية نصر - رمز الكنيسة الظاهرة - يسحبها عنق جوفقون - الحيوان الخرافى رمز المسيح ذى الطبيعة الإلهية والطبيعة الإنسانية - عند المسيحيين - ومد الجريفون جناحيه - رمز المحبة والعدل الإلهى - فى المسافة بين المجموعتين الثلاثيتين من سُرج اللهب على الجانبين ، بحيث لم تؤثر فيها حركة الجناحين . ورفع الجريفون جناحيه إلى السماء حتى لم يرد دانتي نهايتهما . ويقول دانتي إن روما لم تمجد شيوخ الإفريقى الذى انتصر على إهاتيبال فى زاما فى شمال أفريقيا سنة ١٨٥ ، ولم تمجد أغسطس قيصر بعربة نصر جميلة كهذه التى رآها الآن ، بل إن هذه العربة فاقت فى جمالها عربة فيتون التى حاول الارتفاع بها إلى الشمس فقتله جوبيتر بصاعقة كما ورد فى الميتولوجيا الرومانية (١٢) .

وفى الأنشودة الثلاثين فى الفردوس الأرضى حينما اختفى فرجيليو بعد صحبته الطويلة لدانتي ، وحينما ظهرت ياتريتشى أمامه بكى دانتي ، فأخذت ياتريتشى تلومه على بكائه ، فأثقل جبينه خجل شديد (١٣) ، وبدأت له كأم متعالية . وعندما صمت رتل الملائكة بصوت عذب « عليك يارب توكلت » . وكما يتجمد الثلج على

الأشجار في جبال الأبين حينما تهب عليه رياح سلافونيا الباردة ، ثم يذوب الثلج حينما تهب الرياح من الأرض التي تفقد الظل ، أى من أرض أفريقيا التي فيها الظل وقت تعامد الشمس على المنطقة الاستوائية ، وبذلك تصبح رياح إفريقيا كالنار التي تذيب الشمع – هكذا أصبح دانتى دون دمع وتنهد حينما عنفته يياتريتشى . ولكن عندما سمع ترتيل الملائكة العذب وأحس حنوتهم عليه ذاب الثلج الذى أطبق على قلبه ، وخرج مع الأسى من صدره : التنهد من القم والدمع من العينين (١٤) .

وفي الأنشودة الحادية والثلاثين في الفردوس الأرضى كانت يياتريتشى تتابع لومها لدانتى الباكي على سلوكه في الحياة بعد موتها ، وكيف جرى وراء أباطيل الحياة التي أثقلت ريشاته ، وعندئذ أحس دانتى بالخجل فخفض بصره إلى الأرض كالطفل حينما يعترف بخطئه ويندم (١٥) . قالت له يياتريتشى إنه ما دام يتألم بالسماع فعليه أن يرفع ذقنه إلى أعلى وسينال بالنظر ألماً أشد مما ناله بالسماع . وعندئذ رفع دانتى وجهه إليها بصعوبة تفوق صعوبة خلع الرياح أشجار اللبخ الضخمة ، سواء في ذلك أكانت رياح أوروبا الباردة أم رياح ياربا الدافئة ، أى رياح إفريقيا ، نسبة إلى ياربا ملك نوميديا كما ورد في الأساطير الرومانية . وحينما دعت وجهه باللحية أدرك دانتى سخريه يياتريتشى منه ، عندما قصدت أن تقول له إنه لم يعد طفلاً (١٦) .

وفي الأنشودة الثانية والثلاثين في الفردوس الأرضى كذلك، يشهد دانتى موكب يياتريتشى ورآها تهبط من العربة التي كانت تعتلها، وسمع ترتيلاً صادراً عن الملائكة ، فأخذه النوم على أنغام اللحن العذب الصافي (١٧) . وحينما عاد إلى وعيه رأى ماتيلدا واقفة أمامه فتساءل أين يياتريتشى ، فلفتت ماتيلدا نظره إليها إذ تجلس عند أسفل الشجرة الجديدة ، وتحيط بها الحوريات، بينما صعد موكب الشيوخ—رمز إصحاحات العهد القديم— إلى السماء (١٨) . لم يعرف دانتى هل تكلمت ماتيلدا أكثر من ذلك لأنه كان مستغرقاً في التفكير في يياتريتشى حتى تعذر عليه إدراك أى شيء آخر . وجلست ماتيلدا على الأرض ، وظلت هناك كحارسة للعربة التي ربطها الوحش المزدوج (١٩) . وشهد دانتى الحوريات السبع يدرن حولها وفي أيديهن المبرج المشتعلة، وهن آمنات من ريح الشمال الباردة ومن ريح الجنوب الدافئة التي تعصف في ليديا وتهب على أوروبا (٢٠) .

وعلى ذلك نجد دانتى قد وضع نفسه وفرجيليو فى مقدمة المطهر فى إطار واحد - مع التفاوت فى تفصيلات الموقف - مع بلاكوا الفلورنسى ، حين صلاة القلوب الرحيمة ، وربط بين حلول الظهر فى نصف الكرة الجنوبي وحلول الليل فى نصف الكرة الشمالى بين نهر الكنج ومراكش ومزج بين ستاتزيوس وفرجيليو ونفسه ، ونار المطهر، وجويدو جوينتزلى البولونى، وسكان المناطق الحارة فى الهند وإثيوبيا. وفى الفردوس الأرضى وصل بين رمز المسيح ، ورمز الكنيسة الظاهرة ، وشييون الأفريقى ، وأغسطس قيصر ، وفيتون وجويتر . ومزج بين ياتريتشى ونفسه ، وترتيل الملائكة ، والتلج المتجمد على أشجار الأبنين ، ورياح سلافينا الباردة ، ورياح أفريقيا الحارة ، عند تنهده وبكائه وربط بين لوم ياتريتشى إياه ، وإحساسه بالخلج ، ورفع وجهه إليها ، وعصف رياح أوروبا الباردة ورياح أفريقيا الحارة . ووصل بين موكب ياتريتشى وترتيل الملائكة، وماتيلدا ، والخوريات من حولها ، ورياح أوروبا الباردة ورياح أفريقيا الساخنة .

هذه هى الصورة التى استمدها دانتى فى المطهر من أساطير إفريقيا وتاريخها وبيئتها . وفى المطهر - كما فى الجحيم - لم تبد واحدة من الصور الأفريقية قلقة فى موضعها ، أو متنافرة مع ما يحيط بها ، أو منفصلة عن السياق العام ، بل جاءت متنسقة مع سائر العناصر والجزئيات ، متآلفة مع الأفكار والمعانى والأخيلة التى أشاد دانتى عليها مطهره ، وبذلك تكون إفريقيا قد أسهمت فى بناء هذا التراث العظيم .

- ١٣٠ ينبغي أولاً (٢١) أن تدور السماء من حولي
وأنا بالخارج (٢٢) ، بقدر ما فعلت في أثناء حياتي ،
لأنني أخرت إلى النهاية تهدياتي الطيبة (٢٣) —
- ١٣٣ وذلك إن لم تعاونني قبلاً صلاةٌ تصدر
من قلبٍ يحيا ممتعاً بنعمة الله (٢٤)
وماذا يجدي غيرها مما لا يُستمع إليه في رحاب السماء (٢٥) ؟ .
- ١٣٦ وكان الشاعر قد أخذ يصعد
أمامي وهو يقول : « تعال الآن ، وانظر الجنوب
قد لمستهُ الشمس (٢٦) ، وعند الشاطئ
يغطيّ الليل بقدميه مرآكش (٢٧) » .

- ١٦ « أنت يا مَنْ تذهب في إثر الآخرين (٢٨) ،
لا لتكون أبطأهم ، بل ربما على سبيل الاحترام ،
علاّ تحبيني أنا الذي أحترق بالعطش (٢٩) والنار .
- ١٩ ولستُ وحدي في حاجة إلى إجابتك (٣٠) ،
إذ أن هؤلاء جميعاً أشدّ تعطشاً إليها
من الهنديّ أو الإثيوبيّ إلى الماء البارد (٣١) .
- ٢٢ ولتخبرنا كيف تصنع من نفسك جداراً
قبالة الشمس (٣٢) ، كأنك لم تخطط بعدُ
إلى داخل شباك الموت » .

IV. : 130...139.

- 130** «Prima convien che tanto il ciel m'aggiri
di fuor da essa, quanto fece in vita,
perch'io indugiai al fin i buon sospiri,
- 133** se orazione in prima non m'aita
che surga su di cuor che in grazia viva :
l'altra che val, che'n eiel non è udita ?»
- 136** E già il poeta innanzi mi saliva,
e dicea : «Vienne omai : vedi ch'è tocco
meridian dal sole ed alla riva
- 139** cuopre la notte già col piè Marrocco».

XXVI. : 16...25.

- 16** «O tu che vai, non per esser più tardo,
ma forse reverente, alli altri dopo,
rispondi a me che'n sete e'n foco ardo.
- 19** Nè solo a me la tua risposta è uopo,
chè tutti questi n' hanno maggior sete
che d' acqua fredda Indo o Etiopo.
- 22** Dinne com' è che fai di te parete
al sol, pur come tu non fossi ancora
di morte intrato dentro dalla rete».

٢٥ هكذا خاطبني أحدهم .

٢٩ : ١٠٦ - ١٢٠

- ١٠٦ واحتوت المسافة بينهم الأربعة
عربة نصر^(٢٣) ذات عجلتين^(٢٤) ،
جاءت يسحبها الجريفون بعنقه^(٢٥) .
- ١٠٩ وإلى أعلى مدّ كلا الجناحين^(٢٦) ، بين المجموعة الوسطى
وبين كل من المجموعتين الثلاثيتين من أشرطة النار ،
حتى إنه لم يُزعج بحركته إحداها^(٢٧)
- ١١٢ وعلا ارتفاع جناحيه حتى لم يُرَ لها آخر
وبقدر ما كان طيراً كانت أعضاؤه من ذهب^(٢٨) ،
وكان سائره أبيض اللون مُشرباً بالحمرة^(٢٩) .
- ١١٥ ولا يقتصر الأمر على أن روما لم تمجد
الأفريقي^(٣٠) أو أغسطس^(٣١) بعربة جد جميلة ،
بل إن عربة الشمس تبدو فقيرة بجانبها^(٣٢)
- ١١٨ ولما حادت عربة الشمس عن طريقها ،
احترقت بصلاة الأرض المُبهلة ،
حينما كان جوبيتر عادلاً في حكمه المُبهم^(٣٣) .

٣٠ : ٧٩ - ٩٩

- ٧٩ وكما تبدو أمّ لابنها قاسية
هكذا بدت لي ، إذ أن الاشفاق المشوب بالقسوة
ذو غُصّةٍ مريرة الطعم^(٣٤) .

25 Sì mi parlava un d'essi.

XXIX. : 106...120.

106 Lo spazio dentro a lor quattro contenne
 un carro, in su due rote, triunfale,
 ch'al collo d'un grifon tirato venne.

109 Eppo tendeva in su l'una e l'altra ale
 tra la mezzana e le tre e tre liste,
 sì ch'a nulli, fendendo, facea male.

112 Tanto salivan che non eran viste;
 le membra d'oro avea quant' era uccello,
 e bianche l'altra, di vermiglio miste.

115 Non che Roma di carro così bello
 rallegrasse Affricano, o vero Augusto,
 ma quel del Sol saria pover con ello;

118 quel del Sol che, sviando, fu combusto
 per l'orazion della Terra devota,
 quando fu giove arcanamente giusto.

XXX. : 79—99.

79 Così la madre al figlio par superba,
 com'ella parve a me: perchè d'amaro
 sent'rodella pietà piade dacerba.

- ٨٢ وصيتت^(٤٦) ، ورتل الملائكة
بغثة^(٤٧) « عليك يارب تو كَلَّتْ » ،
ولكنهم لم يجاوزوا قولهم « قدى »^(٤٧)
- ٨٥ وكما يتجمد الثلج بين الأشجار
المخضرة^(٤٨) فوق ظهر إيطاليا^(٤٩)
وقد هبت عليه وأرهقه رياح سلافونيا^(٥٠) ،
- ٨٨ ثم يذوبانه بقطر خلال نفسه^(٥١) ،
إذا تنفست الأرض التي تفقد اظل^(٥٢) ،
حتى ليدو شمعا تذيبه النار^(٥٣) ،
- ٩١ هكذا أصبحت دون دمع وتهد^(٥٤) ،
قبل ترتيل أولئك من يضبطون الحانهم أبداً
على أخان الحلقات الأبدية^(٥٥) ،
- ٩٤ ولكن حينما سمعت في الحانهم العذبة
حنوهم علىّ ، أكثر مما لو قالوا :
« أيتها السيدة ، لم تُرِ دقيته هكذا^(٥٦) ؟ » -
- ٩٧ عندئذ صار الثلج الذي أطبق على قلبي
نفساً وماء^(٥٧) وخرج مع الأسى
من صدري ، من الفم ومن العينين^(٥٨) .

٣١ : ٦٤ - ٧٥

- ٦٤ وكما يقف الأطفال خجلين صامتين
بأعين خفيضة إلى الأرض وهم ينصتون ،
ويأخذون في الإعراف والندم^(٥٩) .

- 82** **Ella si tacque; e li angeli cantaro**
di subito “In te Domine speravi”:
ma oltre “pedes meos” non passaro.
- 85** **Si come neve tra le vivi travi**
per lo dosso d’Italia si congela,
soffiata e stretta dalli venti schiavi,
- 88** **poi, liquefatta, in sè stessa trapela.**
pur che la terra che perde ombra spiri
sì che par foco fonder la candela;
- 91** **così fuii senza lacrime e sospiri**
anzi ’l cantor di quei che notan sempre
dietro alle note delli eterni giri;
- 94** **ma poi ch’ i’ ’ntesi nelle dolci tempre**
lor compatire a me, più che se detto
avesser : «Donna, perchè sì lo stempre? »,
- 97** **lo gel che m’era intorno al cor ristretto,**
spirito e acqua fessi, e con angoscia
della bocca e delli occhi uscì del petto.

XXXI. : 64...75.

- 64** **Quali i fanciulli, vergognando, muti**
con li occhi a terra stannosi, ascoltando
e sè riconoscendo e ripentuti,

٦٧ هكذا وقفتُ ، فقالت :

« ما دامت تتألم بما تسمع ، فارفع لحيتك ،
وستنال بالنظر إلى المأ أشدَّ (٦٠) . »

٧٠ وإن اللبخ الضخم ليُخلع إما بريح

بلادنا (٦١) أو بتلك الريح من بلاد ياربنا (٦٢) .
بمقاومةٍ أقلَّ مما بذلته

٧٣ عندما رفعت بأمرها ذقني (٦٣) ،

وحيثما دعت وجهي باللحية ،
تبينت جلياً في حديثها مرارة اللوم (٦٤) .

٣٢ : ٩١ - ٩٩

٩١ ولا أعرف إذا كانت قد استرسلت

في كلامها ، إذ كان في عيني الآن تلك التي
عاقنتني عن الانتباه إلى شيء سواها (٦٥) .

٩٤ وجلستُ وحيدةً على الأرض الحقة (٦٦) ،

وهناك تُركتُ كحارسٍ للعربة
التي رأيت يربطها الوحش ذو الطبيعة المزدوجة .

٩٧ وصنعت الخوريات السبع من أنقصهنَّ

حولها سوراً بما في أيديهن من الأنوار
الآمنة (٦٧) من ريح الشمال والجنوب (٦٨) .

67 Tal mi stav' io: ed ella disse «Quando
 per udir se' dolente, alza la barba,
 e prenderai più doglia riguardando».

70 Con men di resistenza si dibarba
 robusto cerro, o vero al nostral vento
 o vero a quel della terra di Jarba,

73 ch' io non levai al suo comando mento,
 e quando per la barba il viso chiese,
 ben conobbi il velen dell' argomento.

XXXII. : 91—99.

91 E se più fu lo suo parlar diffuso,
 non so, pero che già nelli occhi m'era
 quella ch'ad altro intender m'avea chiuso.

94 Sola sedeasi in su la terra vera,
 come guardia lasciata lì del plaustro
 che legar vidi alla biforme fera.

97 In cerchio le facean di sè claustro
 le sette ninfe, con quei lumi in mano
 che son sicuri d'Aquilone e d'Austro.

الحواشي

« سبق أن نشر مضمون هذا المقال بعنوان « إفريقيا في مطهر ذاتي » في « مجلة كلية الآداب » بجامعة الاسكندرية ، مجلد ١٤ سنة ١٩٦٠ ، حينما لم يكن لهذا المعهد مجلة علمية . والآن يعاد نشره مع إجراء تعديل وتنقيح وإضافة نتيجة للمزيد من البحث والتفوق ، وبناء على ما استجد من الدراسات ، وذلك تعميماً للفائدة وإيضاحاً لإسهام التراث الإفريقي في تقدم الحضارة الإنسانية .

(١) كتب الإيطاليون شعرهم في القرن الحادي عشر باللغة الفرنسية ثم بلغة البروفنس التي تأثرت بأدب التروبادور بما فيه من بعض عناصر التراث العربي الشرقي . وفي أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر بدأت تظهر في إيطاليا اللهجات العامية . وظهرت أشعار دينية مثل شعر يواكيمودا فلورا وفرنتشكو داسيسي ، وتلا ذلك ظهور شعر المدرسة الصقلية التي وجد بها عنصر من الشعر التقليدي وعنصر من الشعر الإنساني . ولذلك كان الأدب الإيطالي في ذلك العصر أدباً وليداً . ويرجع تأخر ظهور الأدب الإيطالي إلى تأثير إيطالي بالتراث اللاتيني وعدم استطاعتها التخلص منه بسهولة ، وإلى الظروف المضطربة التي سادت إيطاليا عقب غارات البرابرة الجرمن على الإمبراطورية الرومانية .

(٢) الإمبراطور فردريك الثاني (١١٩٤ - ١٢٥٠ Federico ii.) من أسرة هوهنشتاوفن الألمانية إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة . كان رجلاً واسع الأفق عذ عارفاً بتراث القدماء وتراث العرب وحارب البابوية وعقد معاهدة مع الملك الكامل في ١٢٢٩ .

(٣) كانت نشأة الأدب الإيطالي بعد المدرسة الصقلية كما يلي : مدرسة بولونيا التي ظهرت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وتمتاز بشعرها التقليدي والإنساني على السواء ، واتخذت هجة تسكانا أداة لها ويرجع ذلك إلى نقاء اللهجة التस्कانية وقلة تأثرها بلهجات الغزاة الأجانب ، فأتيحت لها الفرصة لكي تنمو وتتطور في بيئتها المحلية تطوراً تدريجياً ، وكذلك لتفوق تسكانا في المجتمع السياسي والاقتصادي ومن شعراء هذه المدرسة جويدو جوينتزي . ثم جاءت المدرسة الفلورنسية الحديثة أو مدرسة تسكانا . واجتمع فيها كذلك الشعر التقليدي والشعر الإنساني العاطفي . وكان من شعرائها جويدو كافالكاتي ودانتي أليجييري .

(٤) دانتي أليجييري (١٢٦٥ - ١٣٢١ Dante Alighieri) ولد في فلورنسا ومات منفياً في رافنا . وهو مع هو ميروس وشكسبير واحد من أعظم شعراء العالم الثلاثة . وكان متعدد النواحي فاشترك في الحرب واشتغل بالسياسة وأولع بالرسم والموسيقى والشعر وعاش في المنفى سنوات طويلة ، وكانت الآلام والهن التي انصببت عليه بوتقة عبقريته . ومن آثاره « الحياة الحديدة والويلمة والملكية والكوميديا الإلهية » .

(٥) الكوميديا الإلهية (La Divina Commedia) من أعظم الآثار الأدبية في العالم، وضعها دانتي في حياة المنفى ، واستمد أصولها من تراث القدماء وتراث العصور الوسطى بما اشتمل عليه من تراث الإسلام والشرق ، واستمدتها من بلاده وحياته وتجربته وإحساسه ، وتتألف من مجموعات ثلاثية وتقع في ١٤٢٣٣ بيتا من الشعر . والكوميديا رحلة خيالية إلى العالم الآخر استغرقت سبعة أيام . وتنقسم ثلاثة أقسام : الجحيم ويمثل الشباب الحر الطليق المتكبر الثائر ويصور القفطرة والنغرائز والخطيئة والمأساة وأخية الدنيا ؛ والمطهر يمثل التجربة والنضج والتأمل والتفكير والتطهر والغفران ؛ والفردوس يصور الكهولة والطفولة والحب والصفاء والحرية والنور الإلهي . والكوميديا مرآة الحياة وقصيدة الإنسانية الكبرى ، وهدف دانتي بوضعها إلى تغيير الإنسان وإصلاح المجتمع . وكأنه أراد بذلك أن يضع كتابا مقدسا جديدا يهدي البشر عن طريق الفن الرفيع إلى سواء السبيل . والكوميديا كتراثية ضخمة وعمارة شاهقة محكمة البناء جعل دانتي فيها الإنسان والعالم والله والدنيا والآخرة في بؤرة واحدة . ووضع في إظهارها العام كل المعارف والأجزئيات الدقيقة المادية والمعنوية . وأنشأ في فوارق الزمان والمكان ومزج بين الأسطورة والتاريخ وبين الواقع والخيال . وقدم بريشة الفنان صورا مأخوذة من الحياة الواقعية ، ورسم الطبيعة ، وشهوات النفس ، والتوبة والإيمان والأمل . ولا زخرف ولا صناعة في شعر دانتي ، ولغته دقيقة محددة ، وأسلوبه موجز مركز ، وليس مثله من يحس بالحقيقة ويعبر عنها بأمانة وسهولة . وهو يكتب أقوى الشعر وأفخمه كما يكتب أجمل الشعر وأرقه . ودانتي موضوع دراسة عظيمة في أنحاء العالم المتحضر والمكتبة الدانتية زاخرة بالمولفات في شتى اللغات . وترجمت "كوميديا إلى الانجليزية مثلا أكثر من ٤٧ ترجمة كاملة عدا الترجمات الجزئية ، وترجمت إلى انفرنسية أكثر من ٢٢ ترجمة كاملة عدا الترجمات الجزئية . وضعت ترجمة عربية لها في طرابلس الغرب . كما نشرت ترجمة عربية للجحيم وحدها في القدس ، وهذا فضلا عن ترجمتي للكوميديا في ثلاثة أجزاء نشرت مرة أو أكثر منذ ١٩٥٩ حتى ١٩٧٠ .

(٦) حسن عثمان : إفريقية في حبيب دانتي . مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية مجلد ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ . الإسكندرية ١٩٥٦

Purg. IV. 130 — 133. (٧)

Purg. IV. 130. — 139. (٨)

Purg. XXVI. 1 — 15. (٩)

Puag. XXVI. 61 — 25. (١٠)

Purg. XXIX. 91 — 105. (١١)

Purg. XXIX. 106. — 120. (١٢)

Purg. XXX. 55 — 78. (١٣)

Purg. XXX. 79 — 99. (١٤)

Purg. XXXI. 58 — 63. (١٥)

Purg. XXXI. 64 — 75. (١٦)

Purg. XXXII. 16 — 68. (١٧)

Purg. XXXII. 70 — 90. (١٨)

Purg. XXXII. 94 — 96. (١٩)

Purg. XXXII. 97 — 99. (٢٠)

(٢١) يعنى قبل أن يدخل باب المطهر .

(٢٢) أى خارج باب المطهر يعنى فى مقدمة المطهر .

(٢٣) يعنى أنه تأخر فى التوبة والغفران إلى آخر لحظة من حياته بسبب الإهمال والكل .

(٢٤) هذا لأن صلاة الأحياء ودعائهم تقصر مدة التطهر . ويشبه هذا المعنى ما ورد فى الكتاب المقدس .

Giov. IX. 31; Job. XXVII. 9; XXXV. 13.

(٢٥) لا ينفع هنا شيء سوى الصلاة لتقصير مدة تطهر بلاكوا ولذلك فهو لا يحرك ساكنا ويفتظر الزمن المقرر له . ويتناسب هذا مع الكل الذى لازمه فى حياته . وفى هذا النوع من الأسى والرضا بحكم القدر .

ويشبه هذا المعنى بعض ما ورد فى تراث الإسلام من حيث أن الصلاة هدية وثواب من أهل الأرض إلى أهل المقابر : السيوطى ، عبد الرحمن : كتاب شرح الصدور بشرح حال الموقى والقبور . القاهرة ، ١٣١٧ هـ . ص ١٢١ .

(٢٦) يشبه هذا ما أورده أوفيدىوس : Ov.Met. II. 142.

(٢٧) يعنى أن الوقت أصبح ظهرا فى المطهر بينما حل الليل فى نصف الكرة الشمالى من نهر الكنج إلى مراکش - المغرب - آخر جزء من العالم المسكون كما كان معروف فى عصر دانتي .

(٢٨) المتكلم هو جويدو جوينتزلى (١٢٣٠-٢٧٦) (Guido. Guinizelli) الشاعر البولونى الذى يمثل مدرسة الشعر فى بولونيا التى تعتبر إحدى المراحل ظهور الأدب الإيطالى .

(٢٩) المقصود بالنعش هنا الرغبة فى معرفة شخص دانتي وكيف جاء إلى هذا المكان وهو على قيد الحياة.

(٣٠) يتكلم هذا الروح نية عن جميع رفاقه المتعشين إلى معرفة شخص دانتي .

(٣١) يقارن هذا الروح النعش إلى المعرفة هنا بنعش الهندي أو الإثيوبي الذى يعيش فى البلاد الحارة إلى الماء البارد النعش ، واعتبر جغرافيو العصر ودانتي أن إثيوبيا تقع فى أقصى جنوب أفريقيا والمنطقة الاستوائية .

(٣٢) يعنى كيف ينعكس ظل دانتي على النار المشتعلة بجسمه الذى لا تنفذ خلاله أشعة الشمس .

(٣٣) العربية رمز للكنيسة الظاهرة والفكرة مأخوذة من حزقيال Ezech. I. 15-21.

(٣٤) العجلتان رمز للتوراة والإنجيل اللذين تعتمد عليهما الكنيسة .

(٣٥) الجريفونا Griphon حيوان خرافي له رأس نمر وجناحاه وله جسم أسد . ويرى النقاد انه رمز للمسيح مؤسس الكنيسة وله طبيعتان : طبيعة إلهية تتمثل في الطير وطبيعة إنسانية تتمثل في الأسد.

(٣٦) يرمز الجناحان للمحبة والعدل الإلهي .

(٣٧) رفع الجريفون جناحيه في المسافة الخالية بين شريط اللهب الذي في الوسط - السراج الأوسط - وبين المجموعتين الثلاثيتين من اللهب على الجانبين وبذلك لم تؤثر حركة جناحيه على نار السراج .

(٣٨) ارتفع الجناحان إلى السماء حتى لم ير دانتى نهايتهما ، وذلك لأن الجريفون رمز للمسيح الإنسان الإله عند المسيحيين ، وهو في الأرض والسماء في وقت واحد . ولذلك لا تصل عين الإنسان إلى رؤيته في السماء .

(٣٩) يعنى كان الرأس والجناحان من الذهب رمز الطبيعة الإخية في الجريفون .

(٤٠) كانت سائر الأعضاء ذات لون أبيض متمزج بالحمرة رمز الطبيعة الإنسانية والظلمين مقتبس من الكتاب المقدس :

Cant. Cant. V. 10 - 11.

(٤١) شيون الإفريقي (Scipione Africano) انتقد الروماني الذي هزم هانيبال في زاما سنة ١٨٥ وتكررت الإشارة إليه في الكوميديا :

Inf. XXXI. 116; Par. VI. 53; XXVII. 61 - 62.

وقد ألف جورج فردريك هيندل (١٦٨٥ - ١٧٥٩) ألحان أوبرا عن شيون :

Haendel, G. F. : Scipione, opera. London, 1726.

(٤٢) أغسطس قيصر (Augustus) الامبراطور الروماني وتكرر ذكره والإشارة إليه في الكوميديا :

Inf. I. 71; Purg. VII. 6; Par. VI. 73 - 81.

(٤٣) أى أن هذه العربية كانت أبج من عربية شيون وعربية أغسطس وعربية فيتون .

(٤٤) خرجت عربية فيتون (Phetone) عن طريقها وهي ترتفع إلى الشمس وأمام ضراعة الأرض قتله جويتر بصاعقة وتكرر ذكره في الكوميديا وأورد أوفيدوس أسطوره :

Inf. XVII. 107; Purg. IV. 72; Par. XXXI. 125.

Ov Met. II. 278 - 300.

وقد رسم سانتى دى تينو (١٥٣٦ - ١٦٠٣) صورة تمثل حزن أخوات فيتون على موته وهي في القصر القديم في فلورنسا .

وألّف جان باتيست لولي (١٦٣٢ - ١٦٨٧) ألحان أوبرا فيتون :

Lully, J.B. : Phaëton, opéra. Paris, 1683. (ex. Anthologie sonore).

(٤٥) بدت بياتريتشى لدانتى كأنها أم مصالية حينما تلوّم أجها ، ولا يدرك الابن أن خشونة الأم مبعثها الحب وهدفها المصلحة ولا يشعر سوى بمرارة اللوم . وهذا تصوير دقيق مأخوذ من الحياة الواقعة .
(٤٦) بعد هذا اللوم من جانب والحجل من جانب آخر صادت فترة صمت ، فسكّحت بياتريتشى وصمت دانتى .

(٤٧) قطع الصمت فجأة ترتيل الملائكة الذين أخضعهم الإشفاق على دانتى فدافعوا عنه بالترتيل وبآيات مز الكتاب المقدس :

Salm. XXXI. 1 - 9.

(٤٨) أى الأشجار الخضراء ويشبه هذا ما أورده فرجيليو وأوفيدوس :
Virg. Aen. VI. 181.
Ov. Met. VIII. 329 ; X. 372...

(٤٩) يعنى جبل الأبين .

(٥٠) هذه هى اترّيح الباردة التى تأتى من سلافونيا (Siavonia) وفى القرن ١٤ كان يطلق هذا الاسم على المنطقة الواقعة بين دلماشيا ونهر الدراف .

(٥١) تذوب الطبقة العليا من الثلج بحرارة الجو ثم تنساب إلى أسفل .

(٥٢) الأرض التى تفقد الظل هى أرض أفريقيا لأن الشمس فى مناطقها الاستوائية تصبح عمودية على خط الاستواء مرتين فى السنة وعندئذ لا تدع للأشياء ظلا بوضعها العمودى والمقصود أن الثلج ينوب إذا بعثت أرض أفريقيا برياحها الساخنة .

(٥٣) تشبه رياح أفريقيا الحارة النار التى تذيب الشمع .

(٥٤) يعنى أن كلام بياتريتشى القاسى كان كاتريّيح الباردة فتجمد دانتى وتعجز أمامها . وأصبح ترتيل الملائكة كرياح أفريقيا الحارة التى تذيب الثلج .

(٥٥) هذا تعبير موسيقى يعنى أن الملائكة يتابعون فى ترتيلهم ألحان السماء .

(٥٦) أحس دانتى فى ترتيل الملائكة بالعطف والإشفاق عليه وكان ذلك أفعل فى نفسه مما لو لاموا بياتريتشى على معاملتها إياه .

(٥٧) حينما أحس دانتى باشفاق الملائكة عليه ذاب الثلج الذى أحاط بقلبه وتحول إلى تهد ودموع . وهذا هو دانتى الرقيق المرهف الحس الذى يتألم حتى ينهر دمه .

(٥٨) تعبير دانتى فى هذا الموقف من أصدق ما ورد على ألسنة الشعراء وهو وصف صادق أله لبعض ما يخالج النفس البشرية .

(٥٩) هذه صورة دقيقة لطفل الصامت الحجول وأورد دانتى هذا المعنى فى الويلمة :
Conv. IV. XIX. 10.

(٦٠) أى مادام دانتى يتألم بسمع اللوم وهو خفيض العينين سيزيد ألمه إذا رفع وجهه ونظر إلى بياتريتشى .

(٦١) يعنى ريح الشمال الباردة .

(٦٢) ياربا (Tarba) يعنى ريح إفريقية نسبة إلى ملك نوميديا الذى كان من عشاق ديدون ملكة قرطاجنة وأورد فرجيليو هذه الأسطورة :

Virg. Aen. IV. 196 - 197.

(٦٣) هذا دليل على العناية والجهد الذى بذله دانتى فى رفع وجهه الخفيض .

(٦٤) حينما ذكرت بياتريتشى لفظ اللحية أدرك دانتى أنها تريد أن تقول له إنه ليس طفلاً به إنه رجل ناضج ولا عذر له فى ارتكاب الإثم .

(٦٥) لم يدرك دانتى هل تكلمت ماتيلدا أكثر أو لا لأنه استغرق فى التفكير فى بياتريتشى .

(٦٦) يفسر بعض الشراح لفظ (vera) هنا بمعنى العارى ويشير هذا إلى أن رجال الكنيسة القدامى كانوا فقراء متواضعين . ويرى آخرون أن معنى اللفظ هو الأرض الحقيقية ، أرض الفردوس المطيع لله .

(٦٧) كانت السرج تتحرك وحدها من قبل أما الآن فقد أمسكت بها الخوريات السبع .

(٨٦) ريح الشمال (Aquilone) التى تهب من شمال أوروبا وريح الجنوب (Austro) الحارة التى تمصق فى ليبيا وتهب على جنوب أوروبا .

مكتبة البحث

(أولا) مؤلفات دانتي :

(أ) في نصوصها :

Dante Alighieri : La Divina Commedia

- col commento di P. Fraticelli. Firezne, 1902.
- nel testo critico della Società Dantesca Italiana, esposta e commentata da E. Mestica. Firenze, 1921.
- con il commento di T. Casini rinnovata e accresciuta per cura di M. Barbi. Firenze, 1932.
- commentata da L. Pietrobono. Torino, 1932.
- testo critico a cura di M. Casella. Bologna, 1949.
- col commteno di G. A. Scartazzini rifatto da G. Vandelli. Milano 1949.
- commentata da A. Momigliano. Firenze, 1950.
- Le opera di Dante Alighieri, a ura di E. Moore, nouvamente rivedute nel testo da P. Toynbee. Oxord, 1924.
- La Divina Commedia, Prentazico di M. Apollonio, 6 voll. (ed. Fabbri) Milano, 1965.
- Dante, Opere, a cura di M. Porena e M. Pazzaglia. Bologna, 1966.
- Opere Minori. Firenze, 1935.

(ب) بعض ترجمات انجليزية (وأمركية) :

- The Divine Comedy, Trans. by H. F. Cary Florence ?
- The Divine Comedy, trans. by M. Andersen. U.S.A. ?
- The Divine Comedy, trans. by L. G. White. New York, 1948.
- The Comedy of Dante Alighieri, Cantica II. Purgatory, trans. by D. L. Sayers. Edinburgh, 1955.
- La Divina Commedia with an English trans. by H. M. Ayres. New York, 1949—1953.
- The Divine Comedy, trans. by G. L. Bichersteth. Aberdeen, 1955.

— The Divine Comedy of Dante Alighieri, English Translation by L. Biancolli, 2 vols. New York, 1966.

(ج) بعض ترجمات فرنسية :

- La Divine Comédie, trad. par A. Pèraté. Paris, 1921.
- La Divine Comédie, trad. par H. Longnon. Paris, 1938.
- La Divine Comédie, trad. par A. Brizeux. Paris, 1943.
- La Divine Comédie, trad. par A. Masseron, Paris, 1947—1950.
- Dante, oEuvres Complètes, traduction et commentaires par A. Pèzard (La Pléiade). Paris, 1965.

(د) ترجمات عربية :

- المرحلة الداتية في الممالك الإلهية : الجحيم — المظهر — النعيم . ترجمة عبود أبي راشد . طرابلس الغرب ، ١٩٣٠ — ١٩٣٣
- كوميديا دانتي أليجييري و الفلورنسي مولدا لا خلقا : النشيد الثاني : المظهر . ترجمة حسن صبان . الطبعة الثانية المزيده المتقحة . القاهرة ، ١٩٧٠ .

(ثانيا) بعض المراجع :

- Bosco, U.* Dante vicine. Palermo, 1966.
- De Sanctis, F.* : Saggi Critici. Milano, 1921.
- De Sanctis, F.* : Storia della Letteratura Italiana. vol. I., Milona, 1934.
- Gustarelli, A.* : Dizionario Dantesco. Milano, 1946.
- Hauvette, H.* : Histoire de la littérature Italienne. Paris, 1932.
- Palhories, F.* : Dante et la Divine Comédie. Paris, 1936.
- Papini, G.* : Dante Vivo. Firenze, 1943.
- Papini,* : Storia della letteratura Italiana. vol. I. Milano, 1935.
- Petrocchi, G.* : Dante e il suo Tempo. Torino, 1964.
- Toynbee, P.* : Dante Dictionary. Oxford, 1898.
- Toynbee, P.* : Dante Studies and Researches. London, 1902.
- Tozer, H. E.* : An English Commentary on Dante's Divina Commedia. Oxford, 1901.
- Vittorini, D.* : The age of Dante. New York, 1964.
- Wilkins, E. H.* : A History of Literature Cambridge, U.S.A., 1954 .
- Zingarelli, N.* : La vita, I Tempi e le Opere di Dante. 2 voll. Milano, 1948.

روجرز ، ج . بول : فلورنسا في عصر دانتي ، ترجمة محمود إبراهيم . بيروت ، ١٩٦٨ .

حسن عثمان

Hassan Osman

الحفاظ على الموارد الوراثية للقارة الإفريقية

دكتور نجيب نصار

قسم المواد الطبيعية

CONSERVATION OF GENETIC RESOURCES OF AFRICA

By

Dr. N. M. NASSAR,

Department of Natural Resources

SUMMARY

The success of agricultural development measured in terms of rapid adoption of high yielding varieties threatens the existence of hardy native species that could prove crucial to the maintenance of the high yielding plants. In Africa, for example, native varieties of rice species (*Oryza glaberrima*) are rapidly disappearing from West Africa due to the introduction of Asian varieties (*O. sativa*). Also, native hardy wheat species are going to disappear from Ethiopia.

The significance of the disappearance of these types is an important question as it means the loss of genetic resources which provide breeders with useful characters.

These threatened genetic resources can be salvaged by maintaining plant collections and by proper storing of seeds. An additional method is to maintain areas of native vegetations uncontaminated by new and exotic varieties.

ACKNOWLEDGEMENT

Thanks are due to Dr. M. Imam, Head of Department, for revising the manuscript.

نشأت المحاصيل المتزرعة كالقمح والقطن نتيجة لاستئناس أصول برية كانت تنمو طبيعيا في موطنها الأصلية ، وتضافرت عوامل كثيرة كالذوق الإنسانى والمطالب الاجتماعية والظروف الزراعية والبيئية عبر العصور الطويلة لاصولها ، بالسلالات البرية إلى شكلها الحالى .

إن أصناف المحاصيل الحالية لم تصل بعد إلى ذروة الكمال من حيث كمية الانتاج ولا من حيث نوعيته وما زال بينها وبين هذا الهدف شوط طويل بل أنها ربما لا تصل إليه أبدا فتغير المدنية السريع ينشئ حاجات جديدة للإنسان ويخلق مطالب لم تكن موجودة من قبل . وينعكس هذا الأمر على المحاصيل المختلفة فتحتمل مواصفات جديدة لمسايرة هذا التغير .

إن الانجازات الضخمة التى يحرزها مربوا النباتات تدلنا على مدى ما يمكن ان يفعله الإنسان في مجال التحسين والمقارنة بين انتاجية الأصناف الجديدة كأصناف القمح المكسيكية ترينا إلى أى مدى يمكن لعملية التحسين أن تخدم الجنس البشرى . بفضلها خرجت أمة كاهند من موقف تواجه فيه خطر المجاعة والجوع إلى وضع تكتفى فيه ذاتيا بانتاجها بل وربما تجد فائضا كافيا للتصدير . فالسلالات البدائية والطرز البرية لهذا المحصول وغيره من المحاصيل قد تكون في جملتها منخفضة الانتاجية ذات مستوى نوعى ردىء لكن قد يوجد بها إحدى الصفات الثمينة الممتازة كقاومة مرض ما . هذه الصفة لو نقلت إلى الصنف التجارى الذى يفتقر لها باحدى وسائل التربية لحسنت من هذا الصنف ولربما أظهرت له جود من خلال هذه التوليفة الجديدة نمطا جديدا غاية في الجودة والامتياز .

إن مشكلتنا أن هذه السلالات البرية والأصناف البدائية مهددة بالانقراض والاندثار دونما محافظة أو صيانة وأنا نقتصر في تقييها لما على النظر إلى تخلفها حاليا عن أقرانها من الأصناف الحديثة غافلين عن محتواها من الامكانيات والتباينات الوراثية والتي قد يأتى وقت تصبح فيه مصدر نفع عظيم .

إن هذه السلالات البدائية هى التى عمات من خلال ضغوط البيئة المختلفة

ومن خلال الانتخاب الإنسانى على بناء سلالاتنا الحديثة . وهى فى الواقع الوعاء الذى توجد به ثروة العالم من الجينات وتوليفاتها combinations المختلفة .

وأبرز مثل على تعرض هذه السلالات البدائية للاندثار حالة الأرز الأفريقى *Oryza glaberrima* الذى استؤنس فى جنوب إفريقيا مستقلا عن الأرز الآسيوى . فعندما حصرت مساحات هذا الأرز فى سهول بانغورا بفولتا العليا عام ١٩٣٦ وجد أن ٩٠٪ من هذه المساحات كان مزرعا بهذا الأرز الأفريقى . أما فى عام ١٩٦٧ فلم يشغل هذا الصنف سوى ١٠٪ من مساحة الأرز المزرع أما باقى المساحات فكانت مزرعة بأصناف الأرز الحديثة المشتقة من الأرز الآسيوى *Oryza sativa* ولو استمر هذا المعدل فى التناقص بنفس الدرجة فسيأتى وقت يندثر فيه تماما . لا اعتراش لدينا على ظاهرة انتشار زراعة الأصناف الأخرى من الأرز فهى بلا شك أكثر إنتاجية وأفضل نوعية . لكن الخطر يأتى من احتمال انقراض السلالة الأفريقية نفسها دون احتفاظ بعينة منها للمستقبل . صحيح أنها حاليا متخلفة إنتاجيا ونوعياً . لكننا نعلم من العرض السابق أن مثل هذه السلالات غنية بالتباينات والتوليفات الوراثية التى قد تقدم للمربين فى الزمن المقبل مصدراً لا ينفد من الصفات الوراثية لتحسين سلالاتهم . وأن التغير السريع فى المدنية الحديثة يجعلنا بالتأكيد عاجزين عن تصور متطلبات الزراعة فى الأزمنة المقبلة ويجعلنا حريصين كل الحرص على عدم فقد وإندثار هذه السلالات البدائية دون الاحتفاظ بعينات منها .

إن التغير السريع فى هذا العصر يظهر أن الحاجة مستمرة ودائمة أبداً إلى مخزون من المجمعات الجينية تفى بمتطلباته . وخذ مثلاً على ذلك تلك الأهمية التى خلقها التقدم العلمى والتكنولوجى لبعض الصفات . هذه الصفات ما كان يهتم بها أبداً فى الماضى ولعل أقربها لذهن صفة وجود حمض اليليسين بنسبة عالية فى الحبوب . إن الحاجة لهذه الصفة إنما هى وليدة التقدم العلمى بدون شك . أيضا صفة جينات استعادة الخصوبة التى أضحت بتقدم علمى تربية المحاصيل وإنتاج الهجين ضرورية لإنتاج الهجين بأقل التكاليف . هذا إلى صفات أخرى تضطرد أهميتها بتقدم الأبحاث مثل صفات مقاومة الأمراض الفطرية .

وتكشف الدراسات التطورية الحديثة على أن السلالات البدائية سوف يمكنها في المستقبل أن تلعب دوراً أكثر أهمية من مجرد نقل صفة منها إلى الأصناف التجارية الحديثة وذلك لأننا نعلم من دراستنا أن هذه السلالات قد أسهمت بشكل بارز في تحديد مجرى التطور من خلال زراعتها على مدى السنين . وأنها لتتلاءم مع مدى واسع من البيئات . وعليه فهي مصدر عظيم القيمة لمركبات الجينات ذات القيمة التوافقية العالية عند تغير البيئة وعند تغير الأحوال .

إن ما يضاعف من خطر تعرض سلالاتنا البدائية بأوعيتها الوراثية الغنية للانقراض هو ادخال الوسائل الزراعية الحديثة التي مكنت من التحكم في الظروف البيئية وتقليل التباين البيئي على اتساع مناطق واسعة وهو ما نلاحظه مثلاً في مناطق الزراعة البستانية المكثفة حيث يبلغ التحكم في البيئة فيها أقصاه باستعمال المخصبات والرئ المضبوط والحرارة والضوء المتحكم فيهما . كل هذا حقق ظروفًا من شأنها أن أصنافاً معينة فقط من المحاصيل هي التي تستطيع أن تنمو في مساحات كبيرة من الأرض . وأمكن لأصناف محاصيل منتخبة على هذا الأساس أي موادة مدى ضيق جداً من الظروف البيئية أن تنجح وتعطي إنتاجاً كبيراً كما هو حادث في فرنسا وهولندا والسويد وشمال شرق أوروبا . لكن عيب هذه السلالات موحدة الأنماط قليلة التباين أن انتشارها يكون على حساب القاعدة العريضة من التباينات الوراثية الموجودة في السلالات البدائية . وهذا الوضع يضعنا في مأزق شديد عندما يهدد هذه السلالات مرض ما فاما أن تندثر وإما تسعفنا السلالات البدائية بجينات المقاومة . لكن كيف يكون الحال لو كنا قد قصرنا في الحفاظ على هذه السلالات ؟

لقد أدى ظهور هذه السلالات الممتازة من المحاصيل إلى تحويل نظرنا عن الاهتمام بحفظ عينات من السلالات البدائية وبذلك عملت بطريقة فعالة على تدمير مخزون الجينات الوارثية الكامنة في السلالات البدائية . فمثلاً أدى استنباط الأصناف الممتازة من القمح والأرز إلى إحلالها في جميع المناطق بما في ذلك مراكز التباين الجينية لها . فأصبحت هذه المراكز مهددة لأن يدمر ما بها من مخزون الجينات

المتواجد بالسلاسل البدائية بحدوث تهجينات بها . والواقع أن هذا التهديد ليس قاصراً على الأرز والقمح فقط بل أنه يشمل محاصيل أخرى كثيرة وإن برز بشكل واضح في المحصولين الأولين نظراً للتطور الخيالي في إنتاجها .

ولعلنا توصلنا في السابق إلى ضرورة المحافظة على المادة الوراثية للسلاسل المهددة بالانقراض والاندثار – لكن يلزمنا الآن أن نبحث الوسائل العملية لذلك . وهنا يلزمنا أن نفرق بين شكلين من هذه السلاسل :

فأولها السلاسل البرية التي تنمو طبيعياً في مراكز التباين الوراثية . وثانيها السلاسل البدائية التي هي عبارة عن أصناف زراعية بدائية الصفات ظهرت للوجود في عهود الزراعة الأولى . تحول الزارعون عنها إلى الأصناف الحديثة :

ز فبالنسبة للسلاسل البرية التي يعتقد بأنها منشأ محاصيلنا الزراعية ، فليس من شك في أنه للمحافظة عليها يجب أن نحرص بأن تظل بمستوى كمالها الوراثي الموجودة به في حالتها البرية والوسيلة إلى ذلك هي تركها تنمو في مجتمعها الطبيعي مع عمل الاحتياطات لتوفير مجتمع متوازن لها مع البيئة التي تعيش عليها . والواقع أن هذا الشكل من أشكال المحافظة على المادة الوراثية هو ما يتعين علينا اتباعه بالنسبة للسلاسل البرية للمحاصيل الزراعية الموجودة في الحبشة . فكما نعلم أن هذه المنطقة من إفريقيا تعتبر إحدى المراكز المعدودة في العالم لتركز السلاسل البرية لعدد من المحاصيل المزروعة (شكل ١) ويقرر هارلين (١٩٧٠) أن هذه المنطقة تزخر بثروة لا حد لها من السلاسل البرية للأنواع التالية :

Triticum durum

Triticum Turgidum

Triticum dicocum

Hordeum vulgare

Cicer arietinum

Lens esculenta

Eragrostis abyssinica

Eleusine coracana

Pisum sativum

Linum usitatissimum

Sesamum indicum

Ricinus communis

Coffea arabica

وأجدر بنا أن لا نقل حرصا في هذا المجال عما يفعله الاسرائيليون في فلسطين المحتلة إذ يجعلون من بعض مناطق تلال الجليل بفلسطين معازل لسلاسل القمح والشوفان البرية التي تنمو بين الصخور القديمة . كذلك يفعل الأتراك ببعض مناطق الأناضول محافظين على السلاسل البرية للكمثرى والتفاح والبرقوق وأبو فروة التي تنمو على المنحدرات الصخرية هناك وما زالت محتفظة بحالتها البرية منذ مئات السنين . وفي استراليا تجرى المحافظة بنفس الطريقة على سلاسل الكافور البرية . والواقع أن هذه السلاسل البرية تتعرض بشدة للإبادة من جراء عوامل التقدم والضغط التكنولوجي الذي يسود العالم كله بما فيه المناطق الموجودة بها السلاسل . وقد يكون الخطر على شكل تعرض هذه المناطق لعمليات بذر التقاوى أو التسميد أو الرش بالمخاليل الكيماوية التي تجرى بالطائرات أو أنها تتعرض كلية نتيجة إحلال نباتات مراعى أو محاصيل ذات إنتاجية عالية . وفي بعض المناطق خاصة المدارية منها تقلع غابات بأكملها بما تحويه من ثروة وراثية كامنة في سلاسل النباتات البرية وذلك بغرض استخدام الأرض في الزراعة . والمحافظة على السلاسل البرية بإنشاء معازل حولها في مناطق نشوئها الأصلية تكون أهم ما يمكن بالنسبة لبعض المحاصيل كالقول السوداني *Arachis spp.* التي تسببت عوامل عديدة في تركيز زراعتها بعيدا عن مناطق نشوئها فالقول السوداني مثلا تتركز زراعته في غرب أفريقيا والصين بينما منطقة نشوئه جنوب أمريكا وما من شك في أن عدم زراعة هذا المحصول في منطقة نشوئه ذو تأثير كبير في تحويل النظر عن المحافظة على سلالاته البدائية وتعرضها من ثم للانقراض .

وفي مجال المحافظة على السلالات البرية للمحاصيل المتزرعة تتلخص العملية في فكرة بسيطة هي المحافظة على الطبيعة مع فرق واحد وهو أن المحافظة على الطبيعة تستهدف المحافظة على مناطق بيئية بذاتها بينما نحن هنا لا نحافظ على الطبيعة وحسب بل ونحافظ على الاختلافات الوراثية التي نعتقد بوجودها وإن كنا لا نعرف عليها . ولما كانت الاختلافات الوراثية مرتبطة بوجود اختلافات بيئية لهذا يلزمنا أن نحافظ على مدى واسع من التباينات البيئية .

وأهم ما يسترعى النظر هو ضرورة عمل حصر للمناطق التي تستحق الحماية السريعة والتي تحتاج لعمل معازل للمحافظة على السلالات الممثلة لجماعاتها البرية ويعتمد في مثل هذا الحصر على بيانات من العلماء في شتى المجالات كتقسيم للنبات والتطور والجغرافيا النباتية والبيئية والمحاصيل . وهذه البيانات يمكن الاستفادة منها على كلا من المستوى القومي والعالمي في تحديد المناطق والأنواع التي تحتاج إلى حماية سريعة .

وتعتبر وسيلة انشاء معازل طبيعية هي الطريقة الأساسية في مجال المحافظة على السلالات البرية . ويوجد حاليا لدى كثير من الدول تشريعات قانونية يمكن تطبيقها بحيث تسهل انشاء هذه المعازل .

أما الأصناف البدائية من السلالات المتزرعة فان طريقة المحافظة عليها تختلف بعض الشيء . ذلك لأن هذه الأصناف تخضع للتداول الانساني أصبحت لا تنمو برياً في كثير من الأحيان فيتعذر المحافظة عليها عن طريق التسويق وانشاء المعازل . وكونها تستعمل بواسطة الإنسان في مناطق مختلفة يجعل من الصعب إخضاع هؤلاء الزراع لتنظيمات ولوائح محددة إذ أن لهم أسلوبهم في الحياة . لذلك فقد وضعت عدة اقتراحات في هذا المجال منها تحديد مساحات صغيرة ما بين فدان أو فدانين تستخدم للمحافظة على السلالات والأصناف المحلية وتوضع تحت إشراف موظفين حكوميين محليين . وهذه الطريقة تتميز بأن هذه المساحات ستعرض لكل التغيرات البيئية الناتجة عن تطوير الزراعة في المنطقة من تسميد وري كما ستعرض إلى تغيرات وراثية عن طريق التهجين والطفرات والانتخاب الطبيعي

وبذلك سنشكل مخزنا كبيرا للاحتمالات متعددة للتأقلم على البيئة المتغيرة وحثوث تجديد وراثي ذاتي من خلال الطفرات والتطور . لكن تحمل هذه الطريقة من ناحية أخرى مخاطر وعيوب عديدة منها أنه لا يمكن الاعتماد كلية على هؤلاء المشرفين الزراعيين إذ أنهم عادة ما يكونون مشغولين بمهام أخرى وعلى ذلك تزداد احتمالات دخول أفراد غرباء لهذه المساحات كما يزداد احتمال التلوث البيولوجي أو الكيميائي لكننا نعتقد أنه يمكن تطوير هذا النظام عن طريق تخصيص الاشراف على هذه المساحات لموظفين متخصصين . تشرف عليهم هيئة ذات طابع دولي . ومن مخاطر هذه الطريقة أيضا أن فكرة التغير المستمر للتركيبات الوراثية لهذه السلالات نتيجة لخصوعها للتغيرات البيئية أثناء عملية الزراعة تجعلنا نتساءل إلى أي مدى تعتبر هذه التغيرات مفيدة . فنحن نعلم أن التنوعات الداخلية الموجودة أصلا في هذه السلالات البدائية تكون ذات قيمة عظيمة لو حوفظ عليها بحالتها الراهنة حتى أنها عندما تصادف ظروفًا بيئية مستحدثة وتتقابل مع نباتات مدخلة لربما تشكل توفيقات جديدة ولربما يؤدي ذلك إلى تغيرات تطورية مهمة . فباقتراض توفيقه من ظروف بيئية معينة قد يمكن حدوث تهجينات بين سلالات معينة من هذه السلالات البدائية أو بينها وبين سلالات أخرى ولربما يؤدي مثل هذا التهجين يوما ما لظهور سلالة جديدة تعتبر إضافة ضخمة مثلما حدث بظهور الذرة من التيزين .

والواقع أن هناك صعوبة كبيرة في الحكم على التغير الذي يحدث من جراء زراعة هذه الأصناف البدائية وهل هذه التغير يؤدي إلى التأقلم مع الظروف المتغيرة أو أنه يؤدي إلى التدهور الوراثي . وترى Bennett أنه لا يجب أن نخشى من حدوث التغير الناتج من الزراعة أثناء عملية المحافظة فني مفهومها أننا لا نحافظ على ما هو قائم لجرد المحافظة عليه ولكن الهدف هو المحافظة على مادة تساعد على استمرار التطور . وترى Bennett أن أي تغير مرغوب فيه ما دام لا يؤدي إلى تدهور . لكن تظل فكرة التدهور غامضة خاصة الاستدلال عليه واحتمالات حدوثه .

على كل حال نستطيع أن نخرج من المناقشة السابقة بأننا إذا كنا نريد المحافظة

على مصادر وراثية لمصلحة الانسانية ككل فالأفضل أن نحافظ عليها في مكان آمن يضمن وقايتها من التغيرات المختلفة التي تؤدي إلى تخريب النظام الوراثي الذي ترمع المحافظة عليه . وهذا يقودنا إلى فكرة المحافظة على المادة الوراثية لهذه السلالات عن طريق تخزين البذور إلى أقصى حد ممكن وأن تقتصر الزراعة على عملية التجديد كلما زاد احتمال فقد البذور لحيويتها . وبهذه الطريقة نقلل من التغيرات ما أمكن . إلا أنه يؤخذ على الطريقة المذكورة قصور عملية تخزين البذور على تحقيق المحافظة تماما . أي قصورها في تلافى تغيرات المادة الوراثية لكن الواقع أن هذا القصور طفيف جدا بالمقارنة إلى غيرها من الطرق فقد أظهرت الدراسات المختلفة أن التخزين للبذور لا يغير كثيراً من التركيب الوراثي باستثناء حدوث طفرات وهذا احتمال ضئيل بالمقارنة إلى التغيرات التي تحدث من جراء المحافظة عن طريق الزراعة السنوية . إلا أننا لا ننسى هنا أن عملية التجديد التي تجرى كل عدد من السنوات خشية فقد البذور لحيويتها فقد تكون فرصة للانتخاب الطبيعي لكي يحدث تأثيراً ولو أنه لا توجد فرصة لفقد جينات فقدت تماماً وإنما لا يتعدى الأمر تغييراً بسيطاً في التكرار الجيني لبعض الصفات . وأخيراً فإن مسئوليتنا أن نوجه الانتباه إلى أن عملية المحافظة على الموارد الوراثية للقارة الإفريقية لا تحظى بالاهتمام الواجب .

ولعلنا لا ننسى في هذا المجال ما أوصى به المؤتمر المشترك منظمة FAO وبرنامج IBP عام ١٩٦٧ من أجل المحافظة على الموارد الوراثية . فكانت أبرز توصياته ما يلي :

١ - أنه يجب عمل مسح للموارد الوراثية لكل محصول ما أمكن ذلك . وفي هذا المجال قرر قسم الموارد الوراثية بمنظمة FAO أنه أجرى تجميعاً لمعلومات وافية ومصنفة لعدد كبير من المحاصيل وأنها تحت طلب الباحثين .

٢ - تضم المجموعات المختلفة لدى البحوث ولدى المؤسسات سلالات فريدة ونادرة في ميزاتها - هذه السلالات يجب عمل مسح لها من خلال الاتصالات . والواقع أن عدد المحاصيل القيمة قليلة العدد وهي لا تمثل كل الأنواع ولا مراكز

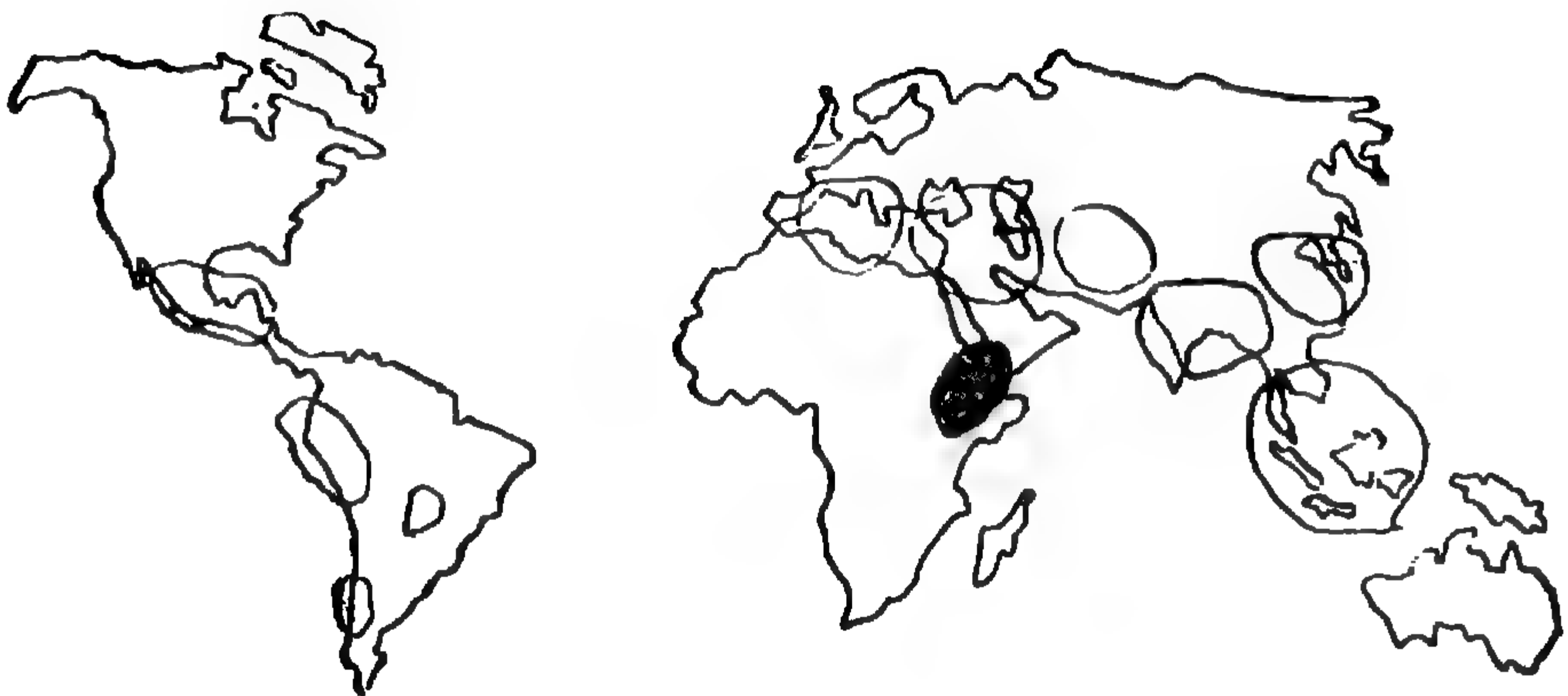
التباين الوراثية المختلفة إلا أن بعضها يحوى مادة وراثية فريدة ونادرة . ولعل أبرزها مجموعة القمح الايراني التي جمعت بواسطة البروفيسور هـ . كوشوك ومجموعة الأنواع البرية لوسط آسيا لدى البروفيسور كيهارا ومجموعة الأصناف الأولد للقمح الأفغانستانية لدى منظمة FAO .

٣ - إنه من اللازم عمل تصنيف وتقييم للسجلات المجموعة فهذه عملية أساسية من أجل حسن استغلالها .

٤ - هناك حاجة ملحة لتحسين وسائل حفظ البذور - ومن المؤسف أن معامل تخزين البذور قليلة جدا في العالم وأغلب المجموعات الهامة تجري تخزين البذور فيها بدون استعدادات خاصة وتعتمد على تجديد البذور بزراعتها كل عدة أعوام .

٥ - يلزم إنشاء بنك عالمي للمادة الوراثية تشرف عليه إحدى مؤسسات الأمم المتحدة وهذا البنك يكون تحت تصرف كل الأمم ويغذى بنوك اقليمية بالمادة الوراثية ويلزم تسهيل اقامة هذه البنوك الاقليمية بموجب اتفاقيات دولية .

٦ - إن من الضروري توثيق كل النواحي الخاصة بحفظ المادة الوراثية ابتداء من وصف الموطن الأصلي ووصف الصفات المورفولوجية والفسيولوجية والتقييم من أجل الاستغلال في الأبحاث والتربية .



مركز التباين الوراثي للنبات للزراعة في العالم (من فانديف ١٩٨٨)

REFERENCES المراجع

BENNETT, E. (1965)

Plant introduction and genetic conservation : genecological aspects of an urgent world problem. Scottish Pl. Breed. St. Rc., 27—113.

..... (ed.) 1968)

Record of the FAO/IBP technical conference on the exploration, utilization and conservation of Plant Genetic Resources, 1967, FAO, Rome.

FRENKEL, O.H. and E. BENNETT (ed.) 1970

Genetic Resources in Plants. IBP Handbook No. 11, Blackwell Scientific Publications, Oxford & Edinburgh.

HARLAN, J.R. (1961)

Geographic origin of plants useful to Agriculture.

Germ. plasm Resources Publs. Am. Ass. Advmt. Sci. 66, 3 —19.

VAVILOV, N.I. (1951)

Phytogeographic basis of plant breeding. The origin variation, immunity and breeding of cultivated plants.

Chronica Bot. 13, 1—366.

العبدلاب ومسقوط مملكة علوة

للدكتور محمد محمد أمين

The role of the Abdullab in the fall of Alwà kingdom

Dr. M. M. AMIN

The aim of this paper is to show that the fall of the Alwà kingdom caused by Qawasma Arabs, section of the Rufà alone. Then abd Allàh Jammà founded a dynasty called «Abdillab» which ruled from Qerri. After a period probably in A.D. 1504 the Funj defeated Abdullab in a battle near Arbaji and forced them to capitulation, by which the Abdullab kept up their authority over the Arab tribes north of Arbaji, to the third catract, and the direct rule of the Funj was in the Jesira itself over all the tribes, including the Arabe.

العبدلاب قبيلة عربية عرفت بهذا الاسم ، في تاريخ السودان وادي النيل ، بعد أن قامت بتأسيس مشيختها في نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ، أو في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، واتخذت من مدينة «قرى»^(١) عاصمة لها ، فعرفت باسم « مشيخة قرى » ، ثم نقلت عاصمتها إلى الحلفاية^(٢) ، في أوائل القرن الثامن عشر الميلادي ، فعرفت باسم « مشيخة الحلفاية » ، وامتدت سيادتها

(١) تقع قرى على خائق مبلوكة ، أو ما يعرف بالشلال السادس في طرفه الجنوبي ، وهي تبعد نحو ربع ميل عن الضفة الشرقية للنيل الأعظم عند نقطة عبور النيل إلى صحراء بيوضة والطريق المؤدى إلى دنقلة ومصر - محمد صالح عبي الدين : مشيخة العبدلاب ص ١٢٩ وما بعدها ،

Crawford, (O. G. S.), The Funj kingdom of Sennar, pp. 65-67

(٢) تقع الحلفاية شمال الخرطوم بحرى بنحو سبعة أميال على الشاطئ الشرق للنيل - نعوم شقير :

جغرافية وتاريخ السودان ج ١ ص ٦٤ ، ١١١ ، وأنظر ما كتبه كروفورد عن الحلفاية .

Crawford, op. cit. pp. 68-69

لتشمل المنطقة الممتدة من الشلال الثالث شمالاً إلى مدينة أربجي (١) جنوباً ، واستمرت هذه المشيخة أكثر من ثلاثة قرون ، حتى تم فتح السودان في عهد محمد علي سنة ١٨٢١م (٢) .

والعبدلاب من عرب القواشمة الذين ينتمون إلى قبيلة رفاعة العربية ، إحدى المجموعات الجهينة ، كما تؤكد غالبية المصادر (٣) ، أما انتساب العبدلاب إلى الإشراف (٤) ، فكما يقول الدكتور يوسف فضل (٥) ؛ يعيد إلى الأذهان ظاهرة ادعاء النسب الشريف بين أغلب الأسر الدينية السودانية (٦) ، ويبدو أن أحد المهاجرين العرب ممن يدعون النسب الشريف تزوج في مجموعة قبائل جهينة ، أو رفاعة ، التي كانت تسكن السودان . واستطاع أحد أبنائه أو حفدته أن يصبح زعيماً لتلك القبيلة (٧) ، وهو عبد الله جماع ، الذي اشتقت هذه القبيلة اسمها من انتسابها إليه ، فكلمة « العبدلاب » تعني القبيلة أو الجماعة التي أبوها عبد الله ، لأن مقطع « آب » الذي تنتهي به أسماء كثير من القبائل العربية في السودان يعني في مدلوله « عائلة »

(١) تقع بالقرب من المسلمية على الشاطئ الغربي للنيل الأزرق - نكوم شقير : المرجع السابق ج ١ ص ١١٢ ، ٤٠٠ ، أنظر أيضاً : ملخص تاريخ أربجي - الملحق الثالث لكتاب معالم تاريخ السودان وادى النيل للشاطر بصيلي عبد الحليل ص ٢٥٦ وما بعدها ، وأنظر مايل ص ٢٠١ .

(٢) شقير : المرجع السابق ج ٢ ص ٤١٧ .

(٣) ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ج ٢ ص ٤٤٤ ، عمر رضا كحالة : منجم قبائل العرب ج ٢ ص ٤٣٩ ، محمد عوض : السودان الشمالي ص ٢١٨ ، ٢٥٢ ، يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرق ص ٣٨ ، ٣٩ ،

Yusuf Fadl, The Arabs and the Sudan, pp. 154-7, MacMichael, (H.A.), A History of the Arabs in the Sudan, vol, 1, pp. 138, 141, 238, 245, vol, II, p. 80.

(٤) يذكر ثلاثة من الرواة أن عبد الله جماع ، مؤسس مشيخة العبدلاب ، شريف حسيني من نسل الإمام علي - شرائط رقم ٢٠ ، ٨٠ ، ١٣٠ ، أنظر تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ، نشر أحمد عبد الرحيم نصر ص ١٤ وما بعدها .

(٥) من أبناء السودان ، ويتولى حالياً عدة مناصب علمية منها أنه محاضر أول في التاريخ بجامعة الخرطوم ومدير شعبة أبحاث السودان ، ورئيس تحرير مجلة السودان في رسائل ومدونات ، وله العديد من المؤلفات في تاريخ السودان بالعربية والإنجليزية ، أنظر مراجع البحث .

(٦) يوسف فضل : مقدمة ص ٣٩ .

(٧) المرجع السابق ص ٣٨ .

أو قبيلة (١) ، ويبدو أن أصله « أب » ، ثم استبدلت الهمزة بالمد تسهيلا للنطق ، وعلى ذلك فهي نسبة عربية دارجة جرت على ألسنة العامة من السودانيين لسهولة ، ودلت على معنى القبيلة التي أبوها فلان (٢) ،

وهذه القبيلة التي عرفت - فيما بعد - باسم العبدلاب ، هي إحدى المجموعات العربية التي عاشت في أراضي مملكة علوة ، وقامت بدور رئيسي في القضاء على هذه المملكة المسيحية وحلت محلها ، وأقامت مشيخة عربية إسلامية .

أما مملكة علوة (٣) فهي إحدى ثلاث ممالك (٤) قامت في السودان الشمالي في العصور الوسطى ، وإذا كانت كتابات المؤلفين العرب اتفقت على أن الحد الشمالي لمملكة علوة عند « الأبواب » (٥) ، فإن أحدا منهم ، أو غيرهم ، لم يعط صورة واضحة عن اتساع هذه المملكة ، أو يعين لبقية جهاتها حدودا جغرافية واضحة ، فيذكر ابن حوقل أن طولها نحو شهر ، وعرضها ما بين النيل وحدودها الشرقية

-
- (١) شقير : المرجع السابق ج ١ ص ٦٤ ، محمد عوض : المرجع السابق ص ٢٢٤ .
(٢) الريح العيد روسي : تقويم السودان لسنة ١٩٤٩ ص ١٠٣ ، ويرى بعض الباحثين أن استخدام المقطع « أب » يرجع إلى مؤثرات لغوية حامية (نوية أو بجاوية) أنظر محمد عوض : المرجع السابق ص ١٥٥ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، شقير : المرجع السابق ج ١ ص ٦٤ ، محمد مهدي كركوري : رحلة مصر والسودان ص ٣٩٠ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ١٢٣ وما بعدها .
(٣) عرفت عند مؤرخي الاسلام باسم مملكة علوة ، وفي السودان باسم مملكة النج - شقير : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٤) عندما سقطت مملكة مروي في القرن ٤ م على يد حيزانا ملك أكسوم الحبشي ، قامت في السودان الشمالي ثلاث ممالك : مملكة نوباديا أو المريس فيما بين الشلالين الأول والثالث وعاصمتها فرس ، ومملكة المقررة فيما بين الشلالين الثالث والسادس وعاصمتها دنقلا العجوز ، واتحدت هاتان المملكتان في فترة سابقة على حملة عبد الله بن أبي السرح على بلاد النوبة سنة ٦٤٠ م ، أما المملكة الثالثة فهي مملكة علوة التي تلى مملكة المقررة جنوبا وعاصمتها سوبا - المقريزي : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٢ ، ٢٠٠ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٧٣ - ٧٥ ، شوقي الجمل ، تاريخ السودان وادي النيل ج ١ ص ٢٠٢ حاشية ١ ، ٢ ، ٣ ،

Trimingham, (J. S.), Islam, in the Sudan, p. 49, Arkell, (A.J.), A History of the Sudan to A. D. 1821, P. 186.

(٥) هي كبوشية الحالية -- مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ٧٧ ، وشوقي الجمل : المرجع

السابق ج ١ ص ٢٠٢ ،

Crawford, op. cit. pp. 24-25

ثمانى مراحل ، ثم يذكر فى موضع آخر أن حدودها الشرقية تمتد حتى بلاد الحبشة (١) ويؤكد المقرئى هذا القول ، فعندما تكلم عن بعض سكان علوة الذين يقيمون فى جهاتها الشرقية ، قال : « وبعد هؤلاء أول بلاد الحبشة » (٢) ، أما ياقوت فيذكر أن المسافة من عاصمة مقرة إلى حدود علوة ثلاثة أشهر (٣) ، كذلك جاء فى الكتاب المنسوب إلى ابن عبد الظاهر ذكر بعض الأقاليم التابعة لمملكة علوة وهى : بارة - التاكة - كدروا - دنقوا - آوى - بفال - الأنج - كرسه ، وباستثناء بارة ، التى قد تكون لها علاقة بالمدينة المعروفة بهذا الاسم فى مديرية كردفان ، والتاكة التى هى جزء كبير من مديرية السودان الشرقية (كسلا) ، فإنه لا يعرف شىء عن هذه الأقاليم (٤) .

ورغم ذلك فإنه من الراجح أن مملكة علوة - التى أصبحت فيما بعد مشيخة العبدلاب - سيطرت على منطقة واسعة من صودان وادى النيل امتدت من الأبواب (كبوشية) شمالا إلى « القطيئة » على النيل الأبيض جنوبا ، وشملت جهات العظرة (الأثبرا) والنيل الأزرق حتى حدود الحبشة شرقا ، وبعض جهات دارفور وكردفان غربا (٥) .

ومهما يكن من أمر العوامل والظروف التى أدت إلى انتشار المسيحية فى ممالك السودان الشمالى الثلاث ، فإنه لم ينته القرن السادس الميلادى حتى أصبحت المسيحية هى الديانة السائدة (٦) ، وكان من نتائج تنافس الكنيسة المصرية مع الكنيسة البيزنطية فى نشر المسيحية فى بلاد النوبة أن أصبحت كنيسة علوة تابعة للكنيسة المصرية منذ نشأتها (٧) ، كما قامت علاقات تجارية بين البلدين مما جعل الدولة المملوكية تتمسك

(١) صورة الأرض ص ٦١ ، ٦٣ .

(٢) المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٢ .

(٣) معجم البلدان .

(٤) تشرىف الأيام والمصور ج ٢ ص ٢٩٣ ، ب ، أنظر أيضا محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ٩٠ MacMichael, op. cit. vol. I. p. 183.

(٥) Grawford, op. cit. P. 25. Arkell, op. cit. P. 196., Trimingham, op. cit p. 72.

(٦) أنظر تفصيل دخول المسيحية إلى بلاد النوبة - مصطلح مسعد : الإسلام والنوبة - الفصل

الثالث ص ٤٣ - ٧٠ ، حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى إفريقيا ج ١ ص ٢٨٠ .

(٧) شقير : المرجع السابق ج ٢ ص ٢٦٤ .

بمدينة سواكن للاشراف منها على حقوق مصر التجارية في حوض النيل الأوسط ، وكان من نتائج حملة السلطان بيبرس إلى النوبة أثرها في إثارة الفرع في مملكة علوة ، فعندما هزم الملك داود وهرب إلى الأبواب ، سارع ملك الأبواب بالقبض عليه وإرساله إلى القاهرة ، حتى يأمن شر المماليك ، ويكسب ودهم ، وكرر ملك الأبواب هذا الصنيع نحو كل الأمراء النوبيين الهاربين من بطش المماليك^(١) ، ولم يكتف ملوك علوة بذلك ، بل تقربوا إلى السلطنة المملوكية بالهدايا ، وبعثوا إلى السلطان قلاوون سفراءهم ليعلموا له ولاءهم ، وليحكموه فيما ينشأ بينهم وبين ملك دنقلة من نزاع ، من ذلك شكوى أدور ملك الأبواب للسلطان قلاوون من تعرض ملك المقررة لرسله المسافرين إلى مصر^(٢) .

ومما يؤكد العلاقة بين مصر ومملكة علوة ما ذكره الإدريسي « وأهل علوة يسافرون إلى بلاد مصر »^(٣) ، كذلك ما يذكره الدمشقي من أنه جمع معلوماته عن مملكة علوة من تجار أسوان الذين يترددون عليها^(٤) .

وبالرغم من أن مملكة علوة استمرت نحو ألف سنة ، وحاولت الاحتفاظ بعلاقات ودية مع دولة المماليك في مصر ، فقد وجد من العوامل ما أدى إلى انفككها وإخلالها ، وبالتالي زوال الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية فيها ، مما مهد السبيل لصيغ هذه المملكة بصيغة عربية إسلامية .

ومن هذه العوامل النزاع المستمر بين مملكة علوة وجيرانها في المقررة ، والحبشة ، والزغاوة^(٥) ، ويبدو هذا النزاع في شكوى ملك الأبواب أدور للسلطان قلاوون

(١) ابن خلدون : البرج ج ٥ ص ٤٠٠ ، القلقشندي : صبح الاعشى ج ٥ ص ٢٧٧ ، مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٥١ ، ١٥٢ ، يوسف فضل : مقدمة في تاريخ ص ١٩ .

(٢) ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام والمصور ج ٢ ص ٢٩٠ ، ٣١٠ ، الشاطر بصيل : معالم تاريخ السودان وادي النيل ص ٤٥ ، ٤٦ ، مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٥٣ ، ١٨٣ ، ١٨٤ .

(٣) الإدريسي : صفة المغرب وارض السودان ومصر والأندلس ص ٢٠ .

(٤) الدمشقي : كتاب نخبة الدرر في عجائب البر والبحر ص ٢٦٨ .

(٥) إبراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كانم - برنو ص ٢٨ .

من تعرض بلاد الانج - إحدى ولايات مملكة علوة - لغزو أمير أجنبي ، قد يكون أمير الزغاوة^(١) ، ويبدو أن السبب في استمرار هذا النزاع هو محاولة جيران علوة الحصول على الرقيق منها ، ذلك أن الرقيق كان إحدى وسائل التعامل التجاري بين ممالك النوبة المسيحية وغيرها ، ومن أجل ذلك شن ملوك المقررة وعرب جذام الغارات على جيرانهم للحصول على الرقيق ، سواء لدفع البقظ بالنسبة للمقررة ، أو للتجار فيه ، ويؤيد هذا القول شكوى سلطان برنو إلى السلطان برقوق سنة ٧٩٤ هـ - ١٣٩٢ م ضد عرب جذام^(٢) .. هؤلاء الأعراب قد أفسدوا أرضنا كلها في بلد برنو كافة حتى الآن وسبوا أحرارنا وقرابتنا من المسلمين وبييعونهم لحلاب مصر والشام وغيرهم ويخندمون ببعضهم ..^(٣) .

ثم كان للحروب القبلية التي وقعت في مملكة المقررة أثر كبير في قطع العلاقات للمدينة بين الكنيسة المصرية وكنائس علوة ، فتوقف إرسال الأساقفة المصريين منذ وفاة أسقف النوبة « سيريل » سنة ١٢٣٥ م ، فقد صعب إرسال أساقفة يخلفونه منذ ذلك الحين ، ثم تضاعفت هذه الصعوبات نتيجة لسقوط مملكة المقررة ، فهجر سكان علوة كنائسهم ، وتخرب معظمها ، يدل على ذلك ما ذكره قسيس برتغالي يدعى « الفارز »^(٤) نقلاً عن حنا السورى الذى زار مملكة علوة في القرن الخامس عشر الميلادى ، فيقول « أنه كان بها ١٥٠ كنيسة قديمة »^(٥) ، وهو عدد قليل.

(١) امتدت مملكة الزغاوة من بحيرة تشاد في الغرب إلى أطراف النوبة في الشرق ، ويرى آر كل أنها شملت الكاتم ودارفور في القرن ١٤ م ، أنظر مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١٨٤ ، وهامش ٣ بنفس الصفحة ،

Arkell, op. cit. p. 199.

(٢) اجتاح عرب جذام وغيرهم من المهاجرين من مصر جنوباً ، اجتاحت مملكة الزغاوة حتى سيطروا على منطقة دارفور ، واتخذوا منها قاعدة لشن غاراتهم على الأقاليم المجاورة - مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٨٥ ،

Arkell, op. cit. pp. 199-200.

(٣) القلشندي : صبح الأعشى ج ٨ ص ١١٦ .

(٤) قسيس برتغالي زار الحبشة في بداية القرن ١٦ م - مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٨٥ ،

١٨٦ ، مكى شيكة : مملكة الفونج الاسلامية ص ١٨ .

(٥) مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، مكى شيكة : المرجع السابق ص ١٨

Father Francisco Alvarez, Narrative of the Portuguese Embassy to Abyssinia, p. 352, Trimmingham, op. cit. p. 77.

بالنسبة لما ذكره أبو صالح الأرمني عن كنائس علوة حوالى منتصف القرن الثالث عشر الميلادى ، إذ ذكر أنه بلغ عددها حوالى ٤٠٠ كنيسة^(١) ، ونتج عن ذلك أن تعرض سكان مملكة علوة إلى نوع من الانقسام الروحى ، فأصبحوا كما يقول الفارز « لاهم بالمسيحيين ولاهم بالمسلمين أو اليهود .. ويقال أنهم كانوا على النصرانية غير أنهم فقدوا دينهم ، ولم تبق لهم عقيدة ، ويأملون أن يكونوا مسيحيين^(٢) » .

وزاد من عزلة سكان علوة سقوط مملكة المقر فى الشمال ، واعتناق أهلها الاسلام . يضاف إلى هذه العوامل ، التى أدت إلى سقوط مملكة علوة ، العامل الأساسى وهو كثرة الهجرات العربية إلى السودان بصفة عامة وإلى أرض مملكة علوة على وجه الخصوص .

وإذا كان المؤلفون المسلمون ، وتبعهم فى ذلك عدد كبير من الباحثين ، قد أفاضوا فى الإشارة إلى هجرة الجماعات العربية ، سواء من مصر أو من شبه الجزيرة العربية ، إلى بلاد النوبة الشمالية - المقر وأوطان البجة - ، فإن قليلا منهم من أشار إلى الهجرات العربية إلى مملكة علوة ، وحتى هذه الاشارات القليلة مقتضبة لا تكاد تبين ، فيذكر اليعقوبى « مدينة علوة العظمى التى تسمى سوبة (سوبا) » ، وبها ينزل ملك علوة ، والمسلمون يختلفون إليها^(٣) ، كما يحدثنا كل من النويرى والمقريزى عن الحملة المملوكية التى سبها السلطان الملك الناصر محمد سنة ٧١٦ هـ - ١٣١٦ م إلى بلاد النوبة^(٤) ، فسارت من عذاب إلى سواكن ، ثم انتهت إلى منطقة نفوذ علوة فى التاكة (كسلا الحالية) ، ثم مضت فى أرض علوة ، ثم عادت إلى مصر عن طريق دنقلة والنيل ، بعد أن جاست أراضي علوة ، واستغرقت مسيرتها نحو ستة أشهر^(٥) .

(١) تاريخ الشيخ أبى صالح الأرمنى ص ١٢٠ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١٨٧ ، Trimingham, op. cit. p. 74.

(٢) مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ١٨٥ ، ١٨٦ ، مكى شيكة : مملكة الفونج الاسلامية ص ١٨ ، Alavarez, op. cit. p. 65.

(٣) البلدان (لیدن) ص ١٢٤ .

(٤) أنظر اخبار هذه الحملة فى : سعيد عاشور : العصر المماليكى ص ٩٢ وبعدها ، مصر فى عصر دولة المماليك البحرية ص ٨٩ وما بعدها .

(٥) النويرى : نهاية الأرب (مخطوط) ج ٣٠ ورقة ٩٦ - ٩٨ ، المقريزى : السلوك ج ٢ ق ١ ص ١٦١ ، ١٦٢ ، ويذكر المقريزى أن هذه الحملة استغرقت ثمانية أشهر . أنظر المكتبة العربية السودانية - تحقيق مصطفى مسعد ص ٢٣٠ - ٢٣٥ ، ص ٣٤٢ ، ٣٤٣ .

ورغم هذه الاشارات المقتضية فان المصادر السودانية^(١) ، وتؤديها في ذلك بعض الدلائل ، تدل على أن أعداد كبيرة من العرب ، وبخاصة من جبهة ، التي ينتسب إليها « العبدلاب » قد استقرت في مملكة علوة المسيحية ، مع ملاحظة أن هذا الانتشار الواسع للعرب لم تتم دفعة واحدة بل استغرق عدة قرون ، وأن هذه الجماعات العربية استقرت على هيئة مجموعات متفرقة تحت سلطان ملوك علوة ، في بادئ الأمر على الأقل^(٢) .

ويمكن لنا في هذه الدراسة أن نتبع شواهد استقرار العرب ، وكثرة أعدادهم تدريجياً في منطقة السودان الأوسط ، وبخاصة في مملكة علوة ، سواء كان ذلك عن طريق الصحراء الشرقية والبحر الأحمر ، أو من مصر عن طريق نهر النيل^(٣) . ففي القرنين السابقين للميلاد عبرت هجرات عربية كبيرة من أهل اليمن مضيق باب المندب ، واستقر بعضها في الحبشة ، وسار البعض الآخر بحذاء النيل الأزرق ونهر عطبرة ، أي في أرض علوة ، منتشراً شمالاً في أرض النوبة^(٤) ، وعلى هذا لا يستبعد بعض الباحثين أن تكون الأسرة المالكة النوبية ، وعلوة تسمى النوبة العليا ، ترجع في أصلها إلى جنوبي الجزيرة العربية ، إذ عبر الحميريون البحر الأحمر ، واستقروا في السودان . ونقلوا إليه أسماء أجدادهم مثل كوة ، دارو ، سبأ ، كما أنهم لا يستبعدون أن يكون اسم « سوبا » - عاصمة مملكة علوة - تحريف لكلمة سبأ^(٥) .

(١) معظم هذه المصادر السودانية عبارة عن أوراق انسيبة التي تحتفظ بها كثير من الأسر السودانية ، وقد جمع ما كايكل معظمها ونشرها في كتابه :

A History of the Arabs in the Sudan.

ويقلل من أهمية هذه الوثائق أن معظم عرب السودان يميلون إلى الانتساب إلى بيت الرسول عليه الصلاة والسلام أو الصحابة ، مما أدى إلى اصطناع هذه النسبة في بعض الأحيان ، أنظر مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، حاشية ١٨ ص ١١٨ ، يوسف فضل : مقدمة في تاريخ الممالك الاسلامية في السودان الشرق ص ٣٩ وأنظر ما سبق ص ١٩٢

(٢) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٢ .

(٣) إبراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في أمبراطورية كانم - برنو ص ٢٧ .

(٤) المقرئزي : المواظ والاعتبار ج ١ ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ٧٢ ، عبد المجيد

عابدين : ميلاد سوبا - مجلة الجمعية التاريخية السودانية - المجلد الأول - الجزء الثاني ، عبد القادر

محمود : الفكر الصوفي ص ٣٦ ، شوقي الجمل : تاريخ السودان وادي النيل ج ١ ص ٢٣٠ .

ومن الشواهد التي تؤكد اجتياز العرب لمملكة المقررة في طريقهم إلى مملكة علوة ، ذلك النص الذي ورد في معاهدة البقط التي عقدت بين عبد الله بن أبي السرح وبين مملكة المقررة فقد جاء بها « وندخل بلدكم مجتازين غير مقيمين فيه (١) » ، أي أن للمسلمين أن يجتازوا مملكة المقررة ، وليس هناك ما يجتازون مملكة المقررة اليه ، سوى مملكة علوة التي تقع إلى الجنوب مباشرة من مملكة المقررة ، أي أن هذا النص يؤكد حرص عبد الله بن أبي السرح — في منتصف القرن السابع الميلادي — على أن يظل الطريق مفتوحاً — خلال مملكة المقررة — إلى الجنوب حيث توجد مملكة علوة ، ويبدو أن ذلك لضمان استمرار الصلات بين العرب في مصر وبين العرب في مملكة علوة ، فضلاً عن الأغراض التجارية .

ومن ذلك ما ذكره ابن خلدون عن انتشار أحياء العرب من جهينة في بلاد النوبة ، فانه لا يقف عند حد مملكة المقررة ، بل يتعدى ذلك ليشمل أيضاً مملكة علوة ، ذلك أن « النوبة » عند المؤرخين العرب تعني المقررة وعلوة ، أو النوبة السفلى والنوبة العليا (٢) ، ويؤكد هذا المعنى مقارنة نص ابن خلدون بما جاء في ابن حوقل عن مملكة علوة ، فيقول ابن خلدون بصدد هجرة عرب جهينة من مصر إلى بلاد النوبة « ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم ، واستوطنوها وملكوها ، وملئوها عبثاً وفساداً ، وذهب ملوك النوبة إلى مدافعهم ، فعجزوا ، ثم ساروا إلى مصانعهم بالمصاهرة ، فافترق ملكهم ، وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم ، على عادة الأعاجم في تملك الأخت وابن الأخت ، فتمزق ملكهم ، واستولى أعراب جهينة على بلادهم » (٣) .

أما ابن حوقل فقد ذكر عند حديثه عن مملكة علوة المسيحية « ومن سنة جميع السودان إذا هلك الملك أن يقعد ابن أخته دون كل قريب وحيم من ولد وأهل » (٤) .

(١) أنظر نص المعاهدة — المقرريزي : المواظ والاعتبار ج ١ ص ٢٠٠ ، مكي شيبة : تاريخ شعوب وادي النيل ص ٣١٦ ، السودان عبر القرون ص ٤٢ .

(٢) مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٧٥ .

(٣) ابن خلدون : البر ج ٥ ص ٤٢٩ .

(٤) ابن حوقل : صورة الأرض ص ٦١ ، وفي هذا المعنى يذكر أبو صالح الأرمي في تاريخه « ملك النوبة له النوبة وأعمالها ، وأرض علوة والمقررة ، والأجناس المضافة إليها ، وذكر أن حادتهم جارية بأنه إذا مات ملك وخلف ولد وكان له ابن أخت فيملك بعد خاله دون ولد الملك » ، ص ١٣٥ .

ويبدو أن ابن خلدون اقتبس من كلام ابن حوقل ما ذكره عن نظام وراثته الحكم ، مما يؤكد أن المقصود من نصه هو مملكة علوة المسيحية ، وهذا يعني أن عرب جهينة وغيرهم نزلوا بأعداد كبيرة إلى أقاليم مملكة علوة .

ومن الشواهد التاريخية التي تؤكد هجرات العرب إلى مملكة علوة أنه من المعروف أن من دواعي الهجرة عند العرب البحث عن الخصب والأمان ورغد العيش ، وهذه الأمور قد توفرت في مملكة علوة أكثر منها في مملكة المقر ، [فيذكر ابن سليم الأسواني^(١) « وملك علوة أكثر مالا من مملك المقر ، وأعظم جيشا ، وعنده من الخيل ما ليس عند المقر ، وبلده أخصب وأوسع ، والنخل والكرم عندهم يسير ، وأكثر حبوبهم الذرة البيضاء التي مثل الأرز ، واللحم عندهم كثير لكثرة المواشي ، والمروج الواسعة العظيمة السعة ، حتى أنه لا يوصل إلى الجبل إلا في أيام^(٢) » . فإذا أضفنا إلى ذلك فقر البيئة في صعيد مصر وبلاد النوبة السفلى ، وكثرة الاضطرابات والزعزعات التي قامت بين العرب أنفسهم في النوبة بسبب السلطة ، وفي أرض البجة تكالبا على الذهب^(٣) ، فإن هجرة العرب إلى مملكة علوة تكون أمرا مؤكدا .

ويؤكد هذا المعنى مكي شيكة فيذكر أن « اتساع رقعة علوة وهطول الأمطار فيها ، وتوفر المراعي والزراعة المطرية ، يجعلها من الناحية الزراعية والرعية مجالا حيويا لحشود القبائل العربية المتدفقة من الشمال ، وطبيعة أراضي علوة تناسبهم أكثر من رقعة دنقلة الضيقة^(٤) » .

(١) هو عبد الله بن أحمد بن سليم الأسواني توفي سنة ٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م ، ونقل المقریزی في خطه الكثير من كتاب ابن سليم المفقود « أخبار النوبة والمقرة وعلوة والبجة والنيل » ، أنظر المقریزی : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٠ وما بعدها ، مصطفى سعد : المكتبة السودانية العربية ص ٩١ وما بعدها .

(٢) المقریزی : المرجع السابق ج ١ ص ١٩٢ .

(٣) المقریزی : السلوك ج ١ ق ٣ ص ٧٠٠ ، مكي شيكة : السودان عبر القرون ص ٤٢ ، مصطفى سعد : البجة والعرب في العصور الوسطى ص ٤٧ .

(٤) مكي شيكة : السودان عبر القرون ص ٤٢ ، مملكة الفونج الإسلامية ص ١٥ .

ومن الشواهد الدالة على هجرة العرب إلى مملكة علوة ما نقله المقرئى عن ابن سليم الأسوانى : «ولها (أى سوبا عاصمة علوة) رباط فيه جماعة من المسلمين»^(١) وفى موضع آخر يقول «وعندهم خيل عتاق ، وجمال صهب عراب»^(٢) ، فإذا كانت الجمال العراب لا تؤكد وجود العرب فى سوبا ، فإن وجود رباط للمسلمين يؤكد وجود العرب المسلمين فى علوة منذ وقت مبكر ، ويؤكد هذا القول سير توماس أرنولد فيقول : « وزاد عدد العرب القاطنين على ضفاف النيل الأزرق ، (منطقة مملكة علوة) كما زادت ثروتهم زيادة كبيرة فى القرن العاشر ، حتى أنهم استطاعوا أن يلتمسوا الاذن ببناء مسجد فى سوبة عاصمة المملكة المسيحية»^(٣) .

وكان لزوال مملكة المقررة المسيحية أثره فى اتساع المجال أمام القبائل العربية لتنتشر جنوبا فى كثير من أجزاء السودان ، وفى ذلك يقول نعوم شقير : « فلما فتحت النوبة السفلى (على أيدي العرب المسلمين) زاد عدد المهاجرين منهم (العرب) إلى بلاد النوبة العليا حتى ملاوها وكان أكثرهم من جهة بنى العباس »^(٤) ، ومن ثم تسنى لهم إنشاء حكومات القبائل على النيل .

ومما يؤكد استقرار العرب فى مملكة علوة تأسيسهم لمدينة تجارية هامة هى « أربجي » سنة ٨٨٠ هـ - ١٤٧٤ م ، على الشاطئ الغربى للنيل الأزرق ، قرب الحدود الجنوبية لمملكة علوة^(٥) ، وما يقطع بأن العرب هم الذين أنشأوا هذه المدينة دلالة الحروف التى يتكون منها اسم « أربجي » ، فهذه الكلمة تعنى فى اللغة النوبية « بلد العرب »^(٦) ، ولتأسيس العرب لمدينة أربجي أهمية خاصة ، إذ أن موقعها قرب الحدود الجنوبية لمملكة علوة ، يدل على أن العرب عرفوا معظم أراضي

(١) المقرئى : المواعظ والاعتبار ج ١ ص ١٩٣ .

(٢) المرجع السابق ج ١ ص ١٩٣ .

(٣) الدعوة إلى الاسلام - ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخر ص ٩٨ .

(٤) شقير : جغرافية وتاريخ السودان ج ٢ ص ٣٦٢ .

(٥) أنظر ماسبق فى ١٩٢ هـ م ١ ، مكى شيكة : السودان عبر القرون ص ٤٢ ،

ودضيف الله : الطبقات ص ٥ ، أحمد أبو على : مخطوطة كاتب الثوبة - تحقيق الشاطربصلى ص ٤ ، ٥ ،

إبراهيم صالح : المرجع السابق ص ٢٨ .

(٦) مكى شيكة : مملكة الفونج ص ٢٢ ، محمد متولى بدر : اللغة النوبية ص ٣٣ .

مملكة علوة ، فهم اما آتون من الشرق عبر البحر الأحمر ، فأرض البجة ، أو من الشمال من مصر عبر أراضي مملكة المقررة ، أو من كلا الطريقين ، ومن الاحتمال المرجح أن يكون بعضهم قد استقر في الأجزاء الشمالية من مملكة علوة ، قبل أن يصلوا إلى موقع مدينة أريجي ، كذلك يدل انشاء هذه المدينة على كثرة العناصر العربية ، التي بدأت في منافسة السكان الوطنيين ، وتضييق الحصار على منطقة ملتقى النيلين (١) .

يضاف إلى هذه الشواهد الدالة على استقرار العرب في أرض مملكة علوة ، قبل سقوطها ، أن العرب الذين كانوا قد استقروا في أوطان البجة ، وبلاد العلاقي واقتلوا عليها ، زهدوا فيها وتركوها إلى أرض علوة ، إذ كان من نتيجة توقف التعدين ، وانتقال طريق قوافل الحج ، وتدهور عيذاب ، واضطراب قوافل التجارة الشرقية ، كان من نتيجة ذلك أن توقف النشاط الاقتصادي الذي اعتمد عليه كثير من العرب ، فاضطرت أغليتهم إلى الهجرة إلى داخل السودان ، حتى بلغوا أرض البطانة ، ثم الجزيرة ، وعبر بعضهم النيل إلى كردفان (٢) .

وبعد هذه الشواهد المتعددة على استقرار العرب في أراضي مملكة علوة ، يصبح سقوط هذه المملكة في حد ذاته ، سواء تم على يد عرب القواهمة وحدهم أم بمعاونة الفونج ، دلالة قاطعة على أنه مسبوق بوصول جماعات عربية كبيرة بحيث تسنى لها طبع هذه البلاد بطابع عربي اسلامي يمثل العامل الحاسم في إنهاء مملكة علوة المسيحية وقيام مشيخة العبدلاب .

ونستخلص من هذه الشواهد المتعددة أن القبائل العربية انتقلت تدريجيا إلى أراضي مملكة علوة ، وزاد تدفقها بصفة خاصة بعد سقوط مملكة المقررة في الشمال في أوائل القرن الرابع عشر الميلادي ، وكانت أكبر تلك الهجرات قبائل جهينة وقبائل عربية أخرى ، انسابت إلى مملكة علوة من عدة طرق أهمها الطريق الشرقي

(١) يوسف فضل : مقدمة في تاريخ ص ٢٠ .

(٢) يوسف فضل : المعالم الرئيسية في الهجرة ص ١٢٠ ، ١٢٨ .

عبر أوطان البجة ، والطريق الشمالى عن طريق النيل ، أما صمت المصادر عن جلوث معارك أو احتكاك بين هذه القبائل وسكان مملكة علوة ، فيمكن تفسيره بأن انتقال هذه الهجرات كان سلميا .

وتوضح لنا المصادر السودانية كثرة القبائل العربية في مملكة علوة ، فتذكر أن قبائل جهينة وحدها حول سوبا - عاصمة مملكة علوة - بلغت اثنتين وخمسين قبيلة^(١) عاشت على هيئة مجموعات متفرقة ، محافظة على نظامها القبلى ، وكان عليها أن تدفع اتاوات ، أو ضرائب ، للملوك علوة^(٢) ، فجاء فى إحدى المصادر السودانية « وكان الشيخ عبد الله جماع مقدما على العرب يدفع خراجهم للنوبة المسيحية » ، كما جاء أيضا فى نفس المصدر « فتجمعوا (أى العرب) تحت أمرة رجل منهم يدعى عبد الله محمد الباقر ، وكان صاحب الرأى فى العرب والمشورة ، والوسيط بين النوبة والعرب فى كل الشئون »^(٣) .

ومع توالى الهجرات العربية إلى مملكة علوة على ممر السنين ، مع عجز ملوك علوة عن مدافعتهم أو صدّهم ، كما يقول ابن خلدون ، بسبب ضعف ملوك علوة نتيجة للأخطار الخارجية ، لم يكن هناك بد أمام ملوك علوة إلا استئالة هؤلاء العرب بالمصاهرة ، فانتقل الملك « إلى أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم فى تملك الأخت وابن الأخت ، فتمزق ملكهم ، واستولى أعراب جهينة على بلادهم »^(٤) .

ويبدو أن استيلاء العرب على مملكة علوة المسيحية جاء تدريجيا ، ذلك أن مملكة علوة تألفت من عدة ممالك صغيرة خاضعة للملك الكبير فى سوبا ، وهذه

(١) أوراق نسب جمعها محمد بن الحاج على بن دفع الله ، نسخة إبراهيم حاج محمد عن أنساب العرب (دار الوثائق المركزية بالخرطوم - متنوعات ١ - ١٦ - ١٨٤) ص ١٩ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٢ ،

Macmichael, op. cit. vol. I. p. 238.

(٢) إبراهيم صالح : المرجع السابق ص ٢٨ ، مصطفى مسعد : المرجع السابق ص ٢٠٢ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ج ١ ص ٢٩٨ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ٧٨ .

(٣) الشيخ عثمان أونسة : تاريخ مشيخة العبدلاب (مخطوط) ص ٦ ، ١٢ ، أنظر محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ٧٨ .

(٤) ابن خلدون : العبر ج ٥ ص ٤٢٩ ، وانظر ماسبق ص ١٩٩ .

الممالك الصغيرة هي التي انتقل سلطانها إلى أبناء جهينة ، وغيرهم من أبناء القبائل العربية الأخرى التي استقرت في جهات متعددة من مملكة علوة ، ويبدو أنه أمام ضغط هذه القبائل العربية اضطر ملك علوة أن ينقل مقر حكمه ، في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي ، من مدينة سوبا إلى مدينة أخرى تسمى « كوسه » أو « كوشه » ، واتخذها عاصمة له (١) .

وأرجح أن هذا هو السبب في عدم ذكر «سوبا» في المكاتبات الدائرة بين الممالك وعلوة ، فمعظم اتصالات الممالك بمملكة علوة كانت مع ملك الأبواب ، وهي المقاطعة الشمالية لمملكة علوة ، فضلا عن أن المصادر المعاصرة أشارت إلى سبع مقاطعات ليس من بينها سوبا (٢) .

وعلى ذلك تكون سوبا قد فقدت مركزها القديم — كعاصمة لمملكة علوة — منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، وبدأت تضمحل تدريجيا ، ولم يأت القرن السادس عشر الميلادي إلا وكانت سوبا خرابا ، ذلك أن الرحالة داود رويني الذي مر بمدينة سوبا سنة ١٥٢٣ م وجدها مخربة وليس بها إلا عدة مساكن من القش والخشب (٣) .

وفي هذا المجال لا يستبعد أن يكون من مظاهر ضغط العناصر العربية إنشاء مدينة أربجي بغرض اتخاذها مركزا لهم ، قبل سقوط مملكة علوة تماما ، ويبدو أن هذا دعا بروس إلى القول بأن أربجي كانت عاصمة العبدلاب قبل قيام قري (٤) .

(١) اللبني : كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ص ٢٦٨ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٢ ، الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرق والأوسط ص ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، وموضع مدينة كوسه غير معروف أنظر الاذريسي : المغرب وأرض السودان ص ١٩ ، Crowford, op. cit. p. 27. Note 29.

(٢) أنظر ما سبق ص ١٩٤ ، ابن عبد الظاهر : تشریف الأيام والعصور ورقة ٢٩٣ أ ، مصطفى مسعد : المكتبة السودانية العربية ص ١٩٦ — ١٩٨ وما جاء بحواش هذه الصفحات ، يوسف فضل : مقدمة في تاريخ ص ١٩ .

(٣) داود رويني رحالة يهودي يمني الأصل زار مملكة سنار سنة ١٥٢٢ م ومر بمدينة سوبا — مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٣ ، الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات ص ٣١٢ ، Hillelon, s. Reubini, SNR., XVI. part. I., 1933. p. 60

(٤) Bruce, I. : Travels to discover the Source of the Nile in the years 1768-1773, (٤) vol. VI, p. 371.

وبذلك تكون القبائل العربية قد نجحت ، في وقت لم تحدده المصادر ، ولكنه لا يتأخر عن القرن الخامس عشر الميلادي ، في تأسيس عدة ممالك ومشيخات اسلامية في حوض النيل الأوسط ، من انشلال الثالث إلى مدينة أريجي ، وما بعدها بقليل في الجنوب (١) .

وهذه كانت بداية النهاية بالنسبة لمملكة علوة المسيحية ، فقد كان لقيام هذه الممالك والمشيخات الاسلامية آثار بعيدة المدى في تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية أيضا ، مما أدى إلى زوال بعض الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية في علوة ، ومن هذه التطورات أن أصبحت الأرض ملكاً للجماعة ائقيلية ، بعد أن كانت ملكاً خاصاً للملك ، كما أن الحكم أصبح وراثياً في بيت شيخ القبيلة أو الدار ، إذ تكونت من مجموعات القبائل ، في الاقليم الذي اتخذته دارا لها ، زعامات اقليمية تولاهما شيخ المشايخ ، وهو عادة شيخ أقوى قبيلة في المجموعة ، وعرف باسم الملك أو المانجل (٢) ، وبذلك اختفى نظام الوراثة القديم القائم على الأمومة ، هذا فضلا عن انتشار الاسلام بين أهل البلاد ، الذين وجدوا في الاسلام ما يشبع حاجاتهم الروحية بعد أن انقطعت علاقاتهم الدينية بكنيستهم الكبرى في الاسكندرية . ورغم هذه التطورات العميقة الأثر في مملكة علوة المسيحية ، فإن الأحوال الاقتصادية تدهورت نتيجة لاختلال الأمن ، والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعى ، ويبدو أن تدهور الأحوال الاقتصادية كان من العوامل الملحة التي جعلت القبائل العربية تشعر بضرورة إيجاد حكومة مركزية تخضع لها شتى الجماعات والقبائل المتنازعة وذلك لاقرار الأمن وحماية طرق التجارة القديمة ، وفي هذا المجال قام الشيخ عبد الله جماع ، شيخ عرب القواسمة ، بدور كبير أدى في النهاية إلى سقوط مملكة علوة نهائياً وقيام مشيخة العبدلاب .

(١) الفلقشندي : صبح الأعشى ج ٨ ص ٥ ، ٦ ، شقير : المرجع السابق ج ٢ ص ١٠٣ ، ١٠٧ ، الشاطر بصيل : معالم تاريخ السودان وادي النيل ص ٤٩ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٤ ، محمد صالح : مشيخة العبدلاب ص ٩٣ .

(٢) أصل هذه الكلمة غير معروف وربما أخذ من اللغة الاثيوبية ، ومماها عظيم ، وكان هذا اللقب من أرفع الالقاب في مملكة الفونج الاسلامية فيما بعد - أنظر مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٥ ، Budge (E.A.) : The Egyptian Sudan, vol. II. p. 212.

وحول الدور الذي قام به عرب القواسمة ، ومنهم شعبة العبدلاب ، اختلفت آراء الباحثين ، ويمكن تجميعها وتلخيصها في ثلاثة آراء رئيسية :

يرى الفريق الأول^(١) أنه نتيجة للضغط الاقتصادي الذي تعرض له العرب في مملكة علوة ، فضلا عن الضغط السياسي لاضطرارهم إلى طاعة قوانين مملكة علوة المسيحية ، كان سببا في دعوة عبد الله جماع للعناصر العربية لتوحيد جهودها ، فاتحد عرب القواسمة تحت زعامته ، ومن هنا أطلق عليه « جماع » لجمعه كنمة القبائل العربية تحت زعامته^(٢) ، وبعد أن تم له توحيد هذه القبائل رأى أن يستعين بقوة عسكرية اسلامية ، هي قوة الفونج بزعامه عمارة دونقس ، والذين كانوا قد أسسوا مملكة لهم في « لولو » ، ثم انتقلوا إلى « جبل موية » غربي سنار^(٣) ، ومن هنا قام ما عرف في تاريخ السودان الوسيط باسم « الحلف السناري » بين الفونج والعبدلاب بهدف إسقاط مملكة علوة المسيحية ، وأن المبادأة بعقد هذا الحلف كانت من عرب القواسمة بزعامه عبد الله جماع ، أما حكومات القبائل التي خضعت فيما بعد للعبدلاب فلم تكن طرفا في هذا الحلف .

أما الفريق الثاني^(٤) فيرى قيام حلف بين الممالك والمشيخات الاسلامية بزعامه عبد الله جماع من جهة ، وبين الفونج من جهة أخرى ، وأن سقوط سوبا كان ثمرة هذا الحلف .

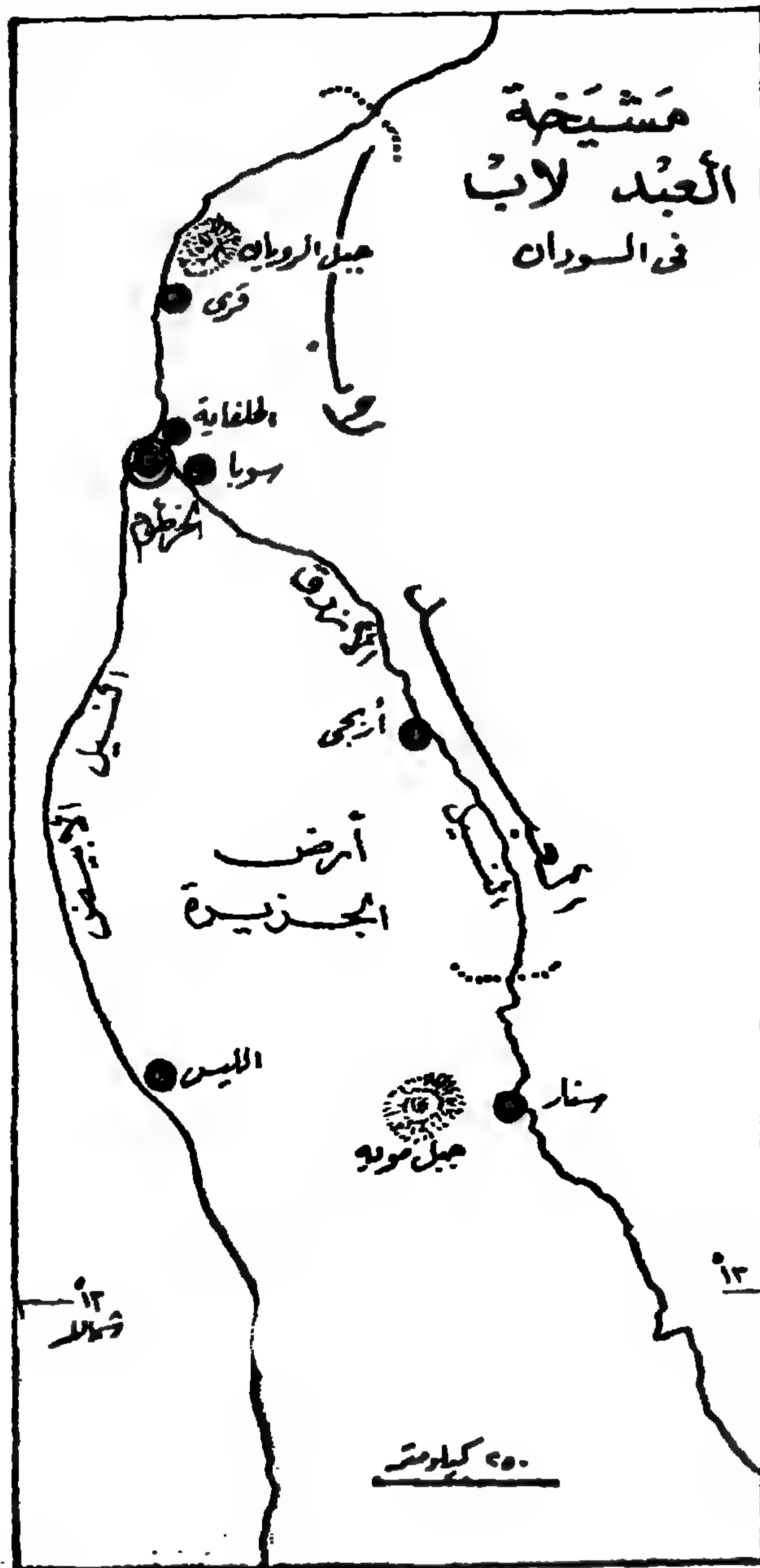
أما الفريق الثالث فيرى أن سقوط سوبا (مملكة علوة) كان نتيجة لجهد العبدلاب ومن جاور دارهم من العرب فقط ، وأنه ليس للفونج أو حكومات

(١) أنظر محمد عوض : السودان الشال ص ٢٥٢ ، عبد العزيز عبد المجيد : التربية في السودان ج ١ ص ٣٥ ، مصطفى مسعد : الاسلام والنوبة ص ٢٠٦ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ج ١ ص ٣١٦ ، ٣١٧ ، متلور المهدي : السودان من أقدم العصور ص ٦٢ - ٦٤ ، Mac Michael, op. cit. vol. I. p. 245.

(٢) أنظر تفصيل سبب تسميته « جماع » واختلاف الآراء حول القبائل التي دخلت تحت زعامته وهل هي القبائل التي أتت معه فقط ، أم قبائل رفاعه وحدها ، أم قبائل رافع وحدها ، أم جميع هذه الفروع ؟ أنظر تفصيل ذلك في الروايات رقم ٢٠ ، ٧ ، ١٠ ، ٢٠ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٢٠ ، ٥٠ ، ٣٠ ج ٥ ، ٦ ، ٦٠ - تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٥ وما بعدها .

(٣) عن أصل الفونج أنظر : spaulding (J.) . The Funj : Areconsideration, J. Afr. Hist. : XIII, 1 (1972), pp. 39 - 53 .

(٤) يتزعم هذا الفريق كل من : الشاطر بصيل : معالم تاريخ السودان وادي النيل ص ٤٧ ، ٧٠ ، عبد القادر محمود : الفكر الصوفي في السودان ص ٣٦ ، ٣٧ .



القبائل في الشمال أي نصيب في أحداثه^(١) ، وأنه مع نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي أصبح العرب هم حكام مملكة علوة^(٢) ، وأن سلطان العبدلاب امتد سريعا حتى سنار في وقت سابق على قدوم الفونج ، وأنه عندما دخل الفونج السودان وأتوا إلى منطقة سنار وجدوها تحت حكم الملك عجيب ، فنزلوا في لولو مزارعين ، ثم أصرهوا إلى البيت المالك ، إلى أن تدهور العبدلاب في عهد ملك الفونج « عمارة دونقس » ، فبدأت متاعب العبدلاب مع بداية القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي ، وفي هذا الصدد يقول بروس « أنه في سنة ١٥٠٤ م توجهت أمة من السود ، لم تكن معروفة من قبل ، وكانت تسكن على الشواطئ الغربية للنيل الأبيض على خط عرض ١٣ ، في مجموعة كبيرة من الزوارق أو المراكب في غارة على الاقليم المأهول بالعرب في منطقة الجزيرة ، وبالقرب من أربجي حدثت بينهم وبين ود عجيب^(٣) واقعة انتهت بنصرة السود الذين أملوا على أثرها شروطا احتفظ بمقتضاها ود عجيب بسيادته السابقة على ما يملك لقاء التعهد باستخدام القوة متى ما كان لك ضروريا لحمل العرب المقيمين بعيداً على دفع الضرائب ، وقد انتقص هذا الاتفاق من مكانة العبدلاب ، فأنزلهم إلى مقام النيابة بعد أن كانوا ملوكا ، ولم يسع ود عجيب إلا الموافقة على هذه الشروط^(٤) .

وإذا دققنا النظر في آراء كل من الفريق الأول والثاني التي تأخذ بمبدأ اشتراك الفونج في أسقاط مملكة علوة ، وأخذنا في الاعتبار ما تلا ذلك من أحداث كان أبرزها تأسيس مدينة سنار واتخاذها عاصمة للفونج^(٥) ، نخرجنا من ذلك بأن الفونج كانوا في مرحلة تأسيس قوة ذاتية لهم ، ويكون من الصعب عليهم — في ذلك الوقت — أن

(١) انظر الروايات رقم ش ٦٠ ، ١٣٠ ، ١٤٠ ، ١٠٠ ب ، س ١٣٠ ، ١٣٠ ، ٤٠

(٢) K (VI) 2, ... الخ تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٦ - ١٩ .

Yusuf Fadl, op. cit. pp. 133-134.

(٣) ييلوا أن بروس استعمل هنا الاسم الشائع في أيامه للدلالة على أجداد ود عجيب ، ولعله يقصد عبد الله جماع أول ملوك العبدلاب ، إذ زار بروس سنار سنة ١٧٧٢ م — يوسف فضل : مقدمة في تاريخ ص ٢٤ حاشية ١ ، عبد المجيد هابدين : تاريخ الثقافة العربية في السودان ص ٤٨ ، شوق الجمل : تاريخ سودان ، ادى النيل ج ١ ص ٢٧١ .

Bruce, op. cit. vol. IV, p. 548.

(٤)

(٥) ود ضيف الله : الطبقات (تحقيق يوسف فضل) ص ٣٩ .

يملأوا عبد الله جماع بما يحتاج إليه من العون العسكري في سبيل القضاء على مملكة علوة ، ثم يتركون له البلاد إيحائها ، ويتوجهون بعد ذلك لتأسيس مدينة سنار وإتخاذها عاصمة لهم ، ويصبح من المرجح القول بأنه مع تزايد قوة الفونج العسكرية وتوسعهم اصطدموا بالعبدلاب - الذين أقاموا ملكهم قبل مجيء الفونج على أنقاض مملكة علوة - وأنتهى هذا الصدام الذي وقع عند مدينة أربجي بصلح تنازل فيه العبدلاب عن منطقة الجزيرة ، واحتفظوا بباقي البلاد مع نوع من الاستقلال الذاتي ، وليس أدل على ذلك من الأموال التي كان على العبدلاب أن يقدموها إلى الفونج ، وما توحى به الأخبار القائلة باستقلال العبدلاب عن الفونج قبل الحكم التركي بحوالى خمسين سنة (١) . وقد سبق أن تشكك آركل في أسطورة الغزو المشترك هذه ، وانتقد ما جاء في « تاريخ ملوك سنار » من أن العرب والفونج تجمعوا عند جبل موية ، وأضاف أن قلة المياه في ذلك الموضع ، وبعده عن سوبا ، ووجوب عبور النيل الأزرق للوصول إليها ، يجعل هذه الرواية غير مناسبة (٢) .

وترجح الدراسات السودانية الحديثة هذا الرأي الذي يقول أن سقوط مملكة علوة تم على أيدي قبائل عربية بزعامة عبد الله جماع (٣) ، فيرى هولت أن ثمة خطأ نشأ من تشابه معنى كلمتي جبل الرويان وجبل موية ، ويرجح أن جبل الرويان هو مكان التجمع الذي انتفض منه العرب على ما تبقى من مملكة علوة ، فجبل الرويان مثل قرى ، موقعا استراتيجيا مانعا تسهل منه السيطرة على تحركات البدو عبر أرض البطانة إلى حوض النيل ، أو عبره إلى صحراء البووضة (٤) .

(١) محمد عوض : السودان الثماني ص ٢١٨ ، الشاطر بصيل : معالم تاريخ السودان وادي النيل ص ٧١ ، حسن إبراهيم : انتشار الاسلام والعربية ص ١١١ ، حسن محمود : الاسلام والثقافة العربية ج ١ ص ٣٠٧ ، ٣٤٦

MacMichael, op. cit. vol. I. pp. 247-248.

(٢) يوسف فضل : مقدمة في تاريخ ص ٣٦ ،

Arkell, Fung Origins, SNR, XV, 1932, pp. 211-212, Trimingham op. cit. p. 74.

(٣) Holt, (P.M.) : A Sudanese Historical Legend, The Funj Conquest Suba, B.S.O. A.S. vol. XX 111, part. I, 1960. p. 10.

(٤) يوسف فضل : مقدمة في تاريخ ص ٣٦ ، ٣٧ ،

Holt, op. cit. p. 10. Trimingham, op. cit. p. 15.

ومما يرجع جانب هذه الدراسات الحديثة كتابات بروس الذي زار سنار - عاصمة مملكة الفونج - سنة ١٧٧٢ م ، واستقى معلوماته من كبار شخصيات البلاط الفنجاوى ، إذ أن قدم هذه الكتابات ورواجها فى بلاط الفونج يجعل لها اعتبارا خاصا ، هذا فضلا عن أن كتابات بروس تعتبر أقدم تاريخيا من كافة المصادر التى ترجع سقوط مملكة علوة إلى الحلف السنارى بين الفونج وعرب القواشمة ، التى عرفت باسم « تاريخ ملوك سنار » أو مخطوطة كاتب الشونة (١) ، وتبرز كتابات بروس نقطتين هامتين : أولها أن العرب كانوا يسيطرون بزعامة ود عجيب على بلاد النوبة ومملكة علوة يساعدهم فى ذلك طائفة مشايخ القبائل ، وثانيها أنه دارت معركة حربية بالقرب من أربجي بين الفونج والعرب سنة ٩١٠ هـ - ١٥٠٤ م ، ولم يكن انتصار الفونج فيها حاسما فعقد صلح بين الطرفين أصبح العبدلاب بمقتضاه فى مرتبة تالية للفونج مع نوع من الاستقلال الذاتى لمشيخة العبدلاب .

ويمكن لنا أن نجد ترجيحاً لهاتين النقطتين فيما سبق أن ذكرناه عن تدرج كثرة العرب فى مملكة علوة مع ممر الأيام ، وفى رواية ابن خلدون ، فضلا عن رواية للمعشنى التى تؤكد سقوط مدينة سوبا قبل سقوط مملكة علوة واضطرار ملك علوة إلى نقل عاصمته ، مما جعل المصادر المعاصرة تخلو من أى ذكر لمدينة سوبا (٢) .

كذلك نجد هذه الدراسات الحديثة تأييدا فى الإخبار التى جمعها كونيغ Koenig عن تاريخ كردفان ودارفور فى أوائل القرن التاسع عشر ، والتى يرجع أصل بعضها إلى مخطوطات من القرن الخامس عشر الميلادى ، إذ جاء فى هذه الأخبار « وفى سنة ١٤٧٤ عند موت عجيب الكافوته ، التى مازالت قبته موجودة فى قرى ، قام عمارة دنكيس أبو نايل Amara Dinkis Abou Nail ، أول سلاطين سنار ومن شعب الفونج ، مستغلا الخلاف الذى نشب بين العرب الرحل الذين ينتشرون فى السهول وقاطنى الجبال الذين يكونون معظم سكان كردفان ، فغزا تلك المديرية وأضافها إلى مملكته (٣) ، فرغم حداثة تسجيل هذه الرواية ، وما جاء بها من أن

(١) أنظر مايل ص ٢١١ .

(٢) أنظر ما سبق ص ١٩٩ وما بعدها .

(٣) يوسف فضل : المرجع السابق ص ٢٥ ، ٢٦ .

Cadalvene iz (E.) et Breuvery, (J.) L' Egypte et la Turquie, vol. I. p. 200.

عجيب الكافوته توفي في عام ١٤٧٤ م ، وهو تاريخ متقدم جداً ، فان تسجيلها في منطقة كردفان ، وهي منطقة بعيدة عن نفوذ كل من العبدلاب والفونج التقليدي يعطيها بعض الاعتبار ، وخاصة أنها توضح بما لا يدع مجالاً للشك أن العبدلاب كانوا أسبق في حكم تلك البلاد من الفونج .

كما نجد أن ود ضيف الله ، مؤلف أقدم كتاب سوداني ، وهو الطبقات ، والذي ركز اهتمامه فيه على الجزء الشمالي من الجزيرة ، خاصة شواطئ النيل الأزرق ، والمنطقة الممتدة بين دنقلة وملتي النيلين ، والتي تطابق دائرة نفوذ العبدلاب السياسي^(١) ، فضلاً عن أنه عاش ومات (١١٣٩ هـ - ١٧٢٧ م - ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩) في حلفاية الملوك ، عاصمة العبدلاب في الفترة من ١١٢٧ هـ - ١٢٣٥ هـ ، نجد أن ود ضيف الله لم يذكر شيئاً عن الحلف السناري ، كما أنه من جهة أخرى لم يذكر شيئاً عن هزيمة العبدلاب أمام الفونج ، واكتفى بقوله : « أعلم أن الفنج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها في أول القرن العاشر سنة عشرة بعد التسعمائة ، وخطت مدينة سنار خطاها الملك عمارة دونقس^(٢) » .

وفي ضوء ما سبق يمكن لنا أن نفسر عبارة ود ضيف الله بتغلب الفونج على أرض النوبة ، بأنها هزيمة العبدلاب أمام الفونج ، وحكم العبدلاب لهذه المنطقة نيابة عن ملوك سنار ، خاصة وأن تواجد العرب في أراضي مملكة علوة كان أسبق ، بفترة طويلة ، من قلوب الفونج .

أما الروايات التي ترجع سقوط مملكة علوة إلى ما عرف بالحلف السناري بين الفونج والعبدلاب ، فإنها تنحصر في ثلاث مجموعات من المصادر المختلفة :
وأول مجموعة من هذه المصادر تتمثل في مخطوطة « تاريخ ملوك سنار » ، أو « مخطوطة كاتب الشونة » ، التي ألفها أحمد بن الحاج أبو علي (ت بعد ١٨٣٨ م) ، والتي نقحها ثلاثة من بعده هم عبد القادر بن الزين المشهور بالزيرود

(١) ود ضيف الله : الطبقات (تحقيق يوسف فضل) ص ٣٤ .

(٢) ود ضيف الله : المرجع السابق ص ١٧ ، ٢٤ ، أحمد عبد الرحيم نصر : تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ٦١ ، يوسف فضل : المصادر السودانية - مجلة الدراسات السودانية العدد الأول - المجلد الثالث أكتوبر ١٩٧١ ص ٤٥ ، عبد المجيد عابدين : دراسات سودانية ص ٤٥ .

ضوه (ت ١٨٨٢ م) ، والشيخ إبراهيم بن عبد الدافع (ت ١٨٨٢ م) ، فالشيخ الأمين الضير (ت ١٨٨٥ م)^(١) . ونسخ هذه المخطوطة رغم ما بها من اختلافات وإضافات أدخلها منقحو مخطوطه كاتب الشونة ، إلا أنها جميعها تتفق على أن القونج والعبدلاب اتفقا على مقاتلة « العنج » ملوك سوبا ، وإذا حاولنا الأخذ بهذا الرأي نجد أمامنا صعوبة في تفسير ما جاء بنسخ هذه المخطوطة من أن القونج والعبدلاب استطاعا هزيمة « ملك المقرى » ، أى المقررة التى سقطت في أيدي العرب منذ سنة ١٣٢٣ م .

أما المجموعة الثانية فتتمثل في مخطوطة « تاريخ العبدلاب » ، التى وصلتنا في نسختين من تأليف عبد الله بن الأرباب الحسن بن شاور بن عجيب بن أونس بن الشيخ شمام بن عجيب الثالث ، من أسرة العبدلاب ، وهى بعنوان « واضح البيان في ملوك العرب بالسودان وملوك العبدلاب من الشيخ عجيب إلى تاريخه » ، ويرجع تاريخ أقدم النسختين إلى سنة ١٣٣٤ هـ - ١٩١٥ م . ويذكر المؤلف أنه جمع ما بها « من الكبار المتقدمين ... كمثل أبى الفقيه أحمد الخضر العباسى وجدى الأرباب الحسن شاور عجيب والفقيه ولد نجيت في سيرة ملوك العبدلاب » . أما النسخة الثانية فترجع إلى سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٥ م . وهى أكثر تفصيلا وقد سميت « واضح البيان في ملوك العرب بالسودان » ، وجاء بها أن المؤلف اعتمد على روايات والده البالغ من العمر نحو تسعين سنة . وكانت له صلة كبيرة بالشيخ إبراهيم عبد الدافع أحد منقحي مخطوطة كاتب الشونة ، وغيره من كبار العبدلاب^(٢) وما جاء بهذه المخطوطة يشبه إلى حد كبير ما نشره A.E.D. Penn بعنوان :

Traditional Stories of the Abdallab Tribe , S. N. R.

vol. XVII 1934 pp. 58-82.

(١) يوسف فضل : المصادر السودانية ص ٥٨ ، وتوجد من هذه المخطوطة عدة نسخ : نسخة المتحف البريطانى بلندن وقد حققها وعلق عليها ونشرها د . مكى شيكة ، من منشورات كلية غوردون (جامعة الخرطوم حاليا) التذكارية سنة ١٩٤٧ ، ونسخة دار الكتب المصرية ، وهى أقدم النسخ ، وقد حققها ونشرها الشاطر بصيل عبد الجليل ، من منشورات الإدارة العامة للثقافة بمصر ، كما توجد نسخة أخرى بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٣٧ تاريخ ، وهى جميعا تؤرخ للدولة القونج منذ بدايتها في عهد عمارة دونقس .

(٢) أصل هذه المخطوطة مازال بيد أسرة العبدلاب ، وتوجد نسخة مصورة منها بدار الوثائق المركزية بالخرطوم أنظر مجلة الخرطوم يناير ١٩٦٨ ، يوسف فضل : المصادر السودانية ص ٦٠ ، ٦١ حيث توجد دراسات عن هذه المخطوطة .

وتمثل هذه المجموعة الثانية وجهة نظر العبدلاب ، وتتفق مع ما جاء من صيغ مختلفة بمخطوطة كاتب الشونة من تحالف العبدلاب مع الفونج ضد ملوك علوة .

أما المجموعة الثالثة فتتمثل في الروايات الشفهية التي جمعتها شعبة أبحاث السودان (١) وهذه الروايات تتأرجح بين التحالف بين الفونج والعبدلاب ، وبين قيام العبدلاب بمفردهم بالقضاء على مملكة علوة (٢) .

والخلاصة أن كافة المصادر الخطية والروايات الشفهية ، توضح بما لا يدع مجالا للشك تزايد أعداد القبائل العربية في مملكة علوة المسيحية على مر السنين ، وبصفة خاصة من بعد الفتح العربي لمصر في منتصف القرن السابع الميلادي . وأن الأوضاع السياسية السائدة في مملكة علوة ، فضلا عن نظام الوراثة السائد في بلاد النوبة . والمصاهرات التي تمت بين ملوك علوة وقبيلة جهينة ، تحم انتقال ملك علوة إلى العرب الذين أسسوا مشيخة العبدلاب في وقت سابق على ظهور الفونج في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ، ويؤيد ذلك بعض روايات العبدلاب الخطية والشفهية ، أما التناقض الذي جاء في بعض المصادر السودانية المتأخرة ، والتي تكلمت عن الخلف السناري بين الفونج والعبدلاب ، فيبدو أنها حاولت تبرير خضوع العبدلاب لسيطرة الفونج في بداية القرن السادس عشر الميلادي ، فُلجأت إلى قصة هذا التحالف ، مع ما ترتب عليه من سيادة الفونج على العبدلاب ، حتى لاتذكر هذه المصادر صراحة الهزيمة التي لحقت بالعبدلاب على أيدي الفونج والصلح الذي عقد بينهما وأعطى الفونج نوع من السيادة على العبدلاب .

(١) أنظر تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية - أعدها للنشر أحمد عبد الرحيم نصر - شعبة أبحاث السودان - كلية الآداب جامعة الخرطوم يوليو ١٩٦٩ .

(٢) أنظر الشرائط رقم ٣٠ (K VI) ، ٤٠ (K VI) 2 ، ١٠٠ (1,2,3,7) ، K VI تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية ص ١٤ - ٢٣ .

مراجع البحث

أولاً : المصادر والمراجع العربية :

- ١ - إبراهيم صالح بن يونس : تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية
كانم - برنو شعبة أبحاث السودان -
الخرطوم أكتوبر ١٩٧٠ .
- ٢ - ابن حوقل (أبو القاسم) : كتاب صورة الأرض - بيروت ١٩٦١ .
- ٣ - ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد) : العبر وديوان المبتدأ والخبر ٧ أجزاء - مصر
١٢٨٤ هـ
- ٤ - ابن ضيف الله (محمد النور) : كتاب الطبقات في خصوص الأولياء
والصالحين والعلماء والشعراء في السودان
تحقيق د . يوسف فضل حسن - الخرطوم
١٩٧١ .
- ٥ - ابن عبدالظاهر (محي الدين عبداللّه) تشریف الأيام والعصور (مخطوط -
مطبوع)
- ٦ - أبو صالح الأرمني : تاريخ الشيخ أبي صالح - أكسفورد ١٨٩٣ م.
- ٧ - أحمد بن الحاج أبو علي : مخطوطة كاتب الشونة .
تحقيق الشاطر بصيلي - القاهرة ١٩٦٣ .
- ٨ - أحمد عبد الرحيم نصر : تاريخ العبدلاب من خلال رواياتهم السماعية
شعبة أبحاث السودان - الخرطوم يوليو ١٩٦٩
- ٩ - الادريسي (أبو عبداللّه محمد) : صفة المغرب وأرض السودان ومصر
والاندلس (لندن ١٨٦٦ م)
- ١٠ - الشاطر بصيلي عبدالجليل : أ - معالم تاريخ السودان وادي النيل مصر
١٩٥٥ .
- ب - تاريخ وحضارات السودان الشرقي
والأوسط - القاهرة ١٩٧٢
- ١١ - توماس أرنولد : الدعوة إلى الاسلام
ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرين مصر ١٩٤٧ هـ

- ١٢ - حسن أحمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في أفريقية
الجزء الأول - القاهرة ١٩٥٨ .
- ١٣ - الدمشقي (شمس الدين أبو عبد الله) كتاب نخبة الدهر في عائب البر والبحر
بطرسبرج ١٨٦٦ م
- ١٤ - الريح العبدروسي : تقويم السودان لسنة ١٩٤٩ .
- ١٥ - سعيد عبد الفتاح عاشور : أ - العصر المالكي في مصر والشام -
القاهرة ١٩٦٥ .
ب - مصر في عصر دولة المماليك البحرية -
القاهرة ١٩٥٩ .
- ١٦ - شوقي الحمل : تاريخ السودان وادي النيل جزءان - القاهرة
١٩٦٩ م
- ١٧ - عبد الله بن الأرباب الحسن بن شاور : سيرة ملوك العبدلاب
مخطوط - دار الوثائق المركزية الخرطوم
- ١٨ - عبد العزيز عبد المجيد : التربية في السودان ٣ أجزاء القاهرة ١٩٤٩ .
- ١٩ - عبد القادر محمود : الفكر الصوفي في السودان - القاهرة ١٩٦٨ -
١٩٦٩ م .
- ٢٠ - عبد المجيد عابدين : أ - ميلاد سوبا - مجلة الجمعية التاريخية
السودانية - المجلد الأول - الجزء الثاني .
ب - تاريخ الثقافة العربية في السودان
بيروت ١٩٦٧ م .
ج - دراسات سودانية - الخرطوم ١٩٧٢ م
- ٢١ - القلقشندي (أبو العباس أحمد) : صبح الاعشى في صناعة الانشا ١٤ جزء
مصر ١٩١٣ - ١٩١٧ م .
- ٢٢ - محمد صالح محي الدين : مشيخة العبدلاب الخرطوم ١٩٧٢ م
- ٢٣ - محمد عوض محمد : السودان الشمالي - سكانه وقبائله مصر
١٩٥١ م .
- ٢٤ - محمد متولى بلر : اللغة النوبية - القاهرة - ١٩٥٨ م .
- ٢٥ - مصطفى محمد مسعد : أ - الاسلام والنوبة في العصور الوسطى
القاهرة ١٩٦٠ م .
ب - المكتبة السودانية العربية - القاهرة
١٩٧٢ م .

ج - البجة والعرب في العصور الوسطى -
مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة - المجلد ٢١
العدد الثاني ديسمبر ١٩٥٩ م .

٢٦ - المقریزی (أحمد بن علی) : أ - المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار
جزءان - بولاق ١٢٧٠ هـ .

ب - السلوك لمعرفة دول الملوك
نشر زيادة : وعاشور - القاهرة ١٩٣٤ -
١٩٧٣ م .

٢٧ - مكى شيكة : أ - مملكة الفونج الإسلامية .
ب - السودان عبر القرون .
ج - تاريخ شعوب وادی النيل .

٢٨ - نعوم شقير : جغرافية وتاريخ السودان ٣ أجزاء - بيروت
١٩٦٧ م .

٢٩ - النويری (شهاب الدين أحمد) : نهاية الأرب في فنون الأدب
مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩
معارف عامة .

٣٠ - ياقوت (شهاب أبو عبدالله) : معجم البلدان ١٠ أجزاء - القاهرة ١٩٠٧ م .

٣١ - اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب) : كتاب البلدان ليدن ١٨٩١ م .

٣٢ - يوسف فضل حسن : أ - مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في
السودان الشرقي (١٤٥٠ - ١٨٢١ م) -
الخرطوم ١٩٧٢ .

ب - المعالم الرئيسية في الهجرة .
ج - المصادر السودانية - مجلة الدراسات
السودانية - العدد الأول - المجلد الثالث
- أكتوبر ١٩٧١ م .

تاليا : المراجع الأفرنجية :

- 33 . Alvarez (F.F.) : Narrative of the Portuguses Embassy to Abyssinia, 1520-27, transl. by stanley, London, 1881.
- 34 . Arkell (A.J.) - A History of the Sudan to A.D. 1821, London, 1955, Fung Origins, SNR, XV, part. II, 1932 pp. 201-250
- 35 . Bruce, (J.): Travels to discover the source of the Nile in the years 1768-1773, 6 vols. Edinburgh 1790.
- 36 . Budge (E.A.) The Egyptian Sudan its History and Monuments, London, 1907.
- 37 . Cadalvene (E) et Breavery (J.) L'Egypte et la Turquie, vol. I. Paris, 1839.
- 38 . Crawford (O.G.S.) : The Fung kingdom of sennar, Gloucester, 1951.
- 39 . Hillelson, S. : David Reubeni an early visitor of Senna, SNR XVI, 1933, pp. 55-66.
- 40 . Holt, (P.M.) : A Sudanese Historical Legend, The Funj Conquest of Suba, B.S.O.A.S. XXIII, 1960, p. 1-12
- 41 . Mac Michael, (H.A.) A History of the Arabs in the Sudan, 2 vols. Cambridge 1922.
- 42 . Spaulding (J.), : The Funj : A. reconsideration, J. Afr. Hist. XIII, I, (1972).
- 43 . Trimingham (T.S.) : Islam in the Sudan, London, 1949.
- 44 . Yusuf Fadle, The Arabs and the Sudan, Khartoum, 1973.

M.M. Amin
(M. A. & Litt. D.)

أفريقيا الاستوائية

١ - دراسة في الجغرافيا الطبيعية

د . السعيد البلوي

(Abstract)

Equatorial Africa.

1 . A study in physical geography.

The purpose of these series of papers is to shed some lights on an African area which has not yet thoroughly studied despite of its several possibilities.

This first paper deals with the physical geographical aspects and their reflections upon social and economic life of the population.

The main points of this paper are : structure, relief, rain, temperature, vegetation & animal life. In addition to a conclusion about the effect of physical geographical aspects on the natural resources of the region.

تعالج هذه المجموعة من المقالات الظروف الجغرافية في منطقة من مناطق أفريقيا لم نأخذ حتى الآن بالدراسة الشاملة ، مع ما فيها من إمكانات متعددة .

ويتعالج هذا المقال الأول الظروف الجغرافية الطبيعية في المنطقة . على اعتبار أن هذه الظروف تمثل الأساس الأول الذي تقوم عليه أوجه الدراسة الجغرافية الأخرى ، إلا أنها بمثابة المسرح الذي تؤدي عليه العناصر البشرية دورها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي .

وقد تناول هذا البحث بالدراسة البيئة والتضاريس والظروف المناخية خصوصا

الحرارة والأمطار ثم عالج الغطاء النباتي والثروة الحيوانية وفي النهاية عالج الباحث أثر الظروف الجغرافية الطبيعية على الموارد الطبيعية في الإقليم .

سبق أن أطلق الألمان اسم *Mittelafrica* على منطقة أفريقيا الوسطى وذلك للتشابه بين هضبة وسط أفريقيا وكتلة أوروبا الوسطى التي أطلقوا عليها أوروبا الوسطى *Mitteleuropa* وعندما عقد مؤتمر برلين سنة ١٨٨٥ أقر مبدأ حرية التجارة في منطقة أفريقيا الوسطى ، - وحددها بتلك المنطقة التي تمتد من خط عرض ٥ درجة شمالا حتى مصب نهر الزمبيزي جنوبا ، وذلك حتى يتقرر مصيرها السياسي . وهذا التحديد الأول ينطبق إلى حد كبير على هضبة أفريقيا الوسطى .

وبعد ذلك بخمس سنوات أي في عام ١٨٩٠ انعقد مؤتمر دولي آخر « للدول المتحضرة » وافقت فيه الدول المجتمعة في بروكسل على منع تجارة الرقيق والأسلحة والمشروبات الروحية في منطقة أفريقيا الوسطى التي حددت في ذلك الوقت بأنها تمتد بين خطي عرض ٢٠ درجة شمالا وجنوبا من خط الاستواء ، مع تأكيد حرية المرور والإقامة للبعثات العلمية والدينية والإنسانية . وتمتد المنطقة المعينة بين المحيطين الأطلنطي والهندي .

ولا شك أن التحديد الثاني قد وسع إطار هذه المنطقة عن التحديد الأول . إذ أنه وفقا للتحديد الموسع لم يعد الأمر مقصوراً على حوض الكونغو وإنما امتد إلى منطقة أفريقيا الوسطى كلها بين المدارين تقريبا باعتبارها منطقة متجانسة في السكان وفي طرق المعيشة *Genres de vie* (١) .

ولكن تحديد هذه المنطقة ليس بهذه البساطة حتى ولو كان تحديداً تقريبياً إذ أنه بجانب التحديد السابق يذكر فرتجييرالد أنه يقصد بمنطقة أفريقيا الوسطى تلك المنطقة بين المدارين *Interropical zone* وتقع إلى الغرب من هضبة شرق أفريقيا وتمتد حتى ساحل المحيط الأطلنطي في الغرب ومن نهر كونيني *Cuneno* في الجنوب حتى جبل الكرون في الشمال . وفي داخل هذا الإقليم يمتد حوض نهر

(١) *Geog. universelle, To-me XII, Afrique Equatoriale et orientale; Publie sous la direction de P.V. de la Bache et I. gallois, paris 1938 P. 1,2.*

الكونغو الواسع الذى يشغل حوالى ١,٥ مليون ميل مربع والذى يعتبر ذو أهمية خاصة فى أى دراسة لمنطقة أفريقيا الوسطى . هذا بالإضافة إلى المناطق التى تقع على الحافة الغربية لمنخفض أفريقيا الوسطى . وهى على وجه الخصوص : أنجولا ، جابون ، الكامرون ، وتوجيهها جميعا نحو المحيط الاطلنطى . كما يشير إلى ذلك الاستقلال الهيدرولوجى لنظام نهر الكونغو . وعلى الحدود الشمالية والجنوبية القصوى من هذا الاقليم تقف الوحدات السياسية التى رسمت حدودها بطريقة تحكمية تعوق أى دراسة إقليمية أو أى تصنيف إقليمي بالنسبة لها ومن أمثلة ذلك أن أنجولا تمتد نحو الجنوب حتى تشمل جزءا من الصحراء الجنوبية الغربية وكذلك جزءا كبيرا من إقليم أعالي الزمبيزي شبه الحاف بينما يوجد إلى الشمال أفريقيا الاستوائية الفرنسية سابقا التى تعتبر أعظم المناطق أرباكا most unwieldy وأقلها ملاءمة من وجهة النظر الجغرافية - فى الوحدة السياسية الإفريقية بما فيها تشاد الذى يعتبر الجزء الشمالى منها صحراويا بصفة حقيقية (١) .

وإذا حذفنا الهوامش شبه الحافة فى الشمال والجنوب والجنوب الغربى فأتنا نلاحظ تشابها واضحا لا نجده فى أى مكان آخر فى أفريقيا - فيما عدا الصحراء الكبرى - خصوصاً فى ظروف السطح العام general surface Conditions وظروف المناخ حيث يزيد متوسط الأمطار عن ٤٠ بوصة سنويا وينعكس هذا على الغطاء النباتى حيث نجد غنى نباتى مفروض متنوع من الغابات الكثيفة إلى السفانا الشجرية Park savanna والسفانا العادية Treeless savanna . وحيث أن توزيع التربة يرتبط بالمظهر أو الملمح الذى يميز حوض الكونغو عن الأقاليم الكبرى الأخرى فى أفريقيا فأتنا تتكون من الطمي الفيضى Alluvium على نطاق واسع . كما أن نمط التربة الكبرى فى المنطقة التى يحدث لها فيضان سنوى . ووفقا لهذه الظروف الطبيعية فإن الموارد الزراعية الكامنة فى هذه المنطقة توجد على نطاق واسع على الرغم من أنه من الناحية الواقعية فإن المنطقة من الناحية الاقتصادية تعتبر من أكثر مناطق العالم تخلفا ، إلا أن المناخ الذى انتج الغطاء النباتى المزدهر يؤدى فى نفس الوقت إلى إرهاب حياة الوطنيين Native life ، كما أنه يعتبر عائقا أمام الإستيطان الأوروبى

باستثناء منطقة أو منطقتين مثل مرتفعات الكيمرون . ولا يعتبر تأثير المناخ المباشر أو غير المباشر هو العائق الوحيد أمام مشروعات استغلال هذه المنطقة إلا أنه يقف بجانب ذلك افتقار المنطقة إلى سهولة النقل والمواصلات بها ، وما يدل على ذلك أنه على الرغم من أن فتح أفريقيا الوسطى Opening-up كان سريعا فور أن بدأ منذ ثلاثة أرباع القرن إلا أن المناطق الداخلية ظلت غير مطروقة ومن الصعب الوصول إليها Inaccessible كما أنه مازالت هناك مساحات كبيرة لم تكتشف حتى الآن (١) .

ولكن هل هذه المنطقة متجانسة فعلا لدرجة يمكن اعتبارها إقليما جغرافيا قائما بذاته ، له صفاته الخاصة وشخصيته المستقلة عن المناطق المجاورة ؟ لقد اثبتنا إلى أن نمط التربة متشابه إلى حد كبير ، كما أن الظروف المناخية متماثلة بشكل عام أيضا حيث يحيط بخط الاستواء (الذي ينصف القارة تقريبا) منطقة استوائية تغزر فيها الأمطار طول العام وكذلك ترتفع الحرارة ، ولكن نلاحظ هنا أن للأمطار قمتان في فصلي الربيع والخريف وتقل نوعا في فصلي الصيف والشتاء (الشاليين) . ومن ناحية أخرى فانا نلاحظ على جانبي خط الاستواء سمترية واضحة une Symetrie في الظروف المناخية حيث يقع إلى الشمال والجنوب من النطاق الاستوائي نطاق مداري تسقط عليه الأمطار بصفة فصلية (من مايو إلى أكتوبر في نصف الكرة الشمالي حول مدار السرطان ومن نوفمبر إلى أبريل في نصف الكرة الجنوبي حول مدار الجدي) (وبعد هذا النطاق المداري يوجد النطاق الصحراوي (الصحراء الكبرى في الشمال وصحراء جنوب غرب أفريقيا في الجنوب) . كذلك تماثل النطاقات النباتية مع النطاقات المناخية السابقة حيث توجد غابات «السلفا» الاستوائية حول خط الاستواء ثم تبدأ بعد ذلك الغابات المدارية في النطاق المداري وكلما ابتعدنا شمالا وجنوبا كلما قلت الأشجار وحلت محلها الحشائش (السافانا) ثم الحشائش القصيرة إلى أن تصل إلى المنطقة الصحراوية حيث تتأقلم النباتات مع هذه الظروف الجافة . وفي نطاق السافانا تسود حرقه الرعي نطاق واسع أما في النطاق

الصحراوي فان حياة البداوة والتنقل هي السائدة في حين أن حرقة الزراعة والصيد والجمع والالتقاط تعتبر أساساً الحرف الأصلية في المنطقة الاستوائية (١) .

وبناء على ماسبق فان منطقة أفريقيا الوسطى بمعناها الفلكي الرياضي تطلق على المنطقة التي تحاذي خط الاستواء شمالا وجنوبا وتمتد من المحيط الاطلنطي إلى المحيط الهندي ، ولكن هذه المنطقة لا تتجانس في ظروفها الجغرافية سواء الطبيعية أو البشرية الأمر الذي أدى إلى صيغ الجزء الاوسط والغربي منها بسمات تختلف عن تلك السائدة في الجزء الشرقي منها إلا أن التماثل لا يوجد إلا في منطقة حوض الكونغو والمناطق المجاورة له مباشرة ، تلك المنطقة التي تنصرف إليها روافد هذا النهر العظيم ، وتتسم هذه المنطقة الحوضية بأنها منخفضة ترصعها مسطحات مائية ويحيط بها من جميع النواحي مرتفعات تبدو على هيئة مدرجات شبيهة بمدرجات المسرح الروماني amphitheatre على ارتفاعات ٣٠٠ ، ٦٠٠ ، ١٠٠٠ متر وذلك قبل أن تخترق مياه نهر الكونغو حافة الهضبة نحو المحيط الاطلنطي . وبناء على ذلك - حتى داخل هذه المنطقة المتماثلة بصفة عامة - فان درجة الحرارة والرطوبة تختلف باختلاف التضاريس الموجودة في هذه المنطقة الواسعة حيث تسود الغابات الكثيفة اعماق هذا الحوض ثم تقل رويدا رويدا حتى تصل إلى نطاق الحشائش فوق المرتفعات المحيطة بالحوض في المناطق التي تفصل بين كل من حوض الكونغو وأحواض النيجر والنيل والبحيرات الكبرى والزميرى والانهار الصغيرة التي تصب في المحيط الاطلنطي نحو الاطراف ؛ أو بصفة - أعم من خط الاستواء نحو المدارين حيث يبدو التابع عموما من التضاريس المنخفضة إلى المرتفعات ومن المناخ الاستوائي إلى المداري ، ومن الغابة إلى السافانا ومن حياة القنص والالتقاط إلى حياة الزراعة وتربية الحيوان (٢).

هذا فيما يتعلق بالجزء الغربي والأوسط من أفريقيا الوسطى Afrique Centrale هذا في حين أن الظروف الجغرافية في الجزء الشرقي من أفريقيا الوسطى تختلف عن تلك السائدة في الجزء الأوسط والغربي ، حيث نجد في هذا الجزء الشرقي أن الصفة الغالبة على التضاريس هي الارتفاع وذلك يرجع إلى أن عوامل التعرية لم تستطع

Geog. universelle. opcit P. 8.

(١)

Geog. Unit. opcit p.3

(٢)

بسبب قصر فترة عملها من أن تخفض هذه المرتفعات ، لذلك توجد المنخفضات والانكسارات على نطاق واسع في هذا الجزء الشرقى ، وكثير من هذه المنخفضات والانكسارات ملئت بالمياه مكونة بحيرات ضخمة يغلب عليها الصفة الطولية . وبجانب ذلك توجد قمم مرتفعة عملاقة تتراوح بين ٤٠٠ ، ٦٠٠ متر مثل جبال روينزورى ، كينيا ، كلمنجارو حتى نصل إلى الكتلة البازلتية الممثلة في هضبة الحبشة ، ومن هنا فاننا نجد في منطقة محدودة تنوع في التضاريس بين المرتفعات والمنخفضات وبالتالي تنوع في الظروف المناخية وأنماط النبات وطرق الحياة ، ومثل هذا لا يتجدد في منطقة الهضبة الكونغولية ، حيث نمر في الجزء الشرقى عبر بضعة كيلو مترات بحرارة مرتفعة في المنخفضات إلى ثلوج دائمة على المرتفعات كذلك نجد أن الرياح القادمة من المحيط الهندي لا تسقط ما تحمله معها من أمطار على الهضاب المجاورة للمحيط وإنما تسقطها على سفوح المرتفعات وقممها ومن هنا نجد أن المرتفعات ذات الأمطار الغزيرة التي تنمو عليها الغابات ، أما الهضاب ذات الأمطار المتوسطة فتتمو عليها الحشائش . هذا في حين أن المنخفضات فقيرة الأمطار تبدو فيها الظروف الصحراوية أو شبه الصحراوية . ويساعد على ذلك ارتفاع درجة الحرارة بها نتيجة لانخفاضها ومن هنا تعدد أيضا طرق الحياة (١) .

ولا يقتصر الأمر في الاختلاف بين منطقتي أفريقيا الوسطى على الظروف الجغرافية الطبيعية فقط ولكن أيضا يمتد الاختلاف بينهما إلى النواحي البشرية حيث يقرر معظم الباحثين أن الجماعات البشرية جاءت إلى أفريقيا عن طريق البحر الأحمر من آسيا .

حيث أتى الاقزام أولا ثم استقروا في الغابات الكثيفة والمناطق المنعزلة أمام ضغط عناصر الزنوج أو السود Les Noirs أو البانتو الذين أتوا بعدهم من آسيا أيضا . واستقر العنصر الزنجي على هضاب شرق أفريقيا ، وكانوا يزرعون الأرض بالفأس بعكس الاقزام الذين كانوا يشتغلون بالقنص والالتقاط . ثم أمام الهجرات المتتالية من الزنوج القادمين من آسيا بدأت الهجرات الزنجية اتجاهات مختلفة داخل القارة حيث اتجه بعضهم نحو الجنوب واتجه البعض الآخر نحو حوض الكونغو في الوسط

في حين اتجهت جماعات زنجية أخرى نحو مناطق تقسيم المياه بين الكنگو والنيل والنيجر بينا البعض الآخر من الزنوج واصل المسيرة نحو غرب أفريقيا حتى سواحل أفريقيا الاستوائية وهنا التقت الجماعات الزنجية القادمة من الجنوب من هضبة الكنگو - الزمبيرى مع الجماعات القادمة من الشمال .

ومنذ ذلك الوقت لم يتغير توزيع عناصر السكان في الجزء الأوسط والغربي من أفريقيا الوسطى . أما بالنسبة للزنوج السودانيين (الذين أتوا من جهة الشمال مثل الهوسا والسونراى Sonrai وغيرهم فقد توقفوا عند حوض النيجر وتشاد . أما الاثيوبيون السود والدناقل ، والصومالي ، والحالا - وهم جماعات رعوية بدوية - فقد أتوا إلى مناطقهم عن طريق البحر الأحمر أيضا حيث احتلوا الهضاب المتوسطة أو المنخفضة من أفريقيا الشمالية الشرقية بينا نجد أن نظراءهم من الموسى Mossi اختلطوا مع البانتو الموجودين في أفريقيا الشرقية - أما الاثيوبيون الحمر والاثيوبيون البيض والهاميون والساميون فقد استقروا في منطقة أكثر شمالية ، وقد احتلت الموجة المتقدمة منهم الإراضى المرتفعة في هضبة الحبشة . هذا في حين أن العرب الذين نشروا الاسلام والتجارة قد أنشأوا لهم مستودعات تجارية على الهضاب المجاورة للمحيط الهندى وعلى الهضاب الوسطى بين أعالي النيل والكنغو واخيراً على حدود الصحراء والاقليم السودانى ، ولكنهم لم يستطيعوا الوصول إلى منطقة حوض الكنگو الحقيقى إذ أن التجارة العربية نشرت الاسلام في أجزاء كثيرة من أفريقيا ولكن هذا الانتشار توقف حول خط ٥ شمالا وخط البحيرات الكبرى من جهة الشرق .

وصفوة القول أن أفريقيا الوسطى تنقسم إلى منطقتين واضحتين سواء بسبب الاختلافات الطبيعية والبشرية .

الأولى : تضم حوض الكنگو والمناطق المجاورة له (الحافة المحيطة) وسكانها من البانتو باستثناء بعض عناصر قزمية .

الثانية : تشمل هضاب البحيرات الكبرى حتى المحيط الهندى وسكانها مختلطون بشكل واضح حيث نجد أولا الأساس من العناصر البانتوية ثم تبع ذلك موجات من

الاثيوبيين السود ، الموسى وغيرهم من الجماعات الرعوية وتكونت مناطق نفوذ عربية تزداد قوة واتساعا كلما ابتعدنا عن حوض الكونغو واقتربنا من المحيط الهندي. ومن هنا نجد أن افريقيا الوسطى التي اطلق عليها الألمان Mitel Africa أو التي اطلق عليها الفرنسيون Afrique du Milieu منطقتان متميزتان كل منهما تختلف عن الأخرى - الوسط والغرب في مقابل الشرق ، حيث تقدم الأولى بالظروف الطبيعية الموجودة بها عناصر سكانية متجانسة وحيث تسود طرق حياة استوائية ومن هنا يطلق عليها افريقيا الاستوائية Equatorial Africa اما الثانية فرغم أنها تقع في منطقة استوائية فلكيا إلا ان تضاريسها المتباينة وتعرضها لتأثيرات المحيط الهندي مباشرة انتجت طرق حياة مختلفة للسكان الذين يعيشون فيها والذين هم أصلا يختلفون من حيث الجنس عن سكان المنطقة الأولى ، ومن ثم كان لهذه المنطقة الشرقية وضعها المتميز ولذا يطلق عليها افريقيا الشرقية Afrique Orientale .

وسوف نركز دراستنا الحالية في الجغرافية الطبيعية على افريقيا الاستوائية التي تضم منخفض الكونغو الحواف المحيطة به وهي بهذا تكون على وجه التقريب دول الكونغو الديمقراطية والكونغو الشعبي وجابون ، وأفريقيا الوسطى والكمرون وجزءاً من أنجولا بالإضافة إلى غينيا الاستوائية .

أولا - البنية

تشير النظريات الجيولوجية المختلفة التي مازالت سائدة حتى الوقت الحاضر إلى أن قارة أفريقيا كانت جزءاً من قارة قديمة كبرى هي قارة جندوانا وفي الزمن الجيولوجي الثاني بدأت هذه القارة الكبرى في التكسر وتكون المحيطان الاطلنطي والهندي وابتعدت كل من كتلة برازيليا وشبه جزيرة الدكن وكتلة استراليا وكتلة انتاركتيكا . هذا هو الاطار العام مهما اختلفت التفاصيل والنظريات التي نادى بها كل من جريجورى Gregory وفجرى Wegner وغيرهما .

(١) للتوسع في هذه النقطة يمكن الرجوع الى ما يأتي :

- 1 . Geog. Universelle. op. cit. P. 5, 6, Pierre Vernetier et Jules Wilmet et Jacques Denis L' Afrique centrale et orientale, paris 1971
- 2 . Fitzgerald. op. cit. P. 286.
- 3 . A. Wegner : The origin of continents and oceans. London, 1966 Methuen Series.

وبعد عملية زحزحة القارات هذه Continental drift كما أطلق عليها فجنر أصبحت كتلة أفريقيا هضبة ثابتة جيولوجيا لم يطرأ عليها من جديد فيما عدا غزو البحر لبعض المناطق الهامشية وإرساب تكوينات جيرية والاضطرابات الأرضية التي حدثت في الزمن الجيولوجي الثاني والثالث وحدثت الانكسارات والارتفاعات الأمر الذي أدى إلى تكوين الوادي الأخدودي العظيم G. R. V. في شرق أفريقيا والالتواءات الحديثة في كل من شمال غرب أفريقيا والجزء الجنوبي الأقصى من القارة . وظهور الخور البركانية في أجزاء مختلفة من القارة خصيصاً في الشرق ثم بدأت بعد ذلك وخلال ذلك عوامل التعرية المختلفة محاولة تخفيض المرتفعات وملء المنخفضات بالرواسب التي تحملها .

ويعتبر حوض الكونغو أحد الأحواض السائدة في القارة الأفريقية والتي أطلق عليها نتيجة لذلك قارة الأحواض مثل حوض تشاد والنيجر والنيل غرب الصحراء الكبرى والزميرى وكلهاى ويفضل بين هذه الأحواض كتل هضبية مرتفعة مكونة خطوط تقسيم مياه لهذه الأحواض .

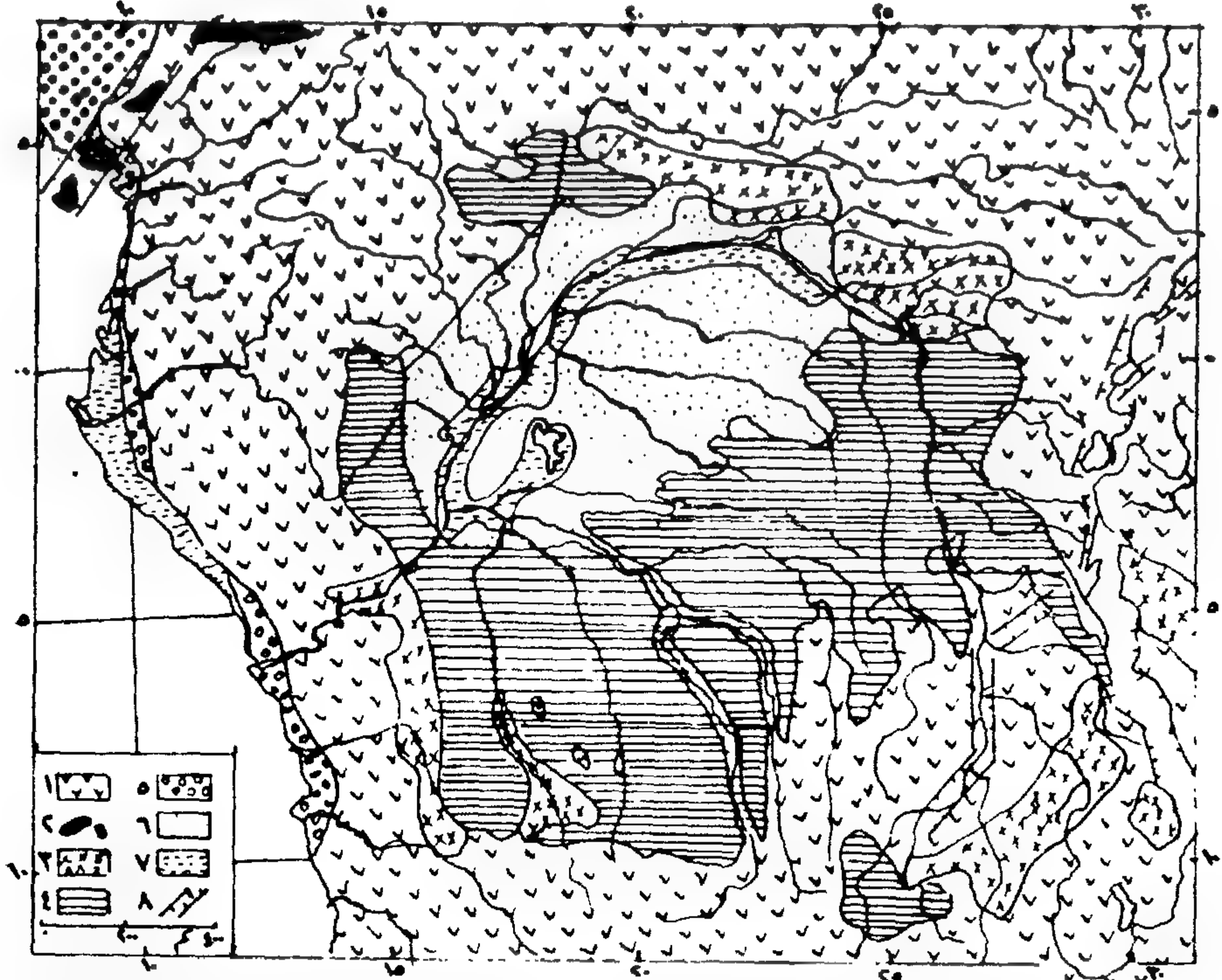
ويتضح من الدراسة الجيولوجية لأفريقيا الاستوائية أن الأساس الصخري الأركي القديم يحيط بمنخفض الكونغو من جميع الجهات كما يرصع حواف هذا المنخفض أيضاً تكوينات آثارر كامية نتيجة لوجود ثلاثيات خلال العصر البرمي حتى العصر الترياسي كانت تغطي كل الإقليم إلا أنه يرجح أن القطب الجنوبي كان في منطقة ما من تلك التي يشغلها المحيط الهندي حالياً وكان خط الاستواء يعبر أوربا في ذلك الوقت ماراً بخليج غينيا والبحر المتوسط . ومن ثم نجد آثار الركامات الجليدية في منطقة أفريقيا الاستوائية وأطلق عليها اسم تكوينات كوندلونجو ولوالابا Koundeloungo et Loualaba (من الرمل الخشن الصلب والكوارتزيت) وبجانب ذلك توجد تكوينات لوبيلاش Lobzi-lache (من الرمل الناعم غير الصلب) .

ثم نجد بعد ذلك تكوينات الزمن الثاني والثالث على شكل شريط ضيق قرب الساحل . أما في مركز المنخفض فتوجد رواسب فيضية قديمة (تكوينات بوصيرا) وأخيراً تكونت إرسابات فيضية حديثة بحذاء نهر الكونغو الأصلي في المنطقة التي يمر فيها عبر المنخفض . أما بالنسبة للانكسارات والتكوينات البركانية الحديثة فلا

توجد إلا في أقصى الشمال الغربي من المنطقة (منطقة الكرون) وفي أقصى الشرق [الفرع الغربي من الأخدود] (١) .

(انظر الخريطة الجيولوجية)

التكوين الجيولوجي لإفريقيا الاستوائية - مقياس ١:٥٠٠,٠٠٠



(١) تكوينات أركية قديمة - (٢) تكوينات بركانية حديثة - (٣) تكوينات كونغوليتية ولواندا - (٤) تكوينات لوبديس - (٥) تكوينات الزمبي الثاني والثالث على الساحل - (٦) تكوينات فيضية قديمة - (٧) تكوينات فيضية حديثة - (٨) خطوط انكسار

وقد كان لهذا التكوين الجيولوجي أثره على الثروة الاقتصادية الموجودة في المنطقة . إلا ان الثروة المعدنية التي تشمل الذهب ، القصدير ، الكوبالت الماس ، فضلا عن النحاس في حوض الكونغو ترتبط أساساً بوجود الصخور القديمة التي تحولت إلى ظهور مستديرة outcrop of ancient rocks بفعل عوامل التعرية والتي تكونت في الزمن الأركي والقديم (الأعلى) والتي تحيط بالمنخفض الاستوائي ،

(١) Geog. Universelle. op. cit. P. 7, 8 + Jacques Denis, Pierre Vennetier et Jules Vilmet = L' Afrique Centrale et orientale Paris 1971 P.P. 18-33.

العظيم في اقليم الكونغو حيث تغطي النواة الأصلية رواسب أكثر حداثة نسبياً كما ذكرنا وترتبط رواسب النحاس أساساً في منطقة كاتنجا بصخور الدولوميت Dolomitic Rocks التي تكونت في الزمن الجيولوجي القديم (الأعلى) والتي تعرف بمجموعات كامبو في Kambove Series وبالإضافة إلى ذلك بدأ التوسع بعد الحرب العالمية الثانية في إنتاج اليورانيوم من هذه التكوينات بما له من قيمة إستراتيجية عظيمة (١) .

أما في التكوينات الصخرية الحديثة فقد اكتشف البترول والغاز الطبيعي كما هو الحال في كل من جابون وأنجولا في المناطق القريبة من الساحل . كذلك كان لوجود الصخور البركانية الحديثة أثرها في منطقة الكمرون حيث كونت تربة بركانية خصبة للزراعة في نفس الوقت منطقة مرتفعة عدلت المناخ الحار الرطب الموجود في البيئة الاستوائية إلى مناخ معتدل الحرارة يساعد على الاستيطان والعمل .

ثانياً - التضاريس

نتيجة للاحداث الجيولوجية سالفة الذكر والتي حدثت في منطقة أفريقيا الاستوائية أصبحت صورة التضاريس فيها تتكون على الوجه التالي :

- ١ - في وسط المنطقة منخفض حوضي تغطي طبقات من الارسابات الحديثة .
- ٢ - على حواف هذا الحوض منطقة مرتفعات عبارة عن هضاب ، تنقطع في بعض الأماكن وتبدو فيها بعض الاحواض الصغرى .

في هذا الحوض المنخفض يجري نهر الكونغو ووافده ، من الشمال الأوبانجي سانجا Sanga من الجنوب لومي Lomami كاساي .

وكما اشرنا يحيط بهذا الحوض إطار خارجي من المرتفعات وبالتالي فان النهر لا يستطيع أن يجد له مخرجاً إلا عند بحيرة ستانلي (٢) .

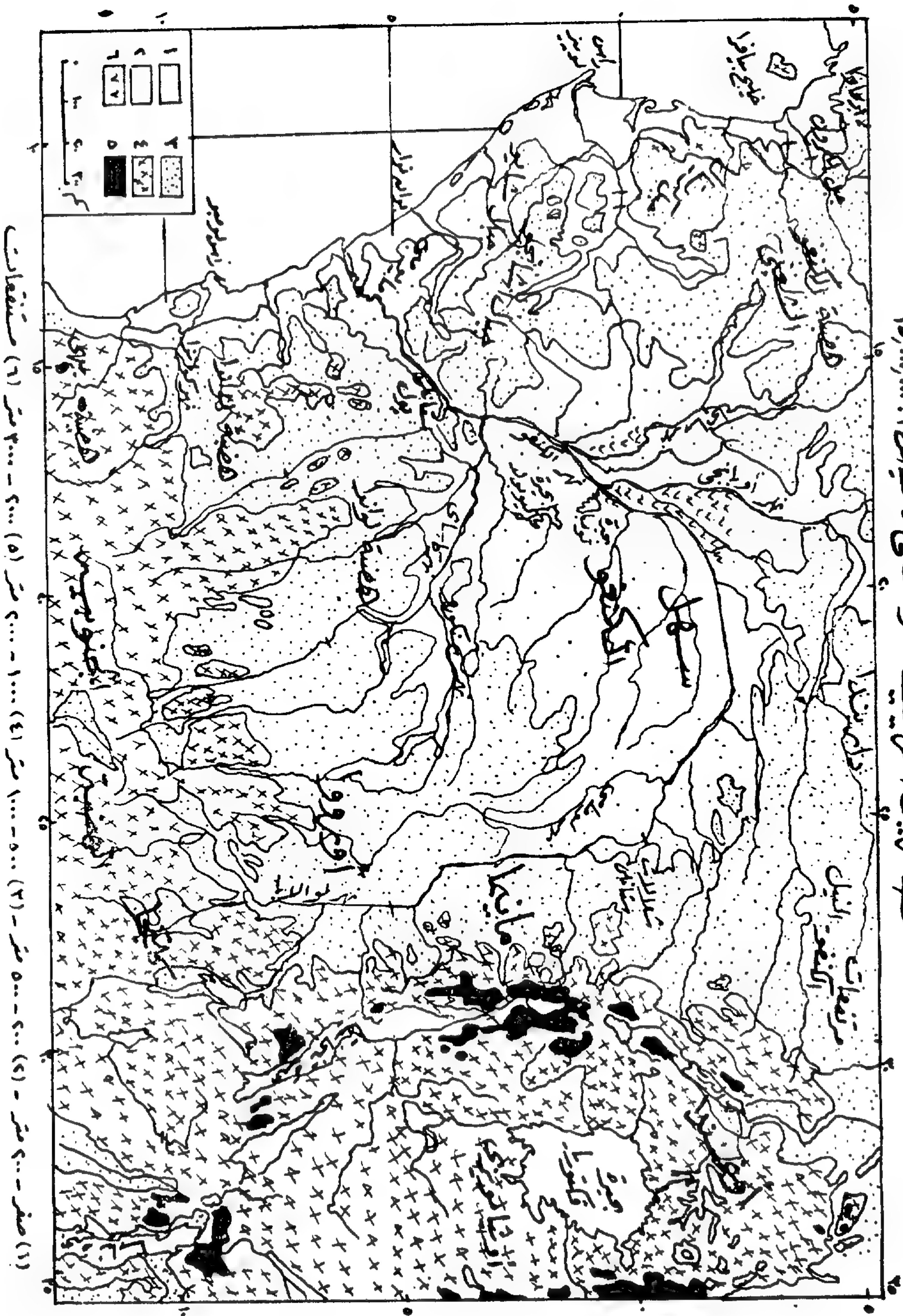
ويعتبر الملمح الاقليمي السائد في جميع أنحاء هذه المنخفض الواسع هو تواتر

Fitzgerald. op. cit. P. 286.

(١)

Goeg. Universelle. P. 6.

(٢)



الأنهار الروافد الكبرى التي تبدو على شكل مروحة تنشر تجاه الغرب قبل أن تنضم في مخرج واحد يعبر الخائق الضيق خلال حافة الهضبة . من مركز الحوض الذي لا ينخفض الارتفاع فيه عن ١٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر يوجد تزايد غير منتظم في الارتفاع في كل اتجاه وتبدو جوانب المنخفض كما لو كانت مدرجا شاسع الإتساع .

ويبدو التناقض واضحا بين هذا الحوض المنخفض الأوسط وحافة الهضبة- التي لا تقطع إلا حيث يعبر نهر الكنغو جبال كريستال- بسبب الاختلاف أو عدم التناظر الجيولوجي Geolog ical dissimilarity ، فكما أشرنا كانت افريقيا الوسطى خلال الفترة الممتدة من العصر البرمي حتى العصر الترياسي أقرب إلى القطب الجنوبي ومن ثم فإنها كانت مغطاة بالجليد بصفة كلية Entirely glaciated وقد تركت غطاءات الجليد أثناء هذه الفترة عند تقهقرها مواد كثيرة من الركامات الجليدية morainic material هي التي تبدو الآن على شكل حصي وحصباء وتكوينات الحجر الجيري بالإضافة إلى التكوينات التي ذكرناها والتي يطلق عليها تكوينات « كوندلنغو » ومن ناحية أخرى فإنه خلال العصر الجوراسي تكونت رواسب على نطاق واسع عندما كان يغطي منطقة افريقيا الوسطى بحر داخلي ضحل وقد أدى إلى ما يعرف بتكوينات لوبيلاشي . وقد بدأ هذا البحر الداخلي ينصرف بالتدريج عن طريق نهر الكنغو الناشئ في ذلك الوقت حتى أنه لم يعد يتبق من هذا البحر القديم الآن سوى بحيرتي لوبولد الثاني ، تومبا . وأكثر الارسابات حداثة في الكنغو الأوسط هي تكوينات بوسيرا الطمية التي تقدم أعظم التربات خصوبة وتنمو عليها أغني الغابات في افريقيا الوسطى هذا فضلا عن الارسابات الطمية الحديثة جداً والتي تحف بنهر الكنغو في مركز المنخفض كما أشرنا (١) .

ومن هذا نرى أن هناك إختلافاً واضحاً في التضاريس من حيث الشكل (الارتفاع) ومن حيث المضمون (نوع التكوينات) بين مركز الحوض والحافات المحيطة به .

وبعد مستوى الحوض المنخفض الذى لا ينخفض عن ١٠٠٠ قدم كما اشرنا يبدأ المدرج الثانى والذى يتراوح ارتفاعه بين ٥٠٠ ، ١٠٠٠ متر ويبدأ هذا المدرج من التقاء نهر كاساي بنهر الكنغو الأصيل حتى المجارى العليا من نهر اويلي Ouelle وهنا نجد ندرة فى الارسابات البحرية وتسود بدلا منها التكوينات الجوراسية .

وفى هذا المستوى نلاحظ أثر التعرية المتمثلة فى المجارى المائية واضحا حيث شقت لنفسها طرقا تجاه مركز الحوض متخطية بذلك المندفعات المائية . ومن هنا نلاحظ أن الخط الذى يهبط عنده كل نهر من الأنهار من كاساي حتى اويلي يمثل الخط الفاصل بين المستوى الأعلى والأدنى من المنخفض وعند هذا الخط تضيق المجارى المائية حتى تكاد تختق تحيط بها المرتفعات بشكل واضح .

وتظل الإرتفاعات فى الازدياد حتى تصل إلى ارتفاع ٢٠٠٠ متر فى الجنوب عند هضبة بيهى Bihê فى أنجولا التى تبعد عن المحيط الاطلنطى بحوالى ٣٠٠ كم ، حتى جبال Mitoumba التى تنتهى عند بحيرة تنجانيقا وتمثل هذه المنطقة المرتفعة خط تقسيم المياه بين نهري الكنغو والزمبزي . أما فى الشرق فان التضاريس اقل انتظاما وذلك يرجع إلى تأثيرها بالاضطرابات الأرضية السابقة التى حدثت فى منطقة شرق افريقيا حيث نجد أن منطقة كاتنجا التى تمثل الجزء الجنوبي الشرقى من الهضاب تتكون من نطاقين : —

١ — الأكثر شمالية والذى يرتبط بالمدرج العلوى من الحوض الكنغولى وهى منطقة عملت فيها عوامل التعرية وحولتها إلى سهل تحاى Pênêplaine .

٢ — المنطقة الجنوبية حيث تجد آثار الالتواءات التى حدثت فى العصر الترياسى وهنا تبدو المنخفضات والمندفعات المائية بشكل واضح .

وإلى الغرب من الحوض الكنغولى توجد منطقة مرتفعات تجاور المحيط الأطلنطى وتمتد من مرتفعات الكمرون وهضبة ادماوا فى الشمال إلى هضبة انجولا فى الجنوب ولا تنقطع هذه الحافة إلا عند ما يجتاز هذا النهر العظيم هذه الحافة الهضبية القديمة وإلى الشمال من مخرج الكنغو يوجد نهر أجوى ، كامبو Campo اللذين ينبعان من

هذه الحافة المرتفعة عبر غنيا الاستوائية (الاسبانية سابقا) كما يقطع هذه الحافة الهضبة أيضا نهر الفنلو Livindo من الشمال إلى الجنوب وهو رافد لنهر أوجوى .

اما في الجنوب فلا نجد إلا انخفاضا جنوبيا شرقيا في الجزء الشمالى من كاتنجا اما في الشمال الغربى من الحوض فتوجد وديان نهر سنجا وأعلى نهر أوجوى . بين الحافة الهضبية الساحلية التى تقارب النى متر ارتفاعا ، والمحيط الاطلنطى يوجد سهل ساحلى ضيق يمتد من خليج بيافرا شمالا حتى رأس Lombo ومخرج نهر كوانزا جنوبا والذي يعتبر الحد الفاصل بين افريقيا الاستوائية افريقيا الجنوبية . ويضيق هذا السهل الساحلى في الشمال والجنوب بحيث يصل إلى مائة كم فقط . اما في الجزء الاوسط فانه يصل حوالى ٣٠٠ كم . يجاور الساحل تيار بنجويلا البارد الذى يلطف من درجة الحرارة حتى راس لوبير^(١) .

اما عن ساحل افريقيا الاستوائية المطل على المحيط الاطلنطى فهو ساحل بسيط حيث يجاوره في المنطقة الممتدة من راس لومبو في الجنوب حتى مرتفعات الكمرون في الشمال سهل ساحلى . وفي هذه المنطقة لا ينخفض السطح عن ٥٠ متراً إرتفاعاً ثم ينخفض تدريجياً إلى قاع المحيط ولا يزيد عمق الرصيف القارى عن ١٠٠ متر في الخمسة وخمسين كيلو متر التى تجاور الساحل . ونلاحظ أن مصب نهر الكنغو في هذه المنطقة عبارة عن مصب خليجى غائر في المحيط الاطلنطى . وترسب الارسابات التى يحملها النهر في المنطقة الممتدة من راس لوبير شمالا حتى مصب النهر جنوبا وذلك نتيجة لحركة التيارات البحرية . وخلف هذا الساحل توجد مجموعة من البحيرات الساحلية ، ولكن المنطقة التى تقع إلى الشمال مباشرة من مصب النهر في الكنغو الشعبى (برازا) إلى الشمال من كابندا البرتغالية توجد منطقة صالحة لاقامة الموانى مثل بوان نوار ، لوانجو Loango في الكنغو الشعبى . اما الساحل إلى الجنوب من مصب نهر الكنغو فانه شبيه بالساحل شماله حيث يحمل تيار بنجويلا - رواسب نهر كوانزا متجها نحو الشمال ويرسب معظمها عند راس لومبو التى تشابه في هذا الصدد رأس لوبير . وأفضل الاماكن لاقامة الموانى تلك التى تقع إلى الشمال

1 Geog. Universelle of cit. pp. 6-12.

(١)

من دلتا كوانزا في خليج بنجو Bengo ونلاحظ ان هذا الساحل من كوانزا حتى راس لوبيز ليس من السهل الإقامة به أو انشاء الموانى الطبيعية به إلا في أماكن محدودة أهمها عند مصب نهر الكنفو لكن سوف نرى فيما بعد أنه في داخل هذا النهر لا تستطيع السفن أن تتوغل بعيداً في مجرى النهر . هذا في حين أننا نجد العكس في المنطقة الممتدة من راس لوبيز حتى خليج دوالا حيث أنها لا تتعرض لارسابات طمئية نتيجة لاتجاه الساحل إتجاهاً شمالياً جنوبياً ومن أهم الأماكن لانشاء الموانى الطبيعية خليجى بيافرا ودوالا .

ومن الواضح أن ظروف الساحل هذه تؤثر تأثيراً واضحاً على النواحي الاقتصادية الخاصة بالمنطقة سواء من ناحية انشاء الموانى الطبيعية أو الثروة السمكية أو الاستغلال الإقتصادي الزراعى التعدينى حيث نجد أن ضيق السهل الساحلى يقلل إلى حد كبير من فرص الزراعة ولكن من ناحية أخرى نرى أن التكوينات الساحلية أدت إلى وجود التكوينات الحالية للبترول في كل من جابون وأنجولا (١) .

ثالثاً - التربة

سبق ان اشرنا إلى لمحات من صفات التربة في افريقيا الاستوائية عند دراستنا للبنية والتضاريس إلا أنها في الواقع نتاج للتكوين الصخرى وتفاعله مع الظروف المناخية والنباتية السائدة في اى منطقة كما ان النبات في نفس الوقت نتاج لنوع التربة وظروف المناخ . ويلاحظ على التربة في هذه المنطقة الاستوائية من افريقيا أنه رغم تجانسها وتشابهها إلا انه توجد بعض الاختلافات في طبيعتها La nature de sols وذلك يرجع إلى اختلاف التكوين الصخرى داخل المنطقة والذي سبق أن اشرنا إليه ، كما يرجع كذلك إلى اختلاف شكل السطح من حيث الارتفاع والانخفاض وكذلك بسبب غزارة الأمطار في بعض الأجزاء وإنخفاضها في أجزاء أخرى داخل المنطقة نفسها .

اما بالنسبة للتربة التحتية *Sous-Sols* فانها مغطاة بطبقة شميكة من الإرسابات سواء تلك التي جلبتها المحارى المائية أو تلك التي ترسبت في قيعان البحيرات القديمة .

ونلاحظ بصفة عامة أن الطبقة السطحية من التربة قد تحلت على نطاق واسع نتيجة للظروف الجوية السائدة من ارتفاع درجة الحرارة طول العام وارتفاع الرطوبة ايضا طول العام . لكن رغم ذلك فأنا نجد في هذه الطبقات السطحية تربات خصبة خصوصاً في المناطق المنخفضة التي تتمثل في مركز المنخفض الكنفولى (تكوينات بوسيرا) بالإضافة إلى الوديان النهرية خصوصاً الوادى الأوسط لنهر الكنفو والوادى الأدنى لنهر الأوبانجى حيث توجد الإرسابات الحديثة (١) .

ورغم سيادة الغنى النباتى الغابى وغيره في هذه المنطقة وكذلك ارتفاع درجة الحرارة والرطوبة فانه لا توجد طبقة غنية من المواد العضوية *Humus fertile* فوق التكوينات الرسوبية كما يحدث في المناطق المعتدلة وذلك يرجع كما أشرنا إلى التحلل المستمر نتيجة لغزارة الامطار طول العام وارتفاع درجة الحرارة من ناحية أخرى فان هذه الإرسابات الطميية تنمو فوقها غابات كثيفة من الصعب ازالتها وقيام الزراعة محلها .

أما على الحواف الخارجية للحوض فان الغابات لا توجد إلا في أماكن محدودة وإنما تنمو هنا السفانا ، كما يحدث في المناطق المدارية فانه يوجد فصل جاف آخر ممطر ، وفي خلال الفصل الجاف تتم عملية تجفيف الرطوبة من الطبقة السطحية من التربة *déshydratation* نتيجة لعملية التحلل والتفاعل بين مياه الأمطار والصخور خلال الفصل الممطر وعملية التجفيف خلال الفصل الجاف يغلب أو كسيد الحديد على التكوين السطحى للتربة وبالتالي يعطى لها اللون الأحمر (القرميدى) الذى خلطه المكتشفين الأوائل عندما وطئت اقدامهم هذه الاماكن لأول مرة . ولا يقتصر فقر التربة على السطح الخارجى فقط ولكن أيضا يمتد إلى الداخل حيث لا نجد إلا أكسيد الألمنيوم والحديد . وبذلك يطلق على هذه التربة في مناطق الحافات التي تحيط بالمنخفض الكنفولى اسم تربة اللاتريت التي تعنى باليونانية الطوب الأحمر .

1 — Geog. Univ. op. cit P. 12.

ومن ناحية أخرى فإن إرتفاع الحرارة أثناء النهار يؤدي إلى تمدد الصخور وتنفخها النسبي أثناء الليل يؤدي إلى إنكماشها وبالتالي تبدو ظاهرة تقشر الصخور واضحة exfoliation الأمر الذي يساعد عوامل التعرية على أن تمارس أقصى تأثير لها لازالة هذه الطبقة الخارجية ومن هنا تأتي مشكلة جرف التربة Soil erosion في المناطق الاستوائية والمدارية (١) .

ولكن رغم فقر التربة الخارجية فإن الصخور الداخلية Sous-sols تحوى ثروة معدنية كبيرة مثل الذهب والفحم واليورانيوم في الهضبة الجنوبية والبتروول في التكوينات الساحلية ، كذلك يوجد النحاس في التكوينات الهضبية الهرسينية في مرتفعات ما يومبي ، والكنغو الشعبي ولوندا ، ولواندا وفي إقليم نياري كويلو Niari-Kouilou وخصوصاً في كاتنجا وهنا يوجد بكثرة وقد كان هذا المعدن يستغل في مرتفعات كاتنجا الوسطى من جانب الوطنيين قبل أن تطأ أقدام أى أوربي أرض إفريقيا الوسطى ويكون هذا الخام في المنطقة الممتدة بين نهري لوفيرا ، لوالابا تجاه الغرب منطقة من أغنى مناطق العالم في النحاس . كذلك يوجد بكاتنجا القصدير والماس والحديد كما هو الحال في تكوينات الهضبة الجنوبية من إفريقيا .

ولقد كان لهذه الثروة المعدنية أثرها في التطور التاريخي والسياسي في حوض الكونغو لأنها كانت بمثابة الضوء الذي جذب إليه المستعمرين الأجانب (٢) .

ومن الواضح أنه ينبغي الاهتمام بدراسة التربة في إفريقيا والمحافظة عليها إلا أنه وفق ما يقرر ورثنجتون Worthington (يمكن أن ينظر إلى التربة كنقطة إرتكاز fulcrum تتوازن عليها كل إيكولوجيا الأرض Land ecology البيئة الطبيعية من جانب ، والبيئة البيولوجية من جانب آخر) ومع ذلك وبالرغم من عيوب التربة في إفريقيا إلا أنها مازالت تعد أثنى مواردها الطبيعية (٣) .

Geog. Univ. op. cit. p. 14.

(١)

— Geog. universelle Ibid p. 15.

(٢)

— Hance, W. : The geography of modern Africa; Columbia University Press (٣)
New York 1965 p. 16

رابعاً - المناخ

العامل المؤثر الرئيسى فى المناخ فى إفريقيا الإستوائية هو الموقع الجغرافى حول خط الاستواء حيث يلاحظ أن إفريقيا الإستوائية ينصفها خط الاستواء إلى حد كبير . كذلك ينبغى أن نلاحظ هنا أن هناك اختلافا بين خط الاستواء الحرارى Thermique وخط الاستواء الرياضى أو الفلكى Mathématique إذ أن خط الاستواء الحرارى يقع إلى الشمال قليلا من خط الاستواء الفلكى فى هذه المنطقة نتيجة لاتساع اليابس فى الجزء الشمالى من القارة وضالته نسبيا فى الجزء الجنوبى .

وفى هذه المنطقة تسود الظروف المناخية الاستوائية حيث توجد قمتان للأمطار وقت تعامد الشمس على خط الاستواء وفى هاتين الفترتين يسود مايسمى لدى الفرنسيين بحلقة السحاب Anneau de nuages وتعرف لدى الإنجليز بنفس الاسم Cloud ring أو كما يقول البحارة الفرنسيون بأنها Pot au noir ويقصد بها منطقة سحاب كثيف يخشاها الملاحون حيث تبدو السماء مليدة بالغيوم باستمرار . أما فى الفصلين الآخرين حيث تقل الأمطار نوعا فان السماء تبدو صافية .

كذلك نجد أن ارتفاع السطح فى اجزاء من هذه المنطقة يؤثر فى المناخ خصوصاً فى الجهة الشرقية ابتداء من جبل ميتومبا Mitoumba حتى مرتفعات رواندا وروينزورى وكذلك فى الغرب حيث يفصل حوض الكونغو عن المحيط الاطلنطى مرتفعات واضحة . وتبدو تأثيرات التضاريس واضحة فى الجزء الشمالى من الإقليم الساحلى حتى خليج غينيا وخليج دوالا ، ومن ثم فان الامطار هنا أكثر غزارة نتيجة لهبوب الرياح المحيطية الجنوبية الغربية التى غيرت إتجاهها بعد مرورها على خط الاستواء واصطدامها بهذه المرتفعات .

وبجانب العاملين السابقين يوجد تيار بنجويلا البارد الذى يتقدم من الجنوب إلى الشمال وهو فى تقدمه هذا له تأثيران :

الأول : تلطيف الحرارة على الساحل .

الثانى : قلة الأمطار خصوصاً فى المناطق الجنوبية الغربية من القارة حيث تتكون الصحراء وذلك لأن مياه التيار تميل إلى الدفء كلما اقتربت من خط الاستواء . (١)

1— Geog. Univesrelle. Op cit. p. 16

هذا من حيث العوامل التي تؤثر في الميكانيزم المناخي *mechanisme climatique* أما بالنسبة لعناصر المناخ وأهمها الحرارة والأمطار . فالتنا نلاحظ أن الحرارة في هذه المنطقة تتأثر بالتضاريس وتيار بنجويلا كما أشرنا حيث تجدها منخفضة على الساحل في جنوب المنطقة في حين أنها تصل في بنانا على مصب نهر الكونغو إلى ٥٦° مئوية وفي داخل حوض الكونغو تصل ٢٧ - ٢٨° مئوية فقط وذلك يرجع أساساً إلى الاختلاف في مستوى الارتفاع . أما إلى الشمال من الحوض قليلاً حيث خط الاستواء الحراري فإن الحرارة ترتفع إلى ٣٠° مئوية أما في المرتفعات فإن الحرارة تنخفض حيث تصل في كاتنجا إلى ٢٣° م فقط .

أما بالنسبة للمدى الحراري السنوي فإنه ضئيل إلى حد كبير حيث أن الحرارة متقاربة طيلة شهور السنة ، ولكن يبدو المدى الحراري اليومي واضحاً إلى حد ما خاصة في المناطق الداخلية المرتفعة حيث يصل المدى اليومي فيها إلى ٩ درجات مئوية كما هو الحال في لولوا بورج *Loulouaborg* (على ارتفاع ٢٦٠ متراً) أما في المناطق الساحلية فإن المدى اليومي يتراوح بين ٣ ، ٤ م فقط . وبالطبع فإن المدى الحراري اليومي والسنوي يصبح ملحوظاً كلما ابتعدنا عن خط الاستواء شمالاً وجنوباً .

ولهذه الحرارة المرتفعة طيلة العام تأثيراتها الاقتصادية من حيث زراعة المحاصيل الملائمة لها وكذلك على النواحي البشرية والتاريخية والسياسية خصوصاً في موضوع صعوبة استيطان الأوربيين في هذه المناطق نتيجة لارتفاع الحرارة وارتفاع نسبة الرطوبة .

وإذا كانت الحرارة المرتفعة في هذه المنطقة شيئاً عادياً فإن الأمطار من العوامل التي تدرس بعناية حتى داخل المنطقة الاستوائية لأنها تختلف من مكان إلى آخر تبعاً للاختلافات الموضعية الخاصة بكل مكان .

ويلاحظ على خريطة توزيع الأمطار أن المياه التي تسقط على هذه المنطقة كافية طول العام ولكنها تختلف في الكمية من منطقة إلى أخرى حيث نجد أنها تصل إلى متر ونصف في معظم أنحاء المنطقة في المتوسط ولكنها تزيد عن ذلك وتصل إلى مترين

في المناطق المرتفعة في الجزء الشمالي الغربي من هذا النطاق الاستوائي من رأس لويز
حتى خليج بيافرا والكرون . أما في الهضاب الجنوبية من المنطقة فان متوسط الأمطار
لا يزيد عن ١ - ١,٥ متر ابتداء من هضبة جنوب الكونغو حتى روينزوري ، وفي
نفس الوقت نجد أن النطاق الساحلي الجنوبي شبه جاف حيث لا تزيد الأمطار سنوياً
عن ٥٠٠ ملمتر فقط وتصل في الداخل إلى ٥٠٠ - ١٠٠٠ ملمتر إلى أن تصل إلى ١,٥ متر
في هضبة لواندا (١) .

ويفسر هذه الاختلافات موقع كل منطقة بالنسبة لخط الاستواء وبالنسبة
للمحيطين الاطلنطي والهندي وكذلك توزيع الضغط والرياح وإرتفاع السطح
والمسطحات المائية وبالتالي تتم عملية التبخر ثم تسقط الأمطار يوميا في فترة مابعد
الظهيرة ثم تصفو السماء قبل غروب الشمس وتقل درجة الحرارة ليلا ثم تعاود الكرة
في اليوم التالي طيلة أيام السنة وترداد هذه الامطار كما ذكرنا آنفا وقت تعامد
الشمس على هذه المنطقة في فصلي الربيع والخريف . وقد انعكس هذا على الحياة
البشرية خصوصاً بالنسبة للأوربيين كما تصفه الـ Geog. Univ. أفضل وصف بالآتي :

C'est cette continuité des pluies, beaucoup plus que leur quantité qui rend
le climat si pénible à l'Européen : l'Homme vit dans une humidité permanente,
dans la vapeur ou sous la pluie, sauf la nuit, où le rafraichissement subit de
la température sous un ciel clair peut être autrement mais également domma-
geable à sa santé (1)

أما في المرتفعات الشمالية والشرقية والجنوبية فان الأمطار أقل في الكمية وفي
المدة معا ، حيث تتركز الأمطار بصفة فصلية على فترة تعامد الشمس على كل من
هذه المناطق ، فمثلا في الاجزاء الشرقية نجد الظروف المناخية تختلف عن تلك
السائدة في منخفض الكونغو رغم وقوع هذه الأجزاء داخل النطاق الاستوائي كما
هو الحال بالنسبة للمنخفض ولكن الأجزاء الشرقية تخضع لتأثيرات المحيط الهندي خصوصاً
وأنها مرتفعة وبالتالي تسقط عليها أمطار تضاريسية ولكن نظراً لأن نسبة التبخر هنا

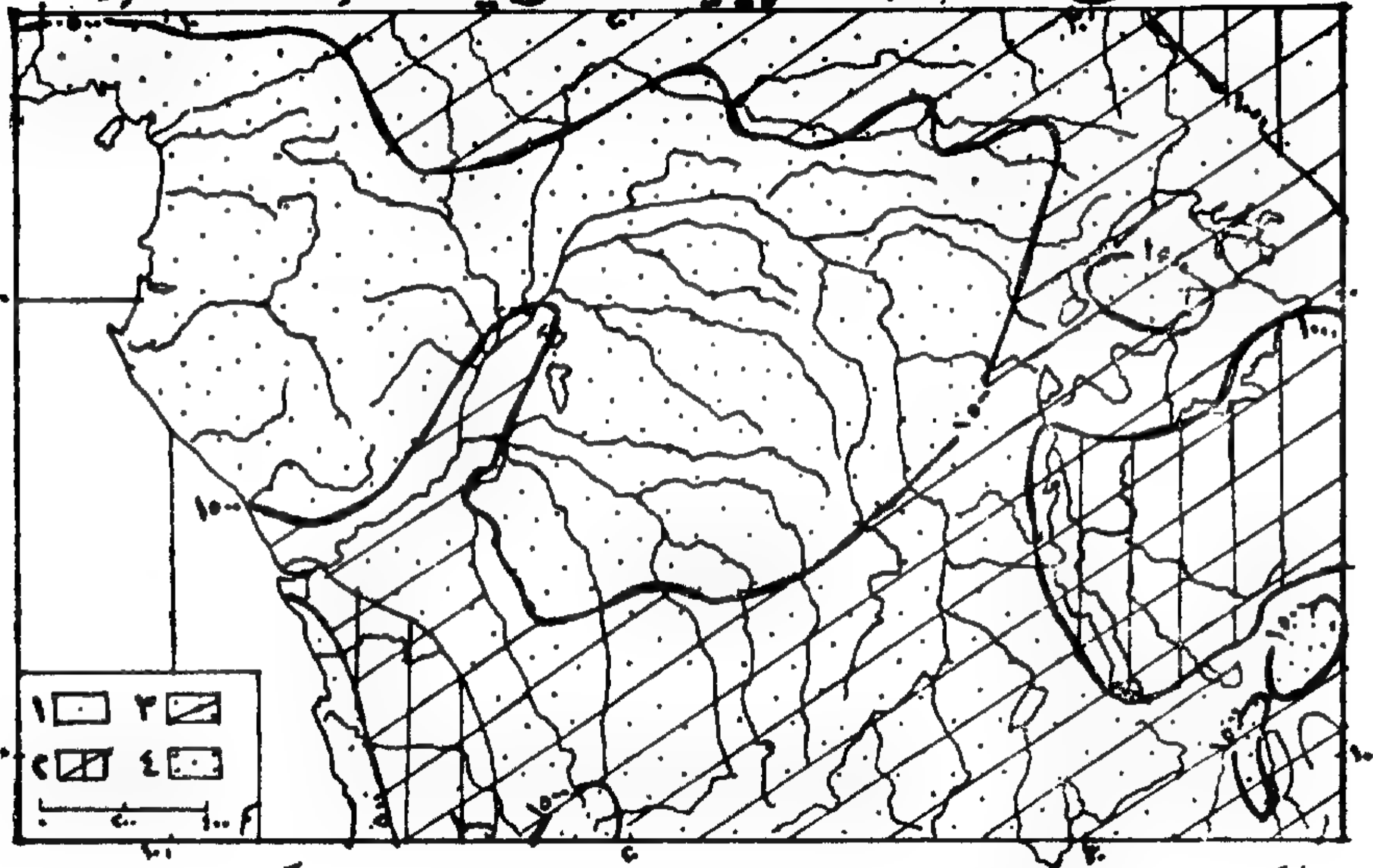
(١) 1-Geog. Univ. Op.cit. p. 18 + L'Afrique centrale et orientale Op.cit pp. 44-55.

(أنظر خريطة توزيع الأمطار) .

1-Geog. Univ. op.cit. p. 20

(٢)

توزيع الأمطار في أفريقيا الاستوائية مقياس ١:٥٠٠,٠٠٠



(١) أقل من ٥٠٠ ملم - (٢) ٥٠٠ - ١٠٠٠ ملم - (٣) ١٠٠٠ - ١٥٠٠ ملم - (٤) أكثر من ١٥٠٠ ملم

أعلى من تلك الموجودة في المنخفض الكونغولي بسبب نوع الغطاء النباتي السائد وهو السفانا والاستبس وبسبب عدم وجود المجاري والمسطحات المائية التي تعتبر خزانات مائية بعكس الحال في المنخفض المجاور . نتيجة لذلك تقل الأمطار هنا عن المنخفض الكونغولي سواء في الكمية أو في الانتظام . كذلك نجد في شمال حوض الكونغو فصلا جافا من ديسمبر إلى فبراير . أما في كاتنجا - في جنوب المنخفض - فلا تسقط أمطار بصفة كلية خلال شهور يونيو، يوليو، أغسطس . وبناء على ما سبق نجد أن المنطقة الاستوائية الداخلية لها نوعان من الأمطار : الأول : منخفض الكونغو ، الثاني الهضاب الداخلية . كذلك نجد أن - النطاق الساحلي له نوعان أيضا :

الأول : إلى الشمال والغرب حيث تغزر الأمطار بدرجة تفوق النطاق الاستوائي في منخفض الكونغو ذاته وهنا نجد أيضا قمتين للأمطار نتيجة لهبوب الرياح الجنوبية الغربية المحيطية ، ولكن في نفس الوقت يؤدي وجود فصلين تقل فيهما الأمطار إلى تحسين الموقف كثيراً عن النطاق الاستوائي الكونغولي .

الثاني : إلى الجنوب من رأس لويز حيث يوجد التيار البارد وبالتالي فان الرياح الغربية لا تسقط ما بها من بخار ماء على اليابس بعد مرورها على هذا التيار

وإنخفاض درجة الحرارة بها ، وتعتبر هذه المنطقة منطقة شاذة في إفريقيا الاستوائية نتيجة لقلة الأمطار وإنخفاض الحرارة^(١) .

ويمكن أن نخرج من العرض السريع السابق للظروف المناخية في المنطقة الاستوائية إلى أن المناخ هنا يتحدد بنسبة الرطوبة ، وفي هذه المنطقة التي تزيد مساحتها عن سبعة أمثال مساحة دولة كفرنسا يمكن أن نجد خمس درجات من المناخ هي : -

١ - المناخ الكونغولي : Climat Congolais ويضم منخفض الكونغو كله ويتصف بالرطوبة الدائمة وقمتين للأمطار في الربيع والخريف والحرارة المرتفعة طوال العام .

٢ - مناخ أوبانجي : Climat oulbandie في المرتفعات التي تفصل بين حوض الكونغو وأعلى حوض النيل وهنا نجد فصلا رطبا - الصيف - وآخر يسوده الجفاف - الشتاء - ورغم ذلك نجد تأثير موقعه بالقرب من خط الاستواء الحراري واضح حيث الحرارة مرتفعة طول العام رغم إرتفاع السطح ، كما أن فصل الجفاف به أمطار أيضا نتيجة للتأثيرات الاستوائية .

ومن ثم فانه يطلق عليه اسم مناخ دون استوائي أو شبه استوائي Subequatoriale أكثر أن يكون مناخا مداريا .

٣ - المناخ الكاتنجي : Climat Katanguien وهو مناخ مداري حقيقى ويمتد من هضبة لواندا عبر كاتنجا حتى المرتفعات التي تحيط ببحيرة تنجانيقا من الغرب . ونظراً لأن هذه المنطقة أكثر بعدا عن خط الاستواء الحراري فان الحرارة بها منخفضة نوعا ومحتملة ويوجد فصل لطيف بين يونيو وأغسطس حيث تصل الحرارة في الزابث فيل (لوبومباشي الآن Lubumbashi) ١٦ مئوية فقط في خلال شهر يوليو ، أما في شهر أكتوبر (شهر الحرارة) فأنها تصل إلى ٢٤ م . كذلك يوجد هنا فصل جاف بشكل واضح كما أشرنا . وهذا المناخ هو الذى يحتمله الأوربيون في منطقة الكونغو كلها . ومما ساعد على ذلك وجود ثروة معدنية متنوعة وغنية في هذه المناطق المعتدلة .

Geog.Univ op. cit. 21-22 + Fitzgerald. op. cit. 293.

(١)

٤ - المناخ الجابوني : Climat Gabonai ويقع إلى الشمال والغرب من حوض الكونغو ، ويؤدي الموقع الاستوائي إلى الحرارة المرتفعة الدائمة والأمطار الوفيرة لكنه يختلف عن نظام الحوض الكونغولي في وجود فصلين وشبه جافين وفي بعض الأماكن يصبحان جافين تماما .

٥ - المناخ البنجويلى : Climat benguelien ويقع في جنوب غرب المنطقة الاستوائية - وقد سُمي بهذا الاسم نظراً لسيادة تأثير تيار بنجويلا البارد الذي يؤدي إلى انخفاض درجة الحرارة وسيادة الجفاف النسبي (١) .

ومن العرض السابق يتضح أن المناخ الكاتنجي هو أكثر أنواع المناخ في أفريقيا الاستوائية ملاءمة للاستقرار البشري يضاف إلى ذلك كما سبق أن أشرنا وجود ثروة اقتصادية غنية . أما أقلها ملاءمة فهو منخفض الكونغو حيث الحرارة والرطوبة مرتفعة وكذلك النوع البنجويلى حيث الجفاف . أما النوعان الأوبانجي والجابوني فانهما من الأنواع الإنتقالية المتوسطة ، ولكن مما يعوض من صعوبة الظروف المناخية في هذه المناطق الساحلية قربها من المحيط الاطلنطي .

خامساً - نظم المياه والملاحة

يسيطر على حوض الكونغو النهر العظيم الذي عطي اسمه لهذا الحوض ذلك بسبب طول هذا النهر و كمية المياه التي يحملها معه من الداخل إلى المحيط الاطلنطي . ولكن رغم أن المياه التي يحملها نهر الكونغو إلى المحيط الاطلنطي أقل من تلك التي يحملها نهر الامزون إلى نفس المحيط رغم وقوعهما في نطاق استوائي واحد . والسبب في ذلك يرجع إلى موقع كل منهما بالنسبة للقارة التي يوجد بها فالكونغو في غرب القارة الافريقية والامزون في شرق قارة أمريكا الجنوبية الأمر الذي يؤثر على كميات الأمطار الساقطة على كل منهما - ورغم ذلك فإن نهر الكونغو يتصف بظاهرة فريدة وهي أن فيضانه دائم طول العام بعكس أنهار أخرى مثل النيل والنيجر اللذان يقتصر الفيضان فيها على فصل واحد من السنة وترجع هذه الظاهرة الفريدة إلى موقع حوض الكونغو ذاته حيث أنه يحيط بخط الاستواء وبالتالي فإن الروافد التي تأتي إليه من

Geog. Univ. op. cit. pp. 22-25 + Fitzgerald op. cit. p. 293.

(١)

نصف الكرة الشمالى وأهمها أوبانجى ، سانجا تحمل إليه المياه الوفيرة فى الفترة من مارس إلى نوفمبر يصل ذروته فى المجرى الأدنى للنهر فى شهر إبريل ويستمر كذلك حتى شهر أكتوبر ويبدأ فى التناقص التدريجى حتى ديسمبر . هذا فى حين أن أنهار والابا الوسطى لنهر الكنغو التى أهمها لومامى وكاساي فأنها مياههما تصبح وفيرة فى الفترة بين أكتوبر ومارس ويصل فيضانهما إلى أدنى النهر فى أوائل نوفمبر ويستمر كذلك حتى فبراير ومارس وهنا يبدأ فيضان الروافد الشمالية مرة أخرى وهكذا .. ومن هذا الفيضان الدائم طوال العام استطاع النهر أن يشق طريقه عبر الحافة الهضبية الصلبة والتى تفصل حوضه عن المحيط الاطلنطى .

ونتيجة للظروف التكوينية التى حدثت فى منطقة حوض الكنغو وتكوين ثلاثة مستويات من المرتفعات أن أصبحت معظم روافد نهر الكنغو والنهر نفسه صالحة للملاحة فيما عدا المناطق التى يحدث فيها سقوط المياه من مستوى إلى مستوى آخر أقل . ومن هنا توجد عند مصب النهر سلسلة المندفعات المائية عند المستوى أو المدرج الأول bas Palier عند أدنى النهر (٥٠٠ متر تقريبا) ثم نجد بعد ذلك مندفعات المدرج الثانى عند المستوى العلوى من الحوض haut palier وأخيراً نجد المندفعات المائية على الهضبة sur les plateaux حيث توجد الصخور القديمة الصلبة من الجرانيت والنيس الاركى .

ومن المناطق الهامة الصالحة للملاحة biefs navigables سواء بالنسبة لنهر الكنغو أو روافده الهامة تلك التى توجد فى الجزء الأدنى من النهر حيث ترتبط هذه المسافات ببعضها وتكون شبكة متصلة صالحة للملاحة . وفى أدنى النهر تستطيع السفن حولة ٥٠٠ طن أن تصل إلى هذه المناطق خصوصاً وأن هذه المنطقة من النهر لا تنخفض فيها المياه طول العام كما أشرنا . كذلك نجد أن روافد نهر الكنغو التى توجد سواء فى الشمال أو الجنوب بها مسافات طويلة صالحة للملاحة للسفن لآت خولة ٢٢ - ١٥٠ طن .

ولكن لسوء الحظ توجد عقبة واضحة بين المحيط الاطلنطى وحوض الكنغو يضطر النهر لاجتيازها وبالتالي فانها غير قابلة للملاحة فى المنطقة بين متادى وليوبولدفل (زائير الآن) حيث توجد شلالات لفنجستون . هذا فى حين أن منطقة

المصب الخليجي لنهر الكنفو صالحة للملاحة . كذلك توجد عقبة أمام الملاحة في منطقة ستانلي فيل حيث توجد شلالات ستانلي (كيرنجاني الآن) وعلى نهر لوالابا بعد كيرنجاني نجد شلالات أخرى بعد مسافة ٣١٥ كم صالحة للملاحة ، إذ توجد شلالات شامبو Chambo حتى ميناء انفير Enfer وبعد هذه الشلالات نجد منطقة أخرى صالحة للملاحة من كونجولو حتى بوكاما طولها ٦٤٠ كم إلى أن تقابل أخيراً سقوط المياه من على الهضبة نفسها .

هذا مثال يوضح المراحل الثلاث التي تمر بها الارتفاعات في حوض الكنفو وبلاشك فإن حولة السفن تقل كلما اتجهنا مع الروافد الأصلية للكنفو إلى أعالي مجاريها . ومن المقدر أن مجموع المسافات الصالحة للملاحة في أنهار حوض الكنفو تصل إلى حوالي ١٢ ألف كم . ولكن لا يوجد طريق ملاحي متصل حتى في نهر الكنفو ذاته ، وإنما توجد أربع مسافات قابلة للملاحة تعترضها ثلاث مناطق تسقط فيها المياه مكونة الشلالات .

وبهذا نلاحظ إلى أي مدى يساهم نهر الكنفو وروافده في الملاحة الداخلية والتجارة الداخلية والخارجية ، ولكن يقف أمام هذه التسهيلات من جانب آخر كثافة النباتات الطبيعية وكذلك الحشرات التي تجاور ضفاف الأنهار بصفة خاصة . وبجانب نهر الكنفو وروافده يوجد نهر أوجوي ogooué الذي يعتبر صالحاً للملاحة في مجراه الأدنى حتى يصل إلى جبال كريستال حيث توجد المندفعات المائية . وكذلك الحال بالنسبة للأنهار الساحلية الصغيرة حيث توجد مسافات صالحة للملاحة تعترضها عقبات طبيعية^(١) .

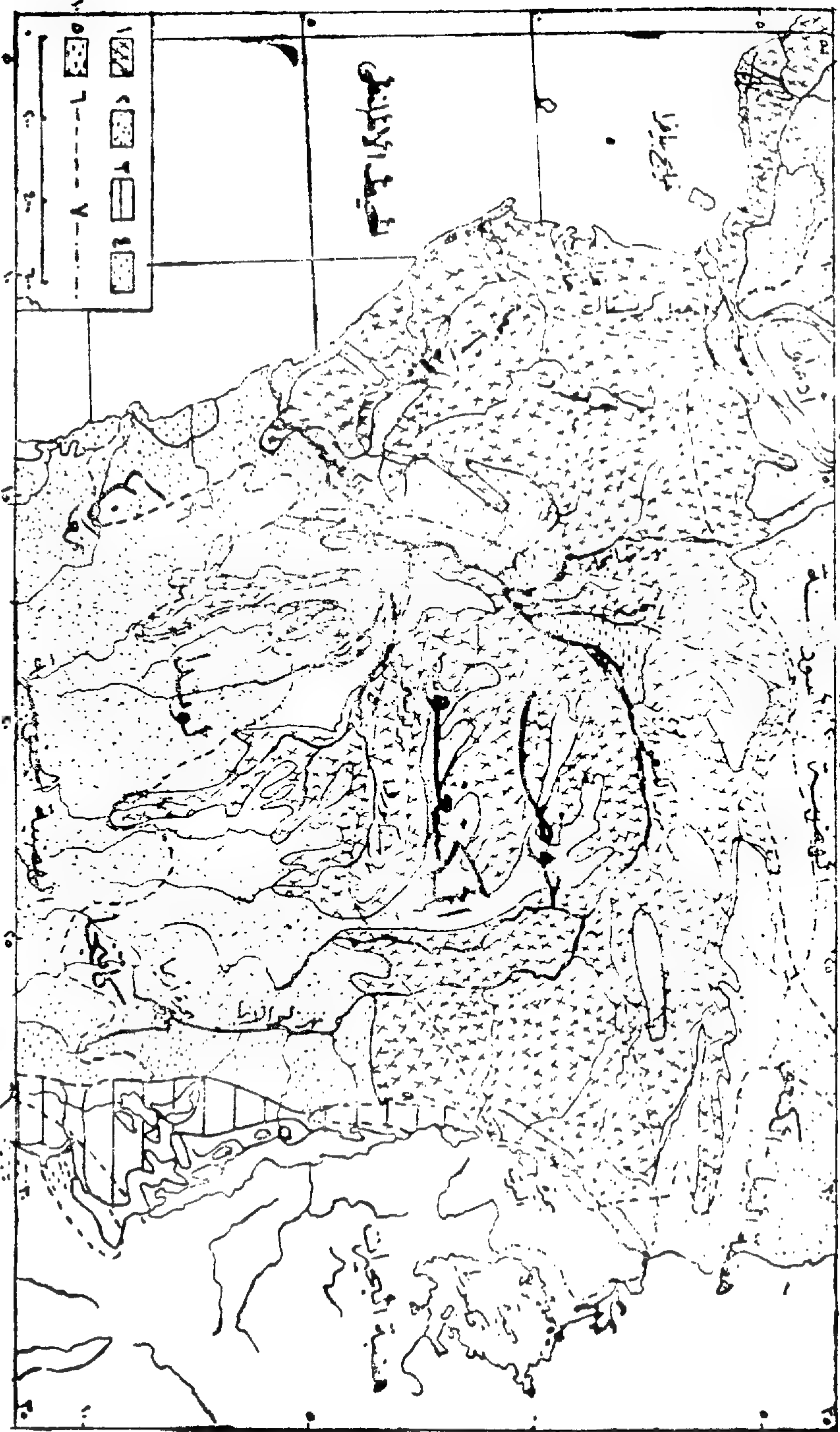
سادساً – الحياة النباتية والحيوانية

تركز العوامل الجغرافية المؤثرة على الأنماط النباتية وأنواع الحيوانات في هذه المنطقة الاستوائية من أفريقيا في عاملين هما الحرارة والضوء بالإضافة إلى عامل

(١) L'Afrique Geog. Univ. op. cit. pp.26- 29 + Fitzgerald, op. cit. pp. 265-297.

Centrale et Orientale op. cit. pp: 34-44.

النبات الطبيعى في افريقيا الوسطى، قياس 1:1 مليون



(١) غابات بكمر - (٢) سفانا بستانية على الرخايب - (٣) استبس مع أرغال - (٤) استبس فقير - (٥) نباتات مستنقعات - (٦) حدود استاذ قبيل الشريفة
(٧) حدود المناطق الطبية لدراسة النباتات الطبية

الرطوبة ، حيث نجد أن الرطوبة والحرارة يساعدان على نمو غابات كثيفة الامر الذي يمنع الضوء من الوصول إلى أرضية هذه الغابات : هذا في حين أن الرطوبة تقل كلما بعدنا عن خط الاستواء : وبالتالي تقل كثافة النباتات . وكلما ابتعدنا أكثر كلما وجدنا نباتات الحشائش (السفانا) أما في المناطق المنخفضة فتوجد نباتات المستنقعات وهي مناطق ضئيلة إلى حد كبير : وبناء على ذلك فان توزيع أنماط النبات في هذه المنطقة ما هو إلا إنعكاس للدرجة الرطوبة قبل أى شىء آخر *Fonction du degré d'humidité* وفيما يلي توزيع هذه الأنماط .

١ - الغابات البكر : *La forêt Vierge*

وهي غابات كثيفة تتركز في منطقة التقاء نهر الكنغو الرئيسي مع رافديه أوبانجي ، كاساي وكذلك الشريط الساحلي حول نهر أوجوى ، وكلما إقربنا من المرتفعات بدأت هذه الغابات في التلاشي وتحل محلها السفانا البستانية : وتصل هذه الغابات في المساحة إلى حوالي ١,٥ مليون كم ٢ . وفي هذه الغابات نجد أشجار المطاط ونخيل الزيت والموز وغيرها من أشجار الأخشاب مثل الاكاجو *Acajuo* (شجرة ذات خشب صلب يميل لونه إلى الأحمرار وهو قابل للصقل) والتك والاكومه *O Koumé* (شجرة ذات خشب وردي يستعمل في التجارة) ومن المعروف أن هذه الغابة تبدو كما لو كانت خيمة من القمم الخضراء المتلاصقة حيث أن الأوراق تتجدد يوميا وبصفة مستمرة ، وتحت هذه الأشجار السامقة توجد أشجار أقل منها وهكذا ... وكما تصف الـ *geog. Univ.* ذلك خير وصف :

Sous l'énorme Voûte de feuillage s'est répandue une véritable profusion de Végétaux de toutes sortes, comme étages les uns au-dessus des autres.

وتعتبر الأنهار هنا من أهم الطرق الطبيعية في هذه الغابات الكثيفة ومع ذلك فانها تعتبر أيضا أكثرها خطورة وذلك بسبب كثافة الأشجار حولها وكذلك بسبب الحيوانات والحشرات بجوارها أيضاً (١) .

geog. Univ. Op. cit. p. 32-3

Fitzgerald. Op. cit. pp. 39-42.

(١)

أنظر كذلك :

ومن أهم الحشرات السائدة هنا ذبابة تسي تسي ذات الأثر الضار بالنسبة للإنسان والحيوان وهذه هي مأساة الغابة الاستوائية حيث أن الحشرات الضارة تعيش بجوار الأماكن التي تجذب الإنسان إليها سواء لتسهيلات المواصلات أو لاستصلاح الأراضي أو لإمكانيات الصيد والقنص .

٢ — غابات الدهاليز : La forêt-Gallerie

لا يتحدد توزيع الغابات الاستوائية الكثيفة على المناطق السابقة وإنما تمتد منها السنة على طول المجارى المائية والوديان المنخفضة الرطبة حتى داخل الهضبة المحيطة بحوض الكنفو نفسها . وهذه الأذرع هي التي يطلق عليها غابات الدهاليز . والاختلاف الوحيد بينها وبين الغابات البكر هو كثافة الغطاء النباتي حيث أن الأشجار هنا أقل ارتفاعاً وأقل كثافة .

وقد نتج عن قلة الكثافة هنا آثار اقتصادية وبشرية هامة حيث أن الحياة هنا أكثر يسراً إذ أنه يصبح في الإمكان استغلال الأراضي زراعياً بعد تقطيع الغابات كذلك نشأت العلاقات التجارية والتحركات السكانية بين هذه الأماكن قبل مجيء البيض . هذا بالإضافة إلى أن قلة الكثافة النباتية ساعدت على وجود حياة حيوانية ثديية في حين أن ذبابة تسي تسي يقل وجودها هنا نتيجة لوصول الضوء بقدر أكبر من الغابات البكر .

ويتركز وجود غابات الدهاليز في المنطقة المحصورة بين غابات منخفض الكنفو الاستوائية الحقيقية وبين المحيط الاطلنطي سواء من جهة الشمال أو الغرب وتتركز أكثر ما تتركز حول المجارى التي تتصل بالكنفو الأدنى . كما توجد في مرتفعات مايومبي ، نيارى ، كويلو .

٣ — السافانا البستانية والأدغال : Savana, Parc et Brousses

كلما اتجهنا شمالاً أو جنوباً كلما حل نظام المطر الموسمي محل الأمطار الاستوائية الدائمة طول العام بقميتين واضحتين . وهنا تحمل حشائش السافانا والبساتين محل الغابات الاستوائية . ولكن يلاحظ أنه نظراً لأن خط الاستواء الحراري يقع إلى

الشمال من خط الاستواء الفلكي فان السفانا والبساتين تبدأ في نصف الجنوبي في مناطق كاتنجا وهضاب منطقة تقسيم المياه بين الكنفو والزمبيري أى في عروض أقرب إلى خط الاستواء الفلكي من تلك التي توجد في نصف الكرة الشمالى التى لا تبدأ إلا إلى الشمال من الأوبانجى ومنايع نهر سانجا حيث يوجد النطاق السودانى . ونظراً لأن الأمطار هنا فصلية فان الحشائش تزدهر في فصل الأمطار وما بعده في حين أنها تجف في فصل الحفاف ومن ثم فان التربة هنا تبدو نجارية من النبات في فصل من السنة . كما أن هناك بعض المناطق التى توجد فيها الأشجار المبعثرة مع الحشائش في حين أنه في أماكن أخرى توجد الأدغال التى تتلاءم مع ظروف الحفاف .

وأهم الأشجار السائدة هنا من فصيلة السنطيات *Acacia* والشجرة المميزة لهذا النطاق هى شجرة التبلى أو البواب وتوجد بكثرة في كل الأجزاء الغربية من هضاب إقليم الكنفو الأدنى . ما يومبي ، كاساي . وكلما اتجهنا ناحية الجنوب كلما بدأ الاستبس والحشائش الحافة في الازدياد خصوصاً في المنطقة الغربية من أنجولا حيث تيار بنجويلا البارد .

وفي داخل السفانا توجد مجموعات من الأشجار المتكاثفة نوعاً ما وهى التى يطلق عليها البساتين أو كلما يطلق عليها علماء التربة الألمان *Park land schaft* . وتوجد هذه الغابات في المناطق الرطبة ويطلق عليها في منطقة كاتنجا اسم *Tenda* أما من حيث الحيوانات فانه نظراً لطبيعة الغطاء النباتى السائد هنا فإنه توجد الحشرات والحيوانات الضخمة مثل الفيل والكركدن والزواحف وغيرها .

وكذلك يوجد النمل الأبيض الذى يدمر الطبقة العضوية اللازمة للزراعة ويبنى له بيوتا عالية يصل إرتفاعها إلى خمسة أمتار يؤمها الأهالى عندما يحدث فيضان ويطفئ على مساكنهم (١) .

٤ - النباتات المائية : *Formation Aquatique*

توجد على ساحل المحيط الاطلنطى إلى الشمال من خط الاستواء وكذلك في

(١) *Geog. Univ. Op, cit. pp. 34-5. + L'Afrique central et orientale pp. 62-65* (١)

داخل حوض الكنغو مناطق أمغيبية حقيقية . فعلى الساحل الممتد من كويلو (نهر
كلويلو إلى الشمال من مصب نهر الكنغو عند ه شمالا تقريبا) حتى خليج بيافرا في
الشمال توجد المستنقعات الساحلية lagunes التي تمتد بحذاء الساحل وفيها توجد
نباتات المنجروف التي تتكون من اشجار تنمو في المستنقعات (ذات قشور طيبة)
Palétuviers ذات جذوع تخرج من الطين لتنتهي في الهواء ولها أنواع كثيرة من
النخيل والرافيا Raphia والكاذى Pandanus * والروتانج Rotins (أصل الهند)
والركام Fouillis ويوجد هذا الغطاء النباتي بين اليابس والماء والجزء الوسطى
الموحلة الأمر الذي يجعل الاتصال صعبا بين اليابس والماء .

كذلك يوجد مظهر نباتي آخر هام لأنه يمتد في مساحات واسعة وبالتالي يؤثر
في حياة إفريقيا الوسطى ، يوجد في الأحواض الواسعة ذات المستنقعات في المنطقة
بين Mongala * وادنى نهر اوبانجى والكنغو الأوسط وكذلك حول بحيرة ليوبولد
الثاني كذلك توجد بمحاذاته ادنى نهر سانجا . وفي أعالي نهر لفيندو Livindo إلى رافد
الأوجوى وحول دلتا نهر اوجوى وفي هذا النمط النباتي توجد الأشجار والحشائش
والبردى وتعوق حركة الملاحة في هذه الأنهار كما توجد بها الحشرات . ولكن
النبات النافع منها هو نبات البردى .

أثر الظروف الجغرافية الطبيعية على الموارد الطبيعية

والسؤال الآن : ماهى الفوائد التي يمكن أن يستفيد منها السكان الوطنيون من
هذه الموارد الطبيعية ؟ فيما يتعلق بالموارد الزراعية يمكن استغلال الظروف الجغرافية
في زراعة كثير من المحصولات الهامة سواء الغذائية أو النقدية وقد استغل السكان هذه
الظروف في زراعة الموز الذي يقدم الغذاء والملبس والمأوى longement, vêtement
et nourriture وقد أتى هذا المحصول أصلا من الهند . كذلك يزرع نخيل الزيت
الذي أتى أصلا من أمريكا بالاضافة إلى القول السودانى الذى لم تعرفه إفريقيا الوسطى
إلا في القرن السادس عشر ، والكسافا (المانيوق) الذى وصل إلى هذه المنطقة في
القرن السابع عشر وكذلك يزرع الأرز والصورغم والذرة والطباق والخضروات

• مونجلا أحد روافد نهر الأوبانجى .

• شجر لوزينة جميل رائحة الزهر .

والقواكه مثل الأناناس والحوافة ، المانجو ، الخ بجانب قصب السكر والموايح والسمسم . اما بالنسبة للمحصولات اللينة فيزرع القطن والنخيل والباوباب .

ويكفي أن نذكر هنا أن إنتاج قصب السكر بلغ حوالى مليون طن في الكنفو الشعبي وحده في عام ٦٩-٧٠ وزيت النخيل وصل إنتاجه في الكمرون في عام ١٩٦٩ حوالى نصف مليون طن . وفي الكنفو الديمقراطي حوالى ٢ مليون طن . وبلغ إنتاج المطاط الطبيعى في الكمرون في عام ١٩٦٩ حوالى ١٣ ألف طن وفي الكنفو الديمقراطي - ٣٥ ألف طن وبلغ إنتاج البن في الكمرون حوالى ٨٢ ألف طن وبذرة الكاكاو في الكمرون حوالى ١,١ مليون طن وفي غينيا الاستوائية - ٣٠ ألف طن وبلغ إنتاج الذرة في الكمرون حوالى ٣٢٠ ألف طن (١) .

كذلك تحوى المنطقة كما سبق ان ذكرنا ثروة خشية كبيرة وقد بلغ إنتاج الكنفو الديمقراطي من الأخشاب غير المصنعة في عام ١٩٦٩ حوالى ١١,٥ مليون متر^٣ والكمرون حوالى ١١ مليون م^٣ وبلغت قيمة الصادرات ومنتجات الغابات في عام ١٩٦٩ من الكنفو الديمقراطي بما قيمته ٢٤,٥ مليون دولار إمبريكي والكمرون بما قيمته حوالى ٢٠ مليون دولار وجابون حوالى ٥٢,٥ مليون دولار .

أما عن الثروة الحيوانية فهي بلاشك ثروة ضئيلة نتيجة للظروف الطبيعية السائدة في المنطقة وانتشار الحشرات الضارة المترتبة على هذه الظروف .

ولاشك أن الظروف الطبيعية بما فيها من غزارة في الأمطار وإرتفاع درجة الحرارة وسيادة الغابات الكثيفة في مساحة كبيرة من المنطقة قد وقفت أمام التقدم الزراعى وتربية الحيوان في هذه المنطقة الاستوائية من افريقيا إلا في بعض المناطق وهما حرفتان لهما تأثير واضح على التطور الحضارى بصفة عامة وهذا بعكس الحال في إفريقيا الشرقية التى اتى إليها العرب والأوروبيون بالمحصولات الجديدة والحيوانات الأجنبية وانتشر كلاهما على نطاق واسع . وتقتصر الزراعة والرعى في إفريقيا الاستوائية على الحواف الخارجية المحيطة بمنخفض الكنفو . ومن هذا نرى أنه ابتداء

(١) U.N. Etudes des conditions Economiques en Afrique Partie I 1970 pp. 282-286.

من التكوين الجيولوجي حتى الغطاء النباتي نجد أن هناك تعارضا بين منخفض الكنفو والحواف المرتفعة المحيطة به هذا التعارض الذي نجده أيضا في حياة السكان الوطنيين (١) : ولبيان العلاقة الضيئلة بين السكان والأراضي القابلة للزراعة في إفريقيا الاستوائية نذكر البيان التالي (٢) :

الدولة أو المنطقة	العلاقة	مساحة الأرض القابلة للزراعة
أفريقيا الوسطى عموما *	٠,٦٩	٢٧,٣٩ مليون هكتار
الكامرون	٠,٧٧	٤,٣٠ مليون هكتار
أفريقيا الوسطى	٤,١٣	٥,٩٠ مليون هكتار
الكنغو الشعبي	٠,٧٠	٠,٦٣ مليون هكتار
الكنغو الديمقراطي	٠,٣٥	٧,٢٠ مليون هكتار
غينيا الاستوائية	٠,٧٨	٠,٢٢ مليون هكتار
جابون	٠,٢٧	٠,١٣ مليون هكتار

ولكن الظروف الطبيعية التي وقفت أمام حرقى الزراعة والرعى في أفريقيا الوسطى الاستوائية عوضتها في الموارد المعدنية حيث تكون هذه المنطقة مخزنا كبيرا لكثير من المعادن ، فضلا عن عدد من المعادن ذات القيمة الاستراتيجية الكبرى مثل اليورانيوم والكوبالت وغيرها إذ تنتج كاتنجا وحدها نصف إنتاج العالم (باستثناء الاتحاد السوفيتي) من اليورانيوم وتنتج جابون ٤,٥ ألف طن (١٩٦٦) والكنغو الديمقراطي عموما ٥,٥ ألف طن (١٩٦٦) ولتوضيح هذه الثروة المعدنية في المنطقة نذكر البيان التالي (٣) :

البتروال الخام (١٩٦٩)

جابون	٥,٠٥	مليون طن
أنجولا	٢,٤٦	مليون طن

1 — geog. Univ. Op. cit. p. 37

(١)

* يقصد بأفريقيا الوسطى هنا روافدا ، بورندي ، غينيا الاستوائية ، الكامرون ، الكنفو بنوعيه ، إفريقيا الوسطى ، تشاد ، جابون .

2 — U.N. Op. cit. p. 287.

(٢)

3 — U.N. Op. cit. pp. 300-302.

(٣)

الغاز الطبيعي (١٩٦٩)

جابون ٢٤ مليون متر مكعب

النحاس (١٩٦٩)

الكنغو الديمقراطي ٣٥٦ ألف طن

الذهب (١٩٦٩)

الكنغو الديمقراطي ٥,٥ طن

الكنغو الشعبي ٠,١ طن

جابون ٠,٤ طن

الماس (١٩٦٩)

الكنغو الديمقراطي ١٣,٨٧ مليون قيراط

الكنغو الشعبي ١,٤٥ مليون قيراط (مبيعات)

إفريقيا الوسطى ٥,٤ مليون قيراط

مراكزات القصدير : (١٩٦٩)

الكونغو الديمقراطي ٦٦٨٢ طن

وتكون هذه الثروة المعدنية نسبة كبيرة من صادرات دول إفريقيا الإستوائية (١٩٦٩) حيث تكون في جابون ٥٩٪ من البترول ، وفي إفريقيا الوسطى ٤٤,٤٪ من الماس ، الكونغو الشعبي ١٣,٥٪ من الماس ، والكروون ٥,٩٪ من الألمنيوم والكونغو الديمقراطي ٨٦٪ من النحاس .

إلا أننا نعود مرة أخرى فنؤكد الملاحظة السابقة وهي أن معظم الثروة المعدنية أيضا تتركز على حواف منخفض الكونغو وكأننا بذلك أمام رقعة من قماش حواشيها من ذهب . ولكن هذه هي النظرة الحاشرة إلا أن المستقبل كفيل بتدليل العقبات التي تقف أمام الاستغلال الأمثل لهذه الثروات الطبيعية سواء في المنخفض الكونغولي أو في الحواف المحيطة به كما أنه كفيل باظهار ما هو مخبوء من ثروات لم تكتشف بعد .

قرية هــورين
دراسة أنثروبولوجية ميدانية
للدكتور سعاد شعبان

An Anthropological Study of Horeen Village

Dr. Soad Shaaban

A study of the social and cultural aspects of a rural community. The data was collected through intensive field work by means of participant observation of individual behavior and attitudes as indicative of the prevailing values and beliefs of the community.

It is indeed noticable that in Egypt today, as in some other African countries, rural communities are undergoing radical changes which have been caused by a number of factors. There is an increasing demand today calling for the development of the Egyptian village as one of the objectives of national plans for development.

The situation precipitated the need for studies covering the various aspects (economic, religious, political, as well as the patterns of kinship relations, etc.) of the existing social systems. The anthropological approach is the most suited for giving a comprehensive and over all picture of a community.

The research revealed an urgent need for the study of rural communities bringing to light their cultural traits before they are overwhelmed by the accelerating social changes. Such a written record of the Egyptian villages will serve in the future as a mainstay for further research aiming at a deeper understanding and insight into rural life.

يهدف البحث إلى التعرف على جميع عناصر الحياة الاجتماعية والحضارية في مجتمع قروي عن قرب ، دراسة ميدانية مركزة تعتمد على الملاحظة والمشاركة لسلوك وتصرفات الأفراد في ضوء القيم والعقائد السائدة في المجتمع . وذلك لأنه مما يلاحظ في هذا العصر أن المجتمعات الريفية في مصر وبعض بلدان أفريقيا قد شهدت

تغيرات جنسية نتيجة عوامل متعددة ، وقد ارتفعت الصيحات بضرورة تطوير القرى المصرية فى خطط انمائية وعمرانية . لذلك كان لابد من القيام بدراسات تناول الأنظمة الاجتماعية من جميع جوانبها - الاقتصادية والدينية والسياسية والقراية. والدراسات الانثروبولوجية هى أفضل المناهج للوصول إلى الصورة الكلية الشاملة للمجتمع .

وقد أوضحت الدراسة أهمية التعجيل بدراسة المجتمعات الريفية وتسجيل ملامحها الثقافية قبل أن يدهمها تيار التغير الاجتماعى السريع ، حتى نغثر لقرانا فى يوم ما على تاريخ مكتوب يمكن الاستفادة منه كنطلق للأبحاث المستقبلية لفهم حقيقة الحياة الريفية .

قرية « هورين » تقع على الطريق الزراعى الذى يصل بين مدينتى بركة السبع (محافظة المنوفية) ، ومدينة زقنى (محافظة الغربية) ، وإن كانت أقرب من بركة السبع عن زقنى ، فهى لا تبعد عن الأولى سوى حوالى ٥ كم فى حين أن المسافة بينها وبين زقنى حوالى ٢٠ كم .

وتعتبر قرية هورين من القرى الكبرى فى مركز بركة السبع ، وتعتبر مركز اشعاع بالنسبة للغرب والكفور المجاورة لها ، حيث أنه يتبعها اداريا قرى (كفر هورين ، كفر نفزه ، كفر عليم ، كفر الشيخ طعيمة ، الحلاشة ، كفر هلال) . أما من الناحية الطبيعية فانها لا تتميز بملح تضاريس واضح سواء من حيث الارتفاع أو الانخفاض . ولا تختلف عن الأراضى الزراعية المجاورة لها (١) .

وكانت هورين تابعة لمركز السنطة ، الذى يتبع محافظة الغربية حتى عام ١٩٦٣ وبالتالى كانت صلتها بزقنى أقوى من ناحية الخدمات رغم قرب المسافة من بركة السبع (٢) .

وقد كان للموقع الهام للقرية وتوسطها تقريبا على الطريق الرئيسى الذى يربط مدينة زقنى بمدينة بركة السبع - أن أصبحت لها وظيفة مركزية على هذا الطريق

(١) من واقع بيانات وزارة الزراعة . الإدارة العامة للأراضى . ١٩٦٦ .

(٢) ملاحظات شخصية .

فهي تمثل مركز الدائرة تتناثر حولها القرى وترتبط بها وتعتمد عليها في مختلف الخدمات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية .

لذلك اختيرت هورين مقرا للمجلس القروي ونقطة الشرطة ومختلف الخدمات المركزية الريفية التي تخدم هورين والقرى السبع المجاورة لها .

ولقد تبع زيادة العلاقات بين أهالي هورين والقرى المجاورة لها ، أن زادت الصلات الاجتماعية بين الأهالي ، وارتبطت العائلات في تلك المنطقة بروابط المصاهرة .

دراسة ميدانية

في قرية هورين المصرية

قرية هورين قرية قديمة ، ذكرت في كتاب وقف الأشرف برسباي المحرر سنة ٨٤١ هـ ، ثم تتابع ذكرها . في القاموس الجغرافي^(١) ورد أن هورين قرية قديمة وردت في قوانين ابن مماتي وقد ذكر أنها من أعمال جزيرة قويسنا لمجاورتها لناحية (تطالية) تطاي ولتمييزها من هورين بهرمس ، وفي تحفة الارشاد وردت محرفة باسم هورين تطاية من الأعمال المذكورة ، وفي التحفة هورين تطاية من أعمال الغربية ولما اندثرت هورين بهرمس وأضيف زمامها إلى ناحية المحلة الكبرى حذف المضاف إليه من هورين تطايه فأصبحت بغير مميز ، ولذلك وردت باسمها الحالي في تاريخ عام ١٢٢٨ هـ .

ومن التاريخ الأسطوري ما يحكيه المسنون عن أصل كلمة هورين وكلها روايات متشابهة تقريبا .

كان في قديم الزمان سيدة غنية اسمها «رين» وكانت تهوى الرحلات ، فضمن جولاتها مرت على هذه القرية ، فعجبها الهواء واتخذت لنفسها مقرا بها ، وكان كلما مر عليها إنسان يعجب بهذا الهواء ويقول :

« ما أجمل هوارين » وأخيرا حرفت إلى هورين ، وتجمع حول هذه السيدة

(١) القاموس الجغرافي - تحقيق محمد رمزي ص ١١ ، ١٢ الجزء الثالث .

جمع من الناس استقروا بالقرية . ونفس الأسطورة تحكى ولكن بطريقة مختلفة ،
فقد قيل :

إن رين هذه ابنة ملك . وذات يوم مرضت ودار البحث لها عن مكان لتشفى
من مرضها وكان قد وصل بها المطاف إلى هذه المنطقة ، وبمجرد أن مكثت فترة ،
شعرت بالراحة وشفيت من مرضها ، وقالت ضمن ما قالت : « الله هوارين »
بمعنى (هواء نقي) — ثم حرفت إلى هورين البشرى بمعنى (هواء جميل) .

ومما يقال أيضا أنها ربما تكون كلمة فرعونية .

كما يقال أيضا أنها نسبت إلى هارون الرشيد ، وذلك عندما كان حاكما ، ومر
في ذلك الوقت بهذه البلدة ، وبذلك نسبت إليه وحرفت إلى « هورين » (١) .

ومن الروايات التاريخية القرية نسيا أن سيدى فهد الرجال وسيدى حسين
المغربى هما بدء نشأة القرية وتعميرها حيث التف حولهما الأتباع والمحاسيب واستوطنوا
بالقرية .

ويعيش الفلاح — داخل القرية في منزل يطلق عليه (الدار) وهو منزل كبير
يتسع للعائلة بأكملها ويتكون عادة من طابق أو طابقين ويشتمل على عدد كبير
من الحجرات .

ويتوسط الطابق الأول صالة يطلق عليها (وسط الدار) توجد على جانبيها
مصاطب طينية أو أرائك خشبية (كرويته) أو الاثنان معا .

والحجرات جميعها مساحاتها كبيرة وارتفاعها لا يقل عن أربعة أمتار ، وتختلف
أسمائها باختلاف الغرض منها .

فالحجرة التى يوجد بها الفرن الكبير وتستخدم للنوم شتاء تسمى بالقاعة
(الآعة) ، والحجرة المستخدمة للجلوس فقط تسمى (المندرة) ويحفظ فى
(المتبن) — وهو حجرة أو مخزن للتبن — بعلف الماشية . أما الحظيرة أو (الزريبة)
وهى فى نهاية وسط الدار ، فهى مكان إيواء الماشية .

(٢) من روايات كبار القرية .

وحجرات المعيشة تخلو من أى أثاث سوى الحصر المجدول أو الاياس . كما توجد أيضا المساند بجوار الحوائط . وفي المذرة أو الآعة قد نجد دولابا أو أكثر في (الحائط) ويستخدم لحفظ الأشياء . أما الملابس فغالبا ما تعلق على مسامير في الجدار ، أو على جبل مشدود بين مسارين ويسى (السيارة) . ولا تخاو دار من وجود (الصفة) وهي عبارة عن مخزن على شكل صندوق طويل يتوسطه باب يسمح بدخول أحد أفراد الأسرة لوضع أو استحضار الأشياء المحفوظة داخله — والصفة هي أفضل مكان لحفظ الأشياء الضرورية مثل اللبن والسمن والزبد والخبز بعيدا عن الحشرات وتقلبات الجو .

ويوجد أسفل السلم الداخلى المؤدى إلى الطابق العلوى أو بجوار الزريبة في نهاية وسط الدار يوجد حجرة صغيرة ، تستخدم كمرحاض — وهي عبارة عن فتحة سفلية تنتهى بخزان أو بئر ينزح ما به مرتين أو أكثر سنويا ، ويوجد بداخل المرحاض اناء صغير للاغتسال (عادة ابريق مصنوع من الفخار) .

وحجرات المعيشة تشتمل على نافذة أو أكثر ذات باب خشى ، أو طاقة بغير باب أو ذات قضبان حديدية . أما الحجرات الخالية من النوافذ أو الطاقات فتوجد بها فتحة علوية يطلق عليها (ناروزة) . تستخدم للتهوية وكنفذ للضوء .

وإذا كان بالدار طابق ثان فان سلما جانبيا مصنوع من الطوب والطين ، يفضى إليه ، وغالبا ما يكون هذا السلم بغير سور خارجى ، وربما يستخدم السلم النقالى (سلم خشبي متنقل) للوصول إلى الطابق الثانى .

ويؤدى السلم إلى صالة يطلق عليها البعض كلمة (سباط) وهي تتوسط الطابق العلوى . وتوجد على جوانب الصالة أو السباط حجرات كتلك التى توجد في الطابق السفلى وان كانت أقل عددا وأصغر مساحة . والخصير هو أصغر هذه الحجرات ويستخدم لحفظ الأشياء ، وقد يستخدم أحيانا للنوم . ويوجد في جوانب الصالة عشش للطيور والأرانب .

وحجرات الطابق العلوى — ماعدا الخصير — يطلق عليها جميعا (مآعد) . وفوق السطح (أعلى المآعد) تخزن الغلال والذرة (كيزان الذرة بأغلفتها) والمسكة)

وهي أقراص مصنوعة من روث الحيوانات المخلوط بالتبن وتستخدم للوقود .
وتسمى مخازن الغلال (بالزواييع) مفردها (زلوع) ، وهي تبنى على شكل أقماع
من الطوب والطين ، ومغلقة تماما من جميع جوانبها ويمكن فتحها من أعلى عند
الزوم . وأمام الدار توجد غالبا مصاطب تستخدم للجلوس في أوقات العصر أو في
المساء خاصة في فصل الصيف ، وغالبا ما تفضل المرأة الجلوس على الأرض أمام
الدار تاركة لزوجها وضيوفه المصاطب .

أما الباب المفضى إلى داخل الدار فهو ضخم طولا وعرضا ويتكون من ضلفة
واحدة ، وأحيانا قليلة من ضلفتين ويغلق من الخارج بواسطة مفتاح طويل . ومن
الداخل يقفل بالضبة والمفتاح . وقد يوجد عليه مقبض من الحديد أو الخشب يدق
من الخارج عند الزوم .

إلى جانب الفرن الكبير في (الآعة) يوجد أيضا مواقد أخرى في وسط الدار—
ويطلق على الموقد الصغير (الفرن النقالى) وعادة ما يكون تحت السلم أو في ركن
داخلي من وسط الدار . وكذلك يوجد (الكانون) . وكلها تستخدم لطهي الطعام
أو لعمل الخبز .

كذلك توجد طلمبة المياه (الطرمبة) في ركن من أركان وسط الدار ، وأحيانا
لا توجد . فتضطر نساء الدار إلى احضار الماء في آنية من طلمبات بالخارج . أما
الدار فتصنع من (الطوب النيء) . وهو صناعة محلية . وسقف الدار عبارة عن
جذوع الأشجار ، غالبا من شجر الكافور أو البأس — ثم يوضع البوص أو الغاب
البلدى المجدول بالتيل . فوقها بعكس اتجاهها ، ثم توضع طبقة من الطوفة (الطين
المخلوط بالتبن) فوقها جميعها ليتماسك السقف (وهذه العملية تسمى الترصبة) .
إن وجدت وليصبح السقف أكثر تماسكا واحتمالا . ولبناء الدار وعمل السقف
يستأجر عامل خاص (البناء) . وقد يقوم أهل الدار من الرجال بهذا العمل — إن
كان لهم خبرة به — أو الاثنان معا (أهل الدار بمساعدة البناء) أما عمليات الدهاكة
فتقوم بها نساء الدار دون الرجال ، وأما أرضيات الدار فكلها من الطين المدهوك
دهكا جيدا وترش بالماء عند تنظيفها . إلى جانب هذا النوع من البيوت — وهو
الغالب لدى الفلاح العادى — دور أخرى بنيت حديثا من الطوب الأحمر ، وتكون

فى الغالب من طابق واحد وأحياناً من طابقين . وهى لا تختلف عن منازل المدن إلا من حيث اتساعها واحاطة معظمها من الخارج بحديقة صغيرة تربي فيها الدواجن . ولا يستخدم هذه المساكن سوى الموظفين من أهل القرية ، كما أن أثاث هذه المنازل يشابه أثاث منازل المدن .

هذه هى إنماط السكن داخل القرية ، ولكن غالباً ما يكون للفلاح دار أخرى - مؤقتة - فى الحقل يبيت فيها عند نزوج المحاصيل التى يخشى عليها من السرقة لحراستها ، أو التى تحتاج لرعاية دائمة خاصة حدائق الفاكهة - أو فى أوقات الري .

وهناك بعض الاختلافات بين الدار فى القرية ومثلتها فى الحقل . فبينما يتسع دار القرية للأسرة جميعاً - إن لم تكن عائلة - فإن دار الحقل لا تتسع إلا لعدد من الأفراد غالباً ما يكون من عمال الحقل أو واحد أو أكثر من رجال الأسرة . لذا فإنها تتكون من حجرة واحدة قد توجد بها نافذة واحدة أو لا توجد على الإطلاق . وليس بها شئ سوى حصيرة أو كمية من القش . بدلا من الحصير وأدوات عمل الشاى . وقد تلحق بها حجرة أخرى - مشابهة - للماشية إن وجدت .

هذا ودور القرية متجاورة وملتصقة ببعضها . وتفتح على حارات طويلة متعرجة وملتوية وأحياناً على حارات مغلقة (أزقة) مفرد (زقاق) ولا توجد أسماء للحارات أو أرقام الدور . ولكن يسهل الاستدلال على الأشخاص فى القرية بمجرد السؤال رغم عددهم الكبير (حوالى ١٠ آلاف نسمة) .

وقد لوحظ بقايا بوابات خشبية ضخمة عند مدخل بعض الحارات ، كانت تستعمل فيما مضى خشية هجمات اللصوص . فلا يستطيع أحد الدخول إلى الحارة بعد غلقها .

وكانت الحارة تجمع فيما مضى أسر يرجع نسبها إلى عائلة واحدة ولكن هذه البوابات لا تستخدم الآن لتوفر الأمن ولاختلاف نسب الأسر التى تقطن الحارة الواحدة . لذا فقد نزع بعضها وبقي البعض مهملاً وشاهداً على حالها السالف .

ورغم ضيق الحارات وانحناءاتها وتعرجاتها إلا أنها تبدو دائماً نظيفة ، فلا نلاحظ عند أى دار بقايا الحيوانات التى يستخدمها الفلاح كسماد لأرضه ، فهو

يقوم بحملها إلى الحقل مباشرة ، وتقوم السيدات بتنظيف المكان دائماً أمام الدار فتبقى الحارات نظيفة .

ولم يلاحظ اختلافاً ما بين دور للقرية ومثيلاتها في القرى المجاورة - وان اختلفت بعض المسميات فقط ككلمات صفة - مسكة - آعة . ولكن توفر النظافة بشكل ملحوظ سواء داخل الدار أو خارجها يبدو بوضوح في هذه القرية بالمقارنة لغيرها .

أما بالنسبة لمساحة الأرض المنزرعة في هورين فهي لا تتعدى حوالى ٢١٤٣ فداناً . بينما يبلغ عدد السكان المقيمين بالقرية ٩ آلاف من السكان^(١) .

يعتمد الفلاح في غذائه على الذرة والقمح ، أما القطن فلم تعد له تلك المكانة العالية التي كانت له من قبل كمحصول نقدي بل أدخل محاصيل أخرى نقدية كالتيل مثلاً^(٢) .

إلى جانب الأسمدة الكيماوية الحديثة ، يعتمد الفلاح على الأسمدة العضوية (السباخ البلدى) اعتماداً كبيراً .

ووفقاً للحصر التصنيفى للتربة الذى قامت به وزارة الزراعة عام ١٩٦٦ وجد أن معظم مساحة الأرض التابعة لهذه الناحية ، هى أراضي جيدة الإنتاج ، ويغلب عليها التربة الرسوبية العميقة سواء منها الأراضي الطينية ذات القوام الثقيل أو الخفيف كما أن معظم الأراضي هنا ذات نسبة عادية من الأملاح الذائبة فى الطبقة السطحية أو بطول القاع ، ويلاحظ أن جميع أراضي الناحية خالية من القلوية فى الطبقة السطحية أو بطول القاع .

وقد اتضح من دراسة الماء الأرضى للناحية (فبراير ١٩٦٦) أن مستوى الماء فى غالبية الأراضي عميق .

وفىما يخص نظام الري ، نجد أن الري بالقرية يعتمد على الري بالراحة أو بالرفع عن طريق السواقي وعموماً فإن حوالى ٤٠٪ من جملة الأراضي التابعة للقرية تعتمد

(١) من واقع سجلات الجمعية الزراعية التعاونية بالقرية .

(٢) ملاحظات شخصية .

على نظام الري بالراحة معتمدة على مياح بحر أبو زهرة ، أى أن الجزء الذى يقع إلى الشمال من الطريق الزراعى يعتمد كله تقريباً على نظام الري بالراحة . هذا فى حين أن الجزء الذى يقع إلى الجنوب من هذا الطريق يعتمد على وجه العموم — على نظام الرفع عن طريق السواقي من مياح نرعة العطف . فالملاحظ أن الأراضى التى تقع إلى الجنوب وإلى الشمال الشرقى من نرعة العطف والتى تدخل فى زمام القرية تعتمد على نظام الري بالرفع عن طريق السواقي ، هذا فى حين أن الأراضى التى تقع إلى الشمال الغربى منها تعتمد على نظام الري بالراحة من نرعتى الديسة والطويل . أما وسائل الري القديمة مثل الشادوف أو الطنبور فلم تعد تستخدم .

وفىما يتعلق بنظام الصرف فإن ثلثى الأراضى الزراعية التابعة للقرية تعتمد على نظام الصرف المغطى ، وهو عبارة عن شبكة من المواسير الأسمنتية مختلفة الأقطار مدفونة تحت الأرض بأعماق متدرجة حتى يمكن سريان المياه منها إلى المصرف العمومى ويركب بين كل ماسورة وأخرى (فلتر) لامتصاص المياه الزائدة عن حاجة الري وتوصيلها إلى المصرف . ويلاحظ أن ثلثى الأراضى الزراعية التابعة للقرية تعتمد على نظام الصرف المغطى . والثلث الباقى لا يوجد به أى نظام للصرف فيما عدا بعض « الرشاحات » الضيقة التى لا تقوم بعملية الصرف كما ينبغى أن يكون — وتوصل هذه المصارف المغطاه — المياه المتسربة إليها إلى المصرف الرئيسى الذى يخترق أراضى القرية هو مصرف « كلالباب » وهو بحالة جيدة ومنسوب الصرف على ١,٥ متر وهو يصب فى مصرف زرقى .

والأراضى التابعة للقرية جميعها تعتبر أراضي أملاك خاصة بالأهالى ، والحيازة الزراعية بها صغيرة ، حيث لا يزيد ما تمتلكه الغالبية العظمى من المزارعين عن خمسة أفدنة ، بينما تنحصر الملكيات الأكثر من عشرين فدانا فى ثلاث أفراد من عائلات مختلفة . وبذلك توزعت الملكيات الزراعية على العائلات توزيعاً متساوياً إلى حد كبير ، ولم تستأثر إحداها أو بعضها بنصيب كبير من الأراضى لعمل باقى سكان القرية أجراء فيها .

وكان صغر مساحة الأراضى المملوكة نتيجة تفتت فى الملكية الزراعية نتيجة لثبات المساحة الزراعية وتكاثر السكان . ولكن للتغلب على هذه المشكلة اتبع نظام

الدورة الزراعية الثلاثية ، التي تعتمد على تجميع الأراضي الزراعية تحت محصول واحد ، وفقا لنوعية الأراضي الزراعية .

هذا وعندما صدر قانون الإصلاح الزراعى فى ٩ سبتمبر ١٩٥٢ وما تلاه من قوانين تحديد الملكية الزراعية . لم يكن فى القرية كلها من ينطبق عليه تلك القوانين وقد ادى هذا إلى التعاون بين العائلات وعدم ظهور الطبقات فى داخل المجتمع ، كما أن صغر الملكيات ساعد على التكاثف إزاء ما يعترض الزراع من مشكلات مشتركة . فقد يشترك عدد من صغار ملاك الأرض هم غالبية فى إقامة حلزونة كل بنسبة ما يمتلكه من أرض سترويهها هذه الحلزونة وكذلك المساهمة فى نفقات صيانتها أو تطهير مجرى مائى بالتعاون فيما بينهم .

وقد ساعد على نجاح هذا التعامل والتكامل أن نظام ملكية الأرض فى قرية هورين لا يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظام السكنى فحسب . مما يقوى العلاقات بين الأفراد وييسر سبل اتصالها ، بل يرتبط كذلك بالنظام العائلى السائد فى القرية . فكل عائلة تتخذ لها قطاعا سكنيا متميزا فى القرية يتجمع فيه أعضاؤها ويطلق عليه اسمها . كذلك تتوزع ملكية الأراضي الزراعية توزيعا عائليا إلى حد كبير بحيث تسود علاقات القرابة والجوار فى الحقل والمنزل فى آن واحد . ويبدو ان لتوزيع الملكية على هذا النحو علاقة وثيقة بنشأة القرية واستيطان العائلات فيها . فلقد تبين من البحث أن العائلات قد استقرت فى القرية فى أوقات متفاوتة ونشأ عن ذلك ان استقلت كل عائلة بناحية معينة من زمام القرية .

والمحصولات الزراعية فى القرية لا تختلف عما هو سائد فى الوجه البحرى عموما ، سواء المحصولات الغذائية أو النقدية فيما عدا بعض الاختلافات الطفيفة ، حيث أن المساحة المزرعة أرزا فى القرية ضئيلة للغاية .

وأهم المحصولات الزراعية هى .

القطن .

الذرة .

القمح — البرسيم — الفول .

هذا بالإضافة إلى بعض المساحات الضئيلة التي تزرع بالخضراوات والفواكه ، وكذلك تزرع بعض المساحات بالتيل ، وهو محصول نقدي مربح وكذلك زراعة نبات عباد الشمس للاستفادة من بذوره كبديل عن اللب ، الذي ارتفع سعره في الآونة الأخيرة .

والدورة المتبعة هنا هي الدورة الزراعية الثلاثية . حيث تزرع الأرض سنة واحدة بمحصول القطن ثم تزرع ستين بغيره من المحصولات الصيفية أو الشتوية والخضراوات المختلفة إذ أن المتبع أن يستغرق محصول القطن العام كله ثم تزرع الأرض في السنة التالية بالمحصولات الصيفية وهي الذرة وبعض الخضراوات وهي القمح والفول وانبرسيم .

ويتم تنظيم هذه الدورة عن طريق تبادل الأراضي الزراعية بين الأهالي كما هو متبع في معظم القرى المصرية .

أما عن وسائل الزراعة فقد بدأت الآلات الحديثة تحل محل المعدات اليدوية في الآونة الأخيرة ثم حلت المحاريث الآلية محل المحاريث الخشبية التي تجرها الماشية كما أن ماكينات درس المحصولات عم استخدامها بدلا من « النورج » القديمة .

هذا بالإضافة إلى وجود بعض ماكينات رفع المياه ، ولكن الساقية مازالت هي الوسيلة الأكثر استخداما في رفع المياه في المناطق التي لاتعتمد على نطاق الري بالراحة .

ولكن هناك أعمال زراعية كثيرة مازالت تعتمد على جهد الفلاح اليدوي مثل جني القطن وزراعة المحصولات المختلفة مثل القمح والفول الخ .

وتتركز الثروة الحيوانية في القرية في الماشية (جاموس بصفة خاصة) والابل وبعض الأبقار والأغنام . وتستخدم الماشية عموما في إدارار الألبان والتكاثر . والنوع السائد من الجاموس هو الجاموس المنوفى الذي يمتاز بكثرة إنتاجه من الألبان .

وتحتل الماشية مكانا خاصا في نفس القروى نظرا للدور الذي تقوم به في الحياة الريفية في الحقل والدار ، فهي دائما نصب عينيه يراقب حالتها باستمرار ، وإذا مرضت سارع بعرضها على الطبيب البيطرى بوحدة القرية ، وإذا ماتت حزن

عليها حزنا شديداً إذ يمثل ذلك بلاء نزل به يستلزم معه تعزية الجيران والمقربين له قائلين « يعوض الله » أى يخلف عليك الله بما يعوضك عنها وتشترى غيرها .

وبقرية هورين وحدة بيطرية يشرف عليها طبيب بيطرى ، يعاونه عدد من المساعدين ويقوم الطبيب إقامة دائمة بالوحدة .

وتقوم الوحدة بالتنبيه على الأهالى بمراعاة تجنب رعى ماشيتهم فى المزارع المرشوشة بالمبيدات الحشرية خشية تسممها ، كما تقوم عن طريق الجهاز الإدارى (النقطة) باستدعاء الأهالى واحضار ماشيتهم لرشها بالمحاليل الطبية لقتل الحشرات الضارة العالقة بأجسامها مثل القراد والطفيليات الخارجية كما تشمل خدمات الوحدة علاج الحيوانات المريضة واجراء الجراحات وإعطاء الأدوية اللازمة لها .

ومن أهم مصادر الإنتاج الحيوانى اللحوم والألبان . وتشكل منتجات الألبان نسبة كبيرة من دخل الفلاح سواء ما استهلك داخل المنزل أو ما تم بيعه خارجه .

ومن الملامح الثقافية المميزة فى هوروين أن بيع اللبن فى صورته الأولية وهو سائل يعد عيباً كبيراً ولا تجرؤ أسرة على بيع لبن ماشيتها ، إذ يقابل ذلك باستهجان واستنكار من المجتمع الهورينى ، بينما لا يعتبر هذا عيباً فى قرى أخرى مجاورة ولا تبعد عن هورين سوى كيلو مترين مثل قرية كفر هلال مثلاً ، حيث تتنافس الأسر فى الحصول على أكبر عائد نقدى من بيع اللبن .

ويكمل النشاط الحرفى فى القرية متطلبات النشاط الزراعى من عدد وآلات ويسد حاجة الأهالى فيما يحتاجونه من مهن وخدمات أولية ، وهذه الحرف متعددة فى القرية ، حيث تنبى بالاحتياجات الأولية البسيطة لسكان القرية . وتختص بالأعمال الحرفية طبقة معينة ، تتوارث هذه الحرف عن الآباء ، وبعض هذه العائلات لم تكن أصلاً من أهل القرية ولكنها أتت من قرى أو مدن مجاورة منذ وقت مبكر ، وطاب لها المقام فاستقرت فى هورين وعلمت أعضائها هذه المهن .

وتنقسم الحرف من حيث طريقة دفع الأجر إلى قسمين :
أولاً : حرف يدفع مقابلها بالأجر العيني دون النقدى ، وذلك بأن يدفع

للقائمين بها نسبة معينة من المحصول (ذرة - قمح) مقابل الخدمات التي يقدمونها طوال السنة وهو ما يعرف بنظام المساينة .

ويمكن اعتبار نظام المساينة بمثابة وسيلة للتبادل الاقتصادي بين الحرفي والمزارع كما يتميز هذا النظام بعدة خصائص نجملها فيما يلي :

١ - أن لكل حرفي من أصحاب حرف المساينات عائلات معينة يتعامل معها - وبذلك تتوزع القرية على عدد محدود من أصحاب هذه الحرف .

٢ - توجد علاقة تعاقدية عرفية غير مكتوبة بين حرفي المساينات وعمالهم ، فيعرف كلا منهما حقوقه وواجباته . وتستمر هذه العلاقة لسنوات طويلة ولا تتأثر بوفاة رب الأسرة أو أحد أعضائها ، إذ يقوم الوريث بأداء نصيب الحرفي عند جمع كل محصول من الذرة والقمح ، كذلك إذا توفى الحرفي أو لم يعد قادراً على العمل فإن ابنه الذي ورث عنه هذه الحرفة يقوم بالعمل لدى نفس العائلات .

٣ - أن أمثال هؤلاء الحرفيين لا يملكون غالباً أرضاً زراعية ، وهم يعيشون عادة على ما يحصلون عليه من مساينات .

٤ - تقتصر مهمة حرفي المساينات على العمل بأدوات يمتلكها . أما الخدمات الأولية أو الأخشاب التي سيتم تصنيعها . كما في حالة النجار ، فيقدمها صاحب الدار . أما أصحاب هذه الحرف والمهن فهم : -

النجار الخفاوى : وهو الذى يقوم بصناعة وصيانة الأدوات الزراعية الثقيلة مثل المحراث والقصايب والزحافة والنورج ، والأجزاء الخشبية من الخلزونة ، ويصنع أيضاً الأبواب والشبابيك وبعض الأثاث المنزلى البدائى مثل الأريكة (الكنبه) و (الطبلية) والكروتيه (الدكة) .

السمكرى : يقوم بتركيب وصيانة الطلمبات ، والطللمبات لها دور هام في حياة أهالى هورين حيث يعتمدون عليها منذ أمد بعيد بصفة أساسية كمورد للمياه النقية .

ويقوم السمكرى أيضاً بصناعة بعض الأعمال المعدنية الخفيفة .

العددى (السروجى) : يقوم بصناعة وصيانة الامتعة (العدد) التي تتركب

على ظهور وسائل الركوب والنقل من الحيوانات مثل الجمال والحمير والخيول ،
والتي تصنع من الجلد والقش وبعض أنواع من القماش السميك وبعض القطع
الخشبية .

القصاص : وهو المختص بقص شعر الحمير والخيول ووبر الجمال وجز صوف
الغنم .

القارئ (الفقي) : يقوم بتلاوة القرآن الكريم في داخل الدور مرتين في
الأسبوع ، ويقابل من أهل الدار باحترام وتبجيل .

الحلاق : (المزين) : - ومهنته تقتصر على الرجال والأبناء ويطوف الحلاق
على زبائنه في المنزل أو في الحقل .

وللحلاق أيضا دور في اعداد العريس يوم الحنة ، حيث يقوم بوضع الحنة
في يدي العريس ورجليه .

وهناك عدد من الحرف والصناعات اليدوية تدرج تحت نظام المسانية يدفع
مقابلها للحصول عليها نقودا أهمها :

صناعة النسيج : تنتشر الأنوال الخشبية اليدوية التي تقوم بنسج المنسوجات
القطنية والحريرية وإنتاج أقمشة المفروشات (الكوفرات) .

صناعة الفحم : وتختص بهذه الصناعة عائلة واحدة بالقرية . ويقوم العمال
بقطع أخشاب الأشجار بالطرق البدائية الأولية دون الاستعانة بوسائل آلية حديثة .
فيستخدمون البلطة والمنشار الكبير الذي يمسك به عاملان . وصناعة الفحم بالقرية
تم عن طريق وضع قطع الخشب في حفرة وتغطيتها بطبقة من الطين المخلوط بالتبن
وتترك فتحة من أحد الجوانب . ثم تشعل النار بها وتترك عدة أيام حتى يتم تفحم
الخشب . ثم يصدر إلى الشركات المستهلكة و يباع لتجار الفحم في المدن .

حرفة الشلف : الشلفة عبارة عن شبكة كبيرة تصنع خيوطها الغليظة من
حبال التيل وتجدل بطريقة معينة و تستخدم الشلفة لأغراض مختلفة منها تعبئة
التين والقطن والمحاصيل الزراعية الكبيرة الحجم لا مكان تحميلها على الدواب .

جساس الماشية : وهو الذى يقوم بالكشف على الحيوانات لكى يعرف ما إذا كانت (عشر) أم لا ، وفى أى مرحلة من مراحل الحمل . كما يستعان به عند شراء الماشية أو بيعها .

قياس المساحة : وهو شخص تخصص فى قياس مساحة الأراضى الزراعية ومعرفة حدود وزمام كل حوض . كما أنه يعرف إلى حد كبير تطور تاريخ ملكيات الأراضى .

تقسيم العمل بين الجنسين :

تقوم الأسرة بوظيفة إنتاجية متكاملة حيث يتعاون أفرادها فى العمل والإنتاج الزراعى ، فيتوزع العمل بينهم بشكل متكامل فيه الإنتاج . فالرجال يقومون بالأعمال الزراعية الخارجية عن نطاق الدار ، بينما تختص النساء بالأعمال التكميلية أو المتصلة بالماشية داخل الدار وإعداد الأغذية والأعلاف الخاصة بها . كما تقوم بحلب الماشية وصنع منتجات الألبان من مسلى وجبن . كما تختص النساء بعملية دهك (ترصيع) الحوائط والأسقف بالطين سواء عند بناء منزل جديد أو عند عمل العمرة السنوية التى تتم عادة فى فصل الصيف بسبب ما تحدثه أمطار الشتاء من اتلاف بالأجزاء الخارجية من الدار . ويقع على النساء أيضاً عبء جميع الأعمال المنزلية وبخاصة تلك التى تختص بغذاء الأسرة وما يتصل بها من شراء السلع الغذائية والاستهلاكية من السوق والذهاب إلى ماكينة الطحين لطحن الحبوب ، وكذلك عملية عجن الدقيق وخبره فى فرن الدار . وتترامل النساء فى عملية الخبر والعجن .

الأسواق : يقام فى قرية هورين سوق محلى (سويقه) مرتين فى الأسبوع ، ويعرض به الخضروات والفاكهة وكذلك الأدوات المنزلية البسيطة والأقمشة الشعبية .

ويقوم بعرض هذه السلع تجار وسطاء يجوبون أسواق القرى المجاورة كما يعرض بعض الحرفيين مصنوعاتهم المحلية ، وقد تنزل إحدى القرويات للسوق لبيع بعض المنتجات الزراعية أو منتجات الألبان كالزبد أو الجبن .

ومما يلاحظ أن الذى يقوم بالشراء هن النساء ، حيث أن شراء احتياجات

الأسرة من اختصاص المرأة فقط . ولاتباع في هذا السوق الماشية أو الحيوانات ، حيث أن ذلك مقصور على الأسواق الرئيسية التي تقام في مراكز المحافظات مثل سوق بركة السبع حيث توجد جميع احتياجات الفلاح .

وأحيانا لا يقتصر التعامل بالسوق على النقود ، فقد يتم على نطاق ضيق تبادلات سلع ومنتجات بسلع أخرى كمبادلة كمية من الردة بكمية من الملح مثلاً .

وبجانب الوظيفة الاقتصادية التي للسوق ، فإنه يقوم بوظيفة اجتماعية أيضاً ، حيث تتداول فيه أخبار القرية وأحوال أهلها ومعرفة آخر التطورات في المسائل التي تهم القرية مثل وصول السماد الكيماوى أو البذور أو الكسب للجمعية .

إلى جانب هذا فإن الشباب يذهبون إلى مكان قريب من السوق لاختيار فتاة أحلامهم .

نظام الزمالة : ينتشر نظام الزمالة في هورين وهو نظام يقوم أساساً على التعاون والتكامل بين صغار الفلاحين ويختم على كل عضو منضم بخماعة زمالة بمساعدة : ميله في العمل الزراعى في مختلف المجالات التي لا يستطيع أن يقوم بها بمفرده على أن يرد له هذا العمل في أيام أخرى تالية .

ويتميز نظام الزمالة بعدة خصائص أهمها :

- كثيراً ما تمتد الزمالة لتشمل العلاقة بين أكثر من زميلين .
- لا تقتصر الزمالة على الجهد البشرى وحده بل تتسع لتشمل إعارة الزميل أحد قطعان الماشية أو الدواب .
- ليس من الضروري أن يرد الزميل بنفسه أيام العمل التي قضاها عنده زميل له ، فأحيانا يرسل عوضاً عنه أحد العمال الأجراء ليقوم بهذا العمل أو أحد ابنائه القادرين .

— إن الحقوق والواجبات بين أطراف الزمالة فردية . بمعنى أن كل زميل مسئول أمام زميله في سداد التزامات العمل ، وليس أمام مجموع الزملاء للفرد الواحد . كما أن فض الزمالة من جانب فرد لا يستلزم فضها بين جميع الزملاء .

— الاتصال بين الزملاء للاستدعاء للعمل يجب أن يتم في مساء اليوم السابق للعمل (يبيت عليه) حتى يمكن للمزامل ، ضمان تفرغه في اليوم المحدد للعمل .

— هناك مواسم زراعية تتطلب أكبر عدد ممكن من الأيدي العاملة في الزراعة وفي تلك المواسم يقسم الزملاء أنفسهم للعمل عند كل منهم أياما محددة .

الأجهزة الادارية بالقرية :

من الملاحظ أن قرية هورين كانت تابعة لمركز السنطة محافظة الغربية منذ عشر سنوات ، وانتقلت إلى زمام محافظة المنوفية بعد إعادة تنظيم الإدارة المحلية الذي استتبع انشاء مركز بركة السبع .

وهورين مجلس قروي يشرف على سبع قرى هي :

هورين — كفر هورين — الحلامشة — كفر نفره — كفر هلال — كفر الشيخ طعيمة — كفر عليم ، ورئيس المجلس القروي يختار من بين أعضاء الإتحاد الاشتراكي العربي بالمركز . وهو متفرغ بالمجلس .

ويمثل كل قرية من القرى السبع مندوب في المجلس القروي يشغل منصب رئيس الإتحاد الاشتراكي العربي بها . كما يضم المجلس أعضاء بحكم وظائفهم مثل طبيب المجموعة الصحية ورئيس نقطة الشرطة وبنك التسليف والشئون الإجتماعية بهورين :

والإتحاد الاشتراكي من أهم التنظيمات الرسمية بالقرية ، حيث أن أعضاءه يمثلون أبرز الشخصيات في القرية ، كما أنهم ينتمون لعائلات لها مكائتها الإجتماعية والسياسية : وذلك ييسر لهم القيام بوظيفتهم على أكمل وجه : فمثلا في لجنة فض المنازعات ، يتم كل شيء في جو تسوده الروح العائلية أكثر من كونها إجراءات رسمية ، وبذلك يقبل الأفراد المتنازعين حلولها عن طيب خاطر . كما أنه فيما يخص المشروعات الإجتماعية التي تحتاج إليها القرية نجد أن القادة السياسيون يلعبون دوراً هاماً في السعي لدى الجهات المسؤولة لتسهيل مهمة إنجاز هذه المشروعات .

هذا وما هو جدير بالذكر مساهمة ومشاركة التنظيمات الشعبية والأهالي في هذه المشروعات ...

وقد وجد أن بعض المشروعات العرانية والإجتماعية لها جاذبية خاصة في نفوس الأهالي وإقبالهم على المساهمة في تكاليف إقامتها مثل المساجد والمدارس .

ويلعب القادة المحليون دوراً كبيراً في تجميع الجهود وتنظيم حملات جمع المال اللازم لإقامة هذه المشروعات .

ومن وسائل الضبط الإجتماعي التربية والعرف والقانون - حيث يتلرب الفرد على مختلف أنماط السلوك السائدة في المجتمع منذ طفولته ، حيث يتلقى التراث للجماعة التي يعيش فيها وذلك عن طريق إتصاله بالجماعات الأولية التي تعيش في بيئته كأفراد الأسرة أو الحيوان أو أى جماعة أخرى يتصل بها في مراحل نموه المختلفة . ويتخذ هذا التدريب إما طرقاً مباشرة ومنظمة كما هو الحال في المدارس والأندية ، وإما طرقاً غير مباشرة وغير ظاهرة كما هو الحال في الأسرة وزمرة الرفاق في القرية وكذلك كبار السن . حيث يحاط الفرد بعدة جماعات تمارس عليه ضبطاً إجتماعياً في كل وقت عن طريق الثواب أو العقاب أو ما يعرف في القرية باسم « العيب » ولا يقل عن هذا قوة العرف والتقاليد ، لأنها تعتبر أحياناً أقوى من القانون . لأن السلطة التنفيذية التي تطبق القانون والمتمثلة في جهاز الشرطة في القرية لا تتواجد في كل أرجاء القرية وبين الحقول ومساكن القرويين في الأوقات المختلفة . فبينما يشترك كل أهالي القرية في مراقبة سلوك وتصرفات بعضهم بعضاً . مما لا يدع مجالاً لخروج الأفراد على الأنماط العرفية . فكل فرد يعرف نوعية الأفعال التي تعتبر مقبولة إجتماعياً . وما هي الأفعال التي تعد من قبيل الخروج على النظام العام في القرية .

كما تشكل أيضاً مجموعة القواعد الدينية بأوامرها ونواهيها ضوابط إجتماعية ذات سلطة عليا . والقروى شديد التدين بطبعه . وذلك بحكم النشاط والتكوين ورويته المباشرة للظواهر الطبيعية فيما يصادفه في عمله من زرع وإنبات .

ولذلك يعرف القروى أن الله يراقبه في سلوكه وتصرفاته وبذلك نجد أن الدين كضابط إجتماعي أكثر تغلغلا وشمولا في نفوس الأفراد من الضوابط الإجتماعية الأخرى .

أما القانون كضابط إجتماعى فيعتبر أقل تأثيراً فى مجتمع القرية عنه فى مجتمع المدينة . وذلك لأن القرية مجتمع متجانس متكامل إلى حد كبير مما لا يتيح الفرصة للأفراد للخروج عن النظام العام .

ولكن نظراً لعوامل التغير الإجتماعى الى بدأت تظهر فى القرى مؤخراً ، وإتساع دائرة العلاقات الخارجية بين القرى والمدن لسهولة المواصلات وتعددتها وخروج غالبية أفراد المجتمع سواء للدراسة أو العمل خارج القرية . ضعفت الروابط الإجتماعية الضابطة بين أفراد المجتمع الريفي وأصبحوا بمنأى عن الرقابة المباشرة لسلطة الجماعات الأولية التى اعتادوا عليها فى مجتمع القرية . لذلك قويت الحاجة إلى الاستعانة بالقانون وتزايد الإلتجاء إلى السلطات القضائية أو التنفيذية للفصل فى منازعاتهم وشهدت ساحات القضاء بعض القضايا التى كانت من قبل يفصل فيها على فريق كبار السن فى القرية .

العلاقات القرابية لسكان القرية :

أما عن العلاقات القرابية . فقد عرف من الروايات المتداولة^(١) . أن معظم العائلات الحالية قد وفد مؤسسوها إلى القرية منذ فترة لا تزيد عن أربعمئة سنة تقريباً ، وإن زادت أو قلت عن هذا . فذلك تبعاً لظروف مؤسسى كل عائلة . كما تختلف الجهة التى هاجر منها . فمؤسس عائلة « اللاشاينة » هاجر من بلدة قسيوط القرد - محافظة الغربية . أما عائلة الرخاوى . فقد هاجر مؤسسها من بلدة ميت الرخا مركز زفتى محافظة الدقهلية . ومؤسس عائلة نصار هاجر من بلدة من الوجه القبلى . ومؤسس عائلة الشرقاوى أتى من بلدة القرين : محافظة الشرقية . أما مؤسس عائلة الحوالة فأتى من بلدة الباجور . محافظة المنوفية .

ولقد دامت الإتصالات والزيارات المتبادلة بين مؤسسى هذه العائلات وأصولهم فى البلاد التى هاجروا منها . ثم انقطعت بمرور الوقت ، ولم يعد الأبناء الحاليون يعرفون عن أسلافهم فى الوطن الأول شيئاً ، سوى ما يذكره لهم كبار السن من

(١) هذه المعلومات أخذت شفهيّاً من كبار السن فى القرية .

روايات تتعلق بالنشأة الأولى للأجداد الأوائل والظروف التي أحاطت بمقدم كل منهم إلى قرية هورين واستقراره بها .

وعندما استقر هؤلاء المهاجرون تزوجوا من القرية وكونوا عائلات تحمل أسماءهم واستقل كل منهم بناحية معينة من البلدة . ولظروف الأمن والحماية التي لم تكن قائمة في تلك العهود أقاموا بوابات عند المداخل المؤدية إلى مساكنهم كانت تغلق ليلاً ، ولا زال بعضها موجوداً حتى اليوم .

القراية بين العائلة الكبيرة والأسرة :

نظراً لما أشرنا إليه ، كان ازواج من داخل العائلة الواحدة (الاندوجامى) مرغوباً فيه لكي تحتفظ بتماسكها وزيادة عدد أعضائها وحتى بالأرض الزراعية المملوكة للعائلة وعدم انتقالها عن طريق الميراث إلى عائلات أخرى .

وبذلك كانت كل أسرة وحدة اقتصادية وقراية واحدة ، يعيش أفرادها في مسكن واحد أو عدة مساكن متجاورة تكون نسباً قرايياً واحداً . وينتسب جميع أفرادها لرب العائلة الذي يتولى الرعامة السياسية والاجتماعية للعائلة في كافة المناسبات ولا يخرج أفراد العائلة عن ضاعته .

أما الآن فقد تفككت العائلة ، وزاد الميل للزواج خارج نطاق الجماعة القراية التي ينتمى إليها الشخص . وذلك نتيجة التغيرات الاجتماعية التي حدثت في شكل العائلة بعد زيادة عدد أفرادها وزيادة هائلة ، مع بقاء مساحة الأرض الزراعية كما هي وتفتيتها عن طريق التقسيم على عدة أفراد وتطلع أفرادها إلى الاستقلال عن العائلة وانتشار التعليم ، وظهور أنماط للعمل لا تقتصر على العمل الزراعى . وبذلك لم تعد العائلة الكبيرة وحدة أساسية في البناء الاجتماعى للقرية بل حلت محلها الأسرة التي تتألف من زوج وزوجته وأطفالهما .

وخذا النمط من الأسرة عدة أشكال منها :

— أسرة مستقلة من الناحية الاقتصادية والسكن .

(١) تسمى بعض هذه البوابات ، بوابة أبو أحمد ، بوابة الشراقة ، بوابة التراكوه ... الخ .

— أسرة مستقلة من الناحية الإقتصادية ولكنها لاتزال تقيم بمنزل العائلة القديم .
— أسرة شبه مستقلة من الناحية الإقتصادية ولكن لاتزال تشترك مع العائلة
في العمل الجماعى والسكن .

ومع أن استقلال الأسرة الجديدة أصبح ظاهرة ملفته للنظر إلا أنه لازالت
توجد القليل من الأسرة التى تعيش في كنف العائلة الأبوية أو الأموية في حياة
إقتصادية وإجتماعية واحدة . ويشرف على شئونها الأب الكبير ، كما تشرف الأم
الكبرى على زوجات أبنائها وتتولى تقسيم العمل بينهن في الدار .

ومما هو جدير بالذكر أن الاتجاه الآن للزواج خارج العائلة (الاكسوجامى)
وسع من دائرة العلاقات القرابية التى يمارسها الشخص ، وبذلك تغير أسلوب
التماسك القرابى وتحول مساره من تماسك بين أعضاء العائلة الواحدة إلى تماسك
بين أكثر من عائلة وبذلك زاد التماسك بين مختلف العائلات التى قد تصل إلى القرية
كلها ، وعلى هذا أحيط الفرد بشبكة من العائلات القرابية بالعصبة أو بالمصاهرة .

أما فيما يخص التعليم بالقرية فهناك نوعان من التعليم :

١ — التعليم غير الرسمى : من المعروف أن تربية الأطفال في مرحلة الطفولة
المبكرة يعتمد أساساً على الأم وذلك إلى أن يبلغ الطفل السن المدرسى ، ولكن غرس
البذرة الأولى في التعليم يرجع إلى جهود شخصية في البداية قام بها أحد المتحمسين
المستعيرين من أهالى القرية . والذي قام بهذا العمل في قرية هورين هو ظهور رجل
من أهلها يسمى الشيخ الشرقاوى الذى وصل إلى مرتبة علمية عالية بأن كان أحد
علماء الأزهر الشريف — ولقد بدأ الشيخ الشرقاوى في نشر التعليم بالقرية عن طريق
إنشاء (الكتاتيب) لتعليم الأطفال القرآن الكريم ، وبعد ذلك القراءة والكتابة .
وقد اتصفت جهود هذا العالم بأنه لم يكن داعية لنشر التعليم بين أبناء القرية فقط ،
ولكنه كان مصلحاً إجتماعياً أيضاً ، حيث نادى بنقد بعض العادات البالية ودعى
الناس إلى الاقتداء به ، ثم تابع هذه الرسالة الشيخ الرخاوى ، وهو عالم آخر في
الأزهر الشريف . فتابع حالة التعليم في القرية ، وارسال التلاميذ النابهين من أهلها
إلى القاهرة ، لاستكمال تعليمهم في المعاهد الدينية أو دار العلوم ، وحث الأهالى

على إتاحة الفرصة أمام الأبناء لمواصلة التعليم في المراحل المختلفة ، وعابثهم إجتماعاً ومادياً على حسابه الخاص .

(ب) وقد تحول بعض هذه (الكتاتيب) إلى مدارس ابتدائية ، وبعد اهتمام السلطات الرسمية بادخال التعليم في القرية ، ولازالت إحداها تحمل اسم مؤسس التعليم في القرية — ثم تبعها انشاء المدارس الابتدائية في القرية ثم مراحل التعليم التالية — وذلك بعد أن تنافست العائلات في تعليم أبنائها ، وأصبح يقاس مركز الفرد الإجتماعى بمقدار ما علم من أبناء . ومستوى ذلك التعليم ، مما كان له أكبر الأثر في نشر التعليم وزيوغه في القرية ، وكان نتيجة ذلك تغير ملحوظ في مختلف مجالات الحياة الإجتماعية

ويوجد الآن خمس مدارس ابتدائية ، إلى جانب مدرسة أعداديه وقد انشأت حديثاً مدرسة ثانوية نتيجة لمطالب أهل القرية والجهود الذاتية للأهالى ، بالتعاون مع وحدة الاتحاد الاشتراكى العربى بالقرية ، وأيضاً مدرسة تجارية ثانوية . . . كما أن عدداً ليس بالقليل من شباب القرية قد وصل إلى المراحل الجامعة المختلفة ولكن يغلب عليهم التعليم التجارى العالى .

وعندما نتحدث عن دورة حياة الفرد في قرية هورين ، لابد أن تبدأ بالميلاد وغالباً ما تكون السيدة الحامل تحت رعاية وإشراف الداية أو المولدة التابعة للوحدة الصحية طوال فترة الحمل ، وخاصة خلال الأشهر الأخيرة . وإذا استعين بالداية فإنها تقيم قبل موعد الوضع الذى تعرفه غالباً بالتحديد في دار الزوجة لملاحظتها والعناية بها استعداداً للحظة الوضع وهى أثناء ذلك تشارك أهل الدار معاشهم ؛ أما إذا استعين بالمولدة فإنها تدعى فقط حين تشعر المرأة بالآلام الوضع . وربما تقيم والددة الزوجة الحامل أو إحدى أخواتها إقامة كاملة معها وتعاون الأم والحماة والأخوات في الإعداد للوضع

وغالباً ما يكون للمولود الذكر فرحة أكبر من الأنثى . ويحتفل يوم السبع — الذى تحضره الداية أو المولدة — وإذا كانت الداية ، فإنها تقوم بدور كبير في تنظيم الحفل والتغنى فيه للطفل والدعاء له بالعمر الطويل والسعادة ، وربما تقوم بعمل حجاب للأم أو لطفلها أو لكليهما أو تعهد بذلك بنفسها لمختص .

كما أنها تقيم بيت الأم ولا تغادره إلا بعد السبوع — وكأنها واحدة من أهله .
وكما يشارك الأهل والأصدقاء في الأفراح بهدايا عينية أو مالية فانهم أيضا يشاركون
في السبوع وربما تكررت العملية في حالة ختان الأولاد .

وفي يوم الاحتفال بالسبوع يحضر الأهل والمعارف مصطحبين معهم أولادهم ،
وتوزع على الأولاد شموع وأكياس مليئة بالبقول السوداني والحمص والحلوى :
ويبدأ الاحتفال بإشعال الشمعة الكبيرة (يجهز أبريق في حالة المولود الذكر ، وقلة
في حالة المولود الأنثى حيث يزركش كل منهما بعد أن يملأ بالماء ويوضع على
على الفوهة شمعة كبيرة كما يغطي بإشارب أو مفرش ويزين بالذهب والمجوهرات
من عقود وأقراط وأساور) . وفي بداية الحفل تشعل الشمعة الكبيرة ثم يشعل
الأولاد شموعهم ، وتقوم البداية بوضع المولود في (غربال) ، وتهزه يمنة ويسره
بين يديها عدة مرات مع ترديد بعض الأغاني (ربما كان من بين ما تقوله للطفل
وهي تهزه (اسمع كلام أبوك ، ما تسمعش كلام أمك : : اسمع كلام عمك ، ما
تسمعش كلام خالك) : إلى مثل هذه العبارة التي تدعو الطفل لاحترام خط
الذكور من أهله ويردد الجميع خلفها مقاطع من أغانيها : بينما تقوم فتيات الدار
برش المنع على المدعوين (لمنع الحسد) وأما في مرحلة الطفولة والشباب فنجد أن
الفرد لا يكتسب من أهل البيت قيمهم وعاداتهم وسلوكهم وتصرفاتهم ولهجتهم
فحسب . . بل أن اكتسابه لمعظم هذه العناصر يأتيه كذلك من خارج البيت ، من
أبناء وبنات الجيران — حيث يقضى الطفل معظم وقته إن لم يكن كله معهم خارج
البيت .

وتتخصص ألعاب الأطفال — خاصة الأولاد في أخرى وتتنوع الأشجار — وربما
الاستحمام في النرع — وكل الألعاب التي تحتاج إلى سرعة وحركة — بينما تفضل
البنات تقليد الأمهات منذ الصغر فيغلب عليهن الهدوء ويميلن إلى حمل الصغار والتغني
لمن بأغنيات يسمعن في الأفراح وغيرها .

ويظل الأبناء حتى النساء خارج البيوت ، وربما يعودون مرة أخرى بعد العشاء
ليتوجهوا إلى الطريق الزراعي ، حيث يتحكون ويتسامرون — هذا في الصيف —
أما في الشتاء فانه يختلف عن ذلك حيث البرد قارس والندى منتشر وأحيانا الأمطار —

فيلجأ الأبناء إلى بيوتهم مبكرين . والشتاء هو الوقت الذى يتجمع فيه أفراد الأسرة جميعاً فى المساء داخل البيت يلتفون حول حلقة نار أو مدفأة أو بانقرب من الفرن الكبير المنبعث منه الدفء ، يناقشون مشاكل العمل والبيت والبحيران أو يقصون الحكايات المختلفة عنهم أو عن معارفهم من خلال تداعى الذكريات . أما البنات فهن عادة يلزمن البيت عند المساء فيجلسن بين أمهاتهن وأخواتهن أو يزرن معهن جيرانهن .

وغالباً ما يمد الطفل – الذى بلغ السن المدرسى – يد المساعدة لأبيه وأخوته فقد يعود الابن من المدرسة ليتجه إلى الحقل مشاركاً الأب عمله بقدر استطاعته وعلى وجه الخصوص أثناء انصيف ، إذ يصبح أحد الأشخاص المعتمد عليهم فى الحقل .

أما البنات فتدخل المرحلة التى تبدأ فيها معاونة الأم والأخوات فى البيت وتوصيل الطعام إلى الحقل أو حمل أشياء أخرى منه أو إليه واستحضار المياه من النطاعة الخارجية ، إلى البيت ، وغسل الأواني والملابس وكل الأعمال الخاصة بالمرأة .

وليس هناك وسيلة لشغل وقت الشباب أو استثماره غير مركز للشباب غير المعد أعداداً كافياً ولا يستوعب الجميع . ولذا يفضل بعض الشباب بأن يتجمعوا فى أحد الدواوير^(١) لممارسة بعض النشاط – كنواة اناد خاص .

وسن انزواج بالنسبة للشباب يختلف بحسب حالته التى وصل إليها . فالشباب الذين اختاروا طريق التعليم – وهم الغالبية العظمى – لا يقبلون على الزواج إلا بعد أن يلتحقوا بوظائف مضمونة . أما الشباب منهم الذين اختاروا طريق العمل فى الحقل أو الذين انتهوا من دراستهم المتوسطة والتحقوا بأعمال – فهؤلاء يتزوجون مبكراً . وفى الأغلب يتزوجون من فتيات يماثلنهم فى التعليم – أى ربما يكتفى الفلاح بزوجة لم تسكمل المرحلة الابتدائية . وربما اكتفى الشاب متوسط التعليم بزوجة كالسابقة أو أعلى قليلاً من حيث التعليم . أما الجامعيون فغالباً ما يتزوجون من جامعات .

(١) جمع دوار .

وبالنسبة لاختيار المعلمين لزوجاتهم - فغالبا ما يتزوجون من بنات أقاربهم ، أو معارفهم بالقرية : ويسهل الوصول للاختيار من بينهم ، إذ أن الجميع يعرفون بعضهم البعض - وخاصة وأنهم تلقوا في سن الطفولة تعليمهم معا ، وربما كانت هناك عاطفة حب - سرية للغاية - تربط بين الاثنين . وربما يحدث ذلك أيضا بالنسبة لشباب الفلاحين ، إلا أنه من التقاليد الشائعة أن يتوجه نفر من هؤلاء الشباب الذين وصلوا إلى سن الزواج ، يذهبون إلى مرتفع معروف في (السويقة) ويجلسون منتظرين مرور الفتيات أثناء شرائهم لوازم البيت أو يبعهن منتجات مختلفة . وذلك لكي يختاروا من بينهم زوجاتهن .

بعد أن يجد الشاب الفتاة المناسبة ، يعود إلى البيت ويخبر أمه أو أخته « باختياره » وعندما يتم الاتفاق على الفتاة المذكورة ، يتوجه أكبر العائلة سنا إلى بيت الفتاة ويخبر أمها أو أباه (بأنهم) سيمرون (عليهم) في المساء ، ليشربوا القهوة ، وهذا يعني أنه جاء ليمخطب إحدى الفتيات لأحد شباب عائلته . وعادة لا يضم هذا المجلس سوى الرجال من كلتا الأسرتين فإذا اتفق الحاضرون على خطبة الشاب للفتاة ، قرئت الفاتحة ، واتفق على قيمة المهر والشبكة ، والتزامات أهل العروس لتقيض في شراء الجهاز . وتتفاوت قيمة المهر والشبكة باختلاف حال الأسرتين .

ويحدد (لتقيض المهر) جلسة ، حيث يقوم كبير أسرة الفتى بتقديم المهر والشبكة السابق الإتفاق عليهما لكبير أسرة الفتاة بحضور أفراد كثيرين من كلتا العائلتين . وعلى أهل العروس الانتهاء من إعداد الجهاز في أقرب وقت ممكن ، كما تحاول العروس الانتهاء بسرعة من إعداد الملابس والمفروشات .

وغالبا ما يذهب عدد كبير من الأسرتين لشراء ما يحتاجه العروسان من جهاز وأدوات .

وقد يتم عقد القران مع الدخلة في يوم واحد : وهو الشائع : وفي عقد القران يقام حفل كبير في بيت العروس يحضره عدد كبير من المعارف والأصدقاء .

وتنقل حاجيات العروس من أدوات ومفروشات من بينها إلى بيت العريس ، يوم الدخلة أو في يوم سابق له . وتسبق الدخلة عادة ليلة تسمى (ليلة الحنة) - وهي

عادة يوم الأربعاء ، وفي هذا اليوم تنضر الماشطة إلى بيت العروس ، وتقوم باعداد الحنة لتضعها على يدي العروس ورجليها وكذلك صديقات العروس وأولاء الخيران كما تقوم بتزيين العروس وتعطيها . ويتم ذلك أيضا للعريس في بيته بواسطة الحلاق . وفي يوم الدخلة يصطحب أحد الكبار من أسرة العريس - ربما الخال أو العم أو الأخ الأكبر بعض الأقارب ويذهبون لاستحضار العروس ، ويعود الجميع مصطحبين العروس وسط موكب بهيج ويتوجهون إلى بيت العريس (من التقاليد المرعية حتى الآن أن يبدأ خروج موكب العروس من بيتها - وكذا دخوله إلى بيت العريس - بالرجل اليمنى) . ويسير الموكب ناحية اليمين حتى لو كان بيت العريس ناحية الشمال (وهو نوع من التفاؤل والاستبشار) .

ويقف العريس في داره متفائرا الموكب ، حيث يتقدم نحوه ويغني عروسه ومن معها (وينسلمها) ويدخل بها إلى داره مع ارتفاع الزغاريد والتصفيق وعبارات التحية والمباركة . وتقام وليمة كبيرة في بيت العريس ، ولا يجب أن يمتنع أحد عن تناول الطعام .

وفي صبيحة اليوم التالي - وهو ما يطلق عليه اسم « الصباحية » تعد أم للعريس طعام الإفطار وتوقظ العروسين . وبعد الإفطور تخضر أم وأخوات العروس للتهته ، ثم يتتابع حضور أهل العروسين ومعارفهما وأصدقائهما .

وتبدأ العروس ابتداء من اليوم الثاني مباشرة - العمل داخل المنزل بمساعدة أخوات العريس . ويخرج العريس إلى عمله ابتداء من اليوم الثالث مباشرة ، بينما لا ترح العروس البيت حتى لزيارة أهلها إلا بعد مرور شهر كامل . ويقدم العريس لعروسه في بعض المناسبات هدايا رمزية (كعروسة حلاوة) في أول مولد نبوي ، تحتفظ بها حتى تنجب الطفل الأول ، أو قطع القماش الملون أو الملابس في الأعياد . وعادة تتعجل الأسرتان العروسين لإنجاب الأطفال ويكون السؤال الرئيسي لأم العريس أو أم العروس متصل بهذا الموضوع دائما .

عادات متصلة بالوفاة : عند حدوث وفاة بالقرية ، يخرج مناديا ليعان على أهل القرية نبأ وفاة فلان من عائلة كذا . وتقام ليلة المأتم التي قد تمتد إلى ثلاثة أيام متتالية لاستقبال المعزين من أهل القرية والقرى المجاورة .

وكانت كل أسرة في القرية - في الماضي - تخرج صبية عليها بعض أنواع الطعام مشاركة لأهل المتوفى في إطعام وفود المعزين ، التي ترد إليهم بالتالي عند حدوث وفاة عندهم . وعلى هذا تصبح هذه للصبيّة ديناً واجب الأداء عندما تمنح الفرصة لردّها .

ولكن أحد كبار رجال القرية - الذي نادى بأبطال بعض العادات القديمة وأسس التعليم في القرية - نادى ضمن ما نادى به من إبطال عادة إرسال الصواني وإقامة السرادقات وما يستتبع ذلك من تكاليف تشكل عبئاً على كاهل أهل المتوفى مادياً ونفسياً . وليس هناك طقوس معينة في الوفاة ، إلا الصلاة جماعة على البيت في المسجد ، ثم تلاوة القرآن بعد العودة من الدفن ، وتقبل العزاء من المعزين . ولكن زيارة المقابر تلعب دوراً هاماً في القرية ، حيث أنهم يزورون المقابر كل يوم جمعة وخاصة للنساء ، وأيضاً في المواسم والأعياد .

الرعاية الصحية : أنشئت بقرية هورين وحدة صحية تخدم هورين والقرى المحاورة لها . وتنقسم الوحدة إلى عدة أقسام منها : القسم الباطني ويشرف عليه الطبيب المقيم ، وقسم الأسنان وتشرف عليه طبيبة غير مقيمة ، ثم قسم الولادة وبه مساعدة مولدة مقيمة إلى جانب تمورجي وتمورجية .

الأمراض المنتشرة في القرية هي : البلهارسيا ونسبتها كبيرة جداً ، والانكلستوما . ورغم وجود الوحدة نجد أن الأهالي يفضلون اللجوء إلى الأطباء الخصوصيين في المدن القريبة كزقّي أو بركة تسع .

ومع ذلك نجد أن الكثيرين يفضلون العلاج بالطرق البلدية أو بأعمال الشعوذة : ريشع هذا الاعتقاد بصفة خاصة بين السيدات كبار السن . فمثلاً عند علاج الأطفال المستعصى علاجهم بالطرق أو الوصفات البلدية يوضعون فيما يسمى « الطاقة » وهي (نافذة المسجد الصغيرة) . وذلك عن طريق وضع الطفل المريض في طاقة المسجد ثلاث جمع متتالية عند الصلاة . وتقوم اثنتان من السيدات بادخال الطفل في الطاقة وتلقاه الأخرى من الناحية المقابلة ، وتقولان أثناء هذه العملية : « نحنوا بنتكم وهاتوا ابننا » إذا كان الطفل المريض ذكراً أما إذا كانت المريضة أنثى

فيقال « خذوا ابنكم وهاتوا ابتنا » ويقال أنهم يقصدون من هذه العملية إبطال العمل الأرضي « الحن » الذي سبب المرض للطفل واستعصى علاجه بالطرق العادية ويعتقدون أن العمل يبطل في ثالث جمعه (١) - وهذه الطاقة تكاد تكون مهجورة ويوضع فيها الطفل دون أن يسمى عليه « أى قول بسم الله الرحمن الرحيم » .

ويشترط في هاتين السيدتين أن تكونا من كبار السن ويشهد لهما بالتقوى والإيمان. ومثل هذه العملية تجري أيضاً لمثل هذا الطفل في ثلاث جمع متتالية ولكن في المقابر حيث يترك الطفل هناك قبل صلاة الجمعة وتعود به الأم بعد ذلك ويقال أنه في ثالث جمعه ، إما أن يشفى الطفل تماماً من مرضه أو يموت .

أما في حالة عدم الإنجاب ، فإن الشخص يسير حول البلدة من جهة اليسار في آخر جمعة من الشهر العربي ، وذلك قبل طلوع الفجر ماسكاً بيده عمود من الحديد ، ولا يتكلم أثناء سيره . ويعتقد في أن السيدة ستحمل في نهاية هذه الحلقة . ومنها أيضاً أن تصعد السيدة العاقر المئذنة يوم الجمعة اليتيمة وتدور حولها وفي نظير ذلك تدفع مبلغاً لخادم المسجد .

أما عمل الأحجية والتعاويد والذهاب إلى المنجمين وعمل خنلات الزار فهو شيء سائد بكثرة في البلدة للوقاية من جميع الأمراض .

فمثلاً تعمل الأحجية « عمل » لجلب الحب والكره . وتعمل الأحجية للوقاية من الأمراض أو لابتداء الأشخاص أيضاً مثل الكتابة على الباذنجان الأسود ويقال أن مثل هذا الشخص الذي كتب له على الباذنجان يصاب بالحنون في موسم الباذنجان ويزول عنه المرض بعد هذا الموسم .

ويلاحظ أن الذين يقومون بهذه الأعمال لديهم كتب قديمة أصلها من المغاربة ، وهي أساس السحر في هذه البلدة . وقد تركوا كتبهم لبعض عائلات القرية التي مازالت تحتفظ بها وتمارس معظم أنواع السحر عن طريقها .

الدين : يدين أهالي القرية خيماً بالإسلام وليس بينهم واحداً يدين بغيره ، ولذلك فأماكن العبادة كلها تنحصر في المساجد .

(١) هذه المعلومات أخذت عن بعض السيدات والمسنات اللاتي يقمن فعلاً بهذه العملية .

ومن العوامل التي أثرت في الناس وجعلتهم يتمسكون بالدين في تعاملهم ، ما ورثوه عن أهلهم الأولين ، فلقد حظيت القرية قديماً بعدد من (الأولياء) أو المشايخ الصالحين الذين كانوا يعتبرون (قادة) في القرية ، وهؤلاء لقنوا من تلامهم هذه التعاليم وتناقلت عبر الأجيال .

ويعرف معظم الذين قابلناهم أثناء البحث الكثير عن الدين الإسلامي معرفة صحيحة وأما معظم المساجد الموجودة بالقرية يوجد بداخلها أضرحة لأولياء الله الصالحين الذين يقال عنهم أنهم كانوا أصحاب (كرامات) أي في استطاعتهم الاتيان بأعماق خارقة ، ويتسمى المسجد باسم الشيخ أو الولي صاحب المقام .

ويرتبط موضوع الأولياء أو ذوى الكرامات بوجهين ، الوجه اللدني ، واثمارات السحرية والشعوذة كوجه ثان . بمعنى أننا سنتطرق إلى الحديث عن السحر إذا تناولنا موضوع الدين والعكس .

وإذا كانت نظرة الناس إلى أصحاب المعرفة بالدين لا تختلف عن نظرتهم إلى باقي الناس – وإن كان هؤلاء العالمون به قد يحتلون أحياناً مكاناً يتسم بالإحترام والتبجيل – فإن نظرتهم إلى الممارسين لأنواع السحر والشعوذة تختلف كثيراً عن ذلك ، وإن كان شعور المتدينين بما يدينون به يرضى عليهم نوعاً من الطمأنينة واثراحه ، فإن شعورهم تجاه السحر والشعوذة يختلف عن ذلك كثيراً .

ولكن قد يقترب اعتقادهم في بعض الأحيان في الأولياء والصالحين وما يؤمنونه من معجزات خارقة من اعتقادهم في السحرة والمشعوذين – وما يقومون به من ممارسات تقترب إلى حد الإعجاز .

وقد أتاحت لنا دراستنا فرصة للتعرف على بعض هؤلاء المشعوذين وما يقومون به وأثر هذه الأعمال في الناس وفي حياتهم اليومية : من هؤلاء من يقوم بأعمال الربط ، وفتح الكتاب ، وقراءة النوى ، والزار وبالرغم من أن بعض هؤلاء كان من الصعب التدخل فيما يقومون به أو محاولة التعرف عليه أو مشاركتهم أعمالهم إلا أننا استطعنا مع كل الصعوبات التي واجهتنا أن نقف على ما يقومون به وأثره في الناس ونظرة الناس لهم ومكائهم بينهم .

فالقائمة بأعمال الربط - وهو عمل يؤدي إلى فشل الزوج في الاقتراب من عروسه يعرفها الجميع ويعرفون مدى قوتها في هذا المجال ويخشونها حقاً حتى ولو لم يصرح بعضهم بذلك . وهذه المرأة كانت تقوم أصلاً بأعمال (الماشطة)^(١) في القرية ولكن نظراً لضعف نشاطها في السنوات الأخيرة ، حيث أصبحت الفتيات تترين بالطرق الحديثة وليست في حاجة ماسة إلى الماشطة من ثم فقدت مورد رزقها فتحوّلت إلى عملها الحديد (الربط) بعد أن قام بتلقيها (سر المهنة) رجل مغربي ، تعرفت به أثناء قيامها خارج القرية - وقد نجحت في هذا العمل الحديد . ويؤكد الجميع - حتى المتطعين منهم - أن لها عمرة مصرية وأنها قادرة مثلاً على (إيقاف) الزيجة :

ويتلخص ما تقوم به من أعمال في حصولها على كمية من فلة يبق المطحون توا - حيث يكون دافئاً - أو حفنة من تراب الأرض التي صار عليها العريس أو عروسه وقراءة (تعويذة) معينة عليها (تقول أنها بعض آيات قرآنية) وفي حالة الدقيق لا بد أن تعرف اسم العريس وأمه - أما في الحانة الثانية (حفنة للتراب) فلا بهم معرفة الأسماء ثم تأخذ بشعرة من ذيل جمل أو (قشة) من حصيرة وتقوم بعمل ثلاث عقد بها وتضعها مع الدقيق أو التراب في قطعة قماش وتحفظها معها . وتستطيع (فك) هذا الربط (العمل) بمجرد حل العقد الثلاث ونثر التراب أو الدقيق في الهواء . .

وأما قارئ الكتاب فلا يتعدى عمله ، قراءة صفحات معينة في كتب الطب القديمة وذلك بعد تحويل اسم الشخص إلى أرقام . وعمل عملة حساسة يعرف من خلالها رقم الصفحة والسطر الذي يخص هذا الشخص .

أما عن قارئة النوى ، فعملها ينحصر في قراءة مجهول عن طريقتي حدد من النوى (نوى البلح) . . . عددها ٧ ، تمسك بها صاحبة الحالة وتهمس إليها بما في داخلها من رغبات ثم تلتى به أمامها وأمام القارئة على الأرض .

وهناك من يقوم بعمل الزار - وهو عبارة عن إقامة حفل موسيقي راقص

(١) لقد استطعنا أن نصادق هذه المرأة ونعرف كل بعض خفاياها . وبخبر هذه المعلومات أخذت منها شخصياً .

(باستخدام الناي والذف والطلبة) فى حلقة شبه مظلمة يقوم المدعوون من رجال ونساء بالرقص على نغمات الآلات .

وهو فى الحقيقة حالة نفسية معينة تحتاج لتفريغ شحنات انفعالية عن طريق الرقص والموسيقى .

خاتمة

موجز لأهم حقائق ومحصلات للبحث

— فى دراسة النواحي الإقتصادية لمجتمع قرية هورين أظهر البحث أن لبعض الاستخدامات التكنولوجية الحديثة أثر هام وسريع على نواحي الحياة الإجتماعية . كما يلاحظ أن نظام الصرف المغطى قد زاد من المساحة المزروعة وتبعه بالتالى آثار إجتماعية وصحية — وأن المجتمع الريفي قد استبدل من الاعتماد على محصول نقدي واحد كالقطن مثلاً إلى محاصيل أخرى .

كما تبين أن ارتفاع نسبة المعلمين بالقرية قد انعكس على نظمها السياسية والإقتصادية والقراية وكذلك على نمط الملكية السائد . وأن نظم التبادل الموجود بالقرية قد لا تعتمد على النقود كوسيلة وحيدة للتبادل ولكن توجد أنظمة إقتصادية أخرى تفوق فى أهميتها قيمة النقود كوسيلة للتبادل ، وذلك بتبادل السلع أو الخدمات أو حتى مجرد جهد العمل . وأن هذه النظم تكون ما يسمى « نظام المساينة » .

كما أن المجتمع الريفي يحافظ على تماسكه وتكامله وحماية صغار الزراع فيه بتبادل العمل ومساندة بعضهم البعض فى إطار نظام اقتصادى متكامل يحكمه العرف ويحافظ على بقائه التقاليد — يعرف بنظام « الزمالة » . وأظهر البحث أن مفهوم السوق فى القرية يختلف عنه فى المدينة نظراً للروابط والعلاقات الإجتماعية التى تصاحب الأنشطة الإجتماعية ، وبذلك يقوم السوق بدور اقتصادى وإجتماعى معاً .

— وفى مجال النظام السياسى أبان البحث أن القيادات المحلية رغم احتفاظها ببعض سلطاتها القديم على الأفراد فى القرية ، إلا أن سلطاتهم قد بدأت تضعف .

ويعطينا هذا إشارة تحذير لإيجاد وسيلة بديلة من هيئات أو تنظيمات تقوم بهذا الدور القيادي في مجتمع القرية . وحتى يمكن استغلال الطاقات وخلق الشخصيات السياسية التي تسوس القرية بمفاهيم حديثة تتشبا مع الاتجاهات المعاصرة وهو ما تحاول أن تتويه التنظيمات الشعبية بالقرية معتمدة على شخصيات لها وزنها السياسي والمكانة المرتفعة .

هذا وقد قل اعتماد المجتمع الريفي على العرف والتقاليد والسلطة الأولية الممثلة في كبار السن بالقرية كوسائل مغالة في الضبط الاجتماعي ، وزاد الاتجاه إلى الالتجاء للسلطات الإدارية والقضائية لفض هذه المنازعات .

— أما في مجال العلاقات القرابية وتركزها في عائلات كبيرة مغلقة على أفرادها . فقد تبين أن هناك تحولاً ظاهراً لاستقلال الأسر الجديدة في معيشة منفردة بعيدة عن تركز العائلة وأحياناً يتجه نمط الزواج من داخل العائلة إلى خارجها في مساكن مستقلة . مما كان له أكبر الأثر على البناء الاجتماعي في القرية ، فأدى إلى زيادة الجماعات القرابية التي ينتمى إليها الشخص ، وزيادة التماسك بين أفراد القرية جميعاً . بل وتعدى ذلك إلى القرى المجاورة . وبذلك أصبحت الأسرة هي الوحدة الاجتماعية بدلاً من العائلة في البناء الاجتماعي القروي . وتغير الكثير من وظائفها وأصبح الفرد ينظر إلى مصلحته الشخصية مفضحياً ببعض المصالح العائلية في سبيل ذلك .

— وفيما يخص العمران . فقد وجد أن القرية قد اتسعت عمرانياً كما تبين الخريطة رقم (٢) (١) وقد وجد أن سمة امتداد قرية هورين كباقي قرى الجمهورية وإن كانت تتصف بالقدم الزماني .

وبلاحظ أن شكل القرية يأخذ شكل هندسي دائري تمثله سكن قرية هورين والتي يميزها طريق يحزم القرية من كل اتجاهها ويأخذ الشكل الدائري وهو كما يظهر من اسمه — طريق دابر الناحية — .

(١) الأصل من مصلحة المساحة بالقاهرة . والاضافات العمرانية الحديثة قام بتوضيحها السيد حسن الخولي ، المدرس المساعد بقسم الجغرافيا بمعهد البحوث والدراسات الإفريقية ، وذلك بعد زيارة القرية .

— ويغلف نواة القرية السكنية سكن ناحية هورين وهو امتداد عمراني يتجه ناحية الجنوب والجنوب الغربي . ظهرت الإضافات السكنية والتي سجلت على الخريطة الأصلية لمصلحة المساحة مقياس ١ : ١٠٠,٠٠٠. واعتبرت الفترة منذ ١٩٤٠ تاريخ آخر مسح للمنطقة وزيارة فريق البحث ١٩٧٢ : ما أضيف هو امتداد العمران لم تسجله الخرائط المساحية ولكنه مجهود انشائي جاء نتيجة دراسة ميدانية ثم التوقيع على كل إضافة في الاتجاهات الأربع الأصلية وكان امتداد سكن القرية في كل الاتجاهات شمالاً وشرقاً وجنوباً وغرباً .

وظهر أن أعظم امتداد للعمران في هذه القرية ناحية الشرق والجنوب كما يلاحظ على طول الطريق الزراعي مباني حديثة « انطوب الأحمر والمساح » . بعضها خاص بالأهالي والبعض الآخر منشآت حكومية مثل : المدينة السكنية للمغتربين « مدرسين وموظفين » الوحدة البيطرية على الطريق الزراعي في اتجاه بركة السبع وبعض المدراس الابتدائية — الوحدة الصحية ومساكن الأطباء وانجاس القروي والمدرسة الإعدادية والثانوية التجارية أيضاً على الطريق الزراعي في اتجاه زققي . هذا مع بقاء البقعة الزراعية كما هي .

أما إذا تكمننا عن مستقبل الامتداد فالمؤشر واضح أن تأثير سهولة المواصلات ناحية القرية « إلى بركة السبع » وكذلك امتداد الطريق الزراعي البري « بركة السبع — زققي » كان له الفضل في أن تحدد أن مستقبل العمران سيكون في هذا الاتجاه .

ولعل العوامل السابقة هي نفسها التي حددت عدم نمو العمران في الاتجاهات الأخرى .

... وتبعاً لمشروع كهربية الريف المصري ، فقد شمل هذا المشروع أيضاً قرية هورين مما ظهرت آثاره واضحة بالنسبة للشباب خاصة ، وباقى أفراد الأسرة عامة ، حيث يحلو السهر فوق أسطح البيوت ويستمر اللهو واللعب حتى الفجر ومن الشباب من يقوم بقراءة بعض الكتب العلمية أو مناقشة بعض المسائل الهامة ، أو ممارسة لعب الطاولة والكتشينة (١)

(١) ملاحظات شخصية .

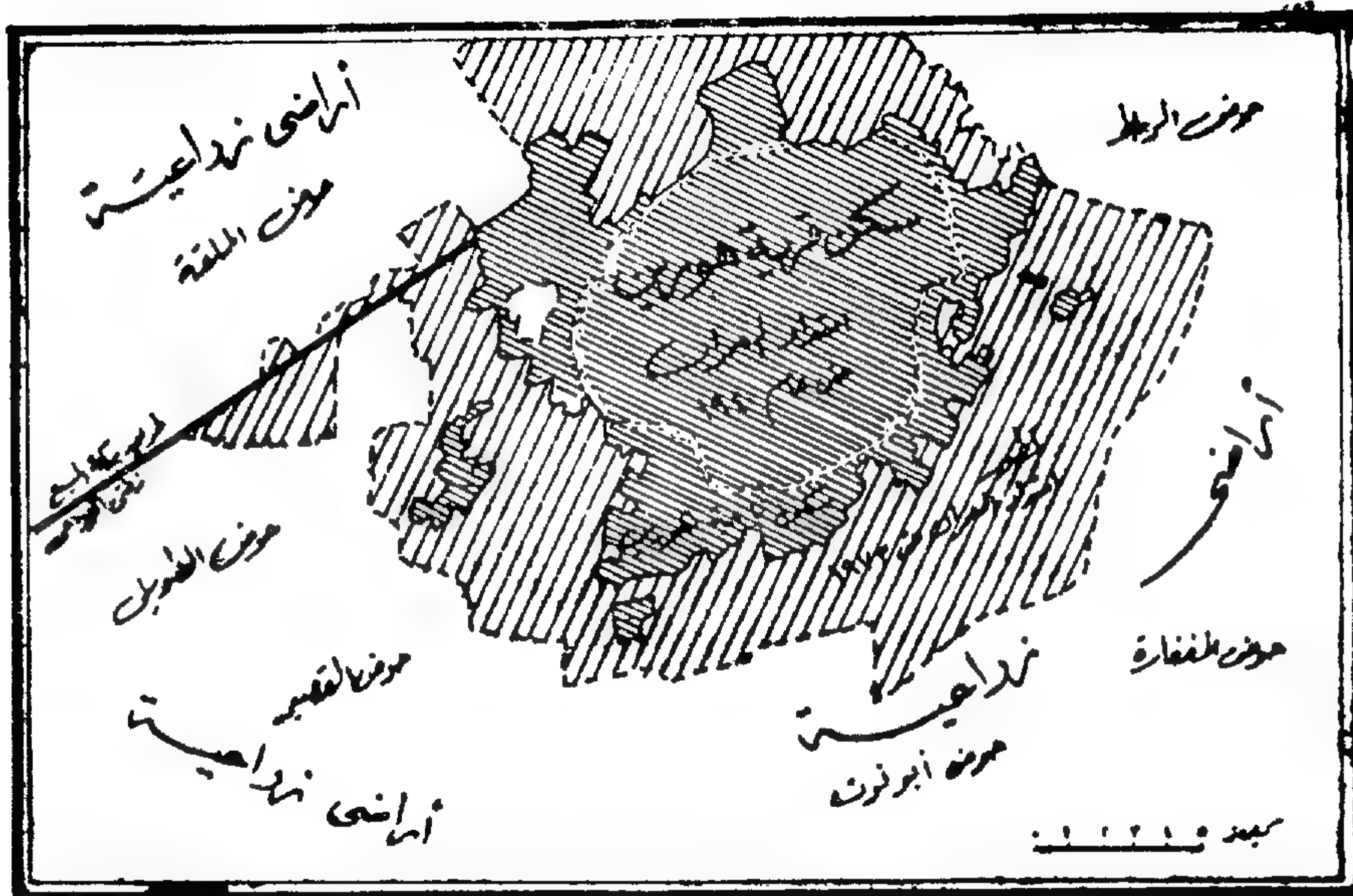
— ومما لاحظته أيضاً فريق البحث على قرية هورين بصفة خاصة أن معظم الشباب يتجه إلى التعليم بجميع مراحلها والكثير منهم ممن أتم تعليمه العالي . أصبح يعمل في المدن أو في العاصمة ، وهذه الفئة ليست قليلة — حيث أنها تزيد سنة بعد أخرى مما يدعو للقلق وخاصة أن العمال الزراعيون أيضاً بدأوا يتجهون إلى العمل في المدينة لزيادة دخلهم وللمزايا التي وجدوها بالمدينة . من مسكن نظيف وملبس وملهى مما جعل القرية تكاد تكون خالية إلا من كبار السن وذاتك على مدار السنة ولكن هذا لا يمنع من أن الغالبية العظمى تحس بالحزن دائماً إلى مسقط رأسها وإلى الريف المعروف بهدوئه وجماله وخاصة في الأجازات (فتعكس الآية في الصيف) حيث يعود معظم الشباب إليها . والمراد هنا هو أن هذه الأقلية المسنة هي التي تمارس الزراعة لكي تحافظ على مستوى الإنتاج الزراعي مما يدعو إلى الخوف والقلق ويجعلنا نتساءل ماذا سيكون مصير القرية ومصير الزراعة والإنتاج الزراعي بعد أن تنترض هذه الأقلية من المسنين .

سيجيء اليوم الذي تصبح فيه أراضي هورين الزراعية جميعها للأجراء وأن هذا اليوم ليس بالبعيد — ومن العادات التي بدأت في الزوال تدريجياً عادة إرسال الصواني وإقامة السرادقات في المآتم وما يستتبع ذلك من تكاليف عبثاً على كاهل أهل المتوفى . كذلك زالت عادة الصواني أيضاً في الأفراح ، كذلك النقوط .

ومن العادات التي يجب أن تزول عادة زيارة المقابر خاصة أيام الأعياد ، حيث يصبح يوم العيد دائماً عزاء وألم على الأموات ، بدلاً من الفرح والسعادة والاحتفال مع جميع أعضاء الأسرة بهذا اليوم من أيام السنة .

— ومما يوصى به فريق البحث فيما يخص نظام المسكن ، هو تخصيص حجرة للقش والوقود ، تماماً كما تخصص الأسرة حجرة للتبن ، والاهتمام بالمكان المخصص للمواشي ، وباحتساب لو كان خارج الدار حيث يقام لجميع عائلات أخى مكان واسع لمواشيهم ويحرسه الأهالي بالتناوب أو يخصص حارس بالأجر لذلك . — كما يجب التفكير في إدخال المياه في المنازل ، وتطهير الترع .

— هذا ويراعى الاهتمام بالعمال الزراعيين ومد الأهالي بما يلزمهم من أدوات زراعية وأسمدة كيميائية وغذاء للمواشي .



امتداد العمارة في قرية لهوين

خطوات الفترة من ١٩٦٠ الى ١٩٧٢



موقع منطقة البحث

جیو ملزاکر و ملزاکلمات المهارف

صور ملحقة بالبحث عن قرية هورين



١ - الطريق الرئيسي الذي يربط قرية هورين ببلدية الكيرش (بركة السبع وادي).



٢ - منزل داخل القرية ويتكون من دورين .



٢ - نموذج هبش التي يبني في الحقن دور واسد ولايزيد من جبريق



٤ - تمورجى الوحدة البيطرية وهو يقوم بتفريغ كيس في رقبه عجل



٥ - النخيل المحصن بقصص المواتشي وهو يجر صوف الغنم



٦ - السيدات يتعاونن في عمل النخلة



٧ - المصطفى يقوم بوضع - الحلة - للعروس



٨ - العروس في طريقها إلى بيت الزوجية يوم الزفاف

(مطبعة جامعة القاهرة ١١٠٤ / ١٩٧٣ / ١٠٠٠)

طبعتم بمطبعة جامعة القاهرة

مدير المطبعة

على محمد حسن اسماعيل

٧٤/٧/١٤

REFERENCES

1. TOUSSOUN, Prince OMAR (1922) : **Memoire sur les Anciennes Branches du Nil. Epoque Ancienne. PP.60. Société Royale Geographie d'Egypte, Le Caire.**
2. TOUSSOUN, Prince OMAR (1926) : **La Geographie de L'Egypte a L'Epoque Arabe. Tome VIII, Première partie. pp.1--214. Société Royale de Geographie d'Egypte, Le Caire.**

of sediments associated with limited green cover rendered it very similar to the coastal swamps (Sabakhas) and those to the south of the northern lakes. The most characteristic plant in this habitat is *Schanginia baccata* Moq.-Tand.

CONCLUSIONS AND RECOMMENDATIONS

The area of Gamasa (Dissa in old maps), represents a wide plain that could be differentiated into a number of geomorphic units. It is one of the famous sites where wide expanses of sandhills have spread inland from the lowlying coast. The occurrence of old indurated dunes in this district is of particular interest to Geologists, Geographers and Botanists. Their plant cover is denser and more rich in species than other zones. These sediments are believed to be transported by one of the old Nile branches that once debouched in the Mediterranean in classical times. This tributary followed the Atribic Canal (Bahr Basandila) traced by Toussoun, 1922. It is considered, as far as the authors are aware, the only site in northern delta where such indurated sediments are recorded. Similar occurrence is met with to the southwest of Gamasa, where another ancient branch was traversing the district of Abu-Madi as illustrated in Toussoun, 1926.

It is recommended that a research work be undertaken to reveal the nature, and delineate accurately the course, of these extinct branches and compare their sediment load with those existing at present. Statistical geomorphological studies of recent dunes, their areal distribution, orientation with respect to the prevailing wind would be of interest to interpret this peculiar phenomenon and compare it with other localities along the north coastal stretch of the Nile Delta.

The mineralogical composition and the frequency of each heavy fraction would reflect the nature of the source area and the load acquired by the main river down to its lower reaches.

It is also recommended to carry out comparative mineralogical and, if possible, palynological studies with other Nile deposits in and around the Nile delta. These investigations should also include ancient Nile deposits in Abbassia and Heliopolis to the east of Cairo; Maadi, Tura and Helwan to the south of Cairo. These studies would emphasize the chronological relation, evolutionary history of the Nile delta and lead to a better understanding of the paleoecologic and paleogeographic conditions that prevailed in the past.

M. G. Barakat and M. Imam

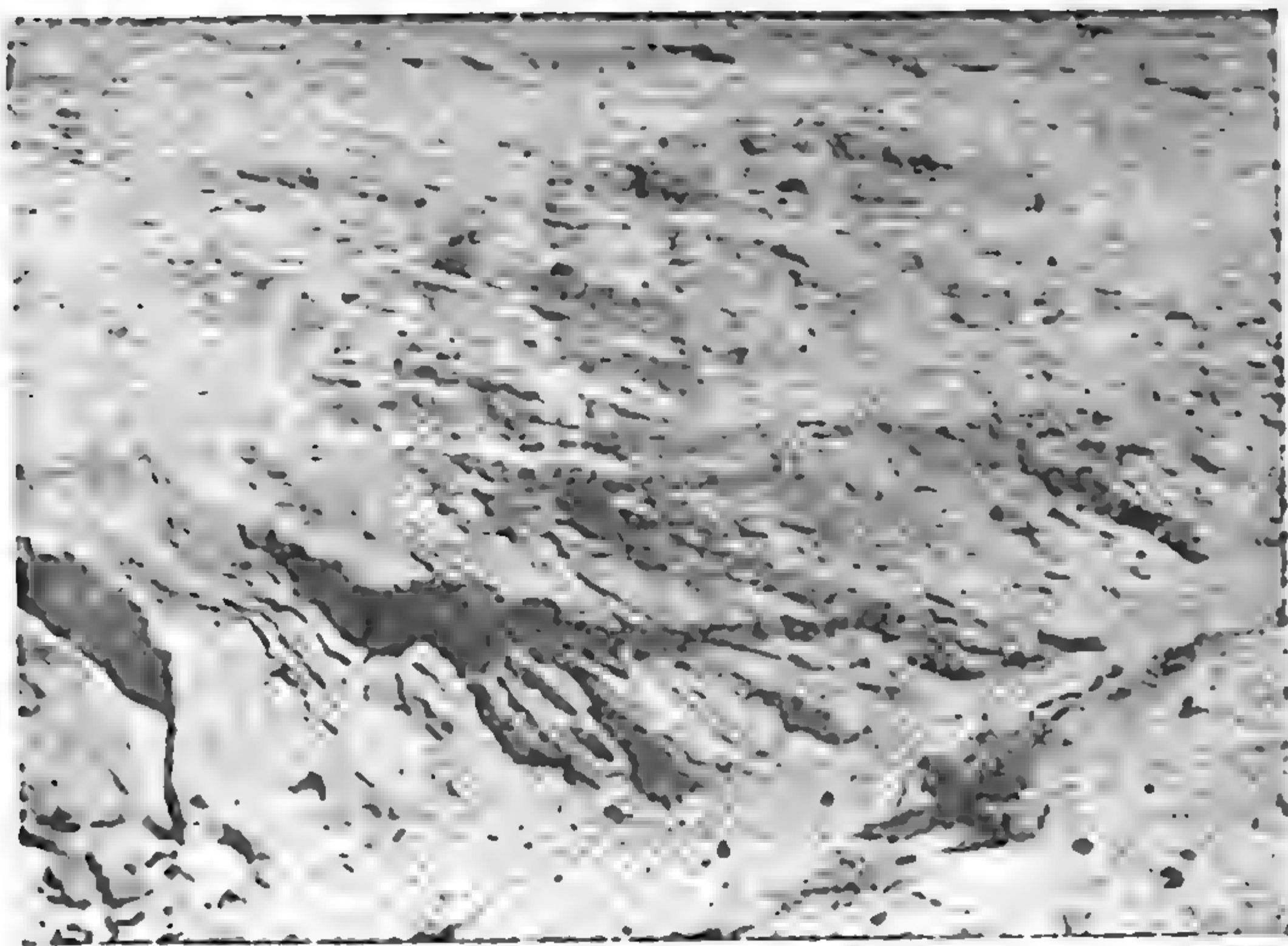


FIG. 1.—Finely stratified and cross-bedded old indurated dunes.

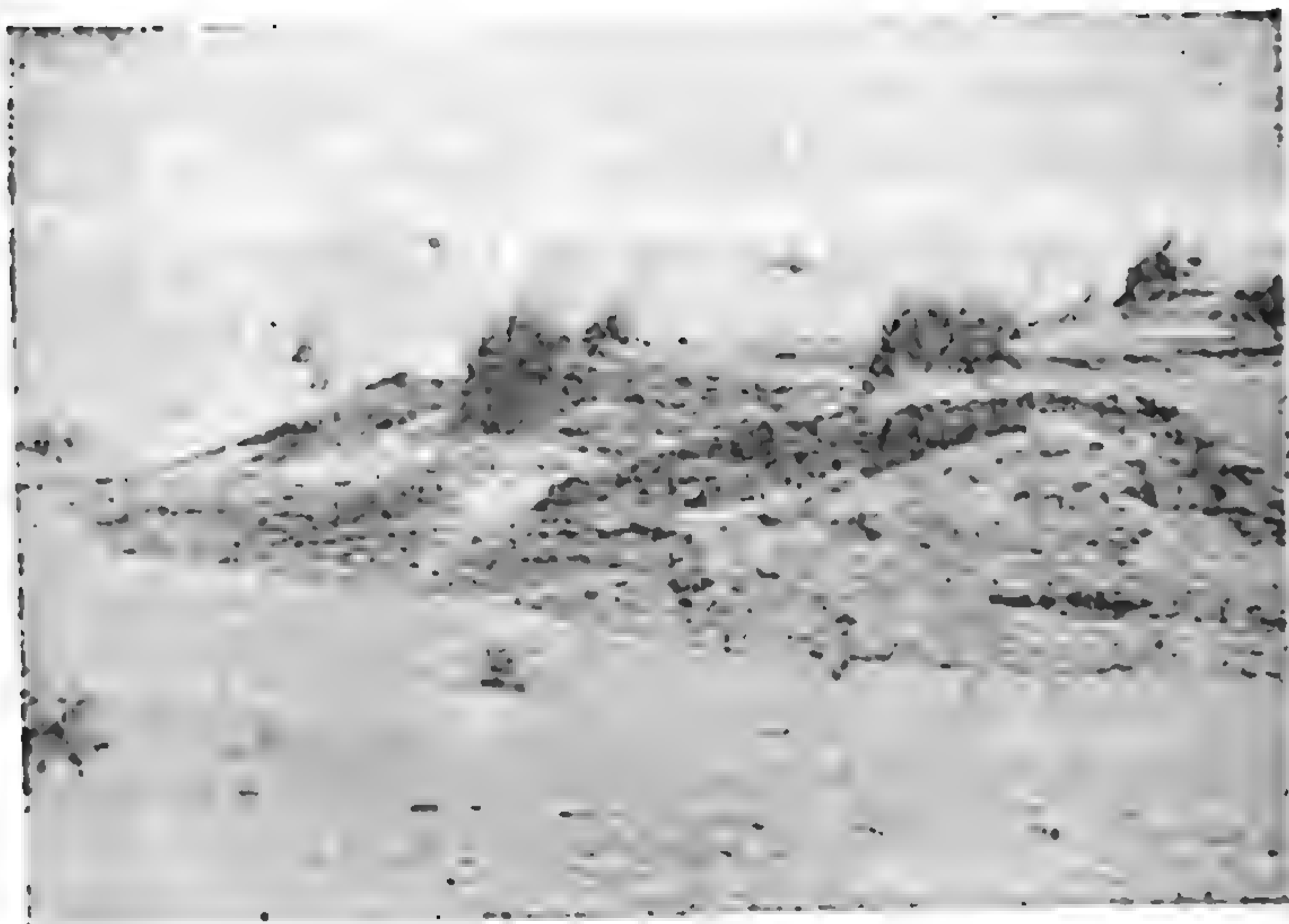


FIG. 2.—Elongate erosional remnants of old indurated dunes with tussocks of *Agropyron elongatum* (Host) Beauv.

Fine streaks of heavy mineral fractions are interbedded. Quartz sand, fine to medium grained, is the main building mineral. Fine sand and silt give these sediments their reddish brown colour. Some of these old dunes are concealed below recent dune belts, others are covered by a thin veneer of wind blown sand. This geomorphic unit, in general, stands as an elevated bank, and could be traced to the south and south-west of the investigated area. It rises about 3 meters above sea level. It gradually diminishes in height northwards, south and westwards. Northwards, these old dunes are washed away by the repeated sea invasion in winter. Parallel lineation of variable slightly hard interbeds is faintly noticed in the interdunal plains and beneath the inward migrating recent dunes.

They differ from recent dunes by their slight induration, brown colour, gentle sloping back and less elongated outlines. Shallow seismic holes were drilled along a north-south direction and a dark grey lagoonal clay with brackish molluscan shell fragments was reported with depth. These hummocks are distinguished by a unique green cover characteristic to this soil particularly at the northern tip of each hillock. (See Plate 1, Fig. 2). The green cover of this geomorphic habitat is denser and more rich in species than in the other zones. The most characteristic species are :

Agropyron elongatum (Host) Beauv., *Calligonum comosum* L'Herit, *Salsola kali* L. Del., *Aristida lanata* Forssk., *A. scoparia* Trin. & Rupr. and *A. plumosa* L.

These hummocks build up an outstanding geomorphic feature and drew our attention from the first glance.

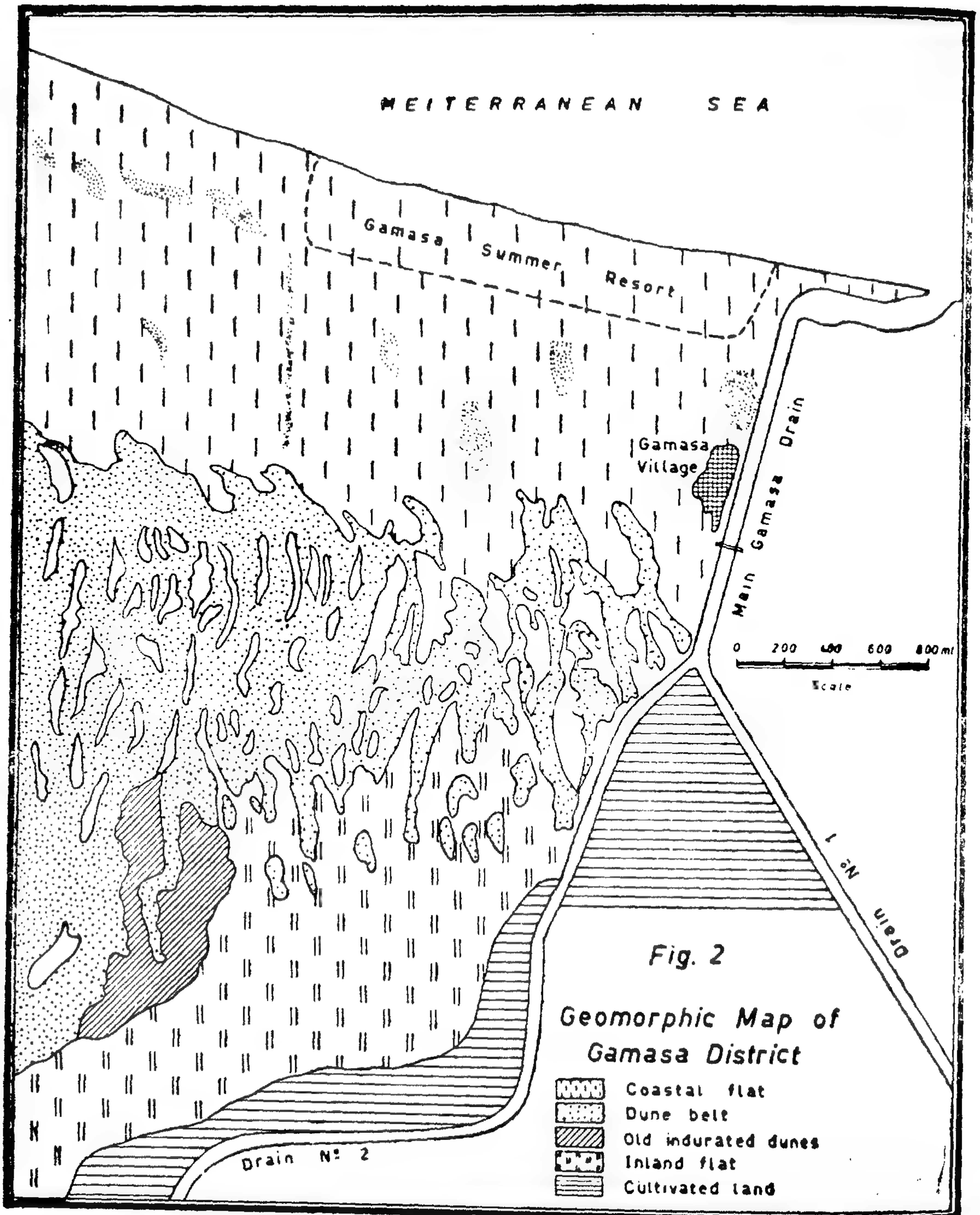
4. *Inland flat and drainage marsh* : This unit occupies the low land between the southern boundary of recent dune belt with the hummocky indurated dunes and the cultivated strip along drain No. 2 to the south. It is flat and rises insensibly to the south where the newly reclaimed terrain occurs. This slight rise is attributed to the entrapment of the deflated sand stopped by the cultivated land and increase in moisture. It is dark grey to reddish in colour, with soft sediments and thin salt crust. It is bare of proper dune accumulation and free from topographic or organic obstacles. Some of these washed old dunes are observed extending south wards in this inland flat. *Zygophyllum album* L. f. is common in this habitat.

The lowest strip of this flat is turned to an artificial lagoon where the drainage water is discharged. The high organic content and the fouling nature of this low strip as well as the saliferous impregnation

of migration varies narrowly and it is estimated to be 1 meter/year. Some however, migrate by a higher rate and they interfere with each other and a continuous but serrated ridge is developed. These long seif dunes are distinguished in their geomorphic pattern from the other sand accumulations along the northern coast. They vary in height, being within the range of 5—8 meters and border bare interdunal plains in between. These are usually oval in shape, perfectly levelled, with thin saliferous crust, soft soil and appear dark grey in colour. Characteristic species of this habitat are : *Zygophyllum album* L.f., *Halocnemon strobilaceum* M. Bieb. and *Arthrocnemon glaucum* (Del.) Ung. Sternb. Some of the dune sand follows the proper direction of the prevailing wind and cross the interdunal plains diagonally bridging the neighbouring belts. These moving sand belts are bare of vegetation cover except at their periferies. *Zygophyllum album* L.f. is the only species growing in such habitats as it can float over moving sand and tolerate high levels of soil salinity. By winter gales and rough sea conditions, sea water invades these low plains and remain inundated during the winter season. Some of these plains act as a corridor for sea water to reach the inland flat and threaten the cultivated land in the interior. Small heaps of pumice and molluscan shell fragments are noticed between, and on the slopes of, these sand bodies. These fragments are drifted by strong wind and high waves as they pass into shallower water. Reed fences are planted in threatened agricultural regions to restrain the advance of this dune belt.

3. *Weathered hummocky old indurated dunes* : These are in the form of elongated ridges, oriented parallel to the direction of the prevailing wind (NW-SE). They are coloured pale brown to pale reddish brown, stand prominently among the surrounding low land and cover a wide area with the long axis of each individual hillock oriented to the northwest. They possess a surface crust of variable thickness ranging from a few cms. to more than 2 m. Loose friable sand underlies this indurated mantle. This cohesion phenomenon is also observed as a thin crust parallel to the long axis and over the slopes of some recent dunes.

Some of these hillocks are quite spectacular, mimicking pedestal rocks. These have been partially cut by undercutting by windblown sand. They exhibit an irregular topographic relief through the effect of long acting differential weathering. They manifest thin lamination, cross-bedding and are usually tilted to the east by about 20°. (See Plate 1, Fig. 1).



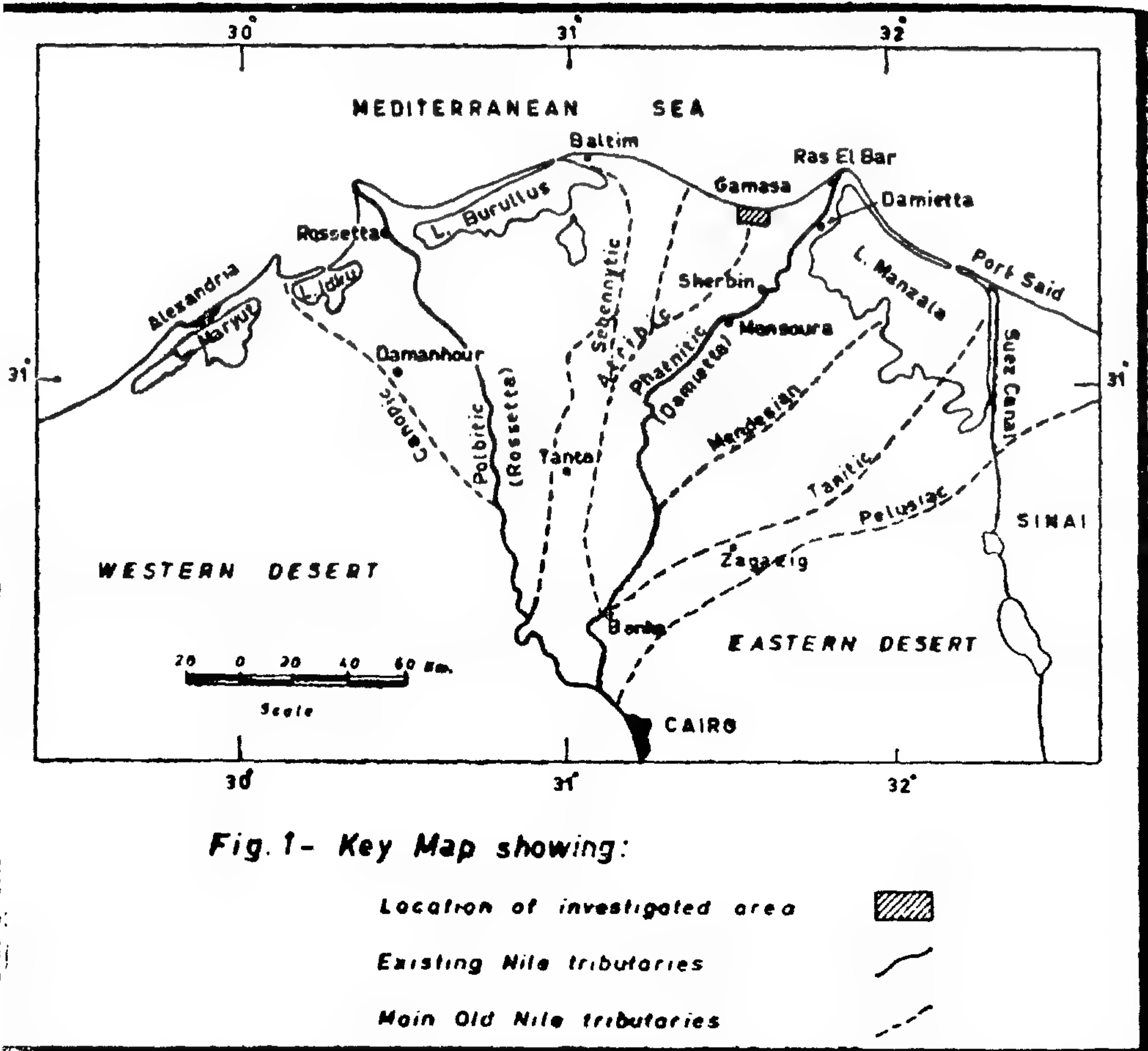


Fig. 1- Key Map showing:

Location of investigated area



Existing Nile tributaries



Main Old Nile tributaries



studies in Summer and Autumn 1973 by the Desert Institute field crew. These studies aim at revealing the evolutionary history of the Nile Delta, and at classifying the northern coastal plain to the depth of 20 kms. to the south into a number of geomorphic units and interpreting their mutual relations for the purpose of beach protection research. In the meantime, this area has been the site of land reclamation at the expense of the northern coastal swamps.

FIELD OBSERVATIONS

During the field trips carried by the authors in the periods of 3—6, 17—20 July and 22—23 August 1973, the investigated area which covers about 20 kms.², was subdivided into the following geomorphic units :—

1. Coastal flat and low coastal dunes.
2. Longitudinal dune belt and interdunal plains.
3. Weathered hummocky old indurated dunes.
4. Inland flat and drainage marsh.

A brief review is made to describe each of these geomorphic units with special emphasis on the old indurated dunes. See geomorphic map, Fig.2.

1. *Coastal flat and low coastal dunes* : This geomorphic unit occupies the low land area delineated by the dune belt from the south and by the shore line from the north. It has a levelled surface and the ground elevation does not exceed one meter above sea level. This flat is dotted by a few ill-defined sandy pillows with characteristically chaotic relief. These sand mounds are haphazardly scattered, depending largely on surface irregularities including topographic obstacle or plant cover. *Zygophyllum album* L.f. is characteristic for such sand accumulation. It indicates habitats rich in salts. Generally, this coastal flat is covered by dirty yellow quartz sand, fine to medium grained with a broad berm of coarse sand in few stretches. Sometimes, a thin salt is persent. This low land is usually inundated by sea water during the winter season.

2. *Longitudinal dune belt and interdunal plains*: This unit is characterized by wide expanses of dunes migrating inland away from the beach following a direction slightly deviated to the north from that of the prevailing wind. These represent the removed material continually on the move from the sea-margin towards the interior. The rate

PRELIMINARY NOTE ON THE OCCURRENCE OF OLD INDURATED SAND DUNES IN THE DISTRICT OF GAMASA NORTHERN NILE DELTA

نبذة مبدئية على تواجد رواسب كثبانية قديمة
بمنطقة جمصة بشمال الدلتا
محمد جابر بركات ومصطفى امام

قسمت منطقة جمصة على الساحل الشمالى لدلتا النيل الى وحدات
جيو مورفولوجية مميزة مرتبة من الشمال الى الجنوب على النحو التالى : السهل
الساحلى ، مجموعة الكثبان الرملية الحديثة ، بقايا كثبان رمالية قديمة والسهل
الداخلى .

وقد وصفت كل وحدة على حده مع التركيز على الكثبان الرملية القديمة
من حيث شكلها الخارجى وغطاها النباتى .
ويرجع الباحثان ان الرمال الكثبانية القديمة قد جلبها الفرع الأتريبي " أحد
قروع النيل القديمة " وهو ما يعرف حالياً ببحر بسنديله .

ABSTRACT

This note aims to throw light on the occurrence of old indurated sand dunes in Gamasa area, North Nile Delta. The clastics building up these dunes are believed to have been transported by the Atribic branch that was active in classical time. A location map, geomorphic map and illustrative photographs are presented.

INTRODUCTION

The district of Gamasa lies on the Mediterranean coast to the NNE of Cairo by about 220 kms. and to the west of Ras El Bar (Damietta branch mouth) by about 30 kms. This district gains more importance since it is a new summer resort. It is accessible from Mansoura via Sherbin by an asphalt road, as well as from Damietta via Ras El Bar. See location map, Fig.1.

No detailed work has been conducted in this area. It is Planned however, to carry out exploratory geological and geomorphological.

CONTENTS

Page

In Arabic :

1. M. A. SEOUDY : The Volta Dam	1
2. S. Z. A. Abdrabou : The National movements in Angola.	31
3. S. A. EL JAMAL : The Rhodesian case	69
4. S. GHABOUR : The African Fishery Resources	121
5. H. OSMAN : Some African Features in Danty's Purgatorio	157
6. M. N. NASSAR : Conservation of Heredity Resources	179
7. M. M. AMIN : The rolle of Abdullab in the fall of Alwa Kingdom.	219
8. S. EL BADAWEY : Equatorial African A Study in Physical Geography	219
9. S. SHABAN : Horein Village (A Study in Social Anthoropology	253

In Non Arabic Languages :

1. Dr. M. G. BARAKAT and Dr. M. IMAM : Prelimnary Note on the Occurrence of Old Indurated Sand Dunes in the Distric of Gomasa Northem Nile delta	1
---	---

Editor : Prof Dr. M. EL SAYED GHALLAB.
Editorial Secretary : Dr. M. A. SEOUDY

Contributions to this magazine are welcomed and should be sent to:
Dr. M. A. SEOUDY
33 Misaha Street, Dokki, Cairo Egypt.

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 2

1973

Issued by the Institute of Research and African-studies Cairo University

AFRICAN STUDIES REVIEW



Vol. 2

1973

Issued by the Institute of Research and African-studies Cairo University